kitabweb-2013.forumsmaroc.com

الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية

تأليف

محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي

(1255 - 1334 هـ / 1839 - 1916 م)

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق

إدريس بوهليلة

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الحلل البهية
في ملوك الدولة العلوية
وعد بعض مفاخرها غير المتناهية

الحُلَلُ البَهِيَّة
في مُلُوكِ الدَّوْلَةِ العَلَوِيَّة
وعدّ بعض مفاخرها غيرِ المُتناهِيَة

تأليف

محمّد بن محمّد بن مُصطفى المشرفي

(1255 - 1334 هـ / 1839 - 1916 م)

دراسة وتحقيق

الجزء الثاني

إعداد: إدريس بوهليلة

الكتاب : الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية
وعد بعض مفاخرها غير المتناهية
لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي
دراسة وتحقيق : إدريس بوهليلة
الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الحقوق : جميع الحقوق محفوظة للوزارة
الطبعة الأولى : 2005 - الجزء الثاني-
رقم الإيداع القانوني : 1782/ 2005
ردمك : 5 -5035 - 0 - 9954

التصفيف والاخراج الفني والطباعة
دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10، شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط
الهاتف : 83 75 20 037 - الفاكس : 89 75 20 037
البريد الإلكتروني : E-mail:editbouregreg@iam.net.ma

[المقصد الثامن: إعادة توحيد البلاد]

[وقوع الفتن واستبداد العبيد]

ثم قال الناظم رحمه الله:

فَصَارَ بِهَا هَرْجٌ وَفِي كُلِّ وِجْهَةٍ يَقُومُ لَهَا مَنْ لاَ يَرَى لِلْعَوَاقِبِ

الهرج: الفتنة والاختلاط، وبابه ضرب وفسره النبي صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة بالقتل، والوجهة: بكسر الواو كل مكان استقبلته، والعواقب: جمع عاقبه، وهي آخر كل شيء.

وأشار بهذا إلى ما وقع بعده من الفتن والحروب بين أولاده: مولاي أحمد، والمولى عبد الملك، والمولى عبد الله، والمولى علي، وسيدي محمد، والمولى المستضيء، والمولى زين العابدين، في خبر يطول ذكره.

وصار ذلك التهارج في سائر الأقطار المغربية، ومات من الخلق بسببه ما لا يحصى، حتى أنه أفضى ذلك إلى فناء خلائق لا يحصون، ووقع نهب كبير، وكاد أن يهلك جميع من في المغرب لولا لطف الله، و[هو][1] معنى قوله: فصار بها، أي بسبب طلب الخلافة أو الإمارة، فساد كبير بالأمة، في كل وجهة توجهت إليها، وفي كل ناحية يقوم من يخطبها ويراودها، من لا يكافيها بحال ولا تحمد عاقبتها به، وذكر * ذلك مفصلا يطول، والناظم التزم (ألا)[2] يتعرض لذلك ونحن على أثره، إلا أن أول من قام من أولاده بعد موته [ولده][3] المولى [أحمد][4] المعروف بالذهبي، فخلع وسجن بداره على يد العبيد في شعبان سنة أربعين ومائة وألف[5]. ثم بايعوا أخاه المولى عبد الملك، فوجه أخاه المولى أحمد لسجلماسة وأمر عامله بها أن يسمل عينيه بفور بلوغه إليه، فلما سمع ذلك فر إلى زاوية الشيخ أبي عثمان سيدي سعيد أحنصال[6]، فقال له ولد الشيخ وكان يتكلم في الحدثان: إنك سترجع إلى الملك، فكان كما قال، ثم خلع العبيد المولى عبد الملك لشدة بخله ونقصه من أرزاقهم المألوف لهم من أبيه ومن أخيه المولى أحمد، وكان زادهم على ما كان يدفعه لهم

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(2) ز، ك، أن لا.

(3) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(4) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح، ك، والتكملة من ز.

(5) شعبان سنة 1140 هـ/ 1 مارس 29 يناير 1728 م.

(6) هذه الزاوية توجد بأغبالو -نايْت- مَضْرِيف على بعد حوالي ثماني كلم غربي وورغْتْ بالأطلس الكبير وصاحبها هو أبو عثمان سعيد أحنصال، قدم إلى الأطلس في بداية القرن 7 هـ/ 13 م، واستطاع بزهده وسلوكه وتعاليمه أن يضع لبنات لطائفة صوفية بالجنوب المغربي. انظر: ملعمة المغرب، ج 1:183-184، 187-188.

CH. de Foucauld. Reconnaissance au Maroc, PP: 264-265 .

(*) • 174أ.

المولى إسماعيل، وذلك في ذي الحجة سنة أربعين [7]، ويعثوا للمولى أحمد من سجلماسة وبايعوه ثانيا في التاريخ المذكور، ثم قبض على أخيه المولى عبد الملك وأمر بخنقه لما ثقل مرضه ومات بعده من مرضه ذلك بثلاثة أيام في أواخر رجب سنة إحدى وأربعين ومائة وألف[8]، ثم بايع العبيد وكافة الجيش وأهل فاس المولى عبد الله بن إسماعيل في رمضان من السنة المذكورة، وبعد ذلك عزم العبيد على خلعه وقتله، فبلغه ذلك ففر ليلا من مكناسة ومضى إلى مراكش ومنها إلى السوس.

وكان ذلك بسبب إسرافه في قتلهم انتقاما منهم لما فعلوه من خنق أخيه المولى عبد الملك حتى أنه قتل منهم ما يزيد على العشرة آلاف. وبعد خلعه بايعوا المولى علي في ربيع الثاني سنة سبع وأربعين[9] وبعده في ذي الحجة سنة تسع وأربعين[10] خلع العبيد أيضا المولى علي وعادوا إلى بيعة المولى عبد الله. ثم إن أهل فاس ومن وافقهم اجتمعوا على خلع المولى عبد الله ومبايعة أخيه سيدي محمد المعروف بابن عربية، فبايعوه في عاشر جمادى الأولى سنة خمسين ومائة[11]، ولما سمع المولى عبدالله (بِبَيْعَةِ)[12] أخيه وقد تم له الأمر فرّ إلى جبال البربر، وبعده ثار العبيد على سيدي محمد في الرابع والعشرين من صفر سنة إحدى وخمسين[13] وقبضوا عليه وعلى عامله[14] وأخرجوا عياله* من دار الملك إلى داره التي على وادي ويسلن بجنان حمرية، ووكلوا به من يحرسه من العبيد، وكتبوا إلى أخيه المولى المستضيء يستدعونه إلى القدوم عليهم من سجلماسة ليبايعوه، فأقبل مسرعا ووافقهم جل الناس على بيعته، وبايعوه في السنة المذكورة. وبعده في ذي القعدة من سنة إثنين وخمسين[15] اجتمع العبيد أيضا على خلعه ومبايعة [أخيه][16] المولى عبد الله، ففر من مكناسة إلى طنجة، ومنها إلى مراكش ويقي بها، وبايع العبيد أيضا المولى عبد الله ودخلوا في طاعته أوائل سنة ثلاث وخمسين[17]، ووافقهم أهل فاس والودايا وغيرهم. وفي شهر ربيع الأول من سنة أربع وخمسين[18] همَّ العبيد أيضا بخلعه والإيقاع به فنذرت بذلك أمه ففرت من مكناسة إلى فاس الجديد، ومن الغد تبعها ثم فر إلى البربر، ثم بايع العبيد، والقائد أحمد بن علي الريفي، وأهل طنجة، وتطاوين والفحص، وأهل

---

(7) أي ذي الحجة سنة 1140 هـ/ 9 يونيو - 6 يوليوز 1728 م.
(8) أواخر رجب سنة 1141 هـ / أوائل مارس 1729 م.
(9) أي ربيع الثاني سنة 1147 هـ / شتنبر 1734 م.
(10) أي ذي الحجة سنة 1149 هـ / 2 أبريل 30 أبريل 1737 م.
(11) أي 10 جمادى الأولى سنة 1150 هـ / الخميس 5 شتنبر 1737 م
(12) ز: بيعة.
(13) أي 24 صفر سنة 1151 هـ / الجمعة 13 يونيو 1738 م.
(14) في الاستقصا ج 147:7 أنه هو القائد على فاس الشريف أبي محمد عبد المجيد المشامري.
(15) أي ذي القعدة من سنة 1152 هـ / 30 يناير 28 فبراير سنة 1740 .
(16) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(17) أي أوائل سنة 1153 هـ/ مارس - أبريل 1740 م.
(18) أي شهر ربيع الأول من سنة 1154 هـ / 17 ماي 15 يونيو 1741 م.
(*) * 74 ب.

[الجبال][19]، المولى زين العابدين بن المولى إسماعيل، فدخل مكناسة في ربيع الثاني سنة أربع وخمسين[20]، ثم إنه لما اضطرب أمره مع العبيد أيضا، هجم عليه المولى عبد الله، ففر أيضا من مكناسة.

[استئثار المولى عبد الله بالسلطة]

واجتمع العبيد -أيضا- على بيعة المولى عبد الله ثالثا، فبعثوا إليه في منتصف رمضان من السنة المذكورة[21]، وأخبروه بخلعهم زين العابدين وأنهم بايعوه، وجددت له البيعة العامة، الودايا وأهل فاس وقبائل العرب والبربر، واستمر الحال على ذلك إلى آخر ذي القعدة من السنة المذكورة[22]، ثم ارتاب العبيد -أيضا- منه على عادتهم وجنحوا إلى خلعه ومبايعة المولى المستضيء فلم يتم لهم أمر وصفا الأمر له من التغيير، واستبد بالإمارة، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

إِلَـى أَنْ صَـفَـا أَمْـرُ الخِلاَفَـةِ لِـلَّـذِي   تَجَلَّتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ (لَكِنْ)[23] الشَّوائِبِ

أي وغاية ذلك الهرج والفتن والنزاع، إلى أن صفا أمر الخلافة، وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، أي (خلص)[24] من تغير الفتن والمفاسد ، للذي [و][25] هو المولى عبد الله، تجلت: أي ظهرت به بعد خفائها وإهمالها بالكلية بمنازعة كل فيها، من بعد تلك الشوائب: جمع شائبة وهي*الأدناس والأقذار كما للجوهري[26].

والمعنى: أن ذلك الهرج والفتن، الواقعة بسبب تزاحم أولاد مولاي إسماعيل المذكورين على الإمامة بعده، دامت واستمرت نحو الخمسة عشر عاما، إذ وفاة المولى إسماعيل كانت في تسع وثلاثين وألف[27]، وصفاء أمر الإمامة لمولاي عبد الله كان في شعبان الأبرك من عام أربعة وخمسين ومائة وألف[28]، ومبايعته الأولى كانت قبل صفاء

---

(19) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ك . والتكملة من ز. ح.
(20) أي في ربيع الثاني سنة 1154 هـ / 16 يونيو 14 يوليوز 1741 م.
(21) أي منتصف رمضان من سنة 1154 هـ/ الجمعة 24 نونبر 1741 م.
(22) أي آخر ذي القعدة من سنة 1154 هـ/ أوائل فبراير 1742 م.
(23) كتب في متن د. ز.ك: تلك. ثم صححت في طرة النسخ المذكورة بما أثبتناه هنا في المتن. ويظهر أن المؤلف وقف على الكلمتين كل واحدة في نسخة معينة.
(24) ز: خاص.
(25) ما بين المعقوفتين ساقطة من. ز.
(26) أنظر: الصحاح للجوهري ج 159:1 (مادة شوب) والجوهري هو: إسماعيل ابن حماد الجوهري، أبو نصر، المتوفى سنة 393 هـ / 1003 م. أديب، لغوي ونحوي. مات بسبب محاولته الطيران.
أنظر : نزهة الألباء: 252-254 . إنباه الرواه ج 194:1-198، مرآة الجنان، ج 446:2 . النجوم الزاهرة، ج 4: 207-208 . لسان الميزان، ج 1: 400-402 . تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 358:2 الأعلام للزركلي ج 313:1 .
L.KoPF, Ency . de l'islam, T2. PP: 508-509 .
(27) سنة 1139 هـ / 1726 م.
(28) شعبان من عام 1154 هـ / 12 أكتوبر 9 نونبر 1741 م.
(*) * 75 أ.

الأمر [له][29] سنة إحدى وأربعين ومائة ألف[30]، وقد ولي وخلع على ما قيل سبع مرات، وقد أشار بقوله: لَكَنِ الشوائب -على نسخة- لكن: إلى التاريخ الأول المذكور لأول مبايعته، إذ هو عدد نقط هاذين اللفظين. ويكون المعنى: أن أمر الخلافة صفا له بعد، لَكَنِ الشوائب: أي عدم نطقها بالخلافة، إذ الألْكَنُ هو من لا يقيم العربية لِعُجْمَةٍ لسانه من قوله: لَكَن، كفرح لكناً ولكنة، وعند الفقهاء من لا يستطيع إخراج بعض الحروف من مخارجها سواء كان لا ينطق بالحرف البتة أو ينطق به مغيرا، فيشمل التمتام وهو الذي ينطق في أول كلامه بتاء مكررة والإرث، وهو الذي يجعل اللام (تاء)[31]، ومن يدغم حرفا في حرف وإلا لثغ بالمثلثة تحول اللسان من السين إلى التاء أو من الراء إلى الغين، واللام أو الياء، أو من حرف إلى حرف، أو من لا يتم رفع لسانه لثقل فيه والطمطام: من يشبه كلامه كلام العجم، والعنقام: من لا يكاد صوته ينقطع بالحروف، والآخن: وهو الذي يشوب صوت خياشمه شيء من (الحلق)[32] وغير ذلك. والشوائب: الأمور الصعبة المهولة من وقائع وغيرها.المؤثرة بشدة تشعبها، وضيق مسالكها، وعدم التخلص منها للمشيب، ومنه قول الحريري[33]: وقع الشوائب. وعليه فالفتن والوقائع كانت لا تستطيع النطق بالخلافة المستلزمة للإصلاح، لفساد لسانها بالفتن أم لعدم فصاحتها بذلك، إلى تاريخ ولاية مولاي عبد الله المذكور، وفيه مَنَّ الله على المغرب بطالع الملك السعيد، ورحمة الله التي عم بها القريب والبعيد، السلطان المظفر الذي أولاه الله من عزه ما أولاه، أبي محمد مولاي عبد الله، الذي اختاره الله للملك من صميم آل بيت نبيه الطاهرين، سادة الحي ومواليه الراشدين أدام الله بهم حماية الإسلام، ومتّع المسلمين في ظلهم على الدوام، * وكان[34] إذ ذاك بدار الدبيبغ من حوز فاس، فجاءه العبيد بها في منتصف رمضان من السنة المذكورة[35]، فحيوه وأخبروه باجتماعهم على بيعته وخلع أخيه المولى زين العابدين، فسرّ بذلك بقدومهم عليه، وخرج الوداية لملاقات العبيد (فاختلطوا)[36] بهم وسروا بقدومهم، وجددت البيعة العامة من الوديا، وأهل فاس، وقبائل العرب والبربر، وتم له الأمر[37].

---

(29) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(30) سنة 1141 هـ / 1728 م.
(31) د، ح، ك: ثاء، والتصحيح من ز.
(32) د: الخلق، والتصحيح من ز،ح،ك.
(33) لعله يقصد: القاسم بن علي بن محمد أبو محمد الحرير (446-516 هـ/ 1054-1122 م): أديب وشاعر، وصاحب المقامات الحريرية، المسماة بمقامات أبي زيد السروجي. أنظر: نزهة الألباء: 278-281 . عيون التوارخ للكتبي، ج 12:133-139 ، الطبقات الشافعية للسبكي، ج 4، 295-297 البداية، ج 12:191-193، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 3: 38، كنوز الأجداد لكرد علي 282-290 . الأعلام للزركلي، ج 5.177-178 .
(34) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 7:156 .
(35) أي منتصف رمضان من سنة 1154 هـ/ الجمعة 24 نونبر 1741 م.
(36) ز: واختلطوا.
(37) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج: 7:156 .
(*) • 75 ب .

[تأليف المولى عبد الله بين القبائل]

وحينئذ شمر عن ساعد الجد، وأخذ في تأليف القبائل، ووصل يد بعضهم ببعض، ثم ألف بينهم وبين الوديا وأهل فاس، وآخى بين الجميع، فأعطوه صفقة أيمانهم بأنهم يموتون دونه، فتمَّ له منهم ما أراده[38]. وكان ذلك، لما بلغه من إرادة العبيد، نكث البيعة على عادتهم ومبايعة المولى المستضيء.

[إرسال هدية إلى الحرمين الشريفين]

وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف [39]، بعث مولاي عبد الله -هذا- إلى الحرمين الشريفين هدية [40] نفيسة فيها ثلاثة وعشرون مصحفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب، مرصعة بالدرر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني، الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني، الذي كان عند بني أمية بالأندلس، وانتقل إلى هذه العدوة على يد عبد المؤمن بن علي، وأما المصحف العقباني فهو مصحف عقبة بن نافع الفهري الصحابي المشهور فاتح المغرب، كان نسخه بالقيروان من المصحف العثماني على ماقيل، وبقي متداولا بين أهل المغرب، إلى أن وقع بيد الأشراف السعديين، وأخذ فيه المنصور العهد لولده الشيخ على إخوته، ولما وصل إلى هذا السلطان -رحمه الله- غرّ به من المغرب إلى الحرم الشريف، فعاد به الدر إلى وطنه والإبريز إلى معدنه [41].

[بسط النفوذ على جميع أنحاء المغرب]

ولما أخذ في الجد والاجتهاد، بسط الله له اليد على جميع من بالمغرب، من حاضر وباد، وإلى هذا أشار بقوله رحمه الله:

لِمَـوْلاَيَ عَـبْـدِ الـلّـهِ حَـطَّتْ رِحَـالَـهَـا   وَجَـاءَتْ لَـهُ تَـسْـعَـى بِـحَـلْـيَـةِ رَاغِـبِ

المولى: هو الناصر لمن فزع إليه في نيل مهمه، وهو من أسمائه ﷺ. قال ﷺ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ" [42]. ولا شك أنه ﷺ مفزع الخلائق وناصرهم في الدنيا لما بين

---

(38) هذه الفقرة توجد في الاستقصا ج 157:7 بنفس اللفظ.

(39) سنة 1155 هـ / 1742 م.

(40) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 159:7 .

(41) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 159:7 .

(42) الحديث رواه ابن ماجة في السنن، ج 58:1 عن سعد، بنفس اللفظ، والمسعودي في مروج الذهب ج 180:3، بدون سند.

لهم طريق النجاة، وعلمهم من أنواع الهداية حتى تركهم على المحجة البيضاء التي لا غبار عليها، ومفزعهم وناصرهم في الآخرة في ذلك المقام المحمود والحوض المورود هناك، والشفاعات المتكاثرة والمقالة المسموعة والرتب المرفوعة، *والسؤال المعطى، والجاه الأعظم، وهذا هو السر في تقديم السيد على المولى، إذ السيد المفزع إليه والمولى الناصر لمن فزع إليه، قال [الإمام] (43) البوصيري: [البسيط]

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ إِنْ (تَلْقَهُ) (44) الأُسْدُ فِي أَجَامِهَا تَجِمِ
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ (45).

أي ومن تكن نصرته به صلى الله عليه وسلم، فهو المنصور، ولو لقيته الأسد في غابتها، التي (هي) (46) أشد وثبا فيها من غيرها، سكنت وخضعت، فلذلك، لا تبصر وليا صديقا مسلما إلا وهو منصور به، ولا تبصر عدوا كافرا، إلا وهو به منقصم مقهور، فقد روي أن سفينة بفتح المهملة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، بعثه بكتاب إلى معاذ بن جبل باليمن، فتعرض له أسد في الطريق فخاف ولم يقدر على الجواز، فوقع في قلبه أن رسول الله ﷺ مولى كل مؤمن، وخصوصا هو، فتقدم إليه وقال: يا أسد أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، فقام السبع وَهَرْوَلَ، ثم هَمْهَمَ، ثم خرج وتنحى عن الطريق، ثم فعل مثل ما فعل، وقال له مثل ما قال، فتنحى الأسد من الطريق وهمهم أيضا، فلما قدم سفينة رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم: وكيف أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ وأما المرة الثانية فقال فيها: اقرأ رسول الله ﷺ مني السلام، وأبا بكر، وعمر ، وعثمان، وعليا، وصهيبا، وبلالا(47) انتهى.

وهو [دليل](48) جواز إطلاق المولى على هؤلاء العصبة من ملوك الأشراف لنصرتهم للأمة المحمدية، ويطلق أيضا [المولى](49) كما في فتح الرحمان في شرح الجمان على معان كثيرة على الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والنافع، و(الجار)(50)، وابن العم، والحليف، والفقيه، والصميد أي الرفيع، والمنعم عليه، ولذلك صح إطلاق المولى على هؤلاء الملوك العظام.

---

(43) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(44) في جميع النسخ: تلقاه، فصححناها.
(45) ك: الله حافظه من كل منتقم. وفي ح اختلاف في الكلمة الأخيرة وهي: منتصم عوض منقصم. والبيتان يوجدان في ديوان البوصيري: 247 .
(46) د، ح، ك : هو، والتصحيح من ز.
(47) لم أجد هذه الرواية.
(48) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .
(49) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .
(50) د، ك: الحام، والتصحيح من ز.ح.
(*) ٭ 76أ.

والمعنى أن الخلافة حطت رحالها: جمع رحل، وهو مركب للبعير، وأقامت من سيرها وجاءته على قدميها إذ هو لازم من حط الرحال، ساعية في بلوغ مرادها (بتمكينها) [51] نفسها منه، متزينة بحلية: هي بالفتح كَظَبْيَة ما يزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة، وبالكسر الحلقة والصورة والصفة، وكلاهما مراد راغب أي مجد* في الوصال، حارص عليه، فالخلافة عرضت نفسها عليه بلسان حالها لما لم ترَ مَنْ يُناسبها ويكافئها من أبناء زمانها غيره وهو كذلك، ويشهد له أنه لم يلبث بها ثلاثة أشهر إلا وهو مبسوطة[52] يده في المغرب على جميع مدنه، وقراه، وقبائله، ومداشره، بسطا (مؤيدا) [53] [بنصر الله وتأييده، وهو في دار ملكه بمكناسة الزيتون، يخرج لملاقات جميع من يرد عليه][54]، ويتهيأ لكل ذي شكاية صباحا ومساء، ولا يستطيع أحد أن يحول بينه وبين صاحب شكاية قبل الوصول إليه، وأموره كلها في غاية الحزم والضبط، وأجرى الناس على معتادهم في المنازل على ما قرره مولاي إسماعيل والده رحمه الله، وكذلك المرتبات، وهو في كل ذلك يحافظ على ما أسسه والده من المفاخر، وكان بذلك أهل الجانب المعظم كالاشراف والعلماء، ومن والاهم من أهل المسكنة والضعفاء، في أقوى منعة وأعلا مكانة وأعز رفعة [55].

وبالجملة، فقد اجتمعت كلمة أهل المغرب على طاعة المولى عبد الله، ودخل على الشرفاء، وخيار الطلبة، والضعفاء، والمساكين كل الفرح والسرور. وأما أهل الذعارات، والفتن فأصابهم الخوف العظيم ،ودهتهم الدواهي لما (أسلفوه) [56] من فعلهم الذميم، ولما وصل لمكناسة، تلقاه الناس في الحين، وأكمل الله به الفرح والسرور لأهل الدين، وكان هذا كله سنة أربع وخمسين ومائة وألف [57] غير ما تقدم من الهدية للحرمين الشريفين.

[النزول قرب فاس]

ثم نزل بموضع قرب فاس في العام الذي بعد هذا [58]، وبنى (داره) [59] المباركة التي (هي بها الآن) [60].

---

(51) د، ك: تمكنها، والتصحيح من ز،ح.
(52) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ من نشر المثاني ج 3: 335 .
(53) ز: مؤيدا.
(54) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .
(55) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع نشر المثاني، ج 335:3 .
(56) د، ح، ك: أسلفو، والتصحيح من ز.
(57) سنة 1154 هـ / 1741 م.
(58) أي سنة 1155 هـ / 1742 م.
(59) ز، ح: دار ملكه .
(60) ز،ح: هو الآن بها.
(*) * 76 ب.

[سبب نجاح الناس في أعمالهم بفاس]

ونجح الناس بفاس ببركته، وسخر الله لهم الأسباب من الحرث، والغرس والتجارات، فنالوا من الربح ما لم يعتادوه، وأحياهم الله من موت الفقر والخصاصة، ونجحوا غاية النجاح، وظهر عليهم من الخير ما هو كفلق الصباح.

[بناء قوس من قنطرة وادي سبو]

وفي سنة خمس وخمسين[61]، هدَم وادي سبو قوسا من قنطرته بكثرة الحمل من السيل، فرام أهل فاس إصلاحه، فلم يقدروا، إلا أنهم جعلوا عليه خشب النخل، فكان عليه (ممر)[62] في ذلك الوقت، ثم تلاشى وانهدم، إلى أن بناه المولى عبد الله أجزل الله ثوابه.

[قيام الثائر أحمد بن علي الريفي والقضاء عليه]

وبعده، قدم الثائر أحمد بن علي الريفي، وذلك في أول سنة ست وخمسين[63] وأنزل محلته بالموضع المسمى بالعسال من مزارع فاس ليحيد مدينة فاس وما والاها عن طاعة مولاي عبد الله إلى طاعة* المولى المستضيء، وناوشهم القتال بعض قبائل حوز فاس، فلم يفيدوا فيه شيئاً، ثم قدم العبيد عليه ردءاً له فاشتد قنوط أهل فاس من ذلك، وذلك في ثاني عشري صفر[64]، ثم إن (مولاي عبد الله أرسل إلى الريفي ومحلته)[65] جنودا من البربر وغيرهم (فهزموه)[66] أقبح هزيمة، وبقيت بأيديهم محلة الريفي بما فيها، ونصر الله المولى عبد الله نصراً عزيزاً، فرجع العبيد إلى طاعة المولى عبد الله، فعاتبهم وأمرهم بالحركة للريفي بطنجة، وجاء[67] المغرب للمولى عبد الله بالهدايا من كل فج عميق، وصار يحلم عليهم ويواسيهم بكلام الخير، وهو مع ذلك سيف من سيوف الله هيبة ووقارا، وكان من عادته -رحمه الله- يصحبه النصر من الله والتأييد حيثما توجه، ووقع له من ذلك العجائب في غير موطن، ولما ذهب العبيد لمحاربة الريفي، لم يفيدوا فيه شيئاً، ورجعوا من غير شيء، فخرج المولى عبد الله لحرب الريفي بنفسه، وذلك في مهل جمادى

(61) أي سنة 1155 هـ / 1742 م.
(62) ز،ح: يمر.
(63) أي أول سنة 1156 هـ / 25 فبراير 26 مارس 1743 م.
(64) أي 22 صفر سنة 1156 هـ / الأربعاء 17 أبريل 1743 م.
(65) د، ز،ح : الله تعالى أرسل على الريفي ومحلته بأمر مولاي عبد الله . والتصحيح من ك.
(66) د، ك: فهزموا، والتصحيح من ز،ح .
(67) ك: قبل.
(*) 77 أ.

الأخيرة من سنة التاريخ [68]، فوقعت الملاقاة بينهما بالموضع المسمى بالمنزه من القصر رابع عشر جمادى الأخيرة [69]، فانهزم الريفي أقبح هزيمة، وقتل في المعركة، وبقي بين القتلى، ومنح الله الملك والنصر للمولى عبد الله، فاستولى على طنجة بدخائرها، وأموالها وعلى جميع قبائل المغرب، وانتعش المسلمون ومنحهم الله الرزق من كل جهة، وأدام الله النصر للمولى عبد الله.

[تثبيت السلطة في بعض المدن والنواحي]

وبعده شدد الحصار على جبل مسوفة حتى أطاعوه ونزلوا على حكمه. ثم رحل عنهم إلى قصبة مزم، وخلف ولده سيدي محمدٍ على مراكش وقبائلها. وكل من خرج عن طاعته وحكمه هلك وباد، ورجع إليه صاغرا، حتى وسعه حلمه وأذن (عند) [70] ذلك لعامل فاس عبد الخالق عديل في الرجوع لفاس، فرجع عديل ومات بعد دخوله لفاس، ودفن بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي.

ثم ارتحل المولى عبد الله لتادلا، ثم دخل لمكناسة، وثار أهل فاس على المولى عبد الله، وتراكمت الأهوال، ورجعوا لطاعته بعد نحو من سبعة وعشرين شهرا، ولا أنجى الضعفاء وغيرهم من الهلاك إلا حلمه، فقد رحم الله به العباد. وذلك على يد العلامة سيدي الكبير السرغيني [71] بواسطة بعض فضلاء الأشراف من أهل سجلماسة، فخرجوا لمكناسة إذ كان حينئذ بها مع الشرفاء والطلبة بالهدية، فقبل منهم ورجعوا (فرحين) [72] * مسرورين بحلمه وتجاوزه عنهم.

[ظهور الطاعون]

وبعده، ظهر الطاعون وفشا في المغرب، وبلغ الموتى في اليوم الواحد بفاس ما يزيد على ثلاثمائة، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائة وألف [73].

(68) أي مهلَ جمادى الأخيرة من سنة 1156 هـ/ أواخر شهر يوليز 1743 م.
(69) أي 14 جمادى الأخيرة من سنة 1156 هـ/ الاثنين 5 غشت 1743 م.
(70) ز، ح: بعد .
(71) هو: محمد الكبير المدعو الكبير بن محمد السرغيني، المتوفى 5 جمادي الثانية 1664 هـ/ فاتح ماي 1751 م: فقيه، متصرف ومشارك في علوم أخرى. أنظر: نشر المثاني، ج 84:4 ، سلوة الأنفاس، ج 2: 340-343 ، تاريخ الضعيف، ج 274:1 هامش: 20 .
(72) د، ك: فارحين، والتصحيح من ز،ح.
(73) رجب سنة 1163 هـ / 6 يونيو 5 يوليوز 1750 م.
(*) * 77 ب.

[قدوم المولى محمد بن عبد الله إلى مكناس وفاس]

وفي أواخر جمادى الأولى[74] قدم المولى المنصور بالله، الخليفة سيدي محمد بن عبد الله على مكناسة، فزار قبر جده المولى إسماعيل، ثم ورد فاسا على أبيه، ولقاه وتبرك به، وأهدى له من أنواع التحف، والتمس منه الرضى، فأمره والده بالرجوع إلى مراكش في الحين، فرجع[75].

[وقوع قحط أعقبه مطر غزير]

ووقع في هذه السنة [76] قحط، بسبب قلة نزول المطر، حتى استسقى الناس مراراً متعددة، وأيسَ الناس من نزول الغيث، وبعده أرسل الله مطرا غزيراً جداً، بحيث لو طال لهلك جميعا من على الأرض وعظم به السيل حتى كان يسوق البهائم من أزقة فاس.

[اختصار مناقب المولى عبد الله]

وباختصار، إن المولى عبد الله كان -كما قيل- ممن أطلع الله به شموس الخلافة وأقمارها، وعمرت به الأرضون فأحيا أنجادها وأغوارها، وسعد به أهل العز من كل فريق، وتمهدت به السبل من كل فج عميق وشقت هيبتُه المشارق والمغارب، ونال الضعفاء بعزمه ما تمنوه من المآرب ، وعمّر به سوق العلم بعد (درسه)[77]، وضحك وجه الزمان لأهله بعد عبوسه، ولله درّ من قال في مديحه، مما نظمه من بليغ القول وفصيحه، لهجا بخطابه، ومؤديا لما يجب (لعلى) [78] جنابه: [الطويل]

عَلَيْكَ (السَّلاَمُ) [79] يَا ضِيَاءَ العَوَالِمِ   وَيَا بَهْجَةَ الأَشْرَافِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
وَيَا مَنْ سَمَا (شَمْساً) [80] عَلَى كُلِّ جَاهِلٍ   وَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِهِ كُلُّ عَالِمِ
وَأَصْبَحَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ نَاظِراً   إِلَى كُلِّ مِسْكِينٍ بِمُقْلَةِ رَاحِمِ
وَيَا مَنْ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْهُ مَهَابَةً   تَذِلُّ لَهُ رَغْماً أُنُوفُ الأَعَاجِمِ

---

(74) أي أواخر جمادى الأولى من سنة 1163 هـ / أوائل ماي 1750 م.
(75) هذه الفقرة توجد في تاريخ الضعيف، ج 1:274 باختلاف يسير في اللفظ
(76) أي سنة 1163 هـ / 1750 م.
(77) ز، ح: دروسه.
(78) د،ح،ك : لعلى، والتصحيح من ز .
(79) في الاستقصا ج 7. 188: سلام.
(80) في الاستقصا ج 7: 188: عضبا.

وَيَا مَنْ لَهُ حَزْمٌ وَعَزْمٌ وَ (هَيْبَةٌ) [81] تُفَتِّتُ (إِرْغَامًا) [82] قُلُوبَ الضَّرَاغِمِ
كَفَاكَ افْتِخَارًا إِنَّ عِزَّكَ ظَاهِرٌ وَجُودُكَ مُنْسِي بِهِ جُودَ حَاتِمِ
وَكَوْنَ سَجَايَاكَ الَّتِي فَاحَ عُرْفُهَا سَجَايَا الْمُلُوكِ الشُّمِّ (أُولِي) [83] الْمَكَارِمِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكَ زِمَامَهَا (سُرُوجُ) [84] الْعُلاَ إِذْ كُنْتَ أَحْزَمَ حَازِمِ
فَقُمْتَ عَلَى الْمُلْكِ الْمُشَيَّدِ رُكْنَهُ تَذُودُ (بِأَمَالِ الْقَنَا) [85] وَالصَّوَارِمِ
* وَأَغْنَاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنْ جَمْعِ عَسْكَرٍ بِرَأْيٍ مُصِيبٍ لِلْعَسَاكِرِ هَازِمِ
وَنَفْسٍ (عَلاَ) [86] فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ (قَدْرُهَا) [87] وَعَقْلٍ غَنِيٍّ عَنْ هِدَايَةِ عَالِمِ
فَجِئْتَ وَسَيْلُ الْغَرْبِ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى وَأَسْوَاقُهُ مَغْمُورَةٌ بِالْجَرَائِمِ
وَنَارُ الشُّرُورِ فِي الْفِجَاجِ تَأَجَّجَتْ فَطَابَ لِأَهْلِ الْبَغْيِ هَتْكُ الْمَحَارِمِ
فَدَوَّخْتَهُ مِنْ بَعْدِمَا (اسْتَشْرَتْ) [88] بِهِ بُغَاةٌ وَقَدْ (رَسَتْ) [89] رُعَاةُ الْبَهَائِمِ
فَأَمَّنْتَنَا مِنْ كُلِّ طَارٍ وَطَارِقٍ وَحَصَّنْتَنَا مِنْ كُلِّ دَاهٍ وَدَاهِمِ [90]

[وفاة المولى عبد الله]

توفي -رحمه الله- ليلة الخميس السابع والعشرين من صفر عام أحد وسبعين بموحدة ومائة وألف[91]، ودفن آخر النهار في مقابر الشرفاء مع بعض أهله، في جوار دار الملك له بالمدينة البيضاء فاس العليا حرسها الله.

---

(81) في الاستقصا ج 7: 188: سطوة.
(82) في الاستقصا ج 7: 188: إرهابا.
(83) في الاستقصا ج 7: 188: أهل.
(84) في الاستقصا ج 7: 188: ضروب
(85) في الاستقصا ج 7: 188: لديه بالقنا.
(86) في الاستقصا ج 7: 188: علت.
(87) في الاستقصا ج 7: 188: همة.
(88) ن ح: انتشرت. وفي الاستقصا ج 7: 188: استنسرت.
(89) في الاستقصا ج 7: 188: طالت.
(90) هذه الأبيات توجد في الاستقصا ج 7: 188 .
(91) ليلة الخميس 27 صفر عام 1171 هـ / 10 نونبر 1757 م.
(*) ← 78 أ.

[المقصد التاسع : الانفتاح على الخارج]

[تولية المولى محمد بن عبد الله]

والى وفاته[1] في التاريخ المذكور وولاية ولده سيدي محمد، أشار بقوله: عنان، من قوله:

فَمَهَّدَهَا حَتَّى تَمَلَّكَ رُوحَهَا   فَحَازَ عَنَانَ فَضْلِهِ بِالمَوَاجِبِ
خَلِيفَتُهُ المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ   هِلَالٌ بَدَا مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الكَوَاكِبِ

أما صدر البيت الأول ، فمعناه راجع للمولى عبد الله -المتقدم- إذ هو الذي مهَّد الخلافة، وأصلح ما كان من الفتن والتفاقم قبله، حتى تملكها تملكا تاما، وعنه عبر [بالروح][2]، وهي عند أهل السنة من المتكلمين والمحدثين، والفقهاء والصوفية: جسم لطيف متحلل في البدن، تذهب الحياة بذهابه، وعبارة بعض المحققين هو: جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وبهذا جزم النووي، ونقل تصحيحه عن أصحابهم، وجزم ابن عرفة[3] به ونقل تصحيحه عن أصحابنا أيضا [و] [4] في الحديث: " إِذَا قُبِضَ الرُّوحُ تَبِعَهُ البَصَرُ " [5] وفيه أيضا : (أليس)[6] بصره نفسه"[7]. ومنه يوخذ اتحاد الروح والنفس، وهو مذهب الجمهور. وقال بعض العلماء: النفس والروح والعقل واحدة في الذات، مختلفة بالاعتبار، فباعتبار نيلها للملاذ والشهوات نفس، وباعتبار تعلقها بالجسد تعلق التدبير بإذن الله روح، وباعتبار تعلق (العلوم)[8] بها عقل، ومذهب جماعة من الصوفية والفلاسفة أن الروح ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد* قائم بنفسه، غير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتحريك، غير داخل فيه ولا خارج عنه، والروح ذو جسد ويدين ورجلين ورأس، قاله الإمام ابن عرفة، وأورد عليه أن من قطع رأسه يلزم عليه قطع رأس الرأس، وأجيب بعوده على الشخص المقطوع بسرعة. قيل: ومستقر الأرواح في حال

---

(1) يقصد: المولى عبد الله الذي توفي ليلة الخميس 27 صفر من سنة 1171 هـ/ 10 نونبر 1757 م ويقصد «بقوله» أي قول الناظم.
(2) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(3) لعله يقصد: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أبو عبد الله (716-803 هـ / 1316-1401 م): مقرئ، فقيه، أصولي بياني منكلم، فرضي، وخطيب ومفتي، من تونس. أنظر: الضوء اللامع، ج 9:240-240 شذرات الذهب، ج 7:38 أزهار الرياض، ج 3:35-38 ، البدر الطالع، ج 2: 255-256 ، الفكر السامي ج 2:249-250 ، الأعلام للزركلي، ج 7:43 ، معجم المؤلفين، ج ج 11:285 .
H.R. Idriss. Ency: de l'islam. T 3. P: 734
(4) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(5) الحديث أخرجه ابن ماجة، السنن، ج 1: 229 . ومسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 6:222 . وكلاهما عن أم سلمة، باختلاف يسير في اللفظ.
(6) د، ك : أليت، والتصحيح من ز، ح.
(7) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج 6.224 عن أبي هريرة باختلاف في اللفظ.
(8) ز،ح: العلم.
(*) * 78 ب.

الحياة من الجسد القلب، قاله حجة الإسلام الغزالي[9] في كتاب الانتظار. و(اسْتَقَرَّ بِهِ)[10] ابن عبد السلام[11] وقال: في كل جسد روحان: روح اليقظة إذا كانت في الجسد كان مستيقظا، فإذا نام خرجت منه، ورأت المنامات. وروح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد فهو حي، فإذا فارقته مات، فإذا رجعت إليه حيي. وهاتان الروحان في باطن الجسد لا يعلم مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك، فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة. انتهى.

وكتب أبو بكر -رضي الله عنه- جوابا لهرقل ملك الروم -حين سأله عن الروح، ماهي؟ : الروح نكتة لطيفة من لطائف باريها أبرزها [من][12] ملكه وأسكنها في ملكه، وجعل لك عليها رزقاً وجعل له عليك حقا، فإذا استوفيت ما لك عنده، أخذ ما له عندك والسلام. وبعد وفاة المولى عبد الله حاز عنان فضله ككتاب هو (أسير)[13] اللجام الذي يمسك به الدابة شبّه به اقتفاء أثر والده تشبيها مضمراً في النفس مع ما فيه من رمز تاريخ وفاة المولى عبد الله وتولية ولده المذكور، ومبايعته بإثر موته، وكان حوزه لذلك الفضل الذي هو منصب الإمامة بمواجب شرعية، منها: اجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته، ومنها: توفر شروط الإمامة فيه ومنها: أهليته لذلك في ذلك الوقت دون غيره. وقوله: خليفته: هو فاعل حاز من البيت الأول، وفيه من عيوب الشعر التضمين، إلا أنه خفيف غير مضر إذ المضر القبيح أن يتضمن البيت الأول الموصول والثاني صلته بخلاف ما لو توقف البيت الأول على الصفة لاشتماله هو على الموصوف والفاعل كما هنا، فإنه أخف ضرراً لشدة اتصال الصلة بالموصول، والتضمين موجود في كلام فحول الشعراء من العرب السليقية من ذلك قول النابغة: [14] :الوافر]

وَهُـمْ وَرَدُوا الجِفَـارَ (عَـلَـى)[15] تَمِيمٍ ... وَهُـمْ أَصْحَـابُ يَـوْمِ (عُكَـاظَـى)[16] إنّي

* شَـهِدْتُ لَـهُـمْ مَـوَاطِـنَ صَـادِقَـاتٍ ... (وَثِـقْـتُ لَـهُـمْ بِـحُسْنِ الظَّنِّ)[17] مِنّي[18]

---

(9) هو: محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد (450-505 هـ / 1058-1111 م): فيلسوف متصوف مشهور، وله اطلاع على علوم كثيرة كالفقه وعلم الكلام والأصول.... إلخ أنظر: طبقات الشافعية لابن هداية الله: 192-195 ، شجرة النور، 138-140، تاريخ آداب اللغة لجورجي زيدان، ج: 97:3، معجم المطبوعات ج 1408:2-1416، هدية العارفين، ج 79.2، كنوز الأجداد: 272-281 ، ظهر الاسلام، ج 165:4-169، صانعو التاريخ لفليب حتي: 201-227 ، الأعلام للزركلي، ج 22:7-23، معجم المؤلفين، ج 11 266-269 .
W. Montgomery. Watt. Ency. del'islam, T2. PP: 1062-1066

(10) ز: استغربه.

(11) هو: عبد العزيز بن عبد السلام (577-660 / 1181-1262) فقيه، مفسر، شافعي المذهب، لقب بسلطان العلماء لاطلاعه ومشاركته في علوم عديدة، تولى عدة مهام منها: الخطابة، التدريس والقضاء، ولد ونشأ في دمشق، وتوفي بالقاهرة، أنظر: الطبقات الشافعية للسبكي، ج 80:5-107، البداية ج 235:13-236 ، النجوم الزاهرة، ج 208:7، الضوء اللامع، ج 240:9-242، طبقات الشافعية لابن هداية الله:222-223 ، معجم المطبوعات، ج 161:1-165 الحياة العقلية لأحمد بدوي: 162-164، الأعلام للزركلي، ج 21:4

(12) ك: عن.

(13) د، ز، ك : سير والتصحيح من ح.

(14) هو: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري أبو أمامة، المتوفى نحو 18 قبل الهجرة / نحو 604 م: شاعر جاهلي من أهل الحجاز، كان مقصد الشعراء بسوق عكاظ. أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ج 162:9-177 ، الفهرست: 224 ، خزانة الأدب، ج 135:2-138، الأعلام للزركلي، 54:3-55 .

(15) د، ز،ك: عن، والتصحيح من ح: وديوان النابغة: 199 .

(16) كذا في جميع النسخ، وفي ديوان النابغة: 199: عكاظ. وعكاظ: اسم سوق مشهور في كتب التاريخ والأدب، كان موضعه بين مكة والطائف.

(17) في ديوان النابغة: 199: أَتَيْتُهُمْ بِنُصْحِ الصُّدْرِ.

(18) البيتان يوجدان في ديوان النابغة. 199 .

(*) * 79 أ.

والخليفة: هو الباقي بعد .لمتخلف عنه النائب عنه في أحكامه، والمولى: هو الناصر لمن فزع إليه، وهو اسم من أسماء الله تعالى، قال الله تعالى: «واعتصموا بالله هو مولاكم»[19] أي ناصركم ووليكم، وتقدم ما يدل على جواز إطلاقه على كل ناصر[20]. والإمام: هو من كان على الحق مخالفا لسائر الأديان الباطلة، ومحمد: بدل من خليقته (شبهه)[21] بالهلال وهو غرة القمر ذا ليلتين أو إلى ثلاث أو إلى سبع، وليلتين أيضا من آخر الشهر، ويسمى فيما بين ذلك قمراً. شبهه به لاستكماله الفخر الذي هو بمنزلة النور وقت إفضاء الخلافة له، فصار بعد خلافة أبيه له ومبدأ أمره قمرا يستضاء به. وهو كذلك.

ومما خطر بالبال وقت كتابته ما أنشأه بعض أدباء المشارقة يتهدد من أراد إذايته، ويحذره، شره، والشيء بالشيء يذكر: [الطويل].

أَرَاكَ عَلَى مَا قِيلَ تُبَلِّغُنِي الأَذَى ... فَدَعْنِي وَافْعَلْ مِثْلَ ذَا بِبَلِيدِ
أَمَا (تَسْتَقِل) [22] الشَّرَّ (عَنِّي) [23] وَتَتَّقِي ... عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ عَادَ نَشِيد
وَلَوْ رُمْتَ (هَجْوَ)[24] الشَّمْسِ قُلعتَ قرونَهَا ... طِوالُ وَقَدْ كَانَتْ سِرَاجَ ثَمُودِ
رَهِينَةَ تَكْوِيرٍ وَخَسْفٍ كَأَنَّهَا ... رَغِيفُ غَلاءٍ أَوْ كَقُرْصِ حَدِيدِ
وَلَوْ رُمْتَ (ذَمَّ) [25] البَدرِ شَبَّهْتَ وَجْهَهُ ... بِدَفِّ بَغِيٍّ أَوْ بِكَفِّ قَعُودِ
وَقُلْتَ حَكَى فِي بَرْدِهِ واصْفِرَارِهِ ... وكلفته السُّوْدَادَ وَجْهَ يَهُودِ
وَمَنْ كَانَ حَالُ الشَّمْسِ وَالبَدْرِ عِنْدَهُ ... كَذَاكَ فَمَنْ عَادَاهُ غَيْرُ رَشِيدِ

والكواكب: جمع كوكب، وهو جرم كري أي مدور كالكرة بسيط (نوراني)[26] مضيء بغيره كالقمر، وبذاته كغيره، مغروز في الفلك، بحيث [سطحه][27] بسطحه وحركته بحركة فلكه، وهو إمّار سيار وهي السبعة المذكورة في قول بعضهم [الكامل].

زُحَلٌ شَرَى مِرِّيخَهُ مِنْ شَمْسِهِ ... فَتَزَاهَرَتْ لِعُطَارِدِ الأَقْمَارُ

وهي كما ترى: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس،[28] والزهرة، وعطارد بضم العين، والقمر. وسميت سيارة وسائرة لسيرها في أفلاكها على خلاف سير الفلك الأعظم، لأن

(19) وردت الآية خاطئة في جميع النسخ بالشكل التالي، في د. ح. ك. فاعتصموا بحبل الله هو مولكم:. وفي ز: "واعتصموا بالله وليكم". وقد صححنا الآية في المتن حفاظا على أمانة النص القرآني. أنظر: المقصد الثامن: 510-511 .
(20) انظر المقصد الثامن من الجزء الثاني، ص . 10.
(21) ز.ح. شبه.
(22) ك: تستقيل.
(23) ك: مني.
(24) ز: محو
(25) د. ح: دم. والتصحيح من ز. ك.
(26) ز: نورا.
(27) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.ح.
(28) خطأ. الشمس لا تعد من الكواكب. بل تعد من النجوم، وهي أصغرها إذا قيست بسائر النجوم. وإذا قيست بكوكب الأرض فقطرها قدر قطره مائة مرة، وحجمها قدر حجمه مليون مرة، وكتلتها قدر كتلته ثلاثمائة ألف مرة .

حركته* من المشرق إلى المغرب. وسير هذه من المغرب إلى المشرق، أو ثوابت[29]، ولا يعلم عددها إلا الله تعالى، وفيها الأصغر والأكبر والمتوسط، فأصغرها قدر الأرض ست مرات، وأكبرها قدر الأرض مائة وثمانية، وكلها في الفلك الثامن وهو الكرسي إلا الدراري (السبعة)[30] المذكورة، فكل منها مختص بفلك يخصه من السماوات السبع، فزحل في السماء السابعة والمشتري في السادسة وهكذا وأنت نازل إلى القمر فهو في الأولى، ومنازل هذه السيارات السبعة قدرها الحكيم تعالى بحيث يحصل للكواكب فيها صعود إلى (الأوج)[31] ونزول إلى الحضيض، فلا تستقر في سيرها على حالة واحدة، قال في المطالب العالية[32] للفخر[33]: ومن الأحوال العجيبة أن هذه الكواكب السبعة لكل واحد منها حركات (ست)[34] فهي تتحرك بطبائعها من المغرب إلى المشرق، ويسبب تحريك الفلك الأعظم من المشرق إلى المغرب، وأيضا فهي تميل تارة إلى الشمال وأخرى إلى الجنوب، وأيضا فهي تتحرك تارة إلى فوق وذلك عند صعودها إلى أوجاتها وأخرى إلى (أسفل)[35] وذلك عند هبوطها إلى حضيضاتها، فهذه حركات ست حاصلة لكل واحد من تلك السبعة، فهي (إثنان)[36] وأربعون حركة واقعة على وجه يحصل به نظام هذا العالم على الوجه الأصوب. انتهى.

والمعنى: أن الحائز للخلافة المتولي بعد وفاة المولى عبد الله هو ولده سيدي محمد (بالفور)[37] من موت والده، بايعه أهل المغرب من أشراف، وعلماء، وجيوش، وجميع المسلمين بيعة تامة، مرضية، كاملة الأوصاف سنية، جامعة (لجميع)[38] الأمور الشرعية، ومحيطة (بجميع)[39] مصالح الرعية. وتم وكمل بحمد الله للمسلمين كمال الهناء، وسعدت به البلاد والعباد، وكثرت به أسباب الرفاهية والغنى، وذلك سنة إحدى وسبعين ومائة وألف [40] كما سبق.

---

(29) خطأ. لا يوجد في هذا الكون ما هو ثابت. إن كل ما في الكون إلا وفي حركة دائمة ومنظمة، ويسير وفق قوانين مقدرة ومضبوطة. إن الكواكب والشمس تدور في اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق، والمجرة تدور حول محور لها وتتم الدورة في نحو 200 مليون من السنين. وكل النجوم وهي لا تعد ولا تحصى "تدور مع المجرة التي تنتمي إليها كما تدور الشمس مع مجرتها "التبانة".

(30) ز،ح: السبع.

(31) د: الأرجح، والتصحيح من ز،ح.

(32) لم أقف على هذا الكتاب. وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ج 1714:2 .

(33) يقصد: محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (544-606 هـ / 1150-1210): طبيب، أديب، شاعر، مفسر، متكلم، فقيه، أصولي ومشارك في علوم أخرى، ولد بالري، ورحل إلى خوارزم وخراسان وغيرها من البلدان وتوفي في هراة. أنظر: الوافي بالوفيات، ج 248:4-259، الطبقات الشافعية للسبكي ج 33:5-40، البداية، ج 55:13-56، لسان الميزان، ج 426:4-429، طبقات الشافعية لابن هداية الله 216-218 . تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان ج 94:3، معجم المطبوعات، ج 915:1-917، هدية العارفين، ج 107:2، الأعلام للزركلي، ج 313:6، معجم المؤلفين، ج 79:11-80 .

(34) د، ك: ستة، والتصحيح من ز،ح.

(35) ز،ح: الأسفل.

(36) د: اثنتان، والتصحيح من ز، ح، ك.

(37) د. بالفوت، والتصحيح من ز، ح، ك.

(38) ك: بجميع.

(39) د، ح، ك: لجميع، والتصحيح من ز.

(40) سنة 1171 هـ / 1757 م.

(*) * 79 ب.

[وفود أهل فاس لمراكش لبيعة المولى محمد بن عبد الله]

ثم وفد عليه أهل فاس لمراكش ببيعتهم، فأجازهم، وأكرمهم غاية الإكرام، وبسط عليهم أيدي المبرة والإنعام، لكونه بويع بمراكش.

[ورود المولى محمد بن عبد الله على فاس] واعتناؤه بالعلم والعلماء

ثم ورد على فاس، وكان يوم دخوله لها (يوما عظيما، ومشهدا كريما) [41] ولازال بها خاصا للعلماء بالمجالسة والمفاوضة في العلم، إذ كان -رحمه الله- * في العلوم (بحراً)[42] لا يجارَى، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى، لا سيما علم الحديث، كانت له عناية كبيرة بسرد كتبه، وتحقيق معانيه، ومزيد إجلاله وتعظيمه، ومن ذلك جلب من بلاد المشرق كتبا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب، مثل مسند الإمام أحمد، ومسند أبي حنيفة [43] رضي الله عنهما [وغيرهما][44]. وألف كتبا في الحديث قل مثلها في القديم والحديث، وذلك بإعانة بعض العلماء الملازمين مجلسه للمذاكرة فيه، من ذلك كتاب مساند الأئمة الأربعة أو ثلاثة منهم أو إثنان، فإذا انفرد بالحديث إمام واحد أو رواه غيرهم لم يخرجه، ولم يسبق بمثل هذا، وكان كثيراً ما يتأسف ويقول: والله لقد ضيعنا أعمارنا في البطالة تحسرا على ما فاته من تحصيل العلوم أيام شبابه، إذ كان في ذلك معتكفا على سرد كتب التاريخ وأخبار الناس، وأيام العرب ووقائعها، حتى بلغ الغاية القصوى في ذلك، و(كان)[45] يحفظ ما في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني[46]، من كلام العرب وشعراء الجاهلية والإسلام، ثم زهد في التاريخ والأدب لما تولى الخلافة. وصرف همته للعلوم الشرعية ومجالسة أهلها، ورتب بذلك أوقاتا مضبوطة لا تنخرم. وكان يرى أن اشتغال

---

(41) د، ج،ك: يوم عظيم ومشهد كريم، والتصحيح من ز.

(42) د، ج،ك: بحر، والتصحيح من ز.

(43) هو: النعمان بن ثابت التيمي، الكوفي، أبو حنيفة (80-150/699-767م) فقيه،محقق، مجتهد،محدث، وإمام الحنفية. أصله من فاس، وولد ونشأ بالكوفة. أنظر: الفهرست 116، 284، وفيات الأعيان، ج 5:405-415، مرآة الجنان ج 1:309-312، البداية، ج 10:107-108، النجوم الزاهرة، ج 2:12-15، تاريخ الخميس، ج 2:326-329، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2:161، هدية العارفين ج 2:495، ضحى الإسلام، ج 2:176-206، أبو حنيفة لأبي زهرة، الاعلام للزركلي ج 8.36 ، معجم المؤلفين، ج 13:104.
-J. chacht, Ency. de l'islam. T1. PP: 126-128

(44) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز، ج.

(45) في الاستقصا ج 8:66 : كاد.

(46) هو: علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم المرواني الأموي، القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (284-356/ 897-967): أديب مشهور له اهتمام بالتاريخ والإنساب. أنظر: البداية، ج 11:263، مرآة الجنان ج 2:359-360 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2.325 ، كنوز الأجداد: 159-163، أبو الفرج الأصبهاني للأصمعي، الأعلام للزركلي ج 4:278 .
M. NALLINO, Ency de l'islam. T1. PP: 121-122

(*) * 80 أ.

طلبة العلم بقراءة المختصر الفقهي وغيره وإعراضهم عن الأمهات المبسوطة الواضحة تضييع للأعمار في غير طائل. وكان ينهى عن ذلك ولا يترك من يقرأ مختصر خليل، ومختصر (ابن الحاجب)[47] وأمثالهما، حتى كاد الناس يتركون [قراءة][48] مختصر خليل بالكلية، وإنما كان يحض على كتاب الرسالة[49] والتهذيب [50] وأمثالهما، إلى أن أحيا الله قراءة المختصر بالمتولى بعده المولى سليمان. وكان أيضا ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية رضي الله عنهم[51]. وكان يحض الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل، وكان يقول عن نفسه حسبما صرح به في آخر كتابه الموضوع في الأحاديث المخرجة عن الأئمة الأربعة أنه مالكي المذهب، حنبلي الاعتقاد، يعني أنه لا يرى الخوض* في علم الكلام على طريقة المتأخرين، [52] مع ما هو عليه من علو الهمة ومحبة الفخر، حتى أنه كان يخاطب ملوك الأتراك مخاطبة الأكفاء، ويخاطبونه مخاطبة السادة، ويمدهم بالأموال والهدايا، حتى علا صيته عندهم وحسبوه أكثر منهم مالا ورجالا.

[مناقب المولى محمد بن عبد الله]

وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، ويضع الأشياء مواضعها، ويعرف مقادير الرجال، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السوابق سوابقهم، وكان من الشجعان المذكورين في وقته، يباشر الحروب بنفسه، ويعتني بالأقران و(الأبطال)[53] ويصطنعهم ويدّخرهم لأيام الحروب، وعندما ينادي كل واحد باسمه، ويوجه كل بطل رئيسا على قبيلة أو كتيبة، وإذا رأى من يعرف شجاعته أنشد: [الرجز]

وَالــنَّــاسُ أَلْـفٌ مِـنْـهُـمْ كَـوَاحِـدٍ ... وَوَاحِـدٌ كَـالأَلْـفِ إِنْ أَمْـرٌ عَـنَـا[54]

---

(47) في الاستقصا ج 67:8: ابن عرفة. ومختصر ابن الحاجب: هو مختصر لكتاب منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل. وكلاهما من تأليف عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت646 هـ/1248 م). انظر كشف الظنون ج 2 : 1625 ، 1853 .

(48) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز،ح.

(49) يقصد بها: كتاب الرسالة لمؤلفها عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي زيد القيرواني. وهو كتاب منشور متداول. موضوعه الفقه.

(50) يقصد به: كتاب التهذيب، لمؤلفه خلف بن أبي القاسم بن سليمان الأزدي القيرواني المغربي، البراذعي، أبو سعيد: فقيه مالكي عاش في أوائل القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي. والكتاب اختصار لمدونة سحنون. موضوعه الفقه توجد نسخ خطية منه في مكتبة الصادقية بتونس، والقرويين بفاس، ومنه السفر الأول قديم مبتور الآخر في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 266 ج. أنظر الأعلام للزركلي، ج 311:2 .

(51) زاد في د العبارة التالية: وكان يحض الناس على مذهب الأشعرية رضي الله عنهم. وقد حذفنا هذه العبارة من المتن لأنها -كما يبدو- من زيادة الناسخ سهوا.

(52) هذه الفقرة التي تبدأ من: ينهى عن قراءة. توجد في الاستقصا ج 68:8 بنفس اللفظ.

(53) د، ك: الابطان، والتصحيح من ز،ح.

(54) البيت يوجد في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي: 302 دون نسبة. كما يوجد في الجيش ج 177:1، والاستقصا ج 69:8 . وكلاهما ذكرا أن قائله هو ابن دريد.

(*) ★ 80 ب.

وكان من ملوك العدل المضروب بهم المثل رحمه الله، وجيها عند ملوك الإسلام والروم، فلا يأمرهم بشيء إلا بادروا بامتثاله مسرعين، وقاموا خاضعين له مطيعين مع رسوخه في المعرفة بجميع ما هو من المصالح العامة والخاصة للدنيا والدين.

[الاهتمام بافتكاك الأسارى المسلمين]

وقد شمر لفك الأسارى حتى أنه لم يبق بزمانه أسير بيد النصارى، وذلك أن الأسارى[55] الذين كانوا عند الإصبنيول كتبوا إلى سيدي محمد بن عبد الله يعلمونه بما هم عليه من ضيق الأسر. وما نالهم من الكفار من الامتهان والصغار. وكان فيهم من ينتمي للعلم ومن يقرأ القرآن، فلما وصل كتابهم إليه وقع منه موقعا كبيراً، وسهر من أجله وكتب إلى طاغية الإصبانيول[56] يقول له: إنه لا يسعنا في ديننا إهمال الأسارى وتركهم في قيد الأسر، ولا حجة في التغافل عنهم لمن ولاه الله الأمر، وفيما نظن أنه لا يسعكم ذلك في دينكم أيضا. وأوصاه أن يعتني بخواص المسلمين الذين هنالك من أهل العلم وحملة القرآن. وأن لا يسلك بهم مسلك غيرهم من (عامة)[57] الأسارى، قال: مثل ما نفعل نحن بأساراكم ممن له بال وشرف عندكم. فإنا لا نكلفهم بخدمة ولا نخفر لهم ذمة. فلما وصل هذا الكتاب إلى الطاغية عظمه وسر به، وأمر بإطلاق الأسارى الذين بحضرته، وبعث بهم إلى السلطان. ووعده أن يلحق بهم غيرهم من الباقين بسائر إيالته، فوقع ذلك من السلطان كل موقع، وعظم* في عينيه.

وكان كريم الطبع يحب الفخر، فأمر حينا بإطلاق ما كان تحت يده من أسارى الإصبنيول وغيرهم لتكون للطاغية مزية على سائر الأجناس، وبعث معهم بهدية فيها عددٌ من الأسود، فاتصل ذلك بيد الطاغية، ففرح، وهيأ هدية استوفى فيها غاية مقدوره، وبعثها مع كبراء القسيسين، وأصحبهم كتابا أفصح به عن المحبة والاعتراف بالفضل والمنة[58] ثم كاتبه ثانيا بأنه[59] لم يبق ببلادي أحد من أسارى إيالتكم. ولم يبق عندي إلا أهل الجزائر الذين عندهم أسرانا. وطلب منه أن يتوسط له عند صاحب الجزائر في المفاداة بينه وبينه، وكانت أسرى الإصبنيول تزيد على أسرى الجزائر بكثير، وطلب منه أن تكون هذه المفاداة على يده الرئيس بالرئيس، والبحري بالبحري، والجندي بالجندي وهكذا، ومن فضلت عنده فضلة فالبحري بخمسمائة ريال، والرئيس بألف. فأسعفه السلطان في طلبه سعيا في إنقاذ المسلمين من أيدي الكفار ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه، فكتب -

---

(55) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 23:8 .

(56) لعله: شارل الثالث الذي توفي سنة 1203 هـ/ 1788 م. وكان من أبرز ملوك الإسبان المصلحين. أنظر: حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 114:3

(57) ك: عارمة.

(58) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 24:8 .

(59) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 38:8 .

(*) * 81 أ.

رحمه الله- لباي الجزائر بما طلبه الطاغية. فامتنع من الفداء، ثم كاتبه ثانيا، (فامتنع)[60] ثم عاد إليهم الكتابة ثالثا، وحضهم على فكاك أسرى المسلمين، ووعظهم وخوفهم عقاب الله، ورغبهم في ثوابه، فحينئذ جنحوا للمفاداة، وطلبوا منه أن يبعث إليهم من يقف على المفاداة من خاصته ويدفعون إليه أسراهم في يده، ويتسلم منهم مثل عددهم من إخوانهم، فكتب السلطان إلى الإصبنيول يعرفه الخبر، وأن يبعث ما عنده من أسارى المسلمين في مركب إلى الجزائر، وينتظر هنالك من يوجهه من قبله حتى تكون المفاداة على يده، وبعث السلطان لهذا الغرض كاتبه أبا العباس الغزال[61] فأرسى مركب الإصبنيول بظاهر مرسى الجزائر، وعند وصول الغزال أنزل من أسرى المسلمين ألفا وستمائة ونيفا، فأخرج أهل الجزائر من أسرى النصارى مثلهم ألفا وستمائة ونيفا أيضا، وبقيت عندهم من أسرى النصارى الإصبنيوليين فضلة، ففداها طاغيتهم بالمال وانصرفوا[62]، وكان ذلك سنة إثنين وثمانين ومائة ألف[63].

[فتح الجديدة]

[و][64] منه أنه كان لا يقر له قرار، ولا يتسلى ليلا ولا نهارا من أجل مشاركة البرتقال له في مراسي أرضه، حيث احتل بمرسى الجديدة المعروفة بساحل *البحر قرب أزمور، وهي من أفخر مدن السواحل، ومرساها أعظم المراسي، فأخذها البرتقال، وتوسع فيها وجال، وأرعد وأبرق وصال واستولى على ما يليها من المسلمين، وكانت تخرج امرأة القبطان لحُللهم للتنزه والفرجة، ثم ترجع بالعشي بهدايا على حسب طاقتهم ووسعهم، (فشمر)[65] لها السلطان المذكور (المجاهد)[66] المبرور في حدود إثنين وثمانين ومائة وألف[67] وصار يغاديها بالحرب ويراوحها، حتى فتحها عنوة من سنته، بعد أن كانت ممتنعة جدا،حار فيها الأولون، يحكى أنه نصب عليها خمسة وثلاثين مدفعا بين كبير وصغير، ورمى عليها قنابل كثيرة في أيام متعددة سقط داخلها أكثر من ألفين قنبلة، فهدمت كثيراً من أبنيتها،

---

(60) ك: فاجتمع.

(61) هو: أحمد بن المهدي الغزال الحميري الفاسي، المتوفى سنة 1191 هـ/ 1777 م، كاتب وأديب، عين كاتبا للمولى محمد بن عبد الله، ثم سفيرا في إسبانيا، فألف كتابه: نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد، سجل فيه انطباعاته، وارتساماته السياسية والإجتماعية والحضارية عن سفارته لإسبانيا من لدن السلطان (محمد بن عبد الله)، وذلك سنة 1182 هـ / 1768 م، وقد أعيد نشر هذا الكتاب بتحقيق إسماعيل العربي، عن دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1980م، أنظر: الإعلام للمراكشي، ج 2:393-394 ، الدليل ج 1:124 ، 167 ، 174 ، 234 ، وج2:366 ، الأعلام للزركلي، ج 1:260 ، الموسوعة، ج 3:154-155، الحياة الأدبية:312 - 316، التيارات السياسية: 215-216 ، المصادر العربية ج 1: 226، 230 ، 231.

(62) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 8:39 .

(63) سنة 1182 هـ / 1768 م.

(64) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(65) د، ك: شم، والتصحيح من ز،ح.

(66) كررت في د.

(67) 1182 هـ / 1768 م.

(*) * 81 ب .

وقتلت عدداً (وافراً)[68] من أهلها وحاصرها، ولما طال[69] الحصار على أهلها كتبوا إلى طاغيتهم[70]. فأجابهم بالخروج إن عجزوا على المدافعة، فامتنعوا وسبوا (الكتاب)[71] ومن أرسله، وقالوا: لا نخرج منها حتى نهلك عن آخرنا، إذ هي مأثرة أجدادنا عجنت طينتها بدمائهم، وفنيت عليها نفوس أكابرهم وأشرفهم. وبعده انقادوا، وبعث كبيرهم إلى السلطان يطلب منه أن يكف عن القتال، ويؤجله ثلاثة أيام، ويدفع له البلد، فأجابه إلى ذلك، واشترط عليه أن لا يخرجوا إلا بثيابهم التي على ظهورهم، ولا (يحملوا)[72] معهم شيئا غيرها، فامتثلوا، ولما أيسوا من حمل أمتعتهم، أحرقوا الأثاث والفرش، وعرقبوا الخيل، وقتلوا الماشية، وكسروا الأواني والعدة، وفلسوا أكثر من مائة مدفع، ودفنوا مينات البارود في جوانبها كل مينة فيها أكثر من أربعين برميلا، وتركوا مَنْ يباشر[73] نهوضها عند دخول المسلمين للمدينة، فهلك بسبب ذلك نحو خمسة آلاف، وتهدم السور الجنوبي[74] منها، كذا نقله بعضهم[75] عن بعض (مؤرخي)[76] النصارى[77] والله أعلم. وعمرها السلطان بأهل دكالة، إذ هي في وسط أرضهم، وأضاف إليهم حصة من الجند، وأعقابهم بها لهذا العهد.

[الاعتناء بالاستعدادات البرية والبحرية]

وكانت له -رحمه الله- همة واعتناء بالاستعدادات البرية والبحرية من المراكب الحربية والأبراج المشيدة.

وبعد أخذه الجديدة وفتحها، حاصر مليلية[78] مدة، ثم (أقلع)[79] عنها لشغل عارضه.

---

(68) في متن د، ز،ح: كثيراً. والتصحيح من طرر هذه النسخ، ومن الاستقصا ج 36:8 حيث وردت العبارة بنفس اللفظ.

(69) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 36:7 .

(70) وهو: يوسف الأول المتوفى سنة 1191 هـ/ 1777 م. كان قليل الإهتمام بشؤون دولته فترك المسؤولية والقيادة لوزيره المركيزدي بومبال، الذي بدوره انشغل بالقضايا الداخلية، وأهمل الشؤون الخارجية. فلعل هذا التفكك والتصدع في مركز الدولة البرتغالية من أهم الأسباب التي حفزت السلطان المغربي على تحرير الجديدة.أنظر المغرب عبر التاريخ، ج 96:3 .

(71) د، ك: الكاتب، والتصحيح من ز،ح، والاستقصا، ج 36:8 .

(72) د، ك: يحمل والتصحيح من ز،ح، والاستقصا ج 37:8 .

(73) ذكر صاحب الاستقصا (ج 37:8) أن الذي تركوه يباشر نهوض المينات اسمه بطرس، وكان رجلا حدادا له دراية بها.

(74) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 37:8 .

(75) لعله يقصد المؤرخ المغربي المشهور: أحمد بن خالد بن حماد الناصري السلوي المتوفي سنة 1315 هـ/ 1897 م، فهو أول مؤرخ مغربي اعتمد في سرده لأحداث تاريخ المغرب على مصادر أجنبية بمساعدة ترجمان خاص.

(76) د، ح، ك: مؤرخين، والتصحيح من ز.

(77) لعله يقصد: لويزمارية الذي أشار إليه الناصري في الاستقصا (ج35:8) وقد ألف لويزمارية كتابا في تاريخ الجديدة، ذكره الإستاذ المنوني في المصادر العربية (ج 92:2). وهذا الكتاب هو الذي اعتمد عليه الناصري في سرد بعض الأحداث التاريخية التي مرت بها مدينة الجديدة.

(78) أنظر تفاصيل حصار مليلية في الجيش العرمرم، ج 1، 450 والاستقصا ج 8:40-41 .

(79) ك: أوقع

[الإحسان إلى الرعية]

ولكثرة اعتنائه، واجتهاده، واستعداده للمهمات الحربية، وبسط جوده على *رعيته وتأمينهم أشار بقوله:

فَـــفَـــرَّقَ أَمْــوَالاً وَخَـــيْــلاً وَعُـــدَّةً عَلَـى الجَيْشِ مِنْ تَوْفِيرِ تِلْكَ المَكَاسِبِ
فَصَـارَ جَمِيـعُ الـنـهَـاسِ فِي ظِلِّه عَلَى بِسَـاطِ الأَمَـانِـي فِـي جَمِيـعِ الجَوَانِبِ

فرق وتفرق: ضد تجمع، تقول: فرق الشيء بمعنى بدده بعد جمعه، وأموالا : جمع مال، وهو ما يملك، وهو معروف يذكر ويؤنث، وهو عند العرب مختص بالابل، وفي العرف العام بالنقدين.

وخيلا : جماعة الأفراس لا واحد له، أو واحده خائل، لأنه يختال، الجمع أخيال وخيول، ويقال لفرسانها خيالة، ويضرب المثل بنواصيها للعز والرفعة، لأن معاني الأمور كلها إنما يحصل بها العز في نواصي الخيل، والذل في أذناب البقر، قال بعضهم: [الرمل]

قُـلْـتُ لَـمَّـا سَاقَتْ (البَـعْـضُ) [80] لَنَا بَـقَــراً ذُقْــنَــا بِــهَــا حَـرَّ سَـقَــر
فَـاتَــنَـا عِـزُّ نَـواصِـي الخَيْـل فَـلْـ يَـبْـقَ فِـيـنَـا ذلُّ أَذْنَـابِ الـبَـقَـرِ

وقال بعضهم لما (عير) [81] بركوب الخيل مركب تطأطأ عن خيلاء الخيل وارتفع عن ذلك البعير، وخير الأمور أوسطها [82] وقال بعض البلغاء: الخيل للاختيال، والبغال للإيغال، والإبل للأثقال انتهى.

وعدة: بالضم هي ما لابد منه من الأسلحة المدخرة للاستعداد، وهو التهيؤ. يقال: استعد للأمر إذا تهيأ له، وعده: هيأه، وأعده: جعله عدة، وهي المراد في قول الناظم، والجيش: واحد الجيوش، تقول: جيش فلان تجييشا أي جمع الجيوش، وهو معروف. وقوله: من توفير: أي هذه الأشياء من توفير أي إتمام اجتماعها مما أمر الشارع باجتماعه لبيت المال المأخوذ من المكاسب: جمع مكسبة بكسر السين، وأصل الكسب الجمع، وبابه ضرب أي من الأرزاق التي بيد الرعية من أعشار، وزكاة وغير ذلك، والأشياء التي (يعمر) [83] بها بيت المال: الخمس، والفي، والجزية، والخراج، والعشر، والمال الذي ضل صاحبه أي جهل كالمأخوذ مكسا حيث لا يعلم صاحبه، وأما إذا علم فيجب رده إليه ولا يجوز إرثه ولا قبوله هبة على المعتمد ووارثه

---

(80) ز.ح: الأرض

(81) د. ح: غير. والتصحيح من ز.ك.

(82) هذا المثل يوجد عند الميداني، مجمع الأمثال، ج 1:243. وقال: يضرب في التمسك بالاقتصاد.

(83) د. ك: تعمر. والأصح ما أثبتناه من ز.ح .

(*) * 182أ.

وموهويه إن عُلما كهو وقولهم: الحرام لا ينتقل لذمتين ليس مذهب لنا، والمال الذي مات صاحبه ولا صاحب له، فهذه جملة الأموال التي توضع في بيت المال وتعمر بها، وقد نظم ابن جماعة الشافعي [84] * -رحمه الله- ما يوضع في بيت المال فقال : [البسيط]

جِـهَـاتُ أَنْـوَاعِ بَـيْـتِ المَالِ سَبْـعـتُـهـا ... فِـي بَـيتِ شِـعْـرٍ حَـوَاهَـا فِـيـه كَـاتِـبُـهُ

خُمْسٌ [85] فيءٌ خَـرَاجٌ جِـزْيَـةٌ عُـشْـرٌ ... وَإِرْثُ فَـرضٍ وَمَـالٌ ظَـلَّ صَـاحِـبُـهُ

وتلك إشارة إلى ما هو معهود في الذهن من هذه الأشياء والله أعلم.

وقوله : فصار: من باب باع، تقول: صار الشيء كذا إذا تغير من حالة إلى أخرى، أي صار الناس في ظل هذا الإمام وهو بالكسر الفيء: وهو ما نسخ الشمس، وقال رؤبة [86]: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيءٌ وظل، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل معروف. والمراد : فصار الناس في كنفه أي في حرزه وجانبه الذي هو بمنزلة الظل المانع من الحرارة، فصح تشبيه الجانب له لمنعه كذلك من حر الفتن ونار الظلم، والبساط: هو ما ينبسط وينتشر.

والأمان: ضد الخوف، من باب فرح أمنا وأمانا بفتحها، أي جالسين على فرش الأمان بعد وقوفهم للترقب من شدة خوف الفتن، وذلك في جميع الجوانب: جمع جانب، وهي الناحية لا في ناحية دون أخرى، بل كل ناحية من نواحي المغرب إلا وأمن أهلها بدخولهم في كنف هذا الخليفة.

والمعنى : أنه لما استقر به الملك، و(ساس)[87] الناس وأحسن إليهم وجذبهم، بفيض جوده، وأعطى كل من يستحق العطاء من أنواع الأمتعة من دراهم، وخيل، وآلة حرب، وغير ذلك من الملابس الفاخرة، حتى استأنسوا، وأمنوا بصيرورتهم في كنفه وتحت ظله ومنعته، وذلك في جميع النواحي، وكملت منة الله على العباد، وأحيا الله الدين به في كل الأراضي والبلاد.

[الأمر بجعل في كل مرسى بيت مال]

وقد كان أمر أن يُجعل في كل مرسى من مراسي المغرب بيت مال، وعند تمام كل ثلاثة أشهر يفتح بيت المال ويعطى لعسكر ذلك الثغر مونتهم ثلاثة أشهر من حضر منهم ومن غاب إعانة لهم على عيالهم.

---

(84) لعله يقصد: محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي أبو عبد الله(639-733هـ / 1241-1333م) فقيه، محدث، ومشارك في علوم أخرى، من القضاة والخطباء. ولد في حماة، ثم رحل إلى مصر. أنظر: البداية، ج 163:14 ، النجوم الزاهرة، ج 298:9، هدية العارفين ج 148:2 ، الأعلام للزركلي، ج 297:5-298 .

(85) زاد بعد ذلك في ز،ح (حرف الواو): و.

(86) لعله يقصد. رؤبة بن عبد الله العجاج، أبو الجحاف المتوفي سنة 145 هـ / 762 م. ناظم وعالم باللغة العربية، كان يفضل الإقامة في البصرة. أنظر الفهرست: 178،236، مرآة الجنان 303:1-304 ، لسان الميزان، ج 461:2-465 ، خزانة الأدب، ج 89:1-92 ، الأعلام للزركلي، ج 34:3 .

(87) د، ح، ك: ساء، والتصحيح من ز.

(*) * 82 ب.

[ترتيب الصّلات للمستفيدين]

وأما الصلات والصدقات، فكان ذلك من ماله الخاص به لا من بيت مال المسلمين.
ورتب[88] للأشراف بتفلالت في كل سنة مائة ألف مثقال، سوى ما ينعم به عليهم في أيام السنة مفرقا، ورتب لأهل الحرمين الشريفين وشرفاء الحجاز واليمن مائة ألف مثقال أيضا في السنة، ولشرفاء المغرب مائة ألف مثقال كذلك. وأما الطلبة، والمؤذنون، والقراء، وأئمة *المساجد فكانت تأتيهم صلاتهم في كل عيد.

[كثرة الإنفاق على الشؤون العسكرية] وفكاك الأسارى

وأما ما كان ينفقه في آلة الجهاد، [و] [89] على رؤساء البحر، وأصحاب المدافع، وعلى المراكب الحربية وآلاتها، فشيء لا يحصيه الحصر.
وكذلك ما أنفقه على فكاك أسارى المسلمين، فهو شيء كثير تجاوز الحد، وكان بلغ (عددهم)[90] سنة مائتين وألف[91] ثمانية وأربعين ألف أسير وزيادة[92] من المغرب الأقصى وغيره.

[الاهتمام بإصلاح الثغور]

وكان مهتما (بإصلاح)[93] الثغور، متشوفا لإحياء فريضة الجهاد، جوابا في البلاد، خرج[94] سنة ثلاث وسبعين[95] من مكناسة بقصد الوقوف على الثغور البحرية بنفسه، فأتى مدينة تطاوين فنزل بها، وأمر ببناء برج مرتيل[96] الذي بها، وفرّق المال على العبيد المقيمين به منذ أيام المولى إسماعيل، وهم بقية عبيد سبتة الذين كانوا مرابطين بها من

---

(88) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 70:8 .
(89) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(90) ز.ح: عددهم.
(91) سنة 1200 هـ / 1785 م.
(92) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 70:8 .
(93) ك: بصلاح.
(94) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 11:8 .
(95) أي سنة 1173 هـ/ 1759 م.
(96) مرتيل: مركز سياحي يقع على ساحل البحر المتوسط على بعد 9 كلم من مدينة تطوان. شهد في السنوات الأخيرة نموا متزايدا في العمران.
(*) 183أ.

قبله، فتفرق العبيد لموته، وبقي نحو الألف هنالك، فانتقلوا إلى مرتيل[97]، ومرّ بسبتة فتأملها وتحقق من منعتها أنه لا يدركها إلا بالجد، وكان غرضه الأقوى الوقوف عليها، واختبار حالها. ثم مرّ بطنجة، ونزل قريبا منها، ثم سار إلى أهل الغرب[98] فأنزل بها مائة من عبيد مكناسة. ثم سار منها إلى سلا، فعبر الوادي، ونزل برباط الفتح، وأمر ببناء البرج الكبير على البحر، كما أمر ببناء مثله بسلا، مقابلا له وأمر بإنشاء سفينتين: إحداهما لأهل سلا، والأخرى لأهل الرباط، وكانت عندهم سفينة واحدة مشتركة بينهم أنشؤها أيام الفترة[99].

[بناء الصويرة]

وسار بعد إلى ناحية الصويرة[100] بقصد بنائها وعمارتها، فوقف على اختطاطها وتأسيسها، وترك الصناع والعملة بها، وكان السبب في بنائها أن حصن[101] أكادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس، ويسرحون وسق السلع به أفتياتا ويستبدون بأرباحها، فرأى أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أكادير، حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته، فلا يتشوف أحد إليه، فاختط مدينة الصويرة لهذا، وكان ذلك في عام ثمانية وسبعين ومائة وألف[102]، فأتقن وضعها، و(شحن)[103] الجزيرتين الدائرتين بمرساها بالمدافع، وشيد برجا على صخرة داخل البحر، وشحنه كذلك، ولما تم أمرها جلب إليها تجار النصارى بقصد التجارة بها وأسقط عنهم وظيف الأعشار ترغيبا لهم فيها (فأهرعوا)[104] إليها *فعمرت في الحين، واستمر الترخيص لهم بها مدة من السنين، ثم ردّ أمرها إلى ما عليه حال المراسي من أداء اللوازم، وهي إلى الآن على هذا الحال[105]، فهي من مآثره الفخيمة.

---

(97) ذكر صاحب الاستقصا (ج 11:8) أن الذي نقل هؤلاء العبيد هو أبو حفص الوقاش.
(98) يقصد أن السلطان سار إلى العرائش كما ذكر ذلك صاحب الاستقصا ج 12:8 .
(99) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 12:8 .
(100) للمزيد من المعطيات عن هذه المدينة أنظر: تاريخ الضعيف ج 1:315-316، الاستقصا، ج 20.8، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، المغرب، عبر التاريخ، ج 387:2 ، وج 521.3-524 .

-Eugène Aubin Le Maroc d'aujourd'hui . PP: 1-9 .
Budgett Meaking, the land of the Moors. PP: 205-219 .
- J.L. Miège. le Maroc et l'europe. t2, PP. 142-146 et t3, PP: 63-67.

(101) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 20:8 .
(102) عام 1178 هـ/ 1764 م.
(103) د، ح، ك: أشحن. والتصحيح من ز.
(104) ز: فأسرعوا.
(105) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 21:8 .
(*) * 83 ب.

[بناء أبراج ثغر العرائش]

وكذلك أبراج ثغر العرائش وصقالتها أيضا. لكون الفرانسيس كان هدم دورها وأسوارها ومسجدها، وخربها، وذلك سنة تسع وسبعين ومائة وألف[106]، قيل أنه رمى عليها من البحر أربع آلاف قنبلة ونيفا وثلاثين قنبلة بعدما رمى مرسى سلا والرباط -أيضا- بمائة وسبع وسبعين قنبلة، فهدم -أيضا- دورها، وفر الناس والصبيان خارج البلد، ولم يبق بها إلا القليل، ثم أرسل الله عليهم الريح العصيف فانصرفوا عنها وفرج الله على المسلمين، ثم عاد لها بنحو الثمانية أيام، فرمى عليها -أيضا- مائة وعشرين، وانصرف، ثم عاودها بعد ثلاثة أيام، ورمى عليها مائة ونيفا وثلاثين قنبلة، وقد أجيب بضعف ذلك، ولم يلبث إلا ومراكبه منهزمة تقفوا أواخرها أوائلها، وكان ذلك لأخذ المسلمين مركبا له من البحر، وبقيت عندهم بمرسى العرائش إلى أن حرقها الفرانسيس عند هجومه هذا عليها، باقتحامه المرسى في خمسة عشر قاربا مشحونة بالعساكر (بها)[107] نحو الألف، فتصاعدوا مع مجرى الوادي إلى مراكب السلطان التي كانت هنالك، فحرقوها وكسروا أخرى للمسلمين، ثم تكاثر عليهم المسلمون فردوهم على أعقابهم، وأخذوا أحد عشر قاربا لهم، ونجى أربعة قوارب فقط، وبقي بيدهم الأسارى إلى أن فكهم طاغية الإصبنيول، ولذلك بنى المولى محمد بن عبد الله الأبراج بها، وحصنها حتى صارت من أعمر الثغور، وكان ذلك سنة ثمان وسبعين[108]. ومن آثاره -أيضا- مسجدها ومدرستها، وسوقها.

[بناء وإصلاح مآثر أخرى]

وكذلك أبراج ثغر طنجة[109] وصقائلها والمسجد الأزهر بها ومدرسته، وكذلك ثلاثة أقواس من قنطرة وادي سبو خارج فاس، وضريح الشيخ أبي الحسن سيدي علي بن حرزهم الأموي، وضريح الشيخ دراس بن إسماعيل وضريح أبي عبد الله التاودي، ومدرسة باب عجيسة، ومسجد تازا ومدرسته، وضريح المولى علي الشريف بسجلماسة، وقصبة الدار البيضاء بها ومسجدها ومدرستها، ومسجد الريصاني[110] ومدرسته، وأوقافه على

---

(106) سنة 1179 هـ / 1765 م.

(107) ن. فيها.

(108) أي سنة 1178 هـ / 1764 م. وهو التباس. فقد سبق للمؤلف -قبل قليل- أن ذكر بأن هجوم الفرنسيين على مرسى العرائش كان سنة 1179 هـ/1765 م كما أن الناصري (الإستقصا ج 22:7) أشار إلى أن ذلك كان في أوائل هذه السنة، وأن هذا البناء تم عقب إفشال هذا الهجوم.
وعليه فإن بناء هذه الأبراج سيكون في نفس السنة أي 1179 هـ/1765م.

(109) من هنا يبدأ تطابق في اللفظ مع الاستقصا ج 69:8 ، مع إخلال بسيط في ترتيب المعلومات.

(110) الريصاني: مركز صحراوي، بناه المولى إسماعيل لمراقبة الطرق التجارية الرابطة بين المغرب وبلاد جنوب الصحراء. أنظر: المغرب لابن العربي. 145 ، الموسوعة، معلمة المدن ملحق 210:2 .

المارستان بفاس ومراكش. و[من][111] مآثره *بمراكش تجديد ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ومسجده، ومدرسته وضريح الشيخ التباع[112] ومسجده، وضريح الشيخ الجزولي[113] ومسجده، وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده، وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ومسجد الملوك ببريمة ومدرستاه، وتجديد جامع المنصور والمسجد الأعظم بباب دكالة، والمسجد الأعظم بباب هيلانة، والمسجد الأعظم بالرحبة، ومساجد القصبة ومدارسها الست، ومسجد زاوية الشرادي[114] ومسجد رباط شاكر،ومسجد آسفي ومدرسته، ومسجد مدينة تيط[115]، ومدينة فضالة[116] ومسجدها ومدرستها، والمنصورية ومسجدها، وجامع السنة[117] برباط الفتح، ومساجد أجدال الستة وأبراجه[118].

فهذه الآثار بعضها أنشأها وبعضها أصلحه وجدده.

[الاعتناء بالمراكب الحربية]

[و][119] كذلك اعتناؤه بالمراكب الحربية بقصد الجهاد فقد بلغ عددها في دولته عشرين كبارا من المربع، وثلاثين من الفراكط.

وكانت له هيبة عظيمة في مشوره وموكبه، يتحدث الناس بها.

ووفدت عليه رسل الروم كلها بالهدايا والتحف، يطلبون مسالمته في البحر.

---

(111) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز،ح.

(112) هو: عبد العزيز التباع المراكشي أبو فارس المعروف بالحرار نسبة إلى صناعته. كان من أقطاب الصوفية بالمغرب وله مريدون. توفي سنة 914 هـ/ 1509 م. فأقيم له ضريح بالقرب من جامع ابن يوسف بمراكش. أنظر. ابن عسكر، دوحة الناشر: 136-137، الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 2. 211 . حركات، المغرب عبر التاريخ، 2:189-190 .

(113) هو: محمد بن سليمان الجزولي السملالي الشاذلي (807-870 هـ/1404-1465): شيخ صوفي مشهور. درس بفاس، وتوفي بأفغال ثم نقل إلى مراكش.

(114) زاوية الشرادي: تقع على مقربة من مراكش، كانت لها أدوار سياسية. ومع مرور الوقت فقدت أدوارها، وتنسب إلى مؤسسها الولي الصالح أحمد بن عبد الله بن مبارك الشرادي. أنظر : إيقاظ السريرة للصديقي ج 1:18 المغرب عبر التاريخ، ج3: 177 ، تاريخ الضعيف، ج 1:277 هامش : 36 .

-E.Doutté: Mission au maroc, P: 327 .

- G. Deverdun, Marrakech, T1, P: 39 .

(115) مدينة تيط وكانت تسمى أيضا تيطنفطر، وهي مدينة قديمة تقع على بعد 12 كلم جنوب مدينة الجديدة على ساحل البحر، أسس رباطها أبو عبد الله محمد ابن أبي جعفر بن إسماعيل الحسني الإدريسي أمغار الكبير في القرن 9 هـ/12 م. واحتلها البرتغال عند دخولهم أزمور. وعرفت المدينة انتعاشا اقتصاديا ومعماريا في القرن 13 هـ/ 19 م، ثم أهملت ولم يبق منها الآن سوى بعض المآثر العمرانية.

أنظر: المغرب لابن العربي: 110-111 ، الموسوعة معلمة ملحق 2:159

- J. Goulven, la place de Mazagan.

-H. Basset et Terrasse, sanctuaires et Forteresses Al Mohades, PP: 337-376

(116) مدينة فضالة. اسمها الحالي مدينة المحمدية، تقع إلى الجنوب من مدينة الرباط، على ساحل المحيط الأطلسي. وهي مدينة قديمة جدد بناءها السلطان محمد بن عبد الله (1186 هـ/ 1772 م)، وكانت مقرا لشركة تجارية إسبانية يشرف عليها تجار من مدريد، أقاموا بها بإذن السلطان المذكور. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1:324، الموسوعة، معلمة المدن ملحق 2:227 المغرب عبر التاريخ، ج 3:524 .

-Budgett Meaking, the land of the moors. P: 230

(117) جامع السنة: يقع في الجهة الغربية من تواركة. أسسه السلطان محمد بن عبد الله سنة 1199 هـ/ 1785 م حسب تاريخ الضعيف، وجدد بناءه محمد بن عبد الرحمان. وفي سنة 1389 هـ/ 1970 م. قامت وزارة الأوقاف بتجديد هيكله. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1:349، تاريخ رباط الفتح، لعبد الله السوسي: 136-137 .

(118) إلى هنا ينتهي التطابق في اللفظ مع الاستقصا ج 8:69 مع اختلاف بسيط في ترتيب المعلومات.

(119) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(*) * 184 .

[مصاهرة سلطان مكة]

وكان يحب[120] الفخر ويعنى به، وله رغبة في الخير وأهله.

ولما كان سلطان مكة الشريف سرور -رحمه الله- بالمحل الذي أكرمه الله [به][121] بلدا ومحتداً، رغب السلطان في مصاهرته، وسمحت نفسه الشريفة ببذل كريمته. فلما دخلت سنة إثنين وثمانين[122] بعث ابنته و(زفها)[123] على بعلها المذكور، وبعث ولده الأكبر وخليفته الأشهر المولى علي بن محمد لإقامة فريضة الحج ومعه شقيقه المولى عبد السلام صغيرا ليكون مع أخته، وكلاهما في صحبة الركب المغربي، وأصحبهما هدية لأمير طرابلس وأخرى لأمير مصر والشام، وهدية عظيمة لأهل الحرمين الشريفين، ومالاً كثيراً يفرق على أشراف الحجاز واليمن، وجوائز سنية للعلماء والنقباء وأرباب الوظائف بمكة والمدينة، وبعث معهما من وجوه أهل المغرب وأولاد أمراء القبائل وأشياخهم، ومن أكابر خدامه وأصحاب أشغاله بالخيول المسومة والسلاح، ما تحدث به أهل المشرق دهرا. وكان في جهاز (ابنة)[124] السلطان ما يزيد على مائة ألف دينار من الحلي والياقوت والجوهر[125].

[وفاة المولى محمد بن عبد الله وتحقيق تاريخها]

ولم يزل على فرط كرمه وكثرة جوده، بما ذكره الناظم من الخيل على أهل رعيته كافة لاسيما جنده، يتابع الخيرات، ويزيد في مواساة* الضعفاء والفقراء والمساكين وأهل العاهات، حتى صار معروفه مبذولا لكل أحد، وأنا له الأقرب والأبعد، دائما على اجتهاده واستقامة أحواله، وأمّن الناس و (عافيتهم)[126] بحسن سيرته، إلى أن مات رحمه الله ونفعنا ببركته. وذلك عند نهوضه[127] من مراكش بقصد الوقوف على ولده المولى اليزيد المستجير بحرم مولانا عبد السلام بن مشيش منه، لما وقع من أخذ ما وجهه والده من الهدية لشرفاء الحجاز واليمن من يد الأمناء عليه بمكة، وكان ذلك النهوض لظنه إن حضر

---

(120) من هنا يبدأ تطابق في اللفظ مع الاستقصا ج 34:8 .
(121) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح، ك. والتكملة من ز.
(122) أي سنة 1182 هـ / 1768 م.
(123) ز، ح: زوجها.
(124) ز،ح: بنت.
(125) إلى هنا ينتهي التطابق في اللفظ مع الاستقصا ج 34:8 .
(126) د، ك: عفيتهم. والتصحيح من ز، ح.
(127) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 65:8 .
(*) * 84 ب.

عنده بنفسه تسكن نفسه ويذهب ما بصدده من الجزع والنفرة شفقة عليه، وكان عند خروجه من مراكش به مرض خفيف، فتحمل المشقة وجد السير، فتزايد به المرض في الطريق، فوصل إلى أعمال رباط الفتح في ستة أيام، فأدركته منيته -رحمه الله- وهو في محفته على نحو نصف يوم أو أقل من رباط الفتح، فأسرعوا به إلى داره من يومه ذلك وهو يوم الأحد الرابع والعشرون من رجب سنة أربع ومائتين وألف [128]، ودفن من الغد بقبة من قبب داره وتأسف الناس عليه خاصة وعامة رحمه الله ورضي عنه [129].

وإلى تاريخ وفاته أشار سيدي سليمان الحوات [130] بقوله: [الرجز]

مَـــاتَ أمِـيرٌ عَـصْــرِنَــا مُـحَـمَّـدٌ   وقَـدْ كَـفَــى الـلَّــهُ الـيَـزِيـدَ شَرَّهُ
وَإنْ تُـــرِدْ تَـــارِيــخَــهُ فَـــإِنَّـــهُ   قَـدْ قَـدَّسَ الـلَّـهُ الـعَـزِيـزُ سِـرَّهُ [131]

وما (تدرك) [132] به الزياني على الحوات في شأن التاريخ المذكور، مجرد تحامل كما أشار إليه في الجيش [133].

وإلى تاريخ وفاته -أيضا- أشار الناظم بقوله:

إلَــى أنْ دَعَـــاهُ حَـتْــفُـــهُ بِـمَـحَـفَّـةٍ   بِـهَـاءُ دَعَتْـهُ الشَّمْسُ بَيْنَ المَغَارِبِ

فعدد الحروف من أول البيت إلى منتهى قوله بهاء هو مصدق أربع ومائتين وألف، والحتف: الموت، ويجمع على حتوف، ومات فلان حتف أنه أي من غير (قتل) [134]، [و] [135] المحفة: بالكسر مركب. كالهودج إلا أنها لا تقبب كما تقبب الهوادج والبهاء: الحسن تقول: بهي الرجل بالكسر بهاء، [و] [136] دعته الشمس: أي ألجأته حرارة الشمس لركوب المحفة مع ما هو عليه من الألم، وتقدم أن الشمس بالفلك الرابع حال كونها من ناحية المغارب، إذ

---

(128) يوم الأحد 24 رجب 1204 هـ / 11 أبريل 1790 .

(129) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا ج 65:8 .

(130) هو: سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوني الفاسي الشهير بالحوات (1160 – 1231هـ / 1747-1816 م) فقيه، أديب، له اهتمام بالأنساب والتاريخ. ولد بشفشاون وسكن وتوفي بفاس، وله مؤلفات. أنظر: نزهة الأبصار للعربي المشرفي، مخ. خ. ع. ر. 579 ك:451 . سلوة الأنفاس، ج 116:3-119 ، اليواقيت الثمينة: 158-159 ، شجرة النور: 379 ، الدليل، ج 1. 46 ، 77 ، 82 ، 101 ، 108 ، 116 ، 117 ، 140 ، 182 ، 190 ، وج 2: 296 ، 408 ، 427 ، 465 ، الأعلام للزركلي، ج 133:3، فهارس الخزانة الملكية ج 73:1 . معجم المؤلفين، ج 275:4 . المصادر العربية، ج ج2: 19 – 21 ، 26 ، 37 ، 54 ، 55 ، 65 ، 66 ، 76 .

(131) البيتان لا يوجدان في ديوان سليمان الحوات، مخ. خ. ع.، ر. 753 د. ويوجدان في: البستان الظريف. مخ. خ.ع. ر. 1577 د 158، والروضة السليمانية مخ. خ. ع. ر. 1275: ورقة 159 أ. والجيش العرمرم، ج 177:1 .

(132) ز: تورك.

(133) قال أكنسوس في الجيش، ج 177:1: ولما كان الزياني أجنبيا من مقاصد علماء البديع والبيان اعترض على القائد المذكور فقال: وما كان من حقه أن يصف السلطان الجليل بهذا الوصف العقيم العليل ولو أجمل وقال:

مـــات أمير عصــرنـــا محمـــد   وحـــرم الــلـــه الــيـــزيـــد أجـــره
وإن تـــرد تـــاريـــخـــه فـــرشـــد   وقـــدس الـــلـــه الـــعـــزيـــز ســـره

(134) ك: قاتل.

(135) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(136) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

المغارب جمع مغرب، وذلك لمرضه وضعفه عن مقابلة الشمس وركوب الخيل * ويفهم منه أن وفاته كانت عشية النهار.

[أولاد المولى محمد بن عبد الله]

وكان [137] له عدة أولاد، أكبرهم أبو الحسن علي والمأمون وهشام وعبد السلام، هؤلاء أشقاء أمهم السيدة فاطمة بنت عمه سليمان بن إسماعيل، ثم عبد الرحمان أمه من هوارة السوس، ثم يزيد ومسلمة أشقاء أمهما من سبي الإصبنيول، ثم الحسن وعمر أمهما من عرب الأحلاف، ثم عبد الواحد أمه من أهل رباط الفتح، ثم سليمان والطيب وموسى أمهم من الأحلاف أيضا، ثم الحسن وعبد القادر من الأحلاف أيضا، ثم عبد الله أمه من عرب بني حسن، ثم إبراهيم لعلجة رومية.

[مدح أحمد الونان السلطان]

ومما مدح به السلطان -رحمه الله- أيام حياته من الشعر الفائق والمعنى الرائق، أرجوزة الأديب البليغ أبي العباس أحمد الونان[138] المعروفة بالشمقمقية[139] التي مطلعها: [الرجز]

مَـهْلاً عَلَـى رِسْلِكَ حَـادِي الأَيْـنُقِ   وَلاَ تُـكَـلِّـفْـهَـا بِـمَـا لَـمْ تُـطِـقِ [140]

فنال منه بسببها ما أغناه، وعن مهمات الدهر كفاه، وقد عظمت (رزيته)[141] على أهل المغرب كافة وجاوزتهم إلى المشرق.

---

(137) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 8:71 .

(138) هو: أحمد بن محمد بن محمد الونان، الحميري، التواتي الفاسي، أبو العباس المتوفي بفاس سنة 1187 / 1773 . أديب وشاعر، اشتهر بأرجوزته المسماة بالشمقمقية. أنظر: إتحاف أعلام الناس ج 3: 344 – 347 النبوغ المغربي ج1 : 316، ذكريات مشاهير رجال المغرب، الجزء الثالث ترجمة رقم 15، الدليل ج1 : 261، وج 2 : 408، 431. الموسوعة ج 2 : 147-149، الحياة الأدبية: 298-304 تاريخ الأدب العربي في المغرب لحنا الفاخوري441-454، الأعلام للزركلي، ج 1:243-244، معجم المؤلفين، ج 2:155-156 .

(139) هذه الأرجوزة تتألف من 275 بيتا جمع فيها ناظمها كثيرا من فنون الأدب وأخبار العرب وأمثالها. وقد أعجب بها أدباء وشعراء وكتاب، ومنهم من أفرد لها شرحا خاصا ، مثل الناصري وسمي شرحه بزهرة الأفنان من حديقة ابن الونان، وهو كتاب مطبوع وعبد الله كنون سمى كتابه بشرح الشمقمقية، وهو مطبوع أيضا.

(140) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 8:71 . وهذا البيت الشعري يوجد في زهر الأفنان للناصري ج 1:,18 شرح الشمقمقية لعبد الله كنون: 11 . ومعنى البيت سر على مهل، وتأن أيها الحادي، وارفق بضعاف النوق، فلا تكلفها ما لا تطيقه ولا تقدر عليه. أنظر: شرح الشمقمقية لعبد الله كنون: 12 .

(141) د، ح: زريته. والتصحيح من ز. ك. والرزية: جمع رزايا، ومعناها المصيبة الشديدة.

(*) ★ 185 .

[قصيدة محمد المرتضى في رثاء السلطان] وتهنئة ولده اليزيد

[و][142] للإمام العارف بالله الشريف الحسيني سيدي محمد المرتضى المصري[143] آخر الحفاظ والنقاد -رحمه الله ورضي عنه- يرثي المنصور بالله سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل، و(يهنئ)[144] ولده أبا الفضائل المولى اليزيد رحمه الله: [الكامل]

وجدي يجد وحسرتي تتجدد ... وسهام حزني نافذ لا ينفذ
ومصيبتي ذهبت بكل جلادتي ... وذهبت لا أقوى ولا أتجلد
وأسى أقام وإنني من قبله ... ما كنت أعلم ما المقيم المقعد
مالي أرى بعد النباهة و(التقى)[145] ... بين المعالم بساهتا أتبلد
سيان عندي عاذر ومعنق ... ومحسن ومقبح ومفند
لله غرب (مدافع)[146] شققته ... لو كان (ينفع)[147] علتي ويبرد
يا صاح عذرا إن عصيتك في العزا ... مالي بذاك لا لسان ولا يد
يهنيك سيل الدمع قد بلغ الزبى ... وانقد في الجوف القوى والأكبد
* وقد التقت جلف البطان فلا تلم ... لا أمس ولا غد عندي غد
قصمت عرى الصبر الجميل وخانني ... ما كنت تعلم يا فلان وتعهد
كبد مفتتة وجسم ناحل ... ومدامع تجري وقلب مكمد
يا دهر بع رتب المعالي كلها ... مات الشريف بن الشريف محمد
ملك الملوك الصالحين وحرزهم ... بيت القصيد الملتجى والمقصد
الصالح البر التقي الأروع ... الورع الولي العابد المتجهد
الحازم اليقظ الذكي اللين ... الخشن الرضي المتنمر المتأسد
ملك المغارب سيد الصيد الحجا ... حج من قضى والكريم الأمجد
ابن النبوة والمروءة من نمى ... وزكى وطاب (غراسه)[148] والمحتد

---

(142) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(143) هو: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي الملقب بالمرتضى، أبو الفيض (1145-1205/1732-1791) لغوي، محدث، أصولي، أديب وناظم ومشارك في علوم أخرى أصله من العراق، واستقر في مصر. أنظر: عجائب الآثار للجبرتي، ج 2:196-210 فهرس الفهارس، ج 1: 398-413، هدية العارفين، ج 2:347 ، الأعلام للزركلي، ج 7:297-298 معجم المؤلفين، ج 11: 282 .

(144) د، ح، ك: يهني، والتصحيح من ز.

(145) ز: النهي.

(146) ز: مدامعي.

(147) ز: ينقع، ح: ينقع.

(148) ز: غراسه.

(*) * 85 ب.

حلتْ عزَائِمُهَا (الغَرَامُ) [149] عَلَى ثرى   فِـيـه اسْـتَـقَـلَّ ضَـريـحُـه والمـلـحَـدُ
خَرَجُوا بِهِ (نَقَلُوا) [150] المَعَالِي خَلْفَه   الـيَـوْمَ جـهـدكُـمْ فَـأَيْـنَ المَوْعِـدُ
وَبَـكَـتْ قُـلُـوبٌ كَـالحَدِيـدِ لِـفَـقْـدِهِ   فَـرَأَيْـتُ كَـيْـفَ يَـذُوبُ ثُـمَّ الجَلْـمَـدُ
لاَزَالَـتْ الـرَّحَـمَـاتُ تَـغْـشَـى رُوحَـهُ   يَـجْـرِي بِـهَـا أبـداً عَـلَـيْـهَـا سَـرْمَـدُ
(لِمَ) [151] لاَ يَكُونُ لَـهُ الرِّضَـى مِنْ رَبِّـهِ   وَمَـقَـامَ صِـدْقٍ فِـي الـنَّـعِـيـمِ وَمَـقْـعَـدُ
والـلّـهُ أكْـرَمَ مَـا اسْـتَعِيضَ فَـعَـاضَـنَـا   عِـوَضـاً وَحَـقَّـكَ كَـيْـفَ شِـئْـتَ وَأَزْيَـدُ
مَـا غَـابَ مَـوْلاَنَـا وَفَـرْقَـدَ سَـعْـدَهُ   حَـتَّـى بَـدَا وَجْـهُ الـيَـزِيـدِ مَـسْـعَـدُ
عَـادَتْ لَـنَـا الحُـسْـنَى وكَـانَـتْ فَـارَقَـتْ   وَالـعُـودُ مِـنْ بَـعْـدِ الـتَّـفَـرُّقِ أَحْـمَـدُ
قَـرَّتْ عُيُونٌ كَـانَـتْ (اسْـتَـحَـهَـا بِـهِ) [152]   بِـالأَمْـسِ كُـنْـتُ كَـأَنَّ عَـيْـنَـي أَرْمَـدُ
يَـا قُـرْبَ مَـا بَـيْـنَ الإِسَـاءَةِ وَالـهَـنَـا   أَصْـبَـحْـتُ أَلْـعَـبُ ثُـمَّ رُحْـتُ أُغَـرِّدُ
بَـسَـمَـتْ لَـكَ الأَيَّـامُ بَـعْـدَ عَـبُـوسِـهَـا   فَـهُـنَـاكَ ثَـغْـرٌ بِـالسُّـرُورِ مُـنَـضَّـدُ
وَبَـدَتْ لَـنَـا الـدُّنْـيَـا بِـأَحْـسَـنِ مَـنْـظَـرٍ   غَـيْـدَاءَ [153] يَـصْـحَـبُـهَـا. زَمَـانٌ أَغْـيَـدُ [154]
يَـا سَـعْـدُ ذَا رَوْضُ (الأَنَـامِ) [155] مُـثْـمِـرٌ   فَـاقْـطِفْ فَـغُـصْـنُ الـعَـيْـشِ غَـضٌّ [156] أَمْـلَـدُ [157]
يَـا آلَ مَـوْلاَنَـا الـشَّـرِيـفِ وَيَـا بَـنِـي   حَـسَـنٍ وَمَـنْ لَـهُـمُ الـعُـلاَ وَالسُّـؤْدَدُ
*الـقَـائِـلِـيـنَ الـفَـاعِـلِـيـنَ المُـطْـعِـمِـيـ   ـنَ المُـصْـطَـلِـيـن لَـنَـا حَـرْبٌ تُـوقَـدُ
هَـا ذِي الخِـلاَفَـةُ مَـا تَـعَـدَّتْ (بُـيُـوتَـكُـم) [158]   فَـارْعَـوْا المَـعْـرُوفَ المُـهَـيْـمَـنَ (وَاحْـمَـدُوا) [159]
بَـيْـتُ زُرَارَةَ يَـقْـتَـفِـيـهِ وَنَـهْـشَـلُ   وَيَـظَـلُّ يَـرْكَـعُ فِـي فِـنَـاهُ وَيَـسْـجُـدُ
بَـيْـتٌ يَـزِيـدُ مَـلِـيـكُـهُ وَبَـنُـوا أَبِـيـ   ـهِ مُـعَـاضِـدُوهُ مُـوفَّـقٌ وَمُـسَـدَّدُ
هَـذَا أَمِـيـرُ الـنَّـحْـلِ حُـومُـوا حَـوْلَـهُ   حَـامُـوا لَـهُ تَـلَـمُّـوا عَـلَـيْـهِ تَـلَـبَّـدُ [160]
"عُـضُّـوا عَـلَـيْـهِ بِـالـنَّـوَاجِـدِ" [161] وَاصْـبِـرُوا   وَاخْـشَـوْا شَـنُـوا [162] مِـنْ دُونِـهِ وَتَـمَـعْـدَدُ [163]
صُـونُـوا عَـصَـاكُـمْ بِـالـتَّـأَلُّـفِ بَـيْـنَـكُـمْ   فَـمَـتَـى تَـشَـظَّـتْ رُبَّـمَـا شَـمِـتَ الـعَـدَ
كَـانَـتْ عُـدَاتُـكُـمْ تَـرجِـي خَـلْـفَـكُـم   وَ(يُـؤْمِـلُـونَ) [164] بِـأَنَّـهُـمْ مُـتَـمَـرِّدُوا

---

(149) ز. ح: الغمام.
(150) ز: تتلو.
(151) د. ك: لو . والتصحيح من ز.ح
(152) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(153) غيداء: كثيرة النبات.
(154) أغيد: مصدره غيداء. السابق الذكر.
(155) ز. ح. الأماني.
(156) غض: طري: ناعم وناضر جميل.
(157) أملد: ناعم ولين.
(158) ز.ح: بينكم.
(159) د: واحد. ك: وأحمد . والتصحيح من ز.ح.
(160) تلبّد: مصدرها التلبد ومعناها هنا الإجتماع والتآلف.
(161) هذه الجملة تضمين للحديث الشريف الذي يقول: "... فعليكمْ بسُنَّتي وسُنَّة الخُلفاء الرَّاشدين المهذّبين عُضوا عليْهَا بالنّواجد".
أخرج هذا الحديث ابن ماجة في السنن. ج 1 10-11 .
(162) أخشو شنوا: أي اشتدوا وتقووا.
(163) تمعدد: من تمعدد تمعددا أي أصبح قويا ، ومعناها هنا كونوا أقوياء ومتحدين .
(164) ز. ح: يأملون.
(*) ★ 86 أ.

فَقَطَعْتُمْ بِالرَّأْيِ مَارَجَتْ العِدَا   مِنْكُمْ وَمَاتَ بِغَيْضِهِ مَنْ يَحْسِدُ
وَخُذُوا وَصِيَّةَ جَدِّكُمْ وَمَوَدَّتِي   فِيكُمْ تُجَدِّدُهَا لَكُمْ وَتُوَكِّدُ
وَذَوُوا العَشِيرَةِ لِلْعَشِيرَةِ مُصْلِحٌ   شَأْنَ العَشِيرَةِ وَالتَّبَاغُض يَفْسِدُ
لَمْ يَحْمَدْ العُقْبَى امْرُؤٌ (مُتَجَهِّمٌ)[165]   كَلاًّ وَلاَ نَدِمَ امْرُؤٌ مُتَوَدِّدُ
مَا فِي مُلايمة الصَّدِيق غَضَاضَةٌ   إِذْ لِلْجَمِيعِ صُدُورِهَا والمَوْرِدُ
حِلْفُ الدُّرُوعِ تَشَابَكَتْ فِي بَعْضِهَا   فَتَعَنَّقَتْ وَلِعِزٍّ مَا تَبَدَّدَ
وَمَتَى رَأَيْتُمْ (بَارِقاً)[166] مِنْ عَارِضٍ   يُبْدِي الشِّقَاقَ فَأَبْرِقُوا ثُمَّ أَرْعِدُوا
وَمُحَمَّدٌ مَوْلاَيَ مَا خَلاَ لَكُمْ   عُذْراً بَنَى دَارَ الفَخَارِ فَشَيِّدُوا
وَيَزِيدَ مَوْلاَنَا وَصَّى بَعْدَهُ   عَقْدُ خِلاَفَتِكُمْ بِهِ مُتَقَلِّدُ
بَرٌّ رَحِيمٌ مِنْ صَمِيمِ نُفُوسِكُمْ   عِزُّ الرُّفَاقَةِ مُصْلِحٌ وَ (مُمَهِّدُ)[167]
لاَزِلْتُمُ تَتَوَارَثُونَ سِيَادَةً   أَبَداً يَقُومُ بِهَا وَ (يَنْهَدُ)[168] سَيِّدُ
وَإِلَيْكُمُوهَا فِي الهَنَاءِ وَفِي الرِّثَا   غَرَّاء يَنْشُدُهَا حَبِيبٌ وَمَعْبَدُ
تَسْرِي بِهَا الرُّكْبَانُ مَا بَيْنَ الوَرَى   مَثَلاً وَتَتَّهِمُ فِي البِلاَدِ وَتَنْجِدُ
خَلَعَتْ ثِيَابَ الحُزْنِ عَنْهَا وَاكْتَسَتْ   ثَوْبَ السُّرُورِ وَأَقْبَلَتْ تَتَأَوَّدُ
اللَّهُ أَوْلَى مَنْ شَكَرت صَنِيعَه   وَأَحَقُّ مَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَيُحْمَدُ
* أَصْبَحْتَ مَسْرُورا لِفُؤَاد وَلَمْ أَقُلْ   هَمِّي يَجِدُّ وَحَسْرَتِي تَتَجَدَّدُ

(165) ز: متجهم.
(166) ز: فارقا.
(167) ز ح: ممهد.
(168) ز ح: ينهض.
(*) * 86 ب.

[المقصد العاشر: استتباب الأمن والمساعي الحميدة]

[بيعة المولى اليزيد وقيام أخيه المولى هشام عليه]

وبويع بعد موته[1] - رحمه الله- ولده المولى اليزيد. وكان على غاية من الكرم والشجاعة، والتمسك بمذاهب الفتوة والدين، والاعتناء بجوائز أهل البيت، ومحبة أهل الخير وإكرامهم. وأقام الصلوات لأوقاتها حضرا وسفراً، فهو أحد فتيان علي الشريف وسمحائهم وأبطالهم، له في النجدة والكفاية المحلّ الذي لا يجهل. والسبق الذي لا يلحق، والغبار الذي لا يشق.

ولم يتم له أمر لقيام أخيه المولى هشام عليه وهو محاصر لسبتة، فأقلع عنها و(سار)[2] إلى الحوز فشرد قبائله، ووصل إلى مراكش فدخلها عنوة فاستباحها، ثم استجاش عليه المولى هشام، فأتبعهم المولى يزيد، فأصيب برصاصة في خده، فرجع إلى مراكش يعالج جرحه، فكان ذلك سبب وفاته -رحمه الله- وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف[3]، ودفن بقبور الأشراف.

[الانقسامات الداخلية وأزمة وحدة السلطة]

وبذلك افترقت الكلمة بالمغرب. (فأقام)[4] أهل الحوز وأهل مراكش (بدعوة)[5] المولى هشام. و(أقام)[6] أهل بلاد الهبط[7] والجبل بدعوة المولى مسلمة، لكونه شقيق المولى يزيد، وكان خليفته بتلك النواحي، فلما اتصل به خبر أخيه دعا لنفسه فبايعوه واتفقت كلمتهم عليه. وبايع أهل فاس وأعمالها المولى سليمان بن محمد. وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

فَصَارَ فُتُورٌ فِي الخِلاَفَةِ رَيْثَمَا   يَجِيءُ لَهَا مَنْ لاَ يُرَى فِي المَعَائِب

إذ الفتور انقطاع الخلافة ودروس (أعلامها)

---

(1) يقصد: بعد موت المولى محمد بن عبد الله

(2) ز: صار.

(3) أواخر جمادى الثانية سنة 1206 هـ / أواخر فبراير 1792 م.

(4) ز،ح: فقام. ويلاحظ في متن النسختين وجود علامتي تصحيح الكلمة.

(5) د،ك: بدعوى، والتصحيح من ز، ح.

(6) ز،ح: قام. ويلاحظ في متن النسختين آثار تصحيح الكلمة.

(7) بلاد الهبط: منطقة تقع شمال غرب المغرب. افترض بلير (M. Bellaire) اعتمادا على الأصل اللغوي لكلمة "الهبط" أن تكون المنطقة قد حملت هذا الإسم عندما "هبط البربر إليها للمشاركة في فتح الأندلس بقيادة موسى بن نصير، وأن الأصول الأولى لسكان المنطقة يعود إلى قبائل غمارة البربرية. نقل إليها يعقوب المنصور الموحدي عرب رياح. إلا أن أبا ثابت المريني استأصلهم وأسكن مكانهم عرب الخلط، سفيان، بني جابر، والعاصم وجميع سكانها الآن يتكلمون اللغة العربية العامية. أنظر: الوزان، وصف افريقيا، ج 1: 237، 248.

- R- Montagne, les Berbères et le Makhzen P. 237

- Michaux- bellaire, quelque Tribus de Montagnes de la région du Habt, in Archives Marox:, 1911 V. 17 PP: 1- 539.

[شرح مفهوم الخلافة]

والخلافة: السلطنة العظمى. وسمي السلطان خليفة لمجيئه بعد من قبله وفي محله، ولأن الله تعالى جعله خليفة في الأرض كما قال تعالى: "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض"[9] وقال بعضهم: لا يقال خليفة الله بالإضافة إلا لآدم وداود لورود النص بذلك، وقيل: يجوز، وهو القياس، لأن الله تعالى جعله خليفة كما جعله سلطانا، وقد سمع سلطان الله، وجنود الله، وحزب الله، وخيل الله، والإضافة تكون بأدنى ملابسة. وعدم السماع لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس.

والخليفة أصله خليف (بغير)[10] هاء، لأنه بمعنى الفاعل، والهاء مبالغة مثل علامة ونسابة، ويكون وصفا للرجل خاصة. ومنهم من يجمعه باعتبار الأصل* فيقول: الخلفاء. ومنهم من يجمع باعتبار اللفظ فيقول: الخلائف ويجوز تذكير العدد وتأنيثه في هذا الجمع (فيقول)[11]: ثلاثة خلائف. وهما لغتان فصيحتان.

والفرق بين الخلافة والملك والولاية، فالخلافة ما كانت بيعة أهل الحل والعقد لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الأصول.

شروط الإمامة

وهي كما قال ابن سلمون[12]: وشروط الإمامة المجمع عليها ستة: الذكورية، والبلوغ والحرية، الرابع: الورع والعدالة وكيف يتصدى لها من ترد شهادته، الخامس: الإجتهاد، السادس: الكفاية، وهي أن يكون ذا رأي مصيب بحيث ينظر في مصالح المسلمين وضبط أمورهم كما يجب، ونجدة في تجهيز الجيوش، وسد الثغور، وإقامة الحدود، وضرب الرقاب بالحق، وإنصاف المظلوم من الظالم لا يلحقه خور أي ضعف في ذلك. وزاد أهل السنة كونه قرشيا[13] انتهى.

---

(8) ز. ح: أعمالها.
(9) سورة فاطر. الاية: 39 .
(10) ز: بدون.
(11) د. ك: فيقال. والتصحيح من ز.ح.
(12) هو: عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي، بن سلمون الكناني أبو محمد (669-741/1271-1340 م): فقيه أندلسي ولد بغرناطة، ودرس بها وبمالقة وسبتة، ثم أتى إلى مدينة فاس حيث أصبح من المتصوفة. وهو ممن توفي في وقعة طريف.
أنظر: شجرة النور: 214، الأعلام للزركلي، ج 106:4 معجم المؤلفين ج 90:6 .
(13) النص يوجد عند ابن سلمون في العقد المنظم، ج 187:2-188 باختلاف يسير في اللفظ.
(*) * 187 أ.

ولأبي الحجاج الضرير: [الرجز]

وأَمَـرَ الـلَّـهُ جَـمِـيـعَ الأُمَّـةِ ... بِـالسَّـمْـعِ والـطَّـاعَـةِ لِـلأَئِـمَّـةِ
فَـكَـانَ أَمْـرُهُ عَـلَـى الإِلْـزَام ... فَـوَجَـبَـتْ إِمَـامَـةُ الإِمَـام
يَـقُـومُ بِـالحُدُودِ وَالجِهَـادِ ... وَقَـطْـعِ أَهْـلِ الـبَـغْـيِ وَالـفَـسَـادِ
وَقِـسْـمَـةِ الأَمْـوَالِ وَالـتَّـدْبِـير ... لِـكُـلِّ مَـا عَـنَّ (مِـن)[14] الأُمُور
وَشَـرْطُ مَـنْ يَـصْـلُـحُ لِـلْـإِمَـامَـةِ ... الـعَـقْـلُ وَالـعِـلْـمُ وَالإِسْـتِـقَـامَـةُ
وَالسَّـمْـعُ وَالـبَـصَـرُ وَالـكَـلَامُ ... وَالمَيْـزُ لِـلْـأُمُـورِ وَالإِقْـدَامُ

والملك: السلطنة بطريق التغلب، والولاية أعم (منهما فتشملهما)[15] وتشمل الإمارة.

[رجوع المؤلف لأزمة وحدة السلطة]

والريث: الإبطاء والإمهال، تقول: ريثما فعل كذا أي قدرما فعله ووقف، [و][16] ريثما صلينا أي قدرما صلينا.

والمعنى: أنه وقع بموت المولى محمد بن عبد الله انقطاع ومهلة في الخلافة بقدر ما يتأتى مجيء من لا يرى في المعَائب لها، إذ المعائب العيوب، وهي النقائص كما هو معلوم.

ولم يتكلم على المولى اليزيد والمولى هشام وإن بويع كل منهما، لكونهما لم يتم لهما أمر، ولم تضرب لهما سكة، ولم تجتمع كلمة أهل المغرب على واحد منهما، وقد واعد بذلك.

[توفر المولى سليمان على الشروط المؤهلة لتسلم السلطة]

ثم قال مبينا لمن اتصف بالسلامة من العيوب، المتوفرة فيه الشروط:

* تَـرَبَّـى تَـقِـيًّـا وَالشَّـبِـيـبَـةُ فِـتْـنَـةٌ ... فَـلَـمْ يُـرَ إِلاَّ فِـي اجْـتِـهَـادِ المَذَاهِـبِ
سُـلَـيْـمَـانُ ذُو عِـلْـمٍ وَحِـكْـمَـةٍ ... وَهَـدْيٍ وَرُشْـدٍ لِـلـظُّـلُـومِ المحَارِبِ

تربى: من التربية زمن النشأة والصغر، تقيا: أي زكيا. والشبيبة: من شب - من باب ضرب - شبابا وشبيبة، فهو شاب، وذلك سن ما قبل الكهولية وهو زمن الفتنة وغلبة النفس الأمارة لصاحبها واستلذاذ الشهوات من المحرمات وغيرها.

---

(14) د، ك: عن. والتصحيح من ز، ح.
(15) ز: منها فتشملها. ح: منهما فتشملها. والكلام هنا مثنى لأن المؤلف يقصد: الخلافة والملك، أي أن الولاية أعم من الخلافة والملك.
(16) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(*) * 87 ب.

يشتمل الإنسان على ثلاثين حالة

ويشتمل الإنسان من حين كونه نطفة إلى أن يموت على ثلاثين حالة: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم لحما، ثم خلقا آخر، ثم جنينا، ثم وليداً، ثو رضيعاً، ثم فطيماً، ثم يافعا، ثم ماشياً ، ثم مترعرعاً، ثم مراهقا، ثم محتملا، ثم بالغا، ثم أمرداً، ثم طارئاً، ثم ناقلا، ثم مخلطا، ثم ملتحيا، ثم (مستويا)[17]، ثم منجعا، ثم شابا والشباب يجمع هذا كله، ثم كهلا، ثم شيخا، ثم أشيب، ثم (هما) [18]، ثم هرما، ثم ميتا، هذا معنى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق﴾[19] أي حالا بعد حال، قال الأقرع بن حابس [20]: [البسيط].

إِنِّي امْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ (أَشْطُرَهُ) [21] وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقِ
فَلَسْتُ أَصْبُو إِلَى خَلٍّ يُفَارِقُنِي وَلاَ تَقَبِضُ أَحْشَائِي مِنَ الفِرَقِ

ومراسم العمر خمسة، من الولادة إلى البلوغ خمس عشر سنة، ومن البلوغ إلى [نهاية] [22] الشباب خمس وثلاثون سنة وقيل: أربعون سنة، ومن زمن الكهولية من الأربعين إلى الخمسين سنة، وقد يقال: كهل لما قبل ذلك حتى من بعد الثلاثين، قال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: " ويكلم النسا في المهد وكهلا ومن الصالحين" [23] وظاهر الأخبار أن عيسى عليه السلام لم يعمر في الأرض أكثر من الثلاثة والثلاثينن عاما.

وزمن الشيخوخة من الخمسين إلى السبعين، ومن السبعين إلى آخر العمر زمن الهرم حتى يأتيه الموت، وقيل: يسمى بعد ازدياده طفلا، ثم رضيعاً ثم فطيما، ثم دارجا، ثم جفرا، ثم يافعا، ثم مناهزا، ثم محتلما، ثم نقيَّ الوجه، ثم مطرور الشارب وإن نبت قيل بقل الوجه، ثم شابا، ثم حديث السن، ثم فتى، ثم متوسطا، ثم كهلا، ثم شيخا.

والأنثى يافعة ويفعة، ثم كاعبا، ثم ناهدا، ثم معصرا، ثم حانضا، ثم حديثة السن، ثم نصفا، ثم كهلة، ثم عجوزاً. انتهى.

---

(17) ز: مستوفيا

(18) ز: عما.

(19) سورة الأنشقاق، الآية: 19 .

(20) هو: الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي، المتوفى سنة 31 هـ/ 651: صحابي شارك في عدة وقائع إلى جانب خالد بن الوليد. واستشهد في إحدى المعارك بالجوز جان. وكان من الحكماء في الجاهلية. أنظر: المرزباني، معجم الشعراء: 162 ، ابن كثير، البداية، ج 7:141-142 ، الزركلي، الأعلام، ج 5:2 .

- M.J. Kister, Ency. de l'islam T1. PP: 353-354

(21) ك: أسطره.

(22) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز، ح.

(23) سورة آل عمران، الآية: 46 .

[رجوع المؤلف للشروط والمؤهلات المتوفرة] في المولى سليمان

وإذا سلم المرء من الفتنة زمن الشبيبة التي هي محلَها، وكان * فيها تقيا زكيا فتقاه زمن ما بعدها، يوخذ بالأحروية، وقد ثبت له هذا من قوله: فلم يُرَ زمن الفتنة إلا في اجتهاد، من جهد الأمر جهدا من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب، والمذاهب: تقول ذهب فلان إذا قصد قصده وطريقته، وذهب في الدين مذهبه، رأى فيه رأيا.

[و][24] معنى البيت الأول أن المولى سليمان بن محمد قد نشأ تقيا زمن شبابيته، وقيل: أنه لم يعص الله قط[25] فما (أدراك)[26] بعدها من الأزمنة، وأنه لم ير في حالة تنقصه، ولا شيء يشغله عما يعنيه من كسب المحامد والمفاخر الدينية كطلب العلم، وتحقيق مسائله، وأصول مذاهبه، ومعرفة آراء المجتهدين، ومن أين أخذهم الأحكام من الكتاب والسنة، وهذه الحالة هي سبب السعادة الأبدية، وبها صار من ذوي العلوم والعدل كما قال، فَوَصَفَه في البيت الثاني بالعدل والعلم والحكمة مزيد بيان وإن كان يوْخذ مما قبله. والحكمة: في اللغة مشتقة من حكمة الدابة المانعة لها من الجماح ونحوه، لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال، والحكمة أيضا بالكسر العدل، والعلم، والحلم، والقرآن، والإنجيل، فهو من عطف المرادف. والهدى: الدلالة والبيان والرشاد، تقول: هديته إلى الطريق عرَفته إياها وقوله تعالى: أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ"[27] قال أبو عمران: معناه أو لم يبين لهم. و(الرشد)[28]: الصلاح، وهو خلاف (الغي)[29] والضلال، وهو إصابة الصواب من باب تعب وقتل والإسم الرشاد. والظلوم: كثير الظلم، وهو وضع الشيء في غير موضعه. والمحارب: المقاتل بالباطل.

والمعنى أن المولى سليمان صاحب علم، وعدل، وحكمة، وهدى، أي دليل وبيان على الصلاح بسيرته الحميدة لكل ظالم محارب، حتى أنه لا يعود لظلمه ومحاربته.

---

(24) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(25) ورد في طرة ك تعليق على هذه العبارة، وهو كالتالي: قوله: لم يعص الله قط الخ. هو محض كذب وزور وبهتان، وإنما هذا الوصف خاص بالأنبياء والملائكة عليهم السلام لا بغيرهم. قاله كاتبه: محمد البادسي لطف الله به.

(26) ز،ح، ك أدريك.

(27) سورة السجدة، الآية: 26 .

(28) ز، ح: الرشاد

(29) د، ك المعنى. ز، ح: معنى. واقتضت الضرورة تصحيحها من م. ليستقيم المعنى.

(*) ١٨٨ * .

[اتصاف المولى سليمان بالعلم]
وعنايته بالعلماء

ووصفه بالعلم حقيق، سارت به الركبان وتعجبت الجهابذة من فهمه الدقيق، فكان (وحيد)[30] عصره في الاعتناء باقتناء العلوم في المغرب، وسعى في تقريب كل ماهر ومطنب، وجمع أئمة الحديث من كل أعجمي ومعرب للمذاكرة والتفهم. إلى أن بلغ الغاية في التقدم، وتضلع من المعقول والمنقول، و(المعلوم)[31] والمجهول، كما تضلع في الحديث والتفسير، وعلا على كل من تكلم فوق منبر وسرير، وسبح في بحر الأصول، والبيان، والنحو، وأنساب العرب، والنوادر * التي يرقص لسماعها ويطرب، حتى صار علما يهتدى به، وإماما يقتدى به، وصار من يحضر مجلسه من الفقهاء لسرد كتب الحديث والتفسير، والمذاكرة في حل مشكلها الخطير العسير، يكتسبون من وفره، ويغترفون من بحره، ويتناول راية السبق في فهم المشكلات وحل المعضلات التي يعجز عن فهمها وإدراكها جهابذة النقاد، ولا يفتح حصونها إلا من له فهم ثاقب وذهن نقاد، فيحل مشكلها بما يشفي الغليل، ويبري العليل. وأما توقيعاته في رسائله للأمراء، والقضايا والعلماء فيما يرد على بابه من القضايا والشكايا، وزجره لهم فيما يرتكبونه من الرخص التي تنسى بسببها أنواع الرزايا[32] والخزايا[33]، فسهم ينفذ المقاتل، وعَضْبٌ ماضي[34] قاتل.

وسوطه في العتب والتقريع، والوعيد والتّشنيع، فشيء لا يسبح في بحره سابح، ولا يلحقه طائر ولا سائح. وأما تنزله وتواضعه في رسائله لأهل مودته فشيء يسلب الوقار، ويفعل في العقول ما يفعله العقار.

وبالجملة، فقد ألقت إليه العلوم زمامها، وأصبح لأئمة الأنام حجتها وإمامها، مع بروره بطلبة العلم غاية، وجلب النفع لهم والإحسان معهم فوق النهاية، فانتشر في أيامه العلم أي انتشار. واعتزت طلبته ونفذت حذاقتهم وفصاحتهم في الرسائل والأشعار. حكى لنا غير واحد من الأئمة الأعلام أن الأديب الحسيب، الفاضل النجيب، العلامة النحرير، حامل راية التحقيق والتحرير، أبا عبد الله محمد بن الشاهد الجزائري، أحد مشائخ الجزائر، قد أنشأ قصيدة ضمنها على (جهة)[35] التورية أبواب مختصر [خليل][36] من أوله إلى آخره،

---

(30) ك: واحد.

(31) ك: المجموع.

(32) الرزايا: من الرزيئة، وهي المصائب الشديدة.

(33) الخزايا: من الخزية أو الخزية، وهي المصائب، والفضائح والذل.

(34) غضْبٌ ماضي: سيف حاد قاطع.

(35) ز: وجهة.

(36) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ح، والتكملة من ك .

(*) * 88 ب.

وذلك عند وقوفه على حاشية أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني[37] على شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني[38] لمختصر الشيخ خليل مطلعها: [الكامل]

رَفَعَتْ بِدَمْعِ العَيْنِ حُكْمَ عَوَاذِلِي ... وَمُطْلَقَهُ فِي الخَدِّ غَيَّرَهُ (الدَّمُ)[39]
دَمٌ طَاهِرٌ سُودُ العُيُونِ سَفَكْنَهُ ... أَزَالَتْهُ عَنْ مُحَبَّبِ الحُبِّ تُحْرَمُ

ومنها :

يَمِيناً عَلَى مَا قُلْتُهُ بِالَّذِي حَوَى ... كِتَابَ بِبَنَّانِي فَاسَ مُتَرْجِمُ
وَنَذْرَ بِمَشْيِ نَحْوَ أَرْضٍ تَضُمُّهُ ... إِذَا لَمْ أُجَاهِدْ فِيهِ عَقْلِي فَيَفْهَمُ

ومنها هو خاتمتها :

* وَكَانَتْ (فُهُومُ)[40] الشَّرْحِ مُشْكِلَةً وَقَدْ ... أَتَتْنَا فَلاَ إِشْكَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

فبلغت هذه القصيدة المولى سليمان -رحمه الله- فأعجب بها، وأمر منشئها المذكور بالقدوم عليه من الجزائر، فاعتذر بأعذار، فلم يقبل منه عذراً منها، وهيأ له كل ما يزيل تلك الأعذار حرصا على الاجتماع به لمحبته في العلم وأهله، فوفد عليه، وأحله محل الإكرام، ووصله بما لم يسمع بمثله من جود الملوك العظام، وكان قد أجاب عن هذه بعض علماء الفاسيين، قيل إنه سيدي محمد -فتحا- بن عبد القادر الفاسي[41] بما نصه [الطويل].

أَعِقْدٌ مِنَ العِقْيَانِ ذلك مُنَظَّمٌ ... أَمْ الرَّوْضُ عَنْ نَسْرِينِهِ (يَتَنَسَّمُ)[42]
وَذَلِكَ أَمْ زَهْرُ النُّجُومِ (تَأَلَّقَتْ)[43] ... عَلَى (الأُفُقِيِّ)[44] الشَّرْقِيِّ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
أَمِ الرَّاحُ فِي جَامِ الجُمَانِ تُدِيرُهَا ... فَتَاةٌ لَهَا مِنْهَا عَلَى الرَّاحِ عَنْدَمِ
أَمِ ابْنُ الخَطِيبِ العَصْرِ (أَبْرَزَ)[45] فِكْرَهُ ... عَرُوساً عَلَيْهَا لِلْمَحَاسِنِ مَبْسَمُ

---

(37) هو: محمد بن الحسن بن مسعود البناني، أبو عبد الله، المتوفي سنة 1194 هـ / 1780 م: فقيه وخطيب من مدينة فاس.أنظر: نشر المثاني، ج 214:4 . فهرس الفهارس، ج 1:162-163 . معجم المطبوعات، ج 590:1 . شجرة النور: 357 . الفكر السامي ج 292:2 ، الدليل ج 81:1، 190 . وج 2: 320، 362-363، الأعلام للزركلي، ج: 91:6، فهرس الخزانة الملكية، ج 385:1 . معجم المؤلفين، ج 9 221-222 . المصادر العربية، ج 228:1 .

(38) هو: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني (1020-1099 هـ / 1611-1688 م) فقيه مالكي . ولد ونشأ وتوفي بمصر. وكتابه شرح مختصر خليل، مطبوع يقع في أربعة أجزاء.أنظر: نشر المثاني، ج 355:2 . اليواقيت الثمينة: 238-239، . شجرة النور 304-305 .الفكر السامي، ج 283:2 . الأعلام للزركلي، ج 272:3 . معجم المؤلفين، ج 76:5 .

(39) ز: الزم.

(40) ح: بهذا. وفي متن ز: بهدم. ثم صُحّحَتْ في الطرة بـ : بهذا.

(41) خطأ. إن محمد بن عبد القادر الفاسي عاش من 1042-1116 هـ / 1632-1704م. أي في عهد المولى إسماعيل وليس في عهد المولى سليمان الذي قيلت في عهده هذه الأبيات الشعرية.فالفرق الزمني شاسع بين هذا وذاك. وعلى هذا نخلص إلى أن قائل هذه الأبيات هو شخص آخر غير محمد بن عبد القادر الفاسي. أنظر ترجمة محمد بن عبد القادر في المقصد الثاني: صفحة 174 هامش رقم 2 .

(42) ز، ح: يتبسم.

(43) د، ك: تألقت، والتصحيح من ز، ح.

(44) ك: الأفق.

(45) ز، ح: زين .

(*) * 189.

إِمَامٌ أَتَى بِهِ الزَّمَانُ يَتِيمَةً ... لِعِقْدِ المَعَانِي مَا لَهُ اليَوْمَ تَوْأَمُ
وَبَحْرٌ لَهُ فَيْضُ العَوَارِفِ لُجَّةٌ ... وَأُفْقٌ لَهُ شُهْبُ المَعَارِفِ أَنْجُمُ
بَعَثْتَ بِهَا يَا ابْنَ الكِرَامِ خَرِيدَةً ... وَنَشْرُ الشَّذَى مِنْ طِيبِهَا يَتَنَسَّمُ
لَهَا الدُّرُّ لَفْظاً وَالبَدِيعُ مَحَاسِنٌ ... لِرُوحِ المَعَانِي والبَيَانُ لَهَا فَمُ
وَوَارَيْتَهَا مِنْ ثَوْبِ تَوْرِيَةٍ بِمَا ... يَفْصِلُهُ بَاباً خَلِيلُ وَيُرَمِّمُ
فَطَوَّقْتَنِي مِنْهَا وَقَدْ كُنْتُ عَاطِلاً ... بِمَا عَنْ جَمِيلِ الوِدِّ مِنْكَ يُتَرْجِمُ
فَأَكْرِمْ (بِكَ) [46] ابنَ الشَّاهِدِ الحَبْرِ مِنْ أَخٍ ... يُقَاسِمُنِي فَرْطَ الهَوَى لَمْ يُقَسِّمُ
وتَقْضِي حُقُوقاً لِلِّقَاءِ كَثِيرَةً ... بِكَنْزٍ عَلَيْهِ لِلْمَحَبَّةِ طَلْسَمُ
فَلاَزِلْتَ يَا شَمْسَ الجَزَائِرِ نَاسِخاً ... بِآيَةِ عِلْمٍ (لَيْلَ) [47] مَا لَيْسَ يَعْلَمُ
وَلاَ بَرِحَتْ تَسْمُو نَسِيمَ (الرِّضَى) [48] بِكُمْ ... إِلَى مَقْعَدِ الحُسْنَى إِذَا الأَمْرُ يُخْتَمُ

وما (ذكرنا)[49] من أن المولى سليمان بن محمد هو الآمر العلامة ابن الشاهد الجزائري بالقدوم عليه هو مفاد بعض مشائخ العلم العظام، والذي يظهر أن والده سيدي محمد بن عبد الله هو الآمر، لأن إنشاء القصيدة كان إثر فراغ الشيخ بناني من حاشيته المذكورة* ووصولها للجزائر وجواب سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي كان بإذن شيخه بناني وقد مات رحمه الله عام أربعة وتسعين ومائة وألف[50]. وولاية المولى سليمان كانت عام ستة ومائتين وألف[51]، فكان ذلك في أيام خلافة سيدي محمد بن الله، إلا أن يكون وجه له بالأمر قبل ولايته. ولا يبعد ذلك إذ كان والده -رحمه الله- يرى له (المزية)[52] والأفضلية على سائر إخوته، ويخصه بالعطايا العظيمة، والذخائر النفسية، والأصول المعتبرة، وينوه بذكره في المحافل، ويبعث إليه بأعيان الفقهاء والأدباء إلى سجلماسة،ليأخذ عنهم ويدعو له في كل وقت على رؤوس الأشهاد ويقول: إن ولدي سليمان (رضي الله عنه)[53] لم يبلغني عنه قط ما يكدر باطني عليه، فأشهدكم أني عليه راض. وكان يساعده د. طلبه وما سأل منه والله أعلم.

وبذلك نال العلوم الغزيرة والرتب العزيزة، فوصف الناظم له بالعلم حقيق، وقد وصفه أيضا غيره بقوله: وأما [54] جمعه لأشتات العلوم فلقد كان وارثا من ورثة الأنبياء، حاملا للواء الشريعة جامعا مانعا، إذا بوحث في الأخبار كان كجامع سفيان، أو في

---

(46) ز: بها
(47) ز: ليس.
(48) ك: الصبا.
(49) ك: ذكرناه.
(50) عام 1194 هـ 1780 م.
(51) 1206 هـ / 1791 م.
(52) ز: الحرية.
(53) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز. ح.
(54) من هنا يبدأ التطابق -التام- في اللفظ مع الاستقصا، ج 172:8 .
(*) * 89 ب.

الأشعار فكنابغة ذبيان أو في الفطنة والفراسة فكإياس[55]، أو في النجدة والرأي فكالمهلب[56] وإذا خاض في السنة والكتاب، أبدى ملكة مالك وابن شهاب، ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس، لم يشك سامعه أنه ابن القاسم وابن ادريس، وإذا تلكم في علوم القرآن، انهلّ بما يغمر مورد الظمآن [57] انتهى.

وله تآليف مفيدة منها: حاشيته على الأمام الخرشي شرح مختصر خليل، في الفقه، ومنها: عناية أولي (المجد) [58] بذكر آل الفاسي بن الجد [59]، جعله في نسب الفاسيين ومجدهم وعدّ أئمتهم، وجملة فروعهم من أصل أفراعهم إلى منتهى جموعهم، مطلعه: الحمد لله الذي وصى بالمحافظة على أبناء الصالحين وجعلها كلمة باقية إلى يوم الدين الخ.

ومنها: تأليف في الرد على منكر التجمير زمن الصوم بمجلس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرتبا على ثلاثة فصول وخاتمه.

الفصل الأول في جواز ذلك بالأدلة السنية.

الفصل الثاني في الآثار الواردة في ذلك.

الفصل الثالث في الأدلة الفقهية

الخاتمة في التأكيد على اتباع السنة النبوية.

ومطلعه: أحمد الله وبه *أستعين، وأشكره سبحانه، فهو المرشد المعين. إلى أن قال: وبعد، فيقول أفقر الورى لرحمة مولاه الغني به عما سواه، سليمان ابن محمد بن عبد الله خوله الله كل خير وأولاده، قد رأيت بعض من تسنّم أسنمة الرتب، وتوسم بسمة الطلب. إلا أنه ليس له اطلاع، ولا اتساع في رواية ولا سماع، أنكر التجمير بالقسط زمن الصوم بمجلس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. إلى أن قال: فدعاني الأنف لشبيهه وإفادته وأن أدرأ عَنْهُ الشبه وأبيِّنُ ما التبس عليه الخ. إلى غير ذلك.

وكان دأبه جمع أعيان العلماء لسرد الحديث على مرّ الليالي والأيام، سيما في شهر رمضان، ويشاركهم بغزارة علمه، وحسن ملكته، ويعظم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء [60]، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته، ويجري عليهم الأرزاق، ويسكنهم الدور المعتبرة، والضياع المغلة، ويحسن مع ذلك إلى من دونهم في المرتبة من المدرِّسين وطلبة العلم، ويؤثر المعتنين منهم وذوي الفهم، بمزيد البر وتضعيف الجراية، حتى لقد تنافس الناس في أيامه في اقتناء العلوم، وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم وأهله في دولته وسعة أرزاقهم.

---

(55) هو: إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو واثلة (46-122 هـ / 666-740 م): قاضي البصرة، اشتهر بقوة ذكائه وفطنته. أنظر: حلية الأولياء، ج 3:123-125، الأعلام للزركلي ج 2:33. CH. PELLAT. Ency. de l'islam. T4. P: 304.

(56) يقصد به: المهلب بن أبي صفرة (7-83 هـ / 628-702 م). أنظر ترجمته ومصادرها في المقصد الثالث: من الجزء الأول ص 169

(57) هامش رقم : 121 .

(58) إلى هنا ينتهي التطابق -التام- في اللفظ مع الاستقصا، ج 8:172 .

(59) د، ح، ك: الجد، والتصحيح من ز.

(60) هذا الكتاب مطبوع متداول. نشر في المطبعة الجديدة بفاس سنة 1347 هـ / 1928 م.
ففي الحديث الشريف: "إن العلماء ورثة الأنبياء" أنظر سنن أبي داود، ج 2:285 ، الترغيب والترهيب للمنذري، ج 1:58 ،

(*) ★ 190 أ.

[اتصاف المولى سليمان بالعدل]

و أما العدل، فإنه لم يكن في ملوك عصره أعدل منه، حتى أنه كان يلزم العمال ردّ ما يقبضونه من الرعايا على وجه الظلم، من غير إقامة بينة عليهم على ما جرى به عمل الفقهاء من قلب الحكم في الدعوى على الظلمة وأهل الجور.

وكان يلبس الصوف، وربما ريئت ثيابه مرقعة، وكانت عادته في السفر أن يصنع له ما تيسر من الطعام، ولبعض الخواص مما يكفي من غير إسراف ولا تعدد أنواع الطبخ والطيبات.

وكان رفيقا بسائر الرعية، لا سيما الضعفاء والمساكين، ومن عدله سقوط المكس الذي كان قبله يؤخذ من (حواضر)[61] المغرب في الأبواب والأسواق وعلى السلع والغلل وعشبة الدخان. وكان يتحصل (منه)[62] خمسمائة ألف مثقال في السنة .

ومن تلك المكوس كان رزق الجند وسلاحه، ورزق السلطان وسائر تعلقاته، وكان كافيا، ولا يدخل بيت المال إلا مال المراسي وأعشار القبائل وزكواتهم، فزهد فيه لعدله وعوضه الله أكثر منه من الحلال المحض، الذي هو الزكوات والأعشار من الرعية على الوجه الشرعي، مع ما يؤخذ من أعشار تجار النصارى.

وكان منع المسلمين من التجارة بأرض العدو، لئلا * يؤدي ذلك إلى تعشير ما بيدهم أو المشاجرة مع الأجناس.

وكانت الرعية بسبب عدله، في غاية اليسر، قد (نمت) [63] مواشيها، وكثرت خيراتها، وخصبت أرضها، وعظمت بركاتها.

[الاتصاف بالحلم والتقوى والصبر والخلق الحسن]

وكان مع العدل حليما باتفاق أهل عصره، مالكا لنفسه عند الغضب، ومذهبه درء الحدود بالشبهات، والتماس التأويل.

ومن حلمه ما حكاه صاحب الجيش، قال: لما عزمتُ على الخروج من فاس أيام الفتنة لملاقات السلطان المولى سليمان بقصر كتامة، جئتُ إلى القاضي أبي الفضل عباس ابن أحمد التاودي لأودعه، فكان من جملة ما أوصاني به، أن قال: قل لمولانا السلطان يقول لك عباس: إنا نخاف إذا ظفرت بهؤلاء الظلمة أن تصفح عنهم، فلما اجتمعت

---

(61) د، ك: حواص، والتصحيح من ز، ح.
(62) د، ح، ك: منك، والتصحيح من ز.
(63) د، ح، ك: نموت، والتصحيح من ز.
(*) * 90 ب.

بالسلطان أبلغته مقالة القاضي، فقال: كيف أصفح عنهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عزيز: "لاَ أَتْرُكُكَ تَمْسَحُ سبلَتَكَ بِمَكَّةَ وَتَقُولُ: خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ" [64].

فلما فتح الله عليه فاسا كان جوابه أن قال: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[65] بل تعجل بالخروج منها مخافة أن يغريه بعض بطانته بأحد منهم، فلعمري لقد صدق من قال: إن التخلق يأتي دونه الخلق[66] انتهى.

وأما الدين والتقوى، فقد سبق أنه لم يأت فاحشة قط، مع آداء الفرائض لوقتها المختار حضراً وسفراً، وقيام رمضان وإحياء لياليه.

وأما صبره عند الشدائد، وتجلده عند حلول الخطب، فشيءٌ عجيب، قال صاحب البستان: ولو حدثنا بما شهدناه منه لكان عجبا [67].

وأما خلقه (الحسن)[68] في جبر القلوب وتأليفها، وإرضاء الموالي والدفاع بالتي هي أحسن، فلا يشق له في ذلك غبار.

[الاتصاف بالشجاعة]

وأما شجاعته، فقد كان يعمل بعمل أهل الصّدر الأول، فيقف في قلب الجيش كالجبل الراسي، وكلما رأى فرجة سدها أو خللا أصلحه، وهو (كالصقر)[69] مطل على حومة الوغى، فإذا أمكنته فرصة انتهزها. ومن شدة ثبته وعدم تزحزحه أنه كان لا يركب وقت الحرب إلا بغلة، حتى أن حُماته يفرون عليه ويبقى هو ثابتا رحمه الله.

[أوصاف المولى سليمان جملة]

وبالجملة، فقد تجمعت فيه الأوصاف المحمودة من: عدل، وعقل، وديانة، وحلم، وجود، وعفو، وصدق، وصبر، وشكر، وحياء، وحسن خلق، وتأني، وزهد، وقناعة، وتواضع، وشجاعة، وعفة، ووفاء، وعلم، ورشد، وهداية كما قال الناظم.

وهذه الأوصاف هي التي أوصى بها مولانا علي-كرم الله *وجهه- أولاده وأهل بيته، واقتدى به أهل الفضل من بعدهم، وقد نظمها على ما قيل من نظمه: [البسيط]

---

(64) هذا الحديث الشريف، أخرجه ابن كثير في البداية، ج 4:46، 51 ، بدون سند، وباختلاف يسير في اللفظ. والمراد بالخطاب: أبو عزة الجمحي وليس أبي عزيز كما هنا في المتن. وأبو عزة هذا من المشركين، أسِرَ في غزوة بدر فأطلق سراحه ثم أسر ثانية في غزوة أحد. فأعدم.

(65) سورة يوسف، الآية : 92 .

(66) هذا النص يوجد في الجيش العرمرم، ج 2:59-60 ، باختلاف في اللفظ ويوجد في الاستقصا ج 8:170 بنفس اللفظ.

(67) لم أجده في البستان الظريف. ويوجد في الاستقصا ج 8:171 بنفس اللفظ.

(68) د، ك: الحسنة. والتصحيح من ز-ح.

(69) د، ك: السقر. والتصحيح من ز-ح.

(*) * 91 أ.

إنَّ المَكَــارِمَ أَخْــلاَقٌ مُــطَــهَّــرَةٌ   (فَالدِّينُ)[70] أَوَّلُهَا وَ (العَقْلُ)[71] ثَانِيهَا
وَالــعِــلْــمُ ثَــالِــثُــهَــا وَالحِلْـمُ رَابِـعُـهَـا   وَالجُودُ خَامِسُهَا وَ (العَفْوُ سَادِيهَا)[72]
وَ(الصِّدْقُ)[73] سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا   وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَ (الحَيَا عَاشِرُهَا)[74]
وَحُــسْــنُ خُــلُــقٍ تَــانٍ مَـعْ زَهَــادَتِــهِــمْ   وَأَقْــنَــعَ تَــوَاضُــعٍ فَــهُــنَّ خمس عَــاشِيـهَـا
وَعَــدْلُ وَالٍ وشَــجَــعَــة وعِــفَــتَــهُ   مَـعَ الــوَفَــاءِ وَلاَ يــحسد أَغَــانِــيــهَــا[75]

[تولية المولى سليمان]

ثم أشار الناظم -رحمه الله- إلي [أن][76] المتولي الخلافة بعد سيدي محمد بن عبد الله ابنه المولى سليمان المذكور، رامزا لتاريخ ولايته بقوله دب. لسنة ست بعد المائتين والألف[77] من قوله:

لَــقَــدْ ذَبَّ عَـنْ عِـرْضِ الخِلاَفَــةِ سَـيْـفُـهُ   فَكَـانَـتْ لَـهُ عَذْرَاء فِي وَصْفِ كَاعِبِ
وَصَــارَ الــرَّخَــاءُ وَالــهَــنَــاءُ سَــجِــيَّــةً   لمَا قَـدْ تَـرَاءَى مِـن مُـطِـيـعٍ وَتَـائِـبِ

فقد: حرف تحقيق. وذب: بالدال المعجمة حمى ودفع، تقول: ذب عن حريمه ذبا، دفع عنهم ما أمكنه، من باب قتل، وأما بالإهمال فمن باب ضرب ومعناه السير على القدم: [البسيط]

فَــدَالُ دَبَّ رِجْــلَــيْــهِ مُــهْــمَــلَــةٌ   وَذَبَّ عَنْ نَفْسِهِ إعْجَامُهَا وَجَبَا

وقد أهمله لضرورة الرمز [78] والعرض: بكسر العين، النفس والحسب، تقول: فلان نقي العرض، أي بريء من العيب، والعرض: بالضم الناحية والجانب. والخلافة: تقدم معناها[79] وأنها المملكة والسلطنة العظمى. والسيف: معروف، والعذراء: كحمراء، أي ذات عذرة، لأن عذرة الجارية بكارتها، والكاعب: تقدم أنه الحالة الثانية للأنثى، وهي ما إذا نتأ ثديها، تقول: كعبت المرأة تكعب، من باب قتل، فهي كاعب.

(70) في: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي: 154: فالعقل. وكذلك في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي: 116 .
(71) في: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي: 154: الدين. وكذلك في سراج الملوك: 116 .
(72) في: ديوان الإمام علي: 132: الفضل سادسها. وفي من الشعر المنسوب إلى الإمام علي: 154: العرف ساديها. وكذلك في سراج المولك: 116 .
(73) في ديوان الإمام علي: 132: البر. وكذلك في: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي: 154 ، وسراج الملوك: 116 .
(74) في ديوان الإمام علي: 132: اللين باقيها. وفي: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي: 154: اللين عاشيها، وكذلك في سراج الملوك:116. وهذه الأبيات الشعرية توجد في: ديوان الإمام علي: 132، ومن الشعر المنسوب إلى الإمام علي 154. وسراج الملوك: 116 .
(75) هذان البيتان الأخيران لا يوجدان في المصادر المذكورة سابقا.
(76) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(77) سنة 1026 هـ / 1791 م.
(78) لأن حرف الدال المعجمة ترمز في حساب الجمل إلى رقم: 700 . وحرف الباء إلى رقم:2 . وجمعهما سيخل بالمقصود. ومجموع رمز حرفي: دب (الدال المهملة) هو: 6 . وهو الرقم الأخير من سنة 1206 للهجرة والإختصار يجوز في حساب الجمل.
(79) أنظر 554-553 من هذا المقصد.

والهناء: ضد الفتنة، والرضاء: ضد السخط، وعدم الانقياد.

والسجية: الغريزة في الطبع الجمع سجايا، كعطية وعطايا.

وتراءى الجمعان: نظر بعضهم بعضا، والمعنى هنا: ما ظهر للنظر من المطيع، والتائب من العصيان، والطغيان والخروج عن الجماعة.

والمعنى: أن سيفه دفع وحمى حسب الخلافة، فهو الفاعل بذب، فصارت بذلك الدفع والحماية كالشابة العذراء سالمة من النقص ومن استمتاع غيره بها كالمرأة العذراء، أي التي لم تزل بكارتها.* [و][80] الكاعب زيادة في الحسن والغبطة في الاستمتاع، وهو كناية عن شجاعته مشعر بأنه المتمتع حقيقة بالخلافة، (المفتض)[81] بكارتها بسيفه دون من عداه.

ومن (حميد)[82] سيرته و(مهابة)[83] شجاعته، صار الهناء و(الرضى)[84] من أهل الفتن والطغيان، سجية لهم لا يقدرون على مخالفته، وذلك بشهادة مارئ من المطيع والتائب من المعاصي من الأنقياد وعدم المخالفة، ويحتمل أنه دفع عُرض الخلافة بالضم أي عن نواحيها وجوانبها حتى سلمت من كل ثائر وقائم لمريد تملكها فصرفه عنها وخلصت له سالمة لم يتمتع بشيء منها أحد غيره في وقته.

[السيطرة على مناطق نفوذ المولى مسلمة]

وأما ذبه وحمايته على الخلافة فإنه لما تمت[85] بيعته بفاس باجتماع أهل الحل والعقد من أعيان الأشراف، والعلماء، والتجار، والجند، وسائر الأعيان، كان أول ما ابتدأ به أن وجه سرية من الخيل إلى رباط الفتح بقصد دعاء المتمسكين بدعوة المولى مسلمة للرجوع إلى ما دخلت فيه الجماعة، إذ كان أهل الرباط قسمين، قسما داخلا في طاعة المولى سليمان، والآخر في طاعة أخيه المولى مسلمة، فلم تفد شيئا، فعقد لأخيه المولى الطيب على بني حسن، وبعثه في اعتراض القائد أبي عبد الله محمد الزعري من قبل المولى مسلمة ومن وافقه من المنحرفين عنه، فتوافى الجمعان برباط الفتح، ووقعت الحرب، فانهزم الزعري وشيعته، وقبض المولى الطيب على الزعري وجماعة من أصحابه، ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان، ويعد ذلك من حلمه. وبذلك اجتمعت كلمة أهل الرباط على طاعته.

---

(80) ما بين المعقوفتين تكملة من م، اقتضاها السياق.
(81) د،ح،ك : المفتض. والتصحيح من ز.
(82) ز،ح:جميل .
(83) ز،ح: مهابته.
(84) د،ح: الرضا. والتصحيح من ك.
(85) من هنا يبدأ تطابق بعض الألفاظ مع الاستقصا ج8: 91 .
(*) * 91 ب.

وبعده، بعث المولى مسلمة ولده إلى آيت يمور[86] وأمرهم بشن الغارة على ما والاهم من أهل طاعة المولى سليمان، ففعلوا وكثر عتوهم، فاستنفر المولى سليمان جيش العبيد والبربر والودايا وأشراقة، فاجتمع عليه منهم الجم الغفير. وزحف لايت يمور وهم على شاطئ وادي سبو (بالحجر)[87] الواقف، فأوقع بهم وقعة شنعاء، وفر ولد المولى مسلمة، ثم بادروا بنسائهم وولدانهم فقدموهم للشفاعة بين أيديهم فعفا عنهم، ورجعوا لطاعته وبايعوه، فردّ عليهم أموالهم وزروعهم وما نهبته الجيوش لهم.

ثم بلغه أيضا أن المولى مسلمة معسكر بأرض الحياينة، فنهض إليه وفرق جموعه ونهب جيشه الحياينة فأتوا تائبين، فعفا عنهم كذلك، ونظمهم في سلك الجماعة[88]، وآل أمر *المولى مسلمة إلى أن لحق بتلمسان وأقام بها فاراً، ثم انتقل إلى المشرق وبقي به إلى أن مات رحمه الله.

[إخضاع ثورة محمد بن عبد السلام الخمسي]

وكذلك فعل مع الثائر عليه [محمد بن][89] عبد السلام الخمسي المعروف بزيطان بالجبل، فقد آل أمره بعد حروب إلى أن قبض عليه المولى الطيب بالأمان، لما فر عنه من كان معه، فظهر به، وبعث به إلى السلطان، فأمضى له أمانه وولاه على قبيلته، وصار من جملة خدام هذه الدولة و(نصحائها) [90] إلى أن ملكت زمامها.

[إخضاع ثورة المولى عبد الملك]

وكذلك فعل مع الثائر عليه المولى عبد الملك بن إدريس، فإنه لما بلغه أن قبائل الشاوية بايعوه وأنزلوه بمدينة الدار البيضاء، فنهض إليه من فاس، وبعث في مقدمته أخاه وخليفته المولى الطيب، وعقد له على كتيبة من الخيل، وتبعه على أثره، فلما سمع بقدومه المولى عبد الملك، فر فيمن بايعوه من أهل الشاوية، وأخلى مدينة الدار البيضاء من خليه ورجله، وآل أمره إلى التوغل في الفرار، ورجع المولى سليمان إلى رباط الفتح، فدخلها منصورا. ونقل تجار النصارى الذين كانوا بالدار البيضاء إلى رباط الفتح، وأبطل مرساها، واستمرت معطلة إلى دولة المولى عبد الرحمان بعده.

---

(86) ايت يمور، من القبائل البربرية، نُقلوا من طرف الملوك العلويين إلى الحوز، وملغات والسهيلة بعدما كانوا منتشرين في تادلا وكروان وغيرهما. أنظر: الموسوعة، معلمة المدن، ملحق 7:2.

- E. Doutté, Mission au Maroc, PP: 336-337

(87) ك: بالحج.

(88) إلى هنا ينتهي تطابق بعض الألفاظ مع الاستقصا ج 8: 91.

(89) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ك والتكملة من ح.

(90) ك: نصائحها.

(*) 192 *.

وآل أمر المولى عبد الملك، إلى أن شفع فيه أخو السلطان المولى عبد السلام بن محمد وأخته المولاة صفية وكانت زوجة المولى عبد الملك، فقبل السلطان شفاعتهما، فعفا عنه، وعاد إلى فاس، واطمأن جنبه. وهو أيضا من حلمه رحمه الله.

وفي رجوعه للرباط منصوراً قال العلامة الأديب أبو محمد عبد القادر بن شقرون: [البسيط]

مَـوْلاَيَ أَنْتَ الَّذِي صَفَتْ مَشَارِبُهُ … إِنْ تَغْزُ نَاحِيَةً أَوْلَيْتَهَا جَلَدَكْ
هَذِي البَشَائِرُ وَافَتْ وَهْيَ قَائِلَةٌ … أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الَّذِي حَسَدَكْ
فَاصْعَدْ عَلَى مِنْبَرِ الإِقْبَالِ مُعْتَلِياً … فَالسَّعْدُ أَنْجَزَ مَا كَانَ بِهِ وَعَدَكْ
وَانْهَضْ إِلَى غَايَةِ الآمَالِ تُدْرِكُهَا … فَالآنَ قَالَتْ لَكَ العَلْيَاءُ: هَاتِ يَدَكْ
وَلاَ تَخَفْ أَبَداً مِنْ سُوءِ عَاقِبَةٍ … فَلَيْسَ يُفْلِحُ مَنْ بِالسُّوءِ قَدْ قَصَدَكْ
أَلْبَسَكَ المَلِكُ (العَزِيزُ)[91] نَائِلَةً … مِنَ الرِّضَى حُلَلاً قَوَّى بِهَا مَدَدَكْ
فَضْلاً مِنَ الحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ … جَعَلَهَا كَالشَّجَى فِي حَلْقِ مَنْ جَحَدَكْ
*فَاشْكُرْ صَنِيعَ الَّذِي أَوْلاَكَ مَكْرُمَةً … تَنَلْ رِضَاهُ وَتَبْلُغْ بِالرِّضَى رُشْدَكْ[92]

[استرجاع مدينة وجدة]

وكذلك بعث بالعساكر من فاس إلى وجدة ليدوخوها ويقاتلوا من بها من الترك إن منعوا دونها، وكتب مع ذلك إلى الباي محمد باشا في أن يتخلى عنها وعن قبائلها التي كان يتصرف فيها أيام الفترة، أو يأذن بالحرب، فامتثل الباي محمد ذلك ولم يمانع، بل كتب لنائبه بها أن يتركها لأربابها[93] ويتخلى عن قبائلها، فامتثل، ودخل جيش المولى سليمان وجدة، وتمكن بها واسترجعها من يد الترك. إلى غير ذلك من اجتهاده في المدافعة عن الخلافة، حتى تملكها وخلصت له كما قيل.

(91) في الاستقصا، ج 8 100: العميم.
(92) هذه الأبيات توجد في الاستقصا، ج 8 99-100.
(93) هذه الفقرة ابتداء من كلمة: وكتب، توجد بنفس اللفظ في الاستقصا ج 8 104.
(*) * 92 ب.

[سيادة حالة الرخاء والهناء في أواسط حكم المولى سليمان]

[و][94] أما الرخاء والهناء، فقد اتفق له في وسط دولته من السعادة، والأمن، والعافية، ورخاء الأسعار، وابتهاج الزمان، وتبلج أنوار السعد والإقبال، ما جعله الناس تاريخا، وتحدثوا به دهرا طويلا،[95] ولازال الناس ممن أدرك مَنْ أدرك زمانه، يحدثون بما كان يحدثونهم أهل ذلك الزمان، من الرخاء المفرط، والهناء والعافية في كل ناحية.

[سعي المولى سليمان في الصلح بين ولاة الأتراك والطائفة الدرقاوية بالجزائر]

ومما ينخرط في سلك هذا، ما سلكه في إخماد الفتنة (بين)[96] ولاة الترك بوطن الجزائر ورعيتهم، رغبة في الهناء والراحة والإحسان إلى الجار، بعد أن مالت رعيتهم للدخول في طاعته، لما نالهم من جور الترك، فبعث إليهم الشيخ الأكبر أبا عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي، ليكف تلامذته عن قتال الترك بعد (مكاتبة)[97] الترك له بذلك عند عجزهم على مقاومة الطائفة (المتلمذة)[98] للشيخ المذكور، ولا يصدهم عنهم إلا شيخهم الذي لا يسعهم مخالفة أمره.

[سبب ثورة عبد القادر بن الشريف الفليتي على الأتراك]

وكان رئيس هذه الطائفة الدرقاوية، السيد عبد القادر بن الشريف الفليتي. وكان قيامه واجتماع الناس عليه في حدود العشرين بعد المائتين وألف[99]، بسبب قتل الأتراك بعض الفقراء من تلامذته والأمر بالقبض عليه، ففر إلى الصحراء ونزل (بعرب)[100] الأحرار، فاجتمع عليه أهل طائفته وأسفوا على من قتل (منهم)[101] مع نفي مقدمهم عن موطنه وعشيرته، وانضاف إليهم من القبائل من أهل محبتهم، وزحفوا لحرب الترك بوهران، فهزموا متوليها الباي مصطفى المدعو بوكبوس، ودخلوا لمحلته. وضم الثائر المذكور ذخائرها إليه ومدافعها وكل ما فيها، وتبع القوم *المنهزمين إلى وهران.

---

(94) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(95) هذه الفقرة ابتداء من كلمة: اتفق له. توجد بنفس اللفظ في الاستقصا ج 112:8 .
(96) ك: من .
(97) ح: مكاتبته.
(98) ز: الملمذة.
(99) في حدود 1220 هـ/ في حدود 1805 م.
(100) في الاستقصا ج 109:8 : بحلة.
(101) ل، ح: معهم. والتصحيح من ز، ك
(*) * 193 أ.

[نجاح المولى سليمان في سعيه في الصلح بين الأتراك والطائفة الدرقاوية]

وسخر الله لابن الشريف في الغلبة والنصر على الباي المذكور، فما من محلة جددها إلا وهزمها درقاوة، أهل النظافة والنقاوة، وصارت لهم غنيمة، فدخل الأتراك الفشل، وحاصروهم درقاوة في وهران وسائر الثغور، وزهق الباطل وجاء الحق ينور، وأمنت من حوادثهم المواطن والطرقات، وتحصنت من مكرهم حصون العمران والفلوات، وصاروا أحدوثةً في الخلوات والجلوات، إلى أن بعث رئيسهم من الجزائر للمولى سليمان هذا، يخبره بأمر القائم عليه، وأن شيخه مأوى الوافد والزائر هو[102] عندك في قبائل بني زروال الحافلة، وتلامذته أبطلت علينا فرائض الحكم وسنن النافلة. فبعث المولى سليمان للشيخ، وقرأ عليه مكتوب التركي من غير أن يقتصر على حديث اللسان، ويحكي: وحثه على السفر لتلك النواحي، وأزعجه لتفريق الجمع الدرقاوي بتلك الضواحي، فامتثل الشيخ أمر السلطان، والتزم له بتسكين الأوطان، علما منه بأن تلميذه أمير تلك الطائفة لا يعصي له أمراً، إذ هو قدوته وقدوة كل طائفة.

وبعد أن سافر الشيخ السفر المباح، وواصل في أيامه الغدو بالرواح، قدم المكاتب أمامه لتلميذه الباني على ثغر وهران خيامه، ودخل باي وهران حصنها وترك الرحلة والإقامة، ومنعهم الثائر الدرقاوي من التصرف في البر، ولم تبق للأتراك مندوحة إلا من جهة البحر، ومدة الحصار سبع سنين، نالوا فيها غاية الجهد، وأخذوا بالسنين، فكان الخبز يأتيهم في (السفن)[103]، وهجر النوم عيونهم والجفون، إلى أن من الله عليهم بحضور السيد الأسمى والبركة النافعة العظمى، فكف عنهم يد السيد عبد القادر بن الشريف التي صرفها الله فيهم غاية (التصرف)[104]، (فأمره)[105] حينئذ بالرحيل عنهم [وترى][106] المقام، ولله الأمر من قبل ومن بعد في الرحلة والمقام، فامتثل الأمر ووافقه في ذلك زيد وعمرو، وفرق الجموع، وقهقر الرجوع، وأعلم الثائر الترك بأنه قابلهم بالترك، وأوصاهم على الرعية، وعلى الحكم بالعدل فيما بينهم بالسوية، وأن الأيام حبلى لا يدرى ما جدد منها كالذي يبلى، وقد ردني عنكم شيخ التربية، وإلا فلا أفارقُ رحاب تلك الأفنية ،إلى أن يقضي "اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا"[107] وقال لهم أيضا في * كتابه الذي بعث إليهم يعلمهم بالرحيل عنهم : « أعمى الناس بغيكم، وأصماهم جوركم، وفتنتموهم عن الدين ورغبتموهم في العداء، فصاروا معتدين، فاربؤا على أنفسكم،

---

(102) زاد بعد ذلك في ز.ح: من

(103) د، ك: السفون. والتصحيح من ز.ح .

(104) د، ك: التصريف. والتصحيح من ز. ح.

(105) ز.ح: فأمر.

(106) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.ح .

(107) هذا الكلام جزأ من الآية: 44 من سورة الأنفال.

(*) * 93 ب.

واشفقوا وسالموا تسلموا، أما علمتم أن الله يمهل على الظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، وقد صرفني الله فيكم إلى غاية، وها أنا رفعت يدي عنكم حين تمت النهاية، فها أنا أعرضتُ (عن)[108] الرياسة، وطاوعتُ شيخي في الخمول الذي هو أنفع سياسة، فإن أحسنتم مع الرعية أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها.» فما زادهم توبيخه إلا طغيانا، وإنذاره إياهم إلا عتوا وخسرانا.

فبعد استقرار هذا الثائر المطاوع لشيخه بجبل الكواكب و(تفرق)[109] عصبيته الجموع والمواكب، مدّ الأتراك أيديهم [بالظلم][110] في الرعية، وصادروا الناس في أموالهم على غير الطريق المرعية، وتطاولوا بنهب الأموال وسفك الدماء وفعل الدنية، ونصبوا لمن يقول: لا إله إلا الله، شرك الردا، وصار أهل (النسبة)[111] عندهم هم الأعداء، يستهينون في العقاب منهم بضرب الرقاب، حتى حسموا لهذه الطائفة المادة، ولم يبق في إيالتهم ما تعده منهم العادة، وكان الشيخ المربي لقنهم الدعاء عليهم في الغدو والعشي، ونصه: اللهم يا رب أنزل صاعقة بالترك تكون من عندك لا من عندنا ولا من عند عبد القادر بن الشريف، يراها كل أحد من خلقك.

وكان دأبهم ذلك، حتى أنزل عليهم صاعقة جنس الفرانسيس أبادهم الله بها، فلم تبق لهم من باقية إلى الآن، وظهر مصداق قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"[112] فما أسرع الظلم للخراب، وما أوجبه للعقاب، ومثله قول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: بتُّ في هم المسلمين من الترك، هل أدعو عليهم أم لا؟ فرأيتُ أستاذي - رضي الله عنه- يقول: قوم أجل لهم، فاصبروا، واشكروا، وارضوا، وسلموا، وفوضوا، وتوكلوا، واتقوا، وأحسنوا، ولا تهنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، أمدبرا غيرالله تريدون، أم حكما غير حكمه تلتمسون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون، قد كان أصحاب رسول الله صلى الله [عليه وسلم][113] يؤذون ويظلمون، وما أقل استعجالهم ودعائهم على الظالمين لمعرفتهم بالله رب *العالمين، فإن دعا منهم داع فبإذن من الله لا عن ضيق وسخط لقضاء الله. انتهى.

ولاشك أن دعاء الشيخ -المتقدم- بالصيغة المذكورة، كان بإذن له في ذلك من الله. وكان سبب ذلك إسرافهم في قتل [أهل][114] لا إله إلا الله، لا سيما المشايخ منهم أولياء الله، وكان آخرهم وأكبرهم علما وعملا وحالا ومقالا، أبا محمد سيدي عبد الله بن حواء الغريسي، فقد سلطوا عليه وشنقوه، وقد وُجد مقيدا في كتاب عن سيدي محمد -فتحا- بن أبي زيان القندوسي: أن الترك يهلكون حين يقتلون الوليين الصالحين: سيدي عبد الله بن حواء وسيدي محمد القندوز [انتهى][115].

(108) ز.ح: على.
(109) ك: بفرق.
(110) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز، ح.
(111) ح: السنة.
(112) سورة هود، الآية: 102
(113) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك، والتكملة من ز، ح.
(114) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(115) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(*) 94 أ.

فما لبثوا بعد قتلهما إلا نحو الثلاث سنين وسلط الله عليهم من قطع ظلمهم، وخرب ملكهم، وأراح الناس من شرهم، و(هي)[116] عادة الله في خلقه، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [117] ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ [118]. وفي تلك الحرب مع درقاوة والوقائع، ألف الشيخ أبو رأس تأليفه: درءُ الشقاوة في حروب درقاوة [119].

وكان جل رعية الترك فرت لرعية المولى سليمان، مما أصابهم من جورهم مع قحط أرضهم وبلادهم، فرق لحالهم، وأعانهم بالعطاء، وتخولهم بالصدقات المرة بعد المرة، حتى كان عطاؤه إياهم كالراتب المفروض، بعد أن كتب الترك للمولى سليمان بأن يكلمهم في الرجوع لبلدهم وامتناعهم من ذلك، قائلين: نذهب للنصارى في برهم ولا نعود لطاعة الترك. ولا زال يعالج أمرهم إلى أن رجعوا إلى بلادهم. وكتب إلى باي الترك في شأنهم بالعدل وحسن السيرة، فامتثل، وكف عن البعض.

وهذا كله من حسن سيرته، والسعي في الهناء وإخماد نار الفتنة. ولازال على الأحوال المرضية في نفسه ومع الرعية.

[استجابة المولى سليمان لطلب باي تونس حمودة باشا]

وكذلك فعله مع باي تونس حمودة باشا بن علي[120] لما وجه إليه العالم الأديب الطائر الصيت، الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي[121] - رحمه الله- ومعه هدية وكتاب يتضمن طلب الإمداد بالميرة لحدوث المسغبة[122] بالبلاد التونسية، فأجابه لمطلوبه ووفى له بغاية مرغوبه، وقد امتدح الفقيه المذكور المولى سلميان بقصيدة من جيد شعره مطلعها: [الكامل]

إن عــزّ مـــن خير الأنَــام مَــزَارٌ ... فَـلَـنـا بـزورَةَ نَـجْـلِـهِ اسْتِبْشَارُ

---

(116) ز: تلك .

(117) هذه آية: 23 من سورة الفتح.

(118) هذه آية: 38 من سورة الأحزاب.

(119) لم أجده. وقد ذكره أبو رأس محمد بن أحمد - أثناء سرده لمؤلفاته -في كتابه: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته مخ، غ، ع، ر، 2263 ك: 143 .

(120) هو: حمودة باشا بن علي (1173-1230 / 1759-1814): منذ أن كان شابا وهو يميل إلى الحياة العسكرية، ونجاحه فيها ونجابته السياسية أهلاه لمنصب باي تونس (أي حاكم تونس). ويعتبر عهده،العهد الذي بنيت فيه ركائز الدولة التونسية الحديثة. ومن إصلاحاته إزاحة الأتراك عن المراكز الإدارية والعسكرية الهامة، وجلب العتاد والسلاح المتطور من أوربا.

(121) هو: إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي، التونسي أبو إسحاق (1180-1266/1766-1850م): أديب، فقيه، مفتي وخطيب. نشأ في تونس، وولي فيها رئاسة الفتوى، وله مؤلفات.أنظر: اليواقيت الثمينة: 88-89-93 ، فهرس الفهارس ج: 1:323-329 ، الفكر السامي، ج2:300 ، معجم المطبوعات ج1:957-958 ، الدليل، ج 2:427 ، تاريخ المغرب العربي، للهادي العامري:315 ، 317 ، 324، الأعلام للزركلي، ج 1:34 ، معجم المؤلفين، ج 1:49 .

(122) المسغبة: المجاعة.

إلى أن قال فيها :

*هَذَا الخَلِيفَةُ وَابْنُ أكْرَمِ مُرْسَلٍ ... وَسَلِيلُ مَنْ (تَمَطَّى لَهُ الأَكْوَانُ)[123]
وَخُلاَصَةُ الأَشْرَافِ وَالخُلَفَاءِ مِنْ ... بَيْتِ البَتُولِ وَ (حَبَّذَا الأَطْهَارُ)[124]
وَ(أَجَلُّ)[125] وارِثِ مُلْكِ إسْمَاعِيلَ مِنْ ... بَطَلٍ شَذَا (أَخْبَارِهِ*)[126] مِعْطَارُ
وَ (أَعَزُّ)[127] سُلْطَانٍ و (أَشْرَفُ)[128] مَالِكٍ ... شَرفتْ بِمُلْكِ يَمِينِهِ الأَحْرَارُ
وأحقُّ من تحتِ (السماءِ)[129] بأنْ يَرَى ... مُلْكَ البَسِيطَةِ والوَرَى أَنْصَارُ
لَكِنْ إذَا كُلُّ القُلُوبِ تُحِبُّهُ ... فَلِغَيْرِهِ الأَجْسَامِ وَهِي (نَفَّارُ)[130]
هَذَا سُلَيْمَانُ الرِّضَى بْنُ مُحَمَّدٍ ... مَنْ أَشْرَقَتْ (لِجَبِينِهِ)[131] الأَنْوَارُ
هَذَا الَّذِي رَدَّ الخِلاَفَةَ غَضَّةً ... وَسَمَا بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مَنَارُ
وَأَعَزَّ دِينَ اللَّهِ فَهُوَ بِشُكْرِهِ ... فِي أَيْكِهَا[132] تَتَرَنَّمُ الأَطْيَارُ[133].

فأعجب السلطان ومن حضر بها، وأعاده بهدية جليلة مع ما (أنفذه)[134] له من الميرة[135].

[نشوب الفتن والقضاء عليها]

ولازال منصور الراية، قامعا لأهل الطغيان والغواية، محسنا للرعية، باثاً عدله فيما بينهم بالسوية، إلى أن اجتمعت كلمة البربر كافة على الفساد،والخروج عن الطاعة مع العتو في البلاد، وبقيت الناس بذلك فوضى، وقلوب الخاصة مرضى وخرج أهل فاس أيضا عن طاعته، محتجين بأنه خلع نفسه بما كتبه لهم، يريد تهييجهم على التمسك بطاعته، وترغيبهم في محبته ونصرته، وقد فعل مثل ذلك بمراكش؛ فإنه جمع أعيانها وقال لهم: قَدْ رَأَيْتُمْ ما جرت به الأقدار من فساد قلوب الرعية وتمادي القبائل على الغي والفساد، ومن يوم رجعنا من وقعة البربر[136] ونحن نعالج أمر الناس، فلم يزدادوا إلا فسادا، وقد جرى على الملوك المتقدمين أكثر من هذا، فلم ينقصهم ذلك عند رعيتهم، بل قاموا معهم وأعانوهم على أهل الفساد حتى

(123) في ديوان الرياحي، مخ. ع. ر. 1763 ك: 23: فخرت به الأعصار.
(124) في ديوان الرياحي: 23: من حواه أزار.
(125) د: أحل. والتصحيح. من ز،ح، ك: وفي ديوان الرياحي: 23: أعز.
(126) ز: أخبار. وفي ديوان الرياحي: 23 عزماته.
(127) في ديوان الرياحي: 23: أجل.
(128) في ديوان الرياحي. 23. أكرم.
(129) في ديوان الرياحي: 23: أسماء.
(130) في ديوان الرياحي: 23: قفار.
(131) في الديوان: 23 : بجبينه.
(132) أيكها: أشجارها الكثيف.
(133) هذه الأبيات توجد في ديوان الرياحي. مخ. خ. ع. ر 1763ك: 23 . والاستقصا، ج 8:.118 ويلاحظ تطارق ألفاظها مع الاستقصا.
(134) ك: أنفذ.
(135) الميرة: الطعام، المواد الغذائية.
(136) حددها الاستقصا ج 148:8 بوقعة ظيان.
(*) * 94 ب.

أصلحوهم، وأنا قد عجزت بشهادة الله لأني ما وجدت معينا على الحق، وكم مرة تحدثني نفسي أن أترك هذا الأمر وأتجرد للعبادة حتى أموت. فقال من حضر من أعيان مراكش وإيالتها: [يا مولانا][137] بارك الله لنا فيك وجعلنا فداءك، ونحن أمامك ووراءك، فمرنا بما تشاء، وما رأينا منك إلا الخير. فسر السلطان بذلك ودعا لهم بخير[138].

وكتب لأهل فاس بمثله ظنا *منه جوابهم بما أجابوا به أعيان مراكش ونواحيها، فإذا به وقع منهم ما وقع، وكان كتابه بذلك وجهه على يد ابنه المولى علي بفاس، وأمره أن يقرأه عليهم بمحضر أهل العلم وأعيان أهل الفضل منهم، فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب المذكور فازدحموا عليه ليروا الكتاب بأعينهم، وأكثروا عليه، فضجر وقام ودخل داره وأغلقها عليه، فتحدث بعضهم: بأن السلطان قد خلع نفسه، وقال لكم: قدموا من ترضونه، وقال آخرون: لم يخلع نفسه، وجعل آخرون يقرعون باب المولى علي لإخراج كتاب السلطان وقراءته عليهم حتى يعلموا ما فيه، فقال لهم: إني قد أحرقته. فازدادوا ريبة، وصدقوا بأن السلطان خلع نفسه، واجتمعوا على مبايعة من يقوم بأمرهم، فاختاروا المولى إبراهيم بن يزيد، وكان ذا سمت وانقباض. وصهر السلطان على ابنته، فبايعوه، وقيل: مكرها صبيحة الرابع والعشرين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين ومائتين وألف[139]، وآل أمره إلى أن مات بتطاوين إثر ذلك، ثم بايع من كان معه هنالك من أهل تطاوين المولى السعيد بن يزيد، وفي الأثر: سمعوا بقدوم المولى سليمان من مراكش ففروا من تطوان إلى فاس، وآلَ أمره إلى الفشل والإنهزام عند لحوق السلطان المولى سليمان به (لحضرة)[140] فاس، وجاء أهل فاس تائبين إلى السلطان، فعفا عنهم على عادته، وقال: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[141].

ولما صفا له الأمر بفاس، عزم على النهوض إلى تطاوين، فاستخلف على فاس ابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام لعدالته، وكفايته، وحسن سياسته، فوفد عليه بالطريق أهل تطاوين وما والاها تائبين، فعفا عنهم وصفح، وأحسن إليهم، وانقلب راجعا إلى حوز مراكش حيث صفا له أمر تطاوين فجدَّ السير إلى مراكش ودخلها، ثم خرج منها لغزو أهل زاوية الشرادي،فانهزم شر هزيمة، ثم عاد إلى مراكش، فرجع إليه المنهزمون عنه تائبين خاضعين وفي عفوه راغبين، فما وسعه إلا الإعراض عن أفعالهم الذميمة وطاعتهم السقيمة، ثم أمرهم بالتأهب لغزو برابرة الغرب، فتوجهوا إلى بلادهم ليأتوا بأهبتهم إلى عيد المولد الكريم، فانقضى أجله رحمه الله.

---

(137) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(138) هذه الفقرة ابتداء من كلمة: على التمسك. توجد في الاستقصا ج 8:148 -149 ، باختلاف يسير في اللفظ، وصاحب الاستقصا نفسه كان ينقل نصه هذا من الجيش العرمرم.

(139) 24 محرم سنة 1236 هـ / الأربعاء 1 نوفمبر 1820 م.

(140) ك: بحضرة.

(141) سورة يوسف، الاية: 92 .

(*) * 95 أ.

[الوصية بتولية عبد الرحمان بن هشام]

وكان قد سئم الحياة ومل العيش مما *لقاه من العناء، وكثيرا ما كان يتمنى أن يترك (أمر الناس)[142] لابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام، ويتخلى هو لعبادة ربه إلى أن يأتيه اليقين [143]، فشاع بذلك عنه أنه خلع نفسه لأنه السادس من الخلفاء العلويين، وهي قاعدة أغلبية، أولها خلع مولانا الحسن سبط رسول الله [صلى الله عليه وسلم] [144] بن علي بن [أبي][145] طالب نفسه، وكان السادس بعد جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بويع يوم (موت)[146] أبيه، فبقي ستة أشهر، ثم أسلم الأمر إلى معاوية تورعا وإشفاقا من سفك دماء المسلمين، وقد انخرمت في الوليد بن عبد الملك -سادس الأمويين- وفي المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله[147]، وكان السادس من خلفاء بني العباس الدولة الثانية، ولم يخلع ولا أبوه. ومما يقوي خلعه نفسه[148] ما كتبه في هذه الوصية التي يقول فيها: الحمد لله، لما رأيت ما وقع من الإلحاد في الدين، واستيلاء الفسقة والجهلة على أمر المسلمين، وقد قال عمر: إن تابعناهم على ما لا نرضى وإلا وقع الخلاف، وأولئك عدول وهؤلاء كلهم فساق.

وقال عمر: فبايعنا أبا بكر فكان والله خير. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر: يأْبَى الله ويدفع المسلمون" [149]، ورشحه بتقديمه للصلاة، إذ هي عماد الدين، وقال أبو بكر للمسلمين: بايعوا عمر، وأخذ له البيعة في حياته (فلزمت) [150] وصحت بعد موته، وقال [عمر][151]: (هؤلاء)[152] الستة أفضل المسلمين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَ العَبْدُ صُهَيْب" [153]، وقال: "أبو عُبَيْدَةُ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ" [154]، وقال: "مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ ولاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقُ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ" [155] وقال في أبي بكر وعمر أكثر من هذا، فصار المدح للتعريف واجبا، ولإظهار رحال الرجل (ليشفع) [156] به. فأقول جعله الله

---

(142) ك: الأمر.

(143) هذه الفقرة ابتداء من كلمة. وكان قد سئم. توجد في الاستقصا ج 164:8 بنفس اللفظ.

(144) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(145) ما بين المعقوفتين ساقطة من ن.

(146) ك: مات.

(147) خليفة عباسي، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 623 هـ / 1226 م واشتهر بالجود والكرم. وتوفي سنة 640 هـ / 1243 م. أنظر: ابن كثير، البداية، ج 13: 113-114-161 . ابن الوردي، تتمة المختصر، ج 219:2، 252 .

(148) يقصد به: السلطان المولى سليمان.

(149) الحديث أخرجه البخاري عن عائشة، يوجد في فتح الباري، ج 13 205. بلفظ: المؤمنون.

(150) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ن، ح. والتكملة من ك.

(151) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(152) ن: هذه.

(153) الحديث أخرجه العجلوني في كشف الخفاء، ج 323:2. بنفس اللفظ. وقد اختلف في صحة الحديث وصحة سنده.

(154) الحديث أخرجه الترمذي في السنن، ج 5 316، 330، 331 ، والبخاري في الصحيح، ويوجد في فتح الباري، ج 7 93 ، 94 . وج 13: 232. وابن ماجة في السنن، ج 62:1 . وكلهم أخرجوه باختلاف يسير في اللفظ، وباختلاف في السند، والقصد بأبي عبيدة: أبو عبيدة الجراح.

(155) الحديث أخرجه الترمذي في السنن، ج 5 : 334 . وابن ماجة في السنن، ج 68:1، وكلاهما عن عبدالله بن عمرو، وباختلاف يسير في اللفظ.

(156) في الاستقصا، ج 164:8: لينتفع .

(*) * 95 ب.

خالصا لوجهه الكريم: ما أظن في أولاد مولانا الجد عبد الله. ولا في أولاد سيدي محمد والدي رحمه الله، ولا أولاد أولاده، أفضل من مولاي عبد الرحمان بن هشام، ولا أصلح لهذا الأمر منه، لأنه -إن شاء الله- حفظه الله لا يشرب الخمر، ولا يزني، ولا يكذب، ولا يخون، ولا يقدم على الدماء والأموال بلا موجب، ولو ملك ملك المشرقين، لأنها عبادة صهيبية، ويصوم الفرض والنفل، ويصلي الفرض والنفل، وإنما أتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه، وأخرجته * من تافيلالت لأظهره لهم "لأنّ الدّين النَّصِيحَةُ" [157] فإن اتبعه أهل الحق صلح أمرهم كما صلح سيدي محمد جده وأبوه حي، ولا يحتاجون إليّ أبدا، ويغبطه أهل (المغرب) [158] ويتبعونه إن شاء الله، وكان من اتبعه اتبع الهدى والنور، ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال وأحذر الناس أولاد يزيد كما حذر والدي، وقد رأى من اتبعه أو اتبع أولاده كيف خاض الظلمة، ونالته دعوة والده، وخرج على الأمة، وأما أنا فقد خفت قواي، ووهن العظم مني، واشتعل الرأس شيبا، حفظني الله في أولادي والمسلمين آمين، نصيحة وصية سليمان بن محمد لطف الله به [159] انتهى.

وبعد هذا، اعتراه مرضه الذي كان سبب وفاته، ولما أثقله المرض جدد العهد للمولى عبد الرحمان بن هشام، وبعث به إلى فاس، إذ كان خليفة بها، فدعا -رحمه الله- بصحيفة وبالطابع الكبير ولم يحضره إلا أهله من النساء، فطبع الصحيفة بيده، وكتب بعض الكتاب، وأكملته بعض نسائه وكانت تحسن الكتابة، ودعا بفارسين يحملانه إلى فاس، ونص الكتاب: الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أخوالنا الودايا ورماة فاس وأعيانها ورؤساءها، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى ابن عمنا الفقيه القاضي مولاي أحمد والفقيهين ابن إبراهيم والأزمي، وبعد: فقد وجدت من نفسي ما ليس بتارك أحدا في الدنيا، وهذه وصية أقدمها بين يدي أجلي والله ما بقي [في قلبي] [160] مثقال ذرة على أحد من خلق الله، لأن ذلك أمر قدره الله وسبق علمه به، ولست فيه بأوحد، وما وقع لمن قبلي أشنع وأفظع، وإني قد عقدت بين أخوالي وأهل فاس أخوة بحول الله لا تنفصم، يرثها الأبناء عن الآباء، وأوصي الجميع بما أوصى الله به الأولين، "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ" [161] "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" [162] واتقوا الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" [163] "وَلَنْ تَزَالَ

(157) الحديث أخرجه البخاري، يوجد في فتح الباري، ج 138:1، وأبو داود في السنن، ج 583:2، وكلاهما عن تميم الداري.
(158) د، ك: الغرب. والتصحيح من ز، ح، والاستقصا، ج 164:8 .
(159) نص هذه الوصية يوجد في تاريخ الضعيف ج2: 751-752، باختلاف يسير في اللفظ. لكن بنقصه التوثيق والمقابلة. ويوجد - أيضا - في الاستقصا، ج 164:8-165، بنفس اللفظ.
(160) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز، ح، ك.
(161) هذه آية: 131 من سورة النساء.
(162) هذه آية: 7 من سورة الحشر.
(163) هذا حديث شريف، أخرجه أبو داود في السنن، ج 506:2 ، وابن ماجة في السنن، ج 1: 10-11 . كلاهما عن العرباض، وباختلاف يسير في اللفظ.
(*) 196 *.

هَذِهِ الأُمةِ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ" [164]، وقد عهدتُ لإبن أخي مولاي عبد الرحمان بن هشام، ورجوت الله أن يكون لي في هذا الأمر مثل ما لسليمان بن عبد الملك [165] في عهده لعمر بن عبد العزيز، "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ" [166] "مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ * أَجْرُهَا وأَجْرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يوم القِيَّامة" [167]، وقد انعقد الإجماع على عقد البيعة بالعهد، والقاضي والفقيهان يبينون لكم هذا، "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ" [168]، وإني أشهد الله أني مقر بالسمع والطاعة لعبد الرحمان بن هشام و(بيعته)[169] ألقاها، وقد أديت لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علي من النصيحة، وأرجو الله أن يثيبني بهذه النية الصحيحة وهو المطلع على ما في الضمائر، والعالم بالسرائر والسلام، وفي رابع ربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف [170]. انتهى.

والعهد بالخلافة أصله الأصيل من النبي الكريم، الذي هو بالكل كفيل صلى الله عليه وسلم، فإنه نص على خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- نصا جليا ونصا خفيا، فالخفي هو تقديمه -عليه السلام- أبا بكر في الصلاة، والجلي ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إِئْتُونِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ أَكْتُبُ لأَبِي بَكْرٍ كِتَاباً لا يختلف فيه إثنان"[171] ثم قال: "يأبى الله والمسلمون إلاّ أبَا بكر" [172] وقوله عليه السلام: "اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ (بَعْدِي)[173] أبي بكر وعمر"[174] ولما قال أبو بكر: أقيلوني فلستُ بخيركم. فقال علي: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدَّمك رسول الله فلا نؤخرك، رضيك لديننا ورضيناك لدنيانا. ثم إنه لما مرض أبو بكر مرضه الذي توفي فيه، جعل الخلافة لعمر، وقال لعثمان: اكتب باسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا عنها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، حين يومن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلفت عمر بن الخطاب، فإن عدل، فذلك ظني به ورأيي فيه، وإن بدل وجار "فَلِكُلِّ امرئٍ مَا اكتسب[175] والخير أردت، "وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" [176].

---

(164) لم أقف عليه.

(165) هو سليمان بن عبد الملك (54-99 هـ/ 673-717 م): خليفة أموي، ولد بالمدينة المنورة، ونشأ بالشام. كان واليا على الرملة، ثم انتقل إلى دمشق عند وفاة أخيه الوليد فأخذت له البيعة. و ستعان بابن عمه عمر بن عبد العزيز في شؤون الدولة. وتميز عهده بضعف الفتوحات. أنظر: الإمامة والسياسة، ج 2:84-115، تاريخ الأمم والملوك، ج 8:102-128، الأخبار الطوال: 329-330 البداية، ج 9: 166-170، 174-183، العبر، ج 3:68-75 ، تاريخ الخميس ج 2: 314-315 .

(166) سورة يس، الاية: 12 .

(167) هذا حديث شريف، أخرجه ابن ماجة في السنن، ج 1:46 ، عن أبي جرير، وأخرجه مسلم ويوجد في صحيح مسلم بشرح النووي ج 16 : 226 عن جرير بن عبد الله، وكلاهما أخرجاه باختلاف يسير في اللفظ.

(168) هذه آية قرآنية: 59 من سورة النساء.

(169) ز، ح: بيبعته. وكذلك في الاستقصا ج 8: 166 .

(170) 4 ربيع النبوي عام 1238 هـ/ الخميس 19 دجنبر 1822 م. ونص هذه الوصية يوجد في الاستقصا، ج 8:165-166 . بنفس اللفظ.

(171) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج15:155 عن عائشة. باختلاف في اللفظ.

(172) الحديث يوجد في فتح الباري، ج: 13:205 رواية عن عائشة. باختلاف يسير في اللفظ.

(173) د، ك: بعد. والتصحيح من ز، ح.

(174) هذا الحديث أخرجه الترمذي في السنن، ج 5:271 ، والعجلوني في كشف الخفاء، ج 1:160 والعسقلاني في لسان الميزان ج 1:188. وكلهم أخرجوه بنفس اللفظ.

(175) تضمين للآية الكريمة: 11 من سورة النور. وهي: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ".

(176) هذه آية قرآنية: 227 من سورة الشعراء.

(*) * 96 ب.

وعرض الصحيفة على أجلة الصحابة، فبايعوا لمن فيها حتى مرت بعلي فقال: بايعنا لمن كان فيها، وإن كان عمر. وكذلك عمر، فإنه لما أيقن بالموت من طعنة أبي لؤلؤة غلام المغيرة، قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر (الذين) (177) توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وجعل الخلافة شورى بينهم، وهكذا بعض الخلفاء من بعدهم.

ويحكى عن عبد الملك بن مروان، أنه من جملة ما قال* بعد وصية إبنه الوليد ومن تمامه أن قال له: لا (ألفينك) (178) إذا مت كالأمة تعصر عينيك؛ و(تحن) (179) حنينها، ولكن شمّر، واتزر، وألبس جلد النمر، ودلني في حفرتي، وخلني وشأني، وعليك وشأنك، ثم ادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا. ثم أرسل إلى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن يزيد، فقال لهما: هل تدريان لم بعثت لكما؟ فقالا: نعم، لترينا عافية الله إياك. قال: لا، ولكن حضر من أمر الله ما تريان، فهل في أنفسكما شيء من بيعة الوليد؟ (قالا)(180) : لا، والله ما نرى يا أمير المؤمنين أحدا أحق بها منه بعدك. قال: [ذلك](181) أولى لكما، والله لو غير ذلك قلتما لضربت الذي فيه عيناكما. ثم رفع رأسه، فإذا السيف مشهور، ثم قال لمسلمة: إياكم واللجج فإنكم إن صلحتم صلحت الناس، وإن فسدتم كان الفساد أسرع لكم. الخ.

فالعهد بالخلافة من سنة الخلفاء الراشدين أهل الدين المتين، كما أن المعهود له بالخلافة إنما يكون من خيار الأمة وأفضلها في زمانه، وبه يستدل على أفضلية هذين الإمامين: المولى سليمان والمولى عبد الرحمان رحمهما الله.

فما قدمه لهذا الأمر واختاره دون غيره من أولاد صلبه، حتى أيقن بأفضليته وعدله وحلمه، كما فعل الأئمة من قبله رضي الله عنهم.

وفاة المولى سليمان

وبعد عهده بالخلافة لمن ذكر بتسعة أيام، توفي رحمه الله، وذلك في ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف (182)، ودفن بضريح جده المولى علي الشريف بباب آيلان من مراكش.

(177) د، ح، ك: الذي، والتصحيح من ز.
(178) د، ك: لفينك، والتصحيح من ز، ح .
(179) د، ح: نحن، والتصحيح من ز، ك.
(180) د، ك: قال، والتصحيح من ز، ح.
(181) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك: والتكملة من ز،ح.
(182) 13 ربيع الأول 1238 هـ / الخميس 28 نوفمبر 1822 م.
(*) * 97 أ.

[قصيدة لأبي عبد الله محمد بن إدريس الفاسي في رثاء المولى سليمان]

وقد رثاه جماعة من أدباء العصر تأسفا عليه، من ذلك قول الفقيه، الأديب، أبي عبد الله محمد بن إدريس الفاسي: [الكامل]:

نَبَأٌ عَرَا أَوْ هِيَ عُرَى (الإيمَانِ) [183] ... وَأَبَانَ حُسْنَ الصَّبْرِ عَنْ (إمْكَانِ) [184]

(شقت) [185] لِمَوْقِعِهِ القُلُوبُ وَزَلْزَلَتْ ... أَرْضَ النُّفُوسِ وَرَجَّ كُلَّ مَكَانِ

فَقْدُ الإمَامِ أَبِي الرَّبِيعِ المُرْتَضَى ... جَزِعَتْ لِعُظْمِ مُصَابِهِ الثَّقَلاَنِ

وَبَكَتْ عُيُونُ الدِّينِ (مَاءَ) [186] جُفُونِهَا ... وَجْداً عَلَيْهِ وَكُلُّ ذِي إيمَانِ

لَمَّا نَعَى النَّاعُونَ خَيْرَ خَلِيفَةٍ ... وَعَرَا الفُؤَادَ (طَوَارِقَ) [187] الأَحْزَانِ

مَزَّقَتْ ثَوْبَ تَجَلُّدِي مِنْ فَقْدِهِ ... وَنَثَرْتُ دُرَّ الدَّمْعِ مِنْ (أَجْفَانِ) [188]

* عَجَباً لِمَوْتٍ غَالَهُ إذْ لَمْ يَخَفْ ... فَتْكَ المُلُوكِ وَسَطْوَةَ السُّلْطَانِ

وَسَمَا لِمَنْصِبِهِ المُنِيفِ وَلَمْ (يَهَبْ) [189] ... غَضَبَ الجُنُودِ وَغَيْرَةَ الأَعْوَانِ

لَوْ كَانَ (يُنْفَعْ) [190] خَاضَ (فُرْسَانُ) [191] الوَغَى ... حِرْصاً عَلَيْهِ (مَوَاقِدَ النِّيرَانِ) [192]

وَحَمَوْهُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ إنَّمَا ... يَحْمُونَ رُوحَ العَدْلِ وَ (الإحْسَانِ) [193]

لَكِنْ قَضَاءُ اللهِ حَتْمٌ فَلاَ يُرَى ... لِلْمَرْءِ فِي دَفْعِ القَضَاءِ يَدَانِ

وَالمَوْتُ مَوْرِدُ كُلِّ حَيٍّ كَأْسُهُ ... وَسِوَى المُهَيْمِنِ فِي (الحَقِيقَةِ) [194] فَانِ

إنْ غَابَ عَنَّا شَخْصُهُ فَلَقَدْ ثَوَى ... فِينَا الثَّنَاءُ لَهُ بِكُلِّ لِسَانِ

وَمَنَاقِبٌ وَمَفَاخِرٌ وَمَآثِرٌ ... شَاعَتْ لَهُ فِي سَائِرِ الأَوْطَانِ

وَمَعَارِفٌ وَعَوَارِفٌ وَوَسَائِلٌ ... وَ (مَسَائِلُ) [195] قَدْ أَوْضَحَتْ وَ (مَعَانِ) [196]

وَبُدُورُ أَوْلاَدٍ وَآلٍ قَدْ قَفَوْا ... آثَارَهُ فِي العِلْمِ وَالعِرْفَانِ

تَخِذُوا الدِّيَانَةَ وَالصِّيَانَةَ شِرْعَةً ... وَتَقَلَّدُوا بِصَوَارِمِ الإيقَانِ

أَخْلاَقُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ وَأَكُفُّهُمْ ... كَالزَّهْرِ (وَالأَزْهَارُ) [197] وَالأَمْزَانِ

---

(183) في ديوان محمد بن إدريس: 636، الأركان.
(184) ز: إمكاني. وكذلك في ديوان محمد بن إدريس: 636 .
(185) في ديوان محمد بن إدريس: 636 ، شقيت.
(186) في ديوان محمد بن إدريس: 636 ، ملء
(187) في الجيش، ج 1: 131 ، طرائق.
(188) في ديوان محمد بن إدريس: 636 أجفاني، وكذلك في الاستقصا، ج 8: 166 ، وزاد بعد ذلك في ديوان محمد بن إدريس، 636 بيتا واحدا وهو: وَقَطَعْتُ يَسْطِي إذْ وَصَلْتُ صَبَابَتِي ** وَرَمَيْتُ طِيبَ النَّوْمِ بِالهِجْرَانِ
(189) في ديوان محمد بن إدريس: 636 ، يصيب.
(190) في ديوان محمد بن إدريس: 636 ، يمنع وكذلك في الجيش، ج 1: 231 .
(191) في ديوان محمد بن ادريس: 636 ، نيران.
(192) في ديوان محمد بن ادريس: 636 ، فوارس الشجعان.
(193) في ديوان محمد بن إدريس: 636: الإيمان.
(194) في ديوان محمد بن إدريس: 636 : الخليقة.
(195) ك: وسائل.
(196) في الاستقصا، ج 8 : معاني.
(197) في ديوان محمد بن إدريس 636: أوكا الزهر.
(*) * 97 ب.

إنْ حَـارَبُـوا أَبْـدَوْا شَـجَـاعَـةَ جَـدِّهِـمْ　　أَوْ خَـاطَـبُـوا (أَزْرَوْا)[198] عَـلَـى سَحْبَـان

مِـنْ كُـلِّ (مَـنْ جَـعَـلَ الـقُـرآن)[199] سَمِيرَه　　وَسَـمَـا بِـوَصْـفِ الـعِـلْـمِ وَالـتِّـبْـيَـان

كَـمْ آيَـةٍ ظَـهَـرَتْ لَـهُ وَكَـرَامَـةٍ　　دَامَـتْ (دَلاَئِـلُـهَـا)[200] مَـدى الأَزْمَـان[201]

قَـدْ كَـانَ أَوْحَـدَ دَهْـرِهِ وَ (لِـذَاتِـه)[202]　　فِـي الـعَـدْلِ والـتَّـمْـكِـينِ وَالإِحْـسَـان

قَـدْ كَـانَ عَـالِـمَ عَـصْـرِهِ وَفَـرِيـدَهُ　　فِـي (الـفَـهْـم)[203] وَالـتَّـحْـقِيقِ وَالإِتْقَان

قَـدْ كَـانَ فَـرْداً فِـي الـبَـلاَغَـةِ إِنْ جَـرَتْ　　أَقْـلاَمُـهُ بَـهَـرَتْ بِسِـحْـرِ بَـيَـان[204]

مَـنْ لِـلْـعُـلاَ مِـنْ بَـعْـدِهِ مَـنْ لِـلنُّـهَـى　　مَـنْ لِـلـتُّـقَـى وَتِـلاَوَةِ الـقُـرْآن

يَـا رَمْـسَـهُ مَـاذا حَـوَيْـتَ مِـنَ الـعُـلاَ　　وَ (طَـوَيْـتَ)[205] مِـنْ عِـلْـمٍ وَمِـنْ عِـرْفَـان

يَـا رَمْـسُ كَـمْ وَارَيْـتَ مِـنْ كَـرَمٍ وَمِـنْ　　جُـودٍ وَمِـنْ فَـضْـلٍ وَمِـنْ إِحْـسَـان

يَـا رَمْـسُ (كَـمْ)[206] حَـجَـبْـتَ عَـنَّـا شَمْسَهُ　　وَضِـيَـاؤُهَـا فِـي سَـائِـرِ الـبُـلْـدَان

وَوَسِـعْـتَ بَـحْـرُ عُـلُـومِـهِ وَسَـخَـائِـهِ　　فَـطَـمَـا (بِـضَـيِّـقِ بَـطْـنِـكَ)[207] الـبَـحْـرَان

* فَـلَـوِ اسْـتَـطَـعْـتُ جَـعَـلْـتُ قَـلْـبِي قَـبْـرَهُ　　(حَـيّـاً)[208] وَأَحْـشَـائِـي مِـنَ الأَكْـفَـان

وَلَـوْ أَنَّ (209) عُـمْـرِي فِـي يَـدِي لَـوَهَـبْـتُـهُ　　وَفَـدَيْـتُـهُ بِـالأَهْـلِ وَ (الإِخْـوَان)[210]

لَـكِـنْ يُـخَـفِّـفُ بَـعْـضَ أَثْـقَـالِ الأَسَـى　　عِـلْـمِـي بِـهِ فِـي جَـنَّـةِ الـرِّضْـوَان

(فَـسَـقَـى ثَـرَاهُ)[211] مِـنَ الـمَـوَاهِـبِ دِيـمَـةٌ　　وَهَـمَـتْ عَـلَـيْـهِ سَـحَـائِـبُ الـغُـفْـرَان[212]

وَرَدَ الـرَّسُـولُ بِـمَـوْتِ خَـيْـرِ (خَـلِـيـفَـةٍ)[213]　　وَوِلاَيَـةِ الـعَـهْـدِ الـرَّفِـيـعِ الـشَّـان

فَـجَـزِعْـتُ مِـنْ حُـزْنٍ لِـمَـا قَـدْ نَـابَـنِـي　　وَطَـرِبْـتُ مِـنْ فَـرَحٍ بِـمَـا (أَوْلاَن)[214]

---

(198) ك: أجْرَوا

(199) ك: مَا جَعَلَ القُرآنَ. في ديوان محمد بن إدريس: 636 : مَنْ تَخِذَ الكِتَابَ.

(200) في الديوان: 636: شَوَاهِدُهَا.

(201) وزاد في الديوان: 636 بعد ذلك بيتا واحدا وهو:

وإذا الفتى بث المحاسن وانثنى　　أحياهُ ما أسدى بِعُمرٍ ثان

(202) في الديوان : 636: زمانه، وكذلك في الجيش، ج 1: 231 .

(203) في الجيش، ج 1: 231: العلم.

(204) زاد بعد ذلك في الديوان: 637 بيتا واحدا وهو:

إني لأذكرُهُ فيرتاعُ الحشا　　وأهيمُ من وَجْدِي ومِنْ أحْزاني

(205) في الديوان: 637: جَمَعْتَ.

(206) في الديوان: 637: كيف. وكذلك في الجيش، ج 1:231 .

(207) في الجيش، ج 1: 231: ببطن بطنيك.

(208) في الديوان: 637: حبا. وكذلك في الجيش، ج : 1: 231 . والاستقصا ج 8: 167 .

(209) زاد في د: في. وحذفناها ليستقيم المعنى. ولعلهما من زيادة الناسخ.

(210) في الديوان: 637: الخلان.

(211) في الجيش، ج 1:232: فسقاه

(212) زاد بعد ذلك في الديوان: 637 بيتين وهما:

يَا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ عُظِّمَ أَجْرُكُمْ　　[illegible]

فَالدَّهْرُ أَظْهَرَ بَعْدَ جَوْرٍ عَدْلَهُ　　وَمَحَا الإِسَاءَةَ مِنْهُ بِالإِحْسَانِ

(213) د، ح: خليفة. والتصحيح من ز.ك. والمصادر السابقة.

(214) في الديوان: 637 : أولاني، وكذلك في الاستقصا ج 8 : 168 ، وزاد بعد ذلك في الديوان: 637 بيتا واحدا وهو:

لم تفقدوا بالموت إلا شخصَهُ　　أما الفضائلُ فهي عِنْدَ الثاني.

(*) * 98 أ.

مَا مَاتَ مَنْ تَرَكَ (الخَلِيفَةَ)[215] بَعْدَهُ   مِثْلَ المُؤَيَّدِ عَابِدِ الرَّحْمَانِ
مَلِكٌ تَسَرْبَلَ بِالتُّقَى حَتَّى ارْتَقَى   مِنْ نَهْجِهِ (الأَتْقَى)[216] عَلَى كِيوَانِ
يَا وَاحِداً فِي الفَضْلِ غَيْرَ مُشَارِكٍ   أَقْسَمْتُ مَا لَكَ في البَرِيَّةِ ثَانِ
لِلَّهِ بَيْعَتُكَ الَّتِي قَدْ أَشْبَهَتْ   فِيمَا (تَوَاتَرَ)[217] بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
قَدْ أَحْكَمَتْهَا يَدُ الشَّرِيعَةِ وَالتُّقَى   بِعُرَى النُّصُوصِ وَوَاضِحِ البُرْهَانِ[218]
(سُعِدَ)[219] الَّذِي أَضْحَى (بِهَا)[220] مُتَمَسِّكاً   وَهَوَى (العَنِيدُ)[221] بِهُوَّةِ الخُسْرَانِ[222]
وَجَرَى عَلَى التَّيْسِيرِ أَمْرُكَ فَاسْتَوَى   مُلْكُ الوَرَى لَكَ فِي أَقَلِّ زَمَانِ
وَأَتَتْ لِنُصْرَتِكَ المَغَارِبُ كُلُّهَا   فَبَعِيدُهَا لَكَ فِي الحَقِيقَةِ (دَانِ)[223]
عَقَدُوا عَلَى النُّصْحِ القُلُوبَ وَإِنَّمَا   عَقَدُوا بِنَصْرِكَ رَايَةَ الإِيمَانِ
لَوْ شِئْتَ مِنْ أَهْلِ المَشَارِقِ طَاعَةً   لَأَتَوكَ مِنْ يَمَنٍ وَمِنْ بَغْدَانِ
هَابَتْكَ أَصْنَافُ الطُّغَاةِ (بِزَعْمِهِمْ)[224]   لَمَّا وَثِقْتَ بِنُصْرَةِ الرَّحْمَانِ
وَبَسَطْتَ عَدْلَكَ فِي الوَرَى فَكَأَنَّمَا   قَدْ عَاشَ فِي أَيَّامِكَ العُمَرَانِ[225]
يَا أَهْلَ بَيْتِ المُصْطَفَى أَوْصَافُكُمْ   جَلَّتْ (عَنِ)[226] الإِحْصَاءِ وَالحُسْبَانِ
طَابَ المَدِيحُ مَعَ الرِّثَاءِ بِذِكْرِكُمْ   فَنَظَمْتُهُ كَقَلَائِدِ العِقْيَانِ[227]

---

(215) د، ك: الخلافة. والتصحيح من ز، ح. والمصادر السابقة.
(216) في الديوان: 637: الأرقى. وفي الجيش، ج 1: 232: الأنقى .
(217) د، ك: تولرت. والتصحيح من ز، ح. والمصادر السابقة.
(218) وزاد بعد ذلك في الديوان 637 بيتين وهما:

بُنِيَتْ عَلَى العَهْدِ الصَّحِيحِ وَأُسِّسَتْ   بِقَوَاعِدِ العُلَمَاءِ وَالأَعْيَانِ
وَسَرَتْ مَسَرَّتُهَا لِسِرٍّ أُودِعَتْ   فِي جُمْلَةِ الأَقْطَارِ وَالبُلْدَانِ

(219) في الديوان: 637: هُدِيَ.
(220) في الجيش، ج 1: 232 : به
(221) د: العهيد. والتصحيح من ز، ح. والمصادر السابقة.
(222) وزاد بعد ذلك في الديوان: 638 ثلاثة أبيات وهي:

وَأَرَتْنَا دَوْلَتُكَ السَّعِيدَةُ آيَةً   مِصْدَاقَ مَا قَدْ جَاءَ فِي الأَعْوَانِ
فَبَرَزْتَ بِالآرَاءِ مَا فَتَقَ العِدَا   وَالرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
وَنَصَرْتَ أَهْلَ الدِّينِ حِينَ رَفَعْتَهُمْ   وَهَزَمْتَ أَهْلَ الجَوْرِ وَالطُّغْيَانِ

(223) في الاستقصا، ج 8: 168: داني.
(224) في الديوان: 638: برغمهم. وكذلك في الجيش، ج 1: 232 .
(225) لعله يقصد بالعُمَرَان: عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.
(226) في الجيش، ج 1: 232: على.
(227) هذه القصيدة توجد في ديوان محمد بن إدريس العمراوي، تحقيق: التهامي شهيد، وهو رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة اللغة العربية، السنة: 1984-1985، جامعة محمد الخامس بالرباط، ص: 636-638. (مرقونة). وتوجد في الجيش، ج 1: 230-232، والاستقصا، ج 8: 166-168، ويلاحظ أن محقق الديوان المذكور لم يرجع إلى الحلل البهية والجيش العرمرم والاستقصا، لتوثيق هذه القصيدة.

[آثار المولى سليمان العمرانية]

ومن آثاره[228] الباقية، وبناءاته البادية، فبفاس المسجد الأعظم بالرصيف، الفائق رونقا وتأسيسا، وكان حفر أساسه المولى يزيد، واشتغل عنه، فافتتح عمله هو ببنائه، وتشييد منارته العديمة النظير، وكذلك مسجد الديوان، كان *صغيرا، فهدمه وزاد فيه أملاكا، وجعله مسجدا جامعا تقام فيه الجمعة، وكذلك مسجد الشرابليين، زاد فيه ووسعه، وجعله مسجدا جامعا كذلك، وكذلك بنى مسجد الشيخ أبي الحسن سيدي علي بن [أبي][229] غالب، وضريحه، والبيوت الحائطة به للمرضى، وكل ذلك إلا الحائط المقابل [لباب قبة الضريح الخارج عنها الموالي للفضاء فإنه من بناء المولى عبد الرحمان)[230]، وكذلك ضريح الشيخ أبي محمد عبد الوهاب التازي، وهدم مدرسة الوادي ومسجدها، لتلاشيهما وجددهما على شكل آخر، وجدد المدرسة العنانية، وأصلح مسجد القصبة البالية، وبيضه بالجص وزلجه، وكذلك باب الفتوح بناه على هيئة ضخمة، وباب بني مسافر، والباب الجديد، وجدد قنطرة الرصيف مرتين، وأصلح قنطرة وادي سبو، وأصلح طرقات فاس الجديد كلها [من داخل وخارج، ورصفها بالحجارة، وأصلح أبواب فاس الجديد كلها][231] مما تثلم منها، وقصور الملك المخربة بها، وزاد غيرها وأمر بتبييض مساجد الخطب وتبليط أرضها، وكذلك بنى مسجد صفرو وجدد أسواره، وبنى حماما به لأهله، وكذلك مسجد المنزل ببني يازغة، وكذلك مسجد وجدة وحمامها، وأصلح قلعتها ودار إمارتها، وكذلك مسجد وازان، ومسجد تطاوين، وأخرج أهل الذمة من جواره، وكذلك بنى الأبراج بطنجة، وجدد مسجد أصيلا وأسوارها، كما جدد قصور الملك بمكناسة، وأصلح القناطر التي بين فاس ومكناسة، وبنى قنطرة على وادي سيدي حرازم بخولان، وبنى مسجدالجزارين بسلا ووقف عليه أوقافا، وكذلك بنى المسجد الأعظم بالسويقة من رباط الفتح وبنى دار البحر لنزوله، وكذلك بنى قنطرة وادي حصار بتامسنا، وبنى مسجد أبي الجعد بتادلا، وكذلك [بنى][232] قنطرة وادي أم الربيع، وقنطرة تانسيفت بمراكش بعد سقوطها، وبنى المسجد الأعظم، الذي كان أسسه علي بن يوسف اللمتوني بمراكش، وشيد منارته التي هي الآن بعد المنارة التي كانت به. وأكمل مسجد الرحبة الذي كان أسسه والده رحمه الله، وجدد قصور والده بمراكش وأصلحها وصان القصبة وعمرها.

ثم ختم -رحمه الله- ديوانه بالحسنة العظيمة، والمنقبة الفخيمة، وهي عهده بالخلافة لإبن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام مع كثرة أولاده[233]. ولم يسمع بأحد من ملوك الإسلام عهد لغير أولاده إلا هذا الإمام وسليمان بن عبد الملك لابن عمه عمر *بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهما مقتديان في ذلك بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

---

(228) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 172:8 .
(229) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(230) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك .
(231) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(232) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك، والتكملة من ز، ح .
(233) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 8: 173 .
(*) * 98 ب.
(*) * 99 أ.

[المقصد الحادي عشر: السياسة المرنة وبداية مواجهة الأطماع الفرنسية]

[تولية المولى عبد الرحمان بن هشام وأهليته لها]

وإلى ولاية المولى عبد الرحمان بالعهد من المولى سليمان بعد موته، أشار الناظم رحمه الله بقوله:

وَلَمَّا أَجَابَ دَاعِيَ اللَّهِ وَانْقَضَى ... لَهُ الأَمَدُ المَعْلُومُ عِنْدَ المُرَاقِبِ
تَوَلَّى وَلِيُّ العَهْدِ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ ... فَأَعْطَتْ لَهُ العَلْيَا نَفِيسَ الرَّغَائِبِ

الإجابة: الإمتثال، تقول: أجاب إجابة وأجاب قوله: واستجاب له إذا دعاه لشيء فأعطاه. وداعي الله: هو المؤذن الداعي الناس إلى الصلاة. والمراد هنا ملك الموت إذ الدعاء: النداء بطلب الإقبال وهو حاصل في الخارج. والانقضاء: الفراغ من الشيء. والأمد: الغاية المعلوم عند المراقب: وهو الناظر المطلع على ذلك. وتولى العمل: تقلده. والولي: فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به. والعهد: الوصية، وعهدتُ إليه بالأمر قدمته، وفي التنزيل: **"ألم أعهد إليكم يا بني آدم"**[1]، والكرسي: بالضم معروف وربما قالوا كرسي بالكسر وملكه تقول: ملك الشيء تمليكا جعله ملكا له وما في ملكه شيء. والعطية معروفة. والعليا: بضم العين والقصر خلاف السفلى، والأصل فيها كل مكان مشرف، والمراد المفاخر العالية في الشرف. والنفيس: ما يتنافس الناس فيه لحسنه، من النفاسة، وهي الشرف وعلو القدر والرتبة أي الجيد القليل النظير، وهو نعت للرغائب، فهو من إضافة الصفة (للموصوف)[2]، يقال شيء نفيس أي جيد قليل النظير مغتبط مرغوب فيه، حتى يملك النفس. والمنافسة: المنازعة في الأنفسية (بأن)[3] يدعي أنه أنفس وأحق بما هو فيه، وأنه لا يستحقه سواه، وفسر بعضهم المنافسة باشتداد الرغبات في أمر يقتضي التحاسد فيه والغبطة، وقال في شرح آداب الكاتب[4]: مأخوذة من النفس فكان المنافس فيه لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه عنده[5]. وقال في القاموس: وشيء نفيس ومنفوس ومنفس كمخرج ما ينافس فيه و(قد)[6] نفس ككرم نفاسة وتنافسا. والنفيس المال الكثير[7]. انتهى. والرغائب: ما يراد ويرغب في اقتنائه لغرابة حسنه وشكله.

(1) سورة يس، الآية: 60 .
(2) ن ح: إلى الموصوف.
(3) د، ح: فإن. والتصحيح من ز، ك.
(4) اسمه: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب. والكتاب مطبوع متداول. ومؤلفه هو: عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي (444-521 هـ/ 1052-1127 م). أنظر ترجمته ومصادرها في المقصد الثالث : من الجزء الأول ص 171. الهامش: 150 .
(5) أنظر: ابن السيد، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: 54. بتصرف.
(6) ز،ح: هو.
(7) أنظر: القاموس المحيط، ج 2: 265 . باختلاف يسير في اللفظ.

والمعنى أنه لما أجاب المولى سليمان ملك الموت، وهو داعي الله عند انقضاء أجله، وتمام غايته عند الله، تولى بعده ولي عهده الموصى له بذلك * من بعده، وهو المولى عبد الرحمان بن هشام، واستغنى عن التصريح باسمه لشهرته وانفراده بولاية العهد في هذه الدولة، على كرسي ملكه، وما كان عليه من الأملاك، فأعطته المعالي والرتب أحسن ما يرغب فيه، وفي اقتنائه، فتملكها بعناية الله. وكان أهلا لها فكان كمعطى القوس باريها، وقد تقدم ما في العهد بالخلافة وأصل ذلك[8] .

ثم قال الناظم رحمه الله:

فَـأَوْدَعَـهَـا رَحْـلَ الخَزِيـنِ لِـعِـلْـمِـهِ ... مِنَ (الغَيْبِ) [9] مَا قَدْ كَانَ طَيَّ المَكَاتِبِ

فَكَـانَ وَكَـانَ الأَمْـنُ والـيُـمْـنُ والـهَـنَا ... وَنَـالَ الَّذِي يَـبْـغِـي بِـهَـا كُلُّ طَـالِـبِ

الوديعة: فعلية بمعنى مفعولة، وأودعتُ زيدا المال دفعته إليه، ليكون عنده على وجه الحفظ والأمانة، مشتقة من الدعة وهي الراحة. والرحل: مسكن الرجل وما يستصحبه من الآثاث. والخزين ما يخزن فيه الشيء أي ما يوضع فيه الشيء للإحراز. والغيب: كل ما غاب عنك. والعلم: اليقين بالشيء. وطي المكاتب : انثناؤها معلوم. والأمن والأمان بمعنى وهو السلامة من كل ما يخشى توقعه، والله تعالى (المؤمن)[10] لأنه أمّن عباده من أن يظلمهم. واليُمن: البركة والهناء، ضد الفتن.

والمعنى، أنه أودع تلك النفائس مكان احترازها، واجتهد في إعزازها لعلمه بما يغلب على ظنه ومقتضى فراسته، بما يكون في المستقبل، مما كان في سابق الأزل، من مصير هذا الأمر إليه، فكان (مصدق)[11] ذلك العلم منه رحمه الله، وكان الأمان، والبركة، والهناء في وقت ولايته، بعد تمهيد من (بغى)[12] عليه، وكل طالب نال حاجته، وبغيته، ومقصوده، وما يبغيه بولايته، ولا خصوصية لطالب العلم، فكل طالب مقصد نَالَهُ من عدله وحسن سيرته، ولاسيما العلماء وطلبة العلم، كما هي سيرة ملوك هذه الدولة الفخيمة. وكلامه صريح في أنه كان من أهل الكشف، والأولياء العارفين، والعلماء العاملين، وهو كذلك.

فمن مناقبه ما شاع، وذاع، وتواتر، عن قبيلة غياثة[13]. من أنهم أصابهم وقت حصاره عليهم، لعدم انقيادهم وعتوهم، القحط، والجوع من غير قلة، وأن نساءهم ليعجنون الدقيق الخالص بمجرد الفراغ من طحن بره، ويجدن الدود خرق قرص الخبز، واختلط به، فلا *يقدرون على أكله، لعدم انفكاك الدود عنه، وهو من الشائع المستفيض لديهم، حتى تصالحوا معه، وأذعنوا لطاعته، وأدّوا ما أوجبه عليهم، مما كان بذمتهم من الزكاة رحمه الله.

---

(8) أنظر: المقصد العاشر من الجزء الأول ص 38 .
(9) د، ز، ح: العلم. والتصحيح من ك.
(10) ز،ح: الموفق.
(11) ز: مصداق.
(12) ك : بقى .
(13) غياثة قبيلة بربرية بالأطلس المتوسط، تمتد إلى ضفاف، وادي إيناون، تحدها من الشرق قبيلة هوارة، والشمال مكناسة والتسول، والغرب حياينة، والجنوب بني وراين. أنظر: CH. de Foucauld: Reconnaissance au Maroc P: 33
(*) * 99 ب.
(*) * 100 أ.

وأشار بقوله: رحل إلى تاريخ (ولايته)[14] ، وذلك عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف[15]، وهو عام وفاة المولى سليمان، وذلك نقط الحروف المذكورة [دون الألف][16]، فحضر لبيعته أعيان فاس من العلماء والأشراف وغيرهم، وحضر أعيان الودايا وقوادهم، ثم ترادفت على حضرته بيعة أهل الديوان وسائر الجنود، وحل من الملك العزيز في فلك السعود، ولم يتوقف عن هذه البيعة الشرعية أحد من أهل المغرب، واستبشروا بولايته، وتفاءلوا بيمنه وسعادته، بتوالي الأمطار، ورخص الأسعار والعافية. آناء الليل وأطراف النهار، مع حصول البركة للرعية في الحرث والنسل.

وكان مولعا بعلم الحديث، منكبا على سرد صحيح البخاري، ملازما له، حريصا على مذاكرة العلماء، وطلب المواعظ منهم، معتن بصلتهم وتعظيم جانبهم، حافظا للثغور، محبا للجهاد وأهله، وقد بذل جهده في إقامة صُلب هذه الدولة بعد إشرافها على الاختلال، إلى أن ردها إلى شبابها، بعد أن حان منها الزوال والارتحال.

وكان في غاية من كمال العقل، والديانة، والحزم، والضبط، و(وضعه)[17] الأشياء مواضعها، مع الحلم، والتوقف في سفك الدماء التوقف التام، إلى أن تحكم نصوص الشريعة النبوية بإراقته، لإقامة الحد.

وكان داهية لا يطاق، وطودا لا تزعزعه عواصف الرياح، قطع مادة الفساد والبغي من رؤساء الطغاة من قبيلة الودايا وأهل فاس، ومنه لم تقم لهم قائمة، ولم تجتمع لهم كلمة إلى الآن.

[إعانة المولى عبد الرحمان للحاج عبد القادر]

ومن محبته في الجهاد وأهله، إعانته للسيد (الحاج)[18] عبد القادر، زمن (إقامته)[19] على الفرانسيس بوطن الجزائر، بما يحتاج المجاهدون إليه من آلة الحرب، حتى أنه كتب إليه في بعض مكاتبه، لما أخبره بهزيمة العدو مرة ونيل المسلمين منه، بقوله: ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً. وسأله مرة أن يوجه له قميصه المباشر، ليتبرك بعرقه السائل منه وقت القتال، وذلك غاية المحبة، إلى أن سعى فيما بينهما الوشاة، فعقب تلك الألفة والمحبة (الشتات)[20]، وكان (ما) [21] * كان من العداوة والافتراق، وأباد الله قبيلة الأحلاف، إذ هم الساعون في العداوة بما لديهم من النفاق، فبسبب ذلك ذلوا بعد العز، وقلوا بعد الكثرة في كل مركز، واستأصلتهم (بالقتل)[22] قبيلة هوارة، واجتنبوا ثمار ما غرسوه من تلك التجارة.

(14) د، ح: ولا يتهم، والتصحيح من ز،ك.
(15) عام 1238 هـ / 1822 م.
(16) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(17) ز،ح: وضع.
(18) كتب في د حرف الجيم هكذا: ج. وهو اختصار لما أثبتناه في المتن .
(19) ك: قيامه .
(20) د، ز، ح: بالشتات، والتصحيح من ك.
(21) تكرار في د.
(22) ز: بالقتال.
(*) 100 ب.

[استيلاء الفرنسيين على الجزائر وأسبابه]

وكان سبب قيام السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين المذكور، أخذ الفرانسيس ثغر الجزائر من يد الترك، واستيلائهم على أراضي المسلمين، مما كان تحت ولاية الترك. وكان خروجه إليها عام خمسة وأربعين ومائتين وألف[23]، كما أشار اليه العلامة السيد أمسلم العامري ثم الوهراني، رامزا بقوله دام من قوله: [الرجز]

فِي نقطِ دَامَ أعْوَام قَدْ خَرَجَا ... وَعِنْدَمَا تَمَّ كَالنَّحْلِ خَرَجَا

كما أشار أيضا، إلى تاريخ نزوله عليها، وعدد سفنه. وجيشه المشحونة به. بقوله: [الرجز].

حطَّ فِي (كَب)[24] مِنْ شَهْرِ العِيدِ الكَبِير ... أَرْسَى بِمَرْسَى الوَلِيِّ القُطْبِ الشَّهِيرِ[25]

فِي عَسْكَرٍ عَدَدُهُ مِنَ الأُلُوفِ ... قَالُوا ثَمَانُون بِتَرْتِيبِ الصُّفُوفِ

فِي يج مِنْ مُحَرَّمٍ بِهَا ظَفَرْ ... بَعْدَ قِتَالٍ ذَرِيعٍ نَالَ الوَطَرْ

فَأَرْكَبَ الأَتْرَاكَ فِي (أَصْطُولِهِ)[26] ... جَمِيعُهُمْ وَالبَاشَا فِي إِكْلِيلِهِ

أَسْلَبَهُمْ مِنْ مُلْكِهِمْ وَذَلَّهُمْ ... بَعْدَ العِصْيَانِ والطُّغْيَانِ فَلَهُمْ

أَمْوَالَهُمْ أَخَذَهَا وَالأَسْلِحَةْ ... قَصَّ لَهُمْ قَهْراً رِيَاشَ الأَجْنِحَةْ

أَدَّبَهُمْ رَبُّهُمْ لَمَّا (طَغَوْا)[27] ... عَرَّفَهُمْ بِقَدْرِهِمْ لَمَّا بَغَوْا

(بِنقَطِ)[28] زض مِنَ الأَفْلاَكِ نَوْعاً ... مُخْتَلِفاً فِي الشَّكْلِ مَا قَدْ صَنَعَا

فِيهِ السَّفِينَةُ وَقَارِبٌ فَرْقَطَا ... فِيهِ سَنَابِكٌ فَرِيكٌ غَلَطَا

فعدد السفن كما ذكر سبع وتسعون منوعة بأسمائها المذكورة، ودخوله إليها كان في ضحى ثالث عشر محرم الحرام فاتح عام ستة وأربعين [29]، ونزوله عليها كان في إثنين وعشرين من ذي الحجة [30] قبله، فيكون مدة حصاره عليها عشرين يوما.

وكان ذلك بسبب ظلم الترك، الذين كانوا بها، وتعديهم على مراكب الفرنسويين بالبحر، وكثرة إذايتهم *لهم، وأمير الجزائر يومئذ حسين باشا[31]، وقد سولت له نفسه

(23) عام 1245 هـ/ 1829 م.

(24) ز: عب. ح: غب. وكلاهما خاطئتين.

(25) يقصد: سيدي فرج. وهذا المرسى يبعد عن مدينة الجزائر بنحو ثلاثين ميلا.

(26) د، ك: اصطله.

(27) ك: طغوا.

(28) د: بنقض. والتصحيح من ز، ح، ك.

(29) أي 13 محرم فاتح 1246 هـ/ الأحد 4 يوليوز 1830 م.

(30) أي 22 ذي الحجة من عام 1245 هـ/ 14 يونيو 1830 .

(31) بعد التدخل الفرنسي في الجزائر، اتفق حسين باشا مع السلطات الفرنسية التخلي عن الحكم وتسليم المناطق المحيطة بمدينة الجزائر للفرنسيين. وبعد هذا التنازل توجه إلى مصر. ولم يلبث أن توفي بها سنة 1254 هـ/ 1883 أنظر: المغرب عبر التاريخ. ج 3: 187-188 .

(*) 101 أ.

الاستقلال، وربما شكا ملك الفرنسويين [32] إلى السلطان محمود العثماني [33] بتعديه، فأذن له في حربه، فكان من أمره ما كان، وذلك بعد أن ملكها الأتراك من عام خمسة وعشرين وتسعمائة [34] إلى هذا التاريخ، فبقوا بها ثلاثمائة سنة وعشرين سنة، وإلى هذا أشار صاحب الرجز المتقدم بقوله: [الرجز].

فِـي عَـامِ كَـهْ مِـنَ الـقَـرْنِ الـعَـاشِرِ ... كَـانَ ابْـتِـدَاءُ المُلْـكِ لِـلْـجَـزَائِـرِ
فَـامْـتَـدَّ مُـلْـكُـهُـمَ بِـهَـا كَـافْ وَسِـينْ ... حَـتَّـى إذَا كَـمَـلَ الـوَعْـدُجَـا أنِـينْ

وكانت الجزائر قذى في أعين العِدا، فكم أغرقت من مراكب لا يجود بها زمان ولا تفدى، وكم حاول أخذها الإصبنيوليون، وأجهدوا في الهجوم عليها بغاية قوتهم، ولم تكترث بهم ولا بغيرهم من دول المسيحيين، إلى أن أورثها الله لدولة فرانسا، بسبب ظلمهم، ودعوة الشيخ المربى سيدي العربي الدرقاوي عليهم، ومن ذلك، أنه كان قد شاع في الألسنة، وسار خبر أخذها في البلدان، عند هجوم أحد الدول عليها، ولعله دولة إنكلترا [35] فيما سبق، وقت استقامتها واتباع الحق والعدل بها، فأنشأ في ذلك تأسفا عليها بعض علماء تطاوين ما صورته: [الوافر]

أحَـقّـاً مَـا أُشِـيـعَ عَـنِ الجَزَائِـرِ ... مِـنْ إرْهَـابِ الـبَـوَاطِـنِ والـظَّـوَاهِـرِ
لَـئِـنْ نَـزَلَ الـهَـوَانُ بِـهَـا وَذَلَّـتْ ... فَـقَـدْ شَـمِـلَ الـبَـوَادِي وَالحَوَاضِـرِ
وَكَـيْـفَ يَـلَـذُّ فِـي بَـلَـدٍ مَـقَـامُ ... إذَا هَـانَ الـهَـوَانُ عَـلَـى الأكَـابِـرِ
أيَـأبَـى الـبَـائِـعُـونَ نُـفُـوسَ عِـزٍّ ... بِـأَفْـضَـلِ مَـا يُـرَامُ (مِـنَ) [36] الذَّخَائِرِ
وَأَيْـنَ صَـوَاعِـقٌ جُـعِـلَـتْ رُجُـومـاً ... فَـأحـرقت الـكُـفُـورُ خِـلَالَ زَاجِـرِ
فَـكَـمْ لَـمَـعَـتْ بَـوَارِقُـهَـا بِـرَعْـدٍ ... بِـهِ صـعـق المنـاضـل والمُنـاظـر
لَـئِـنْ ثَـبَـتَ المَقَـالُ كَـمَـا سَـمِـعْـنَـا ... فَـقَـدْ طَـابَ الـرَّحِـيـلُ إلى المَقَـابِـرِ

فأجابه العلامة الأديب، الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري بقوله: [الوافر].

هِـيَ الأقْـلَامُ تَـنْـطِـقُـهَـا المَحَـابِـرُ ... لِـتُـسْـمِـعَـكَ الـيَـقِـينَ عَـنِ الجَزَائِـرِ
* أتَـاهَـا مَـا أرَادَ الـلَّـهُ حِـيـنـاً ... فَكَادَتْ (تَنْشَقُّ) [37] مِـنْـهُ (الحَرَائِرُ) [38]

(32) يقصد: شارل العاشر (1171-1252 هـ/ 1757-1836 م): ملك فرنسا، عرف باسم كونت دارتوا قبل أن يخلف أخاه لويس 18 سنة 1824/1240م، تزعم جماعة الملكيين المتطرفين قبل اعتلائه العرش، وبعد سنوات من الحكم تنازل عن العرش ومات منفيا.

(33) يقصد: محمود العثماني الثاني (1223-1255 هـ/ 1808-1839) سلطان الأمبراطورية العثمانية التركية.

(34) عام 925 هـ/1519 م.

(35) في سنة 1240 هـ/1824 م، هاجم الأسطول الإنجليزي الجزائر وحاصرها، لكنه لم يستطع اختراق الدفاع الجزائري ولم ينل منه أي منال، فعاد إلى مراكزه.

(36) د، ك: إلى، والتصحيح من ن، ح .

(37) د: تنسق، والتصحيح من ن، ح، ك.

(38) ز، طرة ح: المرائر، وفي متن ح: الجرائد.

(*) • 101 ب.

إِلَى أَنْ جَاءَهَا وَالأَمْرُ أَمْرٌ مَلِيكٌ لا يُجَارَى فِي المَآثِرِ
فَبَدَّلَ صِينَهَا ذَهَباً (نظاراً)[39] وَأَصْلَحَ ذَلِكَ الإِكْسِيرَ جَابِرُ
وَأَلْبَسَهَا ثِيَابَ العِزِّ فَخْراً فَأَصْبَحَ وَجْهُهَا كَالبَدْرِ زَاهِرُ
وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَالاً وَجَهَّزَ جَيْشَهُ لِلُقَا الكَوَافِرِ
فَجَادَلْنَا وَجَادَلَهُمْ بِمَالٍ وَطَعْنٍ فِي الصُّدُورِ وَفِي الحَنَاجِرِ
وَبَاءُوا مِثْلَ مَا جَاءُوا خَزَايَا وَأَعْطَوْا مَا أَكَنُّوا فِي الضَّمَائِرِ
وَرَدَّ اللهُ بَأْسَهُمْ عَلَيْهِمْ وَدَارَتْ فِي هَلاَكِهِمْ الدَّوَائِرِ
أَشَاعُوا مَا سَمِعْتَ مِنَ البَلاَيَا ليرهب مُومِنٌ وَيَسُرَّ كَافِرُ
فَإِنْ نَزَلَ الهَوَانُ بِهَا قَلِيلاً فَكَمْ سَلَّتْ لِرِفْعَتِهَا بَوَاتِرُ
وَكَمْ بَذَلَ الكِرَامُ بِهَا نُفُوساً لِيَبْتَاعُوا مِنَ اللهِ الذَّخَائِرَ
وَكَمْ رَمَتْ الحُصُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ صَوَاعِقَ لاَ تُعَدُّ خِلاَلَ زَاجِرِ
فَقُلْ لِلْعَالِمِ النِّحْرِيرِ نَفْسِي فِدَاوُكَ لاَ تَخَفْ فَاللهُ نَاصِرُ
وَلاَ تَحْزَنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَنَا إِذَا التَقَتِ العَسَاكِرُ بِالعَسَاكِرِ

وكان أخذ الترك لها من يد الإصبنيول في التاريخ المذكور[40]، لما تغلب على سواحل المغرب، فكتب بعض العلماء إلى السلطان سليم العثماني[41] يعرفه بذلك، فبعث جنداً من الترك لنظر خير الدين حسن باشا[42] فاستوطنوا[43] الجزائر، وجعلوها دار ملكهم وكرسي عمالة المغرب، وحاربوا الإصبنيول في برج المرسى، حتى فتحوه سنة ثمان وأربعين من المائة العاشرة[44]، [و][45] في سيرة الشيخ أبي دينار[46] أن السلطان محمد بن الحسن الحفصي[47]، ملك إفريقية، هو الذي ملك الجزائر للأتراك، والأول أصح والله أعلم، كما أن بلكين بن زيري الصنهاجي، هو الذي مدنها، ووسع خطتها، وجعل عليها السور بعد أن كانت كمراكش، على عادة بناء البربر من أخصاص ونحوها، وبها سوق يأتونه متيجة والثعالبة وغيرهم، وذلك لما ملك بلكين المذكور إفريقية سنة ستين وثلاثمائة[48]* وما

---

(39) ك: نضارا.
(40) يقصد: 925 هـ / 1519 م.
(41) يقصد سليم الأول - سلطان الدولة العثمانية، من سنة 917-927 هـ/ 1511-1520 م. يعتبر من أبرز السلاطين كفاءة في المجال السياسي والحربي، فعلى عهده تم الإستيلاء على دول شمال افريقيا، وعلى الشام ومصر وبلاد العرب بالجزيرة العربية بعد أن انتزعها من أيدي المماليك .أنظر: تاريخ الأتراك العثمانيين، ج 2: 34-36-142 . اللسان المعرب: 90-92 .
(42) يقصد: خير الدين، العثماني الأصل، كان من رجال البحرية التركية واستطاع بشجاعته ودهائه أن يحرر مدن جزائرية كانت محتلة من طرف الإسبان، مثل: مدينة بجاية، جيجل، شرشال، متيجة، الجزائر، المدية، مليانة، تنس، وتلمسان.
(43) من هنا يبدأ النقل من الخبر المعرب: ورقة 93 ب، بنفس اللفظ.
(44) سنة 948 هـ / 1541 م.
(45) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(46) يقصد كتاب: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، لمؤلفه ابن أبي دينار القيرواني. أنظر تعريفنا بالكتاب ومؤلفه في المقصد الخامس: من الجزء الأول ص: 269، الهامش : 90-91 .
(47) هو: محمد بن الحسن بن محمد المسعود الحفصي، أبو عبد الله المتوفى سنة 932 هـ / 1526 . من ملوك الدولة الحفصية بتونس. في عهده تم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، كما تم استيلاء الإسبان على العديد من المراكز الإستراتيجية بالجزائر .أنظر: الحلل السندسية، ج 1 : (القسم الرابع): 1090-1092 . اللسان المعرب: 94-95 . الأعلام،للزركلي، ج 6: 89
(48) سنة 360 هـ / 970 م.
(*) * 102 أ.

قاله الجامعي[49] في شرحه لنظم الحلفاوي[50] من أنها لم تكن مدينة على عهد العرب والبربر وإنما مدنها الأتراك منذ استوطنوها، غير صحيح، لنص ابن خلدون: واختط زيري مدينة أشير بسفح جبل تطري بأمر إسماعيل (المنصور)[51] العبيدي، ثم اختط ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر، المنسوبة لبني مزغنة، ومليانة، و(المدية)[52]، وهذه المدن الثلاث، لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط[53]. انتهى.

ولم يكن في المغرب مدينة تضاهيها في التمدن والحضارة، بل منها أخذ التمدن.

هذا، والمولى عبد الرحمان بهذا التاريخ[54] بمراكش مشغولا بتمهيد الملك.

[اتفاق أهل الجزائر على بيعة المولى عبد الرحمان]

ولما عاين أهل وطن الجزائر ذهاب الترك، وخراب ملكهم، ونزل بهم ما لاطاقة لهم به، اجتمع بعض الأعيان من أهل الحل والعقد، والعلماء، والأشراف، لينظروا في أمرهم، فاتفق رأيهم على الدخول في طاعة المولى عبد الرحمان ومبايعته، فكتبوا بذلك إليه، وعينوا جماعة منهم للوفادة على السلطان، تأكيدا للطلب، واستعجالا لحصول هذا الأرب، فقدموا على السلطان بمكناسة الزيتون، فأكرم وفادتهم وأجل مقدمهم، ولما صرحوا له بمرادهم، زيادة على كتابهم، توقف في ذلك وهو إلى قبول طلبهم أميل، إلا أنه أراد موافقة الشريعة النبوية، فاستفتى في ذلك علماء فاس، واستشار فيه قاضي الجماعة بها صهره وابن عمه المولى عبد الهادي، وكان سديد الرأي، وحبراً من أحبار الإسلام، فكفه عن إجابتهم بقوله: إنهم في القديم يخطبون بإسم العثماني فمالهم لا يذهبون إليه وهم مطوقون ببيعته؟ وكذلك البعض من علماء فاس، والبعض رخص في ذلك ومال لمطلوبهم. فأخذ السلطان -رحمه الله- بقول من رخص، ومال إليه.

ولما بلغ أهل تلمسان ومن وافقهم على ما ذكر، ما قاله المولى عبد الهادي ومن نهج نهجه، عقدوا مجلسا علميا، وأفتوا بنصوص صريحة في أن العثماني حيل بينهم وبينه بإيالات وبحور، يتعذر بها الوصول إليه الأيام والشهور، ويتعين على السلطان إجابتهم لقربه منهم واتصاله بهم برا وبحراً، فحينئذ أجابهم لما طلبوه من غير توقف.

---

(49) هو . عبد الرحمان بن عبد الله الفاسي، أبو زيد، الجامعي المتوفى سنة 1141 هـ/ 1728م. أديب من فاس رحل إلى الجزائر ثم إلى تونس. من مؤلفاته: شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح وهران، والكتاب مازال مخطوطا توجد نسخة منه في المكتبة العبدلية بتونس تحت رقم 4454. أنظر: المصادر العربية، ج 162:1 .

(50) هو: محمد بن أحمد التلمساني، الحلفاوي، كان معاصرا لعبد الرحمان بن عبد الله الجامعي، السابق الذكر.

(51) دو ح، ك: المنصوري. والتصحيح من ز.

(52) ز،ح: المهدية. وفي العبر، ج 154:6: لمدونة. وفي الخبر المعرب: ورقة : 99 ز: لمدية.

(53) أنظر: ابن خلدون، العبر، ج 6 : 154 بتصرف. وإلى هنا ينتهي النقل من الخبر المعرب. ورقة 99 بنفس اللفظ، لكن مع الإخلال بتسلسل المعلومات كما وردت بالأصل .

(54) أي سنة 1246 هـ / 1830 م.

ونص ما كتبوه في الرد على من أفتى بعدم قبول طلبهم بعد الحمدلة* والتصلية:
ليعلم سيدنا قطب المجد ومركزه، ومحل الفخر ومحرزه، أساس الشرف الباذخ ومنبعه، وبساط الفضل الشامخ ومجمعه، السلطان الأعظم، الأمجد الأفخم، نجل الملوك العظام، سيدنا ومولانا عبد الرحمان بن هشام، أبقى الله سيدنا للمسلمين ذخراً، ومنحه مودة وأجراً، إن فتوى ساداتنا علماء فاس. مبنية على غير أساس، لأنهم اعتقدوا أن في عنقنا للإمام العثماني بيعة، وهذا لَوْ صَحَّ لكان علينا حجة، وليس الأمر كذلك، وإنما له مجرد الإسم هنالك، وعامل الجزائر إنما كان متغلبا، وبالدين متلاعبا، فأهلكه الله بظلمه، وتطاوله على عباد الله وجوره وفسقه، إن الله يمهل على الظالم حتى يأخذه، فإذا أخذه لم يفلته، ويدل على تغلبه واستقلاله، عدم وقوفه عند أمر العثماني وامتثاله، بل لا يكترث به أصلا، ولا يتبع له قولا ولا فعلا، كيف وقد أمره أن يعقد مع النصارى صلحاً، فلم يقبل له قولا ولا نصحا، وطلب منه بعض الأموال، ليستعين بها على ما حل به مع النصارى من الأهوال، فامتنع غاية الإمتناع، ولم يمكنه من شبر منها فضلا عن الباع، حتى أخذها العدو الكافر، وهذا جزاء كل فاسق فاجر، مالٌ جُمِعَ من حرام، سلّط الله عليه الأعداء اللئام، وهذا كله من هذا المتغلب متواتر مشاهد بالعيان، مستغن عن إقامة الدليل والبرهان، الناس كلهم عَبيد الله وإماؤه والسلطان واحد منهم ملكه الله أمرهم ابتلاء وامتحانا، فإن قام فيهم بالعدل والرحمة [والإنصاف][55] والصلاح مثل سيدنا -نصره الله- فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عبيده وله الدرجة عند الله تعالى، وإن قام فيهم بالجور والعسف والطغيان والفساد مثل هذا المتغلب فهو متجاسر على الله في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق ومتعرض لعقوبة الله الشديدة وسخطه، هذا وعلى فرض تسليم أن للعثماني في عنقنا بيعة، فلا تكون علينا حجة، لأنه تباعد علينا قطره فلم يغن عنا شيئا ملكه، لما بيننا وبينه من المفاوز والقفار والبحار، والقرى والمدن والأمصار، وربما قرب محله من جهة البحر لكن منعه الآن من ركوبه الكفار، على أنه ثبت *بتواتر الأخبار البالغة حد الكثرة والإنتشار، أنه مشتغل لنفسه ومقرّه، عاجز عن الدفع عن إيالته القريبة من محله، حتى أنه هادن النصارى خمس سنين، على عدد كثير من المئين، وأعطى فيه منهم ضامنا، يكون في المدة المذكورة على نفسه وحشمه أمنا، فكيف يمكنه مع هذا الدفاع عن قطرنا، وناحيتنا وبلدنا، وأدل دليل على بعده عن هذا المرام، خبر مصر ونواحي الشام، فقد استولى عليها أعداء الدين مدة تزيد عن الخمس سنين فلم يجد لهم نفعا، ولا ملك عنهم دفعا، حتى استعان بالعدو الكافر، والله تعالى قد يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، هذا ونص الأبي في شرح مسلم، مفصح عن مثل قضيتنا ومعلم، على أن

---

(55) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(*) 102 ب.
(*) 103 أ.

الإمام إذا لم ينفذ في ناحية أمره، جاز (إقامة)[56] غيره فيها ونصره فانتظار نصرته يؤدي إلى الهلاك، كيف وقد تطاولت إليه الأعناق، وتشوفت إليه من كل جانب العيون والأحداق، فأعرضنا عن الكل صفحا، وطوينا عنه الجوانب كشحا، مقبلين إلى عتبة سيدنا نصره الله وسدته، داخلين تحت طاعته، ملتزمين لخدمته، متوافقين مع القبائل والأمصار، وأهل الرأي والاستبصار، لعلمنا أن سيدنا نصره الله المتأهل في هذا الأمر العريق، الجدير بالإمامة الحقيق،كيف وقد ورثها كابراً عن كابر، وإليهم انتهت المآثر والمفاخر، فنطلب من سيدنا نصره الله أن يتلزم لنا بفضله من هذه البيعة القبول، مستشفعين بجاه جده الرسول صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المنتخبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[57] انتهى.

ويوقوفه (على هذا)[58] أجابهم لما طلبوه، ووجه معهم ابن عمه المولى علي بن سليمان [المتقدم][59] خليفة، وجهز معه جيوشا عديدة من الودايا والعبيد فنزل بهم في ساحة تلمسان وفرق القواد والحكام أمامه، وعين لكل مدينة من الإيالة الجزائرية حاكما يحكم على أهلها وما يليها من قبائل الأعراب، إلى أن أتى على آخر الرعية، بعد أن اجتمعوا على بيعة المولى عبد الرحمان، وبايعوه بيعة شرعية بشروطها الصحيحة لما عاينوا شرفاء غريس (المعروفين)[60] بالمرابطين وعلماءها قد بسطوا يد الطاعة، وأعلنوا بالبيعة، فلم يتخلف أحد عن* منهجهم ولا وسعه الاقتداء بغيرهم، ونصّ ما سطره الشاهد أن على القبائل المبايعين وقته: الحمد لله الذي أثار بالخلافة وجه الزمان، وأطلع في صحيفة غرته طوالع السعد واليمن والأمان، وهدى من ارتضاه من الأنام، للدخول تحت ظل راية مولانا الإمام، والصلاة والسلام على سيدنا [محمد][61] المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين [وبعد][62]، فلما وفد على حضرة مولانا الخليفة أبي الحسن، مولانا علي بن أمير المؤمنين مولانا سليمان، أعلا الله ثراه في عليين جميع القبائل المسطرة يمنته وقرأ عليهم كتاب مولانا المنصور، ذي اللواء المنشور، والسيف المشهور، أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان ابن مولانا هشام أدام الله رعيه، وجعل فيما يرضيه سعيه،بمحضر (خليفته)[63] الأرشد، الماجد الأسعد، القائد السعيد إدريس الجراري وتلقوه بالإجلال والتعظيم، والتبجيل والتكريم، أشهدوا على أنفسهم أنهم عقدوا البيعة لمولانا الإمام أيده الله وأدام عزه وعلاه، والتزموها

---

(56) ك: لقامته .
(57) نص هذه الرسالة يوجد في الاستقصا، ج9: 27-29 بنفس اللفظ.
(58) تكرار في د.
(59) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك. ذكره في المقصد العاشر: من الجزء الثاني ص 57 .
(60) د، ح، ك: المعرفون. والتصحيح من ز.
(61) ما بين المعقوفتين بياض في ك.
(62) مابين المعقوفتين بياض في ك.
(63) ك: خليفة الطالب.
(*) * 103 ب.

بالسمع والطاعة وفي جيدهم انتظموها، بيعة تامة مستوفية (الشروط)[64]، ووافية العهود وثيقة الربوط، قبلها الكل وارتضاها، وأوجب العمل بمقتضاها، فمن سمع ما ذكر ممن ذكر قيّده في مهل جمادى الثانية عام ستة وأربعين ومائتين وألف[65] انتهى.

وبعده، طلبته الرعية في المقام بحوز تلمسان والسكنى بمدينة المعسكر إذ هي دار ملك الأتراك، وكان القائد عليها من قبله حينئذ ابن العامري الحسناوي، فاقتصر على المقام ثمة، ومدّ الجيش يده بالنهب والعدوان في القبائل والفراغل من أهل تلمسان، فكثرت به الشكايات وارتفعت به الدعاوي للمولى الخليفة، فسجن كل ما ثبت عليه ذلك، ومع ذلك لم يكفوا عن الفساد ولم ينزجروا، (فألجأه)[66] أمرهم إلى الخروج من تلمسان، والرجوع إلى وجدة، ومنها إلى فاس، دون إذن من المولى عبد الرحمان، فانتقد عليه السلطان ذلك الرجوع دون إذنه، فتبرأ الخليفة من الجيش وقال: إن الجيش أكثر في الأرض الفساد، ومدت الرعية يدها فيه بالقتل وخفت منك أن تلومني رجعت إليك بجيشك لتحكم فيه بما أراك الله، فأمر السلطان بالقبض على أعيان القواد، فتمالؤا على البغي وأطلقوا *المقبوض عليهم.

[خروج الودايا على السلطان واندحارهم]

وكان ذلك سبب خروج الودايا على المولى عبد الرحمان ووقع بينهما حروب آل الأمر فيها إلى أن استولى عليهم، وفرق جموعهم، وأخلى ربوعهم، وأخرجهم من فاس الجديد، وقطع رؤوس صناديدهم، ولا زالوا متفرقين في البلاد إلى الآن، وانكسرت شوكتهم، وأحكمت في الأجساد علتهم، وكذلك من وافقهم من أعيان عدوة الأندلس من فاس على البغي والشقاق كما سبق[67].

[بيعة أهل الجزائر لعبد القادر بن محي الدين] وبعض أخباره

وبعد رجوع المولى علي -كما سبق- اجتمع علماء الوطن ورؤساؤه على بيعة الشريف [البركة][68] سيدي محي الدين الإدريسي المختاري، الجامع بين الحقيقة والشريعة، وكان آية من آيات الله الباهرة، ومثلا من الأمثال السائرة، في اتباع السنة والمجاهدة، والتشمير عن

---

(64) كـ: للشروط.
(65) مهل جمادى الثانية 1246 هـ / أواسط نوفمبر 1830 م. ونص هذه البيعة يوجد في الاستقصا، ج 9:31 بنفس اللفظ
(66) كـ: فألجأهم.
(67) أنظر: هذا المقصد(الحادي عشر) : من الجزء الثاني ص 68 .
(68) ما بين المعقوفتين ساقطة من كـ:
(*) * 104 أ.

ساعد الجد في باب العبادة، أحد أئمة العلم والعمل من غريس الراشدية، فاعتذر بكبر سنه، وأن الأمر خطير لا يتولاه إلا من يقوى عليه، فطلبوا منه ولده السيد الحاج عبد القادر، فاقتضى نظره بعد تكرر الطلب منهم أن يقدمه ارتكابا لأخف الضررين لعلمه أنه لا يقدر أحد أن يقوم بهذا الأمر سواه، فقدّمه وهو ابن أربع وعشرين سنة، فتحمل أعباء الخلافة والأنوف تعطس بالكبر، والأعناق تتطاول بالفخر، والصدور مطوية على الجمر، والأرض تميد بالفتنة التي تموج كموج البحر، فبايعه الجمهور وأعطاه طاعته، وصارت وجوه الأكابر إليه مصروفة، فانحاشت إليه القبائل من جميع الأقطار، ومدحته بالقصائد علماء الأمصار، فمن ذلك قول مفتي الإسلام بتونس، وشيخ الجماعة بها سيدي إبراهيم الرياحي فيه: [الكامل].

العِلْمُ لِلْإِنْسَانِ زِينَتُهُ العَمَلُ	وَلَقَدْ لَبِسْتَهُمَا مَعاً أَبْهَى حُلَلِ
فَلِسَانُ صِدْقٍ فِي الوَرَى [بِكَ][69] لَاهِجٌ	وَقُلُوبُ أَهْلِ الشِّرْكِ أَضْحَتْ فِي وَجَلِ[70]

وهي طويلة. [و][71] قال العلامة ابن مزيان أحد علماء تلمسان: [البسيط].

بُشْرَاكَ فَاشْرَبْ كُؤُوسَ المَجْدِ فِي شَرَفٍ	فِي حَضْرَةٍ حَفَّهَا قُطْبٌ وَأَبْدَالُ
أَنْتَ الإِمَامُ ابْنُ الإِمَامِ ابْنِ الَّذِي	لَوْلَاهُ مَا أُرْسِلَتْ لِلنَّاسِ أَرْسَالُ

ومنها :

هُوَ الَّذِي أَدَّبَ الأَبْطَالَ فِي كِبَرٍ	كَمَا تُؤَدَّبُ وِلْدَانٌ وَأَطْفَالُ

[و][72] لبعض أدباء [غريس][73] الراشدية فيه -[أيضا]-[74] قصيدة طنانة منها: [الكامل]

يَا شَمْسَ عِلْمٍ فِي سَمَاءِ مَعَارِفٍ	يَا نُخْبَةَ الفُضَلَاءِ وَالأَعْلَامِ
يَا نُورَ عِلْمٍ فِي زُجَاجَةِ حِكْمَةٍ	يَا بَدْرَ دِينٍ فِي بَدِيعِ تَمَامِ
يَا بَحْرَ فَضْلٍ يَا سَحَابَ سَمَاحَةٍ	يَا يَتِيمَةً حَلَّتْ بِعِقْدِ نِظَامِ
يَا فَرْعَ مَجْدٍ مِنْ مَعَادِنِ سُؤْدَدٍ	يَا طَوْدَ حِلْمٍ شَامِخٍ مُتَسَامِ
إِنْ كَانَ فَخْرٌ سِوَاكَ إِلَّا عِظَامِيًّا	فَلَكَ الفَخَارُ عِظَامِيًّا وَعِصَامِ
يَا لَيْثَ حَرْبٍ يَصْطَلِي بِلَهِيبِهَا	يَا فَارِسَ الهَيْجَاءِ وَالإِقْدَامِ
لَكَ فِي الحُرُوبِ مَنَاقِبٌ عَلَوِيَّةٌ	وَوُضُوحُهَا أَغْنَى عَنِ الإِعْلَامِ
لِلَّهِ دُرُّ نَفِيسَةٍ أَرْخَصْتَهَا	وَبَذَلْتَهَا فِي نُصْرَةِ الإِسْلَامِ
فَلَكُمْ خَفَضْتَ رَفِيعَ قَدْرٍ بِالقَنَا	وَلَفْظَتَهُ (بِفَكٍّ)[75] أَوْ إِدْغَامِ
وَإِذَا الأَسِنَّةُ لَاحَ بَارِقُهَا وَقَدْ	(دَانَتِ المَكَاتِبُ)[76] كُنْتَ أَوَّلَ رَامِ

(69) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ك. والتكملة من ز. ح.
(70) البيتان لا يوجدان في ديوان ابراهيم الرياحي. مخ. خ. ع. ر. 1763 ك.
(71) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ز. ح. والتكملة من ك.
(72) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ح. والتكملة من ز. ك.
(73) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ز. ح. والتكملة من ك.
(74) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(75) ز. ح: بفكاك
(76) ز. ح: دنت الكتائب

وهي طويلة، إلى غير ذلك من الأمداح.

وكانت مبايعته عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف[77]، ومدة ولايته [ست][78] عشرة سنة، إذ في متم سنة ثلاث وستين ومائتين وألف[79]، اضطر إلى تسليم نفسه إلى دولة فرانسا، وبقي عندها معقولا ست سنين، إلى أن افتكه نابليون الثالث[80] من الإعتقال، وعيَّن له مرتبا سنويا يدفع إليه من خزينة الدولة، وسرحه يذهب حيث شاء، فاختار سكنى دمشق، ولم يزل قاطنا بها إلى أن مات[81] في حدود ثمان وتسعين ومائتين وألف[82]، ودفن بجنب سيدي محي الدين بن عربي الحاتمي[83]، وقد حدا حدوه وسلك منهاجه في العلوم والولاية واختصر فتوحاته رحمهما الله ورضي عنهما. ومدة ولايته كلها أفناها في الحروب مع الدولة المذكورة. وشهدت له بالشجاعة الأعداء، قال في قطف الزهور في تاريخ الدهور ما صورته في حقه: وهو من مشاهر هذا العصر في الشجاعة وعلو الهمة، فقاوم الفرنساويين أشد مقاومة، وكانت بينه وبينهم مواقع وحروب كليلة، لا يسعنا لضيق المقام التعرض لذكرها، ثم سلم أخيراً في ثالث وعشرين كانون الأول سنة سبع وأربعين وثمانمائة وألف[84] للميلاد بعد أن حاربهم مدة ست عشرة سنة. انتهى.

وليس هذا خروجا عن الموضوع لماله [من][85] *(التعلق)[86] بالمقام.

[تحديث العسكر]

ولنعد إلى (إتمام)[87] الكلام على المولى عبد الرحمان بن هشام رحمه الله، فنقول: ومن محبته في الجهاد ما مرَّ من إعانة السيد الحاج عبد القادر بآلة (الحرب)[88] والدراهم، والإصغاء لأخباره، والبحث عن أحواله، كما رغب في العَدْلَةُ والاستعداد من حدوث العسكر بهذا القطر

---

(77) عام 1248 هـ / 1832 م.

(78) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(79) متم 1263 هـ / 8 دجنبر 1847 م.

(80) هو: لويس نابليون بونابرت الثالث Charles Louis Napoléon Bonaparte (1223-1290/-1808-1873): رئيس الجمهورية الثانية بفرنسا (1269-1287-/1852-1870). أصدرا دستورا جديدا في يناير 1852 منحه سلطات دكتاتورية. تميزت فترة حكمه بازدهار النشاط الإقتصادي والتوسع الصناعي والإستعماري، وتميزت سياسته تجاه الجزائر بالتقلب. وفي الستينات من القرن 19 انتهج سياسة جديدة تهدف إلى حماية أراضي السكان الأصليين. حيث ألغى نظام المنح الحكومية للمستوطنين وجعل الشراء الحر هو الوسيلة لانتقال الملكية في الجزائر. قام نابليون بزيارتين للجزائر سنتي 1277هـ/ 1860م و 1278هـ/1861م، وكانت سياسته -على العموم- تتجه نحو الإعتدال منذ الستينات.

(81) زاد في ك: قاطنا بها

(82) 1298 هـ / 1880 م.

(83) هو: محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاتمي المعروف بمحي الدين بن عربي (560-638 هـ / 1156-1240م): فيلسوف، متصوف، أديب، شاعر، وله اهتمام بعلوم أخرى. ولد في مرسية وانتقل إلى اشبيلية، ثم ذهب إلى المشرق، وتوفي بدمشق. أنظر: البداية، ج 156:13 ، مرآة الجنان، ج 331:2 ، لسان الميزان، ج 311:5-315 ، شذرات الذهب، ج 190:5 -202 فهرس الفهارس، ج1 : 233-235 شجرة النور: 136-138، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 100:3، ظهر الإسلام لأحمد أمين، ج 222:4-223 الموسوعة المغربية، ج 53:2-57و ابن عربي لأسين بلاثيون.

A.ARES. ENcy. de l'islam. T3; PP: 729

(84) 23 كانون الأول 1847 م / الخميس 15 محرم 1264 هـ.

(85) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(86) ك: تعلق .

(87) في جميع النسخ: تمام، واقتضى السياق تصحيحها.

(88) ز، ح: الحروب.

(*) * 105 آ.

المغربي المطبق على استحسانه جميع الدول، إذ هو لبناء المملكة والدين كالأساس، ولذا تفاخرت باقتنائه وتكاثره جميع الأجناس، وتاقت به معالم الدين إلى الرجوع لعزتها والتجمل بجمال زينتها، وملأت به أقلام المدح سطورها، وطأطأت له الألسنة والسيوف والسهام رؤوسها، واستحسن أن يشاد ذكره في كل ناد، وينظم في سلكه كل حاضر وباد. وفيه يقول بعض الأدباء، وهو الشيخ يوسف المديني، لما أحدثه المولى المذكور: [الوافر]

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَهُ مَزَايَا … يَضِيقُ النَّثْرُ عَنْهَا وَالنِّظَامُ
وَأَعْظَمُهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَعُدَّتْ … وَإِنْ كَانَتْ بِأَجْمَعِهَا عِظَامُ
نِظَامٌ عِقْدُهُ لِلدِّينِ عِقْدٌ … نَفِيسٌ زَانَ جَوْهَرَهُ نِظَامُ
وَإِنْ ذُكِرَتْ جُيُوشُ النَّصْرِ طَرًّا … فَهُوَ لَهَا المُقَدَّمُ وَالإِمَامُ
يُرِيكَ إِذَا نَظَرْتَ لَهُ صُفُوفًا … لَهَا بِالنَّصْرِ جِدٌّ وَاهْتِمَامُ
تَطِيرُ لَهَا قُلُوبُ الأُسْدِ خَوْفًا … وَيَفْزَعُ عِنْدَ رُؤْيَتِهَا الحِمَامُ
فَعِنْدَ الرَّمْيِ تَصْلَى الجَوَّ نَارًا … وَعِنْدَ الضَّرْبِ يَنْدَقُّ الحُسَامُ
وَإِنْ صَفَّتْ فَتَحْسِبُهَا بِنَاءً … شَدِيدَ الرَّصِّ رَصَّصَهُ انْتِظَامُ
وَإِنْ نَطَقَتْ فَبَرْقٌ أَوْ رُعُودٌ … كَسَاهَا مِنْ مَلاَبِسِهِ الظَّلاَمُ
وَإِنْ سَارَتْ لِحَرْبٍ فَالمَنَايَا … تَسِيرُ وَ(طَبْعُهَا)[89] جِثَثٌ وَهَامُ
فَقُلْ لِلدِّينِ جَاءَ النَّصْرُ (فَاهْنَا)[90] … وَلاَ تَجْزَعْ فَقَدْ نُظِمَ النِّظَامُ.
وَقُلْ لابْنِ الرَّسُولِ وَمَنْ إِلَيْهِ … مُلُوكُ الأَرْضِ تَفْزَعُ إِذْ تُضَامُ
لِيَهْنَكَ إِذْ شَدَدْتَ بِنَظْمِ جُنْدٍ … عُرَى مَجْدٍ فَلَيْسَ لَهُ انْفِصَامُ
وَفَاقَ نِظَامُ جُنْدِكَ كُلَّ نَظْمٍ … وَهَلْ تَحْكِي أُسُودَكُمُ الرِّآمُ
* فَكَمْ جُنْدٌ تَقَدَّمَهُ بِجُبْنٍ … وَطَالَ بِأَرْضِهِ مِنْهُ المُقَامُ
وَسُدَّتْ دُونَهُمْ أَبْوَابُ نَصْرٍ … وَلَمْ (يَكْمِلْ)[91] لَهُمْ بِهِمْ مَرَامُ
فَلَمَّا إِنْ مَنَنْتَ بِنَظْمِ جُنْدٍ … تَوَلَّى الكُفْرُ وَانْقَطَعَ المَلاَمُ
وَتَمَّ (لَكُمْ بِهَذَا)[92] الدِّينِ نَصْرٌ … وَمَدَّتْكُمْ مَلاَئِكَةٌ كِرَامُ
فَعَنْ قُرْبٍ يُكَسَّرُ جَيْشُ كِسْرَى … وَتَرْشُقُ فِي قَيَاصِرِهِ السِّهَامُ
فَطِبْ نَفْسًا بِجُنْدِكَ فَهْوَ جُنْدٌ … بِهِ الكُفَّارُ طَارَ لَهُمْ مَنَامُ
فَإِنْ يَكُ غَيْرُكُمْ بِالبَدْءِ يَسْمُو … سُمُوَّ البَدْرِ زَايَلَهُ الغَمَامُ
فَإِنَّ بِدَايَةَ الأَشْيَاءِ سَهْلٌ … وَلَكِنَّ الكَمَالَ هُوَ الخِتَامُ
وَهَلْ فَضْلُ الهِلاَلِ إِذَا تَبَدَّى … كَفَضْلِهِ إِذْ يَتِمُّ لَهُ التَّمَامُ
فَدُمْ فِي المُلْكِ بَدْرًا لَسْتَ تَخْشَى … مَدَى التَّأْيِيدِ نَقْصًا وَالسَّلاَمُ

(89) صححت في هامش ز، ح، بـ: طعمها.
(90) د، ك: فهنا، والتصحيح من ز، ح .
(91) ك: يكفل.
(92) ك: بكم لهذا.
(*) • 105 ب.

[إعانة السلطان للمهاجرين الجزائريين]

ومن محاسنه، ما سنّه للمهاجرين إليه من وطن الجزائر كل سنة خمسمائة مد بالمد الفاسي قمحا، لخصوص الأشراف منهم مع خمسمائة مثقال كذلك، وكان بها خمسمائة ريال أو ما يقرب منها بقليل، وزيادة على صلته لهم في الأعياد، وكذلك عوامهم من أهل الحرف والزراعة، قد أمر ولاته بتحريرهم وتوقيرهم واحترامهم، بحيث لا يواخذون بكلفة مخزنية، ولا مغرم، ولا بهدية كسائر الإيالة، مراعاة لهجرتهم وتغربهم عن أوطانهم، ولا زال ذلك منسحبا مدة ولايته وولاية الخليفة بعده، ابنه سيدي محمد إلى صدر خلافة المولى الحسن، فضعف ذلك المرتب لقلة من يقوم بطلبه، وأما تحرير كل من ورد مهاجراً من وطن الجزائر فلازال مستمرا إلى الآن، لم يطالب أحد منهم بمغرم ولا بكلفة مخزنية، كما سنه المولى عبد الرحمان رحمه الله، وهو من جملة بروره، وإحسانه مع الرعية ومعروفه، وحسنة من حسناته التي لم ينقطع أجر عمله لها بموته لاستمرارها، فهو داخل في مدح الأنصار، بقوله تعالى: " يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ " [93] الآية.

[انتقاض الهدنة بين المغرب وفرنسا]

ومن فرط محبته في الجهاد وأهل الدين، كان انتقاض الهدنة بينه وبين دولة فرانسا المتقدمة من زمن سيدي محمد ابن عبد الله، لإمداده السيد الحاج عبد القادر بالخيل والسلاح، *وبمحاربة إيالته من بني يزناسن وغيرهم، مع سيدي الحاج عبد القادر، ولهذا مدَّ الفرانسيس يد العدوان على إيالة المولى عبد الرحمان، فشن الغارة على بني يزناسن وعلى وجدة وأعمالها المرة بعد المرة، ثم اقتحم وجدة ونهبها وكثر (عيثه)[94] في الحدود، فعمد المولى عبد الرحمان على حربه، وتقدم إلى أهل الثغور بالاستعداد، والحراسة، وإرهاق الحدّ، لما عسى أن يحدث، ثم عقد لإبن عمه المولى المأمون بن الشريف على كتيبة، ووجهه مقدمة إلى وجدة، فكانت لهم مناوشة مع رابطة الفرانسيس التي هنالك.

[وقوع الحرب بوادي إيسلي وانهزام الجيش المغربي]

وبعده أخذ السلطان -رحمه الله- في أسباب الغزو والإستعداد التام، وحشد الجنود و(استنفر)[95] القبائل، وشاع أمر الجهاد في الرعية والبلاد، وجعل الناس يرغبون الرعايا في

---

(93) سورة الحشر، الاية : 9.
(94) د، ح، ك : عيثه، والتصحيح من ز.
(95) ك: استنفد.
(*) 106 أ.

الجهاد ويحذرونهم استيلاء العدو عليهم، ومن ذلك قول الوزير ابن ادريس رحمه الله: [البسيط]

يَا أَهْلَ مَغْرِبِنَا حَقَّ النَّفِيرُ لَكُمْ ... إِلَى الجِهَادِ فَمَا (فِي الحَقِّ)[96] مِنْ غَلَطِ
فَالشِّرْكُ مِنْ جَنَبَاتِ الشَّرْقِ جَاوَرَكُمْ ... مِنْ بَعْدِ مَا سَامَ أَهْلَ الدِّينِ بِالشَّطَطِ
فَلاَ يَغُرَنَّكُمْ مِنْ لِينِ جَانِبِهِ ... مَا عَادَ قَبْلُ عَلَى الإِسْلاَمِ بِالسَّخَطِ
فَعِنْدَهُ مِنْ ضُرُوبِ المَكْرِ مَا عَجِزَتْ ... عَنْ (ذِكْرِهِ)[97] فِكْرَةُ الشُّبَّانِ وَالشُّمُطِ
فَوَاتِحُ المَكْرِ تَبْدُو مِنْ خَوَاتِمِهِ ... فَعِنْدَهُ المَكْرُوَ المَكْرُوهُ فِي نَمَطِ
وَأَنْتُمُ القَصْدُ لاَ تَبْقَنَّ فِي دَعَةٍ ... إِنَّ السُّكُونَ إِلَى الأَعْدَا مِنَ السَّقَطِ
مَنْ جَاوَرَ (الشَّرَّ)[98] لا يَعْدَمُ بَوَائِقَهُ ... كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيَّاتِ فِي سَفَطِ[99]
قَدْ يُغْبَطُ الحرُّ فِي عِزٍّ يُخَلِّدُهُ ... وَلَيْسَ (حَيٌّ)[100] عَلَى ذُلٍّ بِمُغْتَبِطِ[101]

ومن ذلك قصيدته النونية المسماة سرية النصر لأهل هذا العصر، تحتوي على مائتين وعشرين بيتا مطلعها: [البسيط]

فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مِسْكِينٍ وَسُلْطَانٍ ... حَمْلُ السِّلاَحِ عَلَى عُبَّادِ أَوْثَانِ
فَحَمْلُهُ شَرَفٌ عَالٍ وَمَفْخَرَةٌ ... خَصَّ الإِلَهُ بِهَا أَعَزَّ عُبْدَانِ
لاَ شَيْ أَحْسَنُ مِنْ صَوْتِ السِّلاَحِ عَلَى ... الأَعْنَاقِ فِي طَاعَةِ المَوْلَى وَرِضْوَانِ
فَهُوَ الوَسِيلَةُ فِي نَصْرِ الإِلَهِ لَكُمْ ... وَنُصْرَةِ المُصْطَفَى أَجَلُّ عَدْعَنَانِ
* وَلَيْسَ يَجْحَدُ فَضْلَ حَمْلِهِ مَلِكٌ ... وَلَيْسَ يَأْنَفُ عَنْهُ كُلُّ خَاقَانِ
بِهِ نَبِيُّكُمُ الإِلَهُ شَرَّفَهُ ... بِحَمْلِهِ لاِمْتِثَالِ أَمْرِ رَحْمَانِ
بِهِ أُزِيلَتْ لِهَذَا الدِّينِ غُرْبَتُهُ ... وَ(طَارَ)[102] صَيْتاً بِهِ بِكُلِّ بُلْدَانِ
وَالإِنْتِهَاءُ كَالاِبْتِدَاءِ قَاعِدَةٌ ... فِي الفِقْهِ مَقْرُوَّةٌ فِي كُلِّ دِيوَانِ[103]

إلى آخر ما أنشأه رحمه الله.

واجتمع من هذا الاستنفار من قبائل المغرب، جيش عرمرم يشتمل على نحو الثلاثين ألف فارس دون الرماة، وعقد هذا الجيش رحمه الله، لولده وخليفته سيدي محمد ، وسار إلى

---

(96) ز، ح: للحق.
(97) د، ز، ح: دركه. وكذلك في الاستقصا ج 50:9 . والتصحيح من ك. وديوان محمد بن إدريس: 663 .
(98) في ديوان محمد بن إدريس: 663 : الشرك.
(99) هذا البيت من قصيدة لعبد الله بن فرج اليحصبي، قالها لما سقطت طليطلة في يد الإفرنج. يوجد في المعجب في تلخيص أخبار المغرب: 73 حسب تعليق التهامي شهيد.
(100) في ديوان محمد بن إدريس: 663: حر.
(101) هذه الأبيات توجد في : ديوان محمد بن إدريس العمراوي، تحقيق التهامي شهيد: 663 ، والاستقصا، ج 50:9 . ويلاحظ أن محقق الديوان المذكور لم يقابل هذه الأبيات بما ورد في المصدرين: الحلل البهية والاستقصا. وأثبت هذه الأبيات نقلا عن الحلل البهية الأستاذ المنوني في مظاهر يقظة المغرب، ج 1: 31 .
(102) ز: صار.
(103) هذه الأبيات توجد في ديوان محمد بن إدريس، تحقيق التهامي الشهيد: 668 . النضال في الشعر العربي بالمغرب لعباس الجراري 23-24 . ومظاهر يقظة المغرب، ج 31:1 . وكلهم نقلوها عن الحلل البهية.
(*) * 106 ب.

وادي إيسلي بقرب وجدة، ونزل بتلك الجيوش مواجها للعدو، وكان السيد الحاج عبد القادر بتلك النواحي، متطلعا ما يكون من أمر ملاقات المسلمين والفرنساويين، فرأى محل نزول جيش المسلمين وكثرته وهيئته المغايرة لمقتضى سياسة الحرب، فحركته الغيرة الإسلامية على النصيحة لأهل ملته، بأنْ قال للخليفة سيدي محمد: إن هذه الفرش والآثات والثقلة، التي جئتم بها حتى وضعتموها بباب جيش هذا العدو، ليس هذا من الحزم وسلامة العاقبة والرأي السديد، أن لا تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون، بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض، وإلا فإن العدو متى رأى الأخبية مضروبة إلا وقصدها ولا يرجع دونها، ولو أفنى عليها عساكره، والصواب أن لو أبقيتم هذه النقلة بوادي زا، فإن كانت لكم، فلا يبعد إتيانها، وإن كانت عليكم فتسلم من الأخذ، وتجدون الراحة والمقام بها حتى تعودوا للقتال.

فلم يقبل ولا أحد منهم نصيحة لما قدره الله، فعاد لمحله محوقلا، وكان عدم قبولهم لنصيحته الآنفة من الدخول تحت أمر رأيه ومشورته، وبعده صبحهم العدو، فأقبل بعض الأعراب لينذر المحلة بهجوم العدو عليهم، وأنهم تركوه يستعد للنهوض حينا، فلم يلتفت إليهم أحد، لاعتمادهم على القوة والبسالة، وبعده، أتى آخرون بعد طلوع الفجر وأنذروا بما أخبر به الأولون، فأمر الخليفة الناس بالركوب والإستعداد لملاقات العدو، فركب الجيش وبنو يزناسن، وكانوا فيما يقرب من عدد الجيش، واصطفت الخيل على ترتيب عجيب والخليفة وسطهم، *ولما التقى الجمعان (صدم) [104] المسلمون العدو صدمة قوية، وثبتوا في نحر العدو مقدار ساعة، وانهزموا بقول قائلهم أن الخليفة قد هلك، ورجعوا لنهب المحلة وقصدوا أخبية المال بها. وماج الناس بعضهم في بعض وقتل بعضهم بعضا، ووقع الفشل وتمت الهزيمة، ونفذ أمر الله، واستولى العدو على المحلة بما فيها ولم يفلت منها شيء، وكانت من أعظم المصائب على المسلمين، وأكبر المحن على هذه الدولة الشريفة، وأول إهانة لقبائل المغرب، وكان ذلك في الساعة العاشرة من يوم الخامس عشر من شعبان سنة ستين ومائتين وألف[105]، وقد اتصل خبر الهزيمة بالمولى عبد الرحمان برباط الفتح عند قفوله من مراكش يريد فاسا، كما اتصل به أيضا خبر هجوم الفرنسيس على ثغري طنجة والصويرة ورميهما بألوف القنابل، فاغتم لذلك رحمه الله، وساءه فعل الجيش وانهزامه ونهبه محلته، فعمد بذلك إلى قواد المحلة وكبراء الجيش فأهانهم وأمر بحلق لحاهم وسخط عليهم.

---

(104) في جميع النسخ صدمت. واقتضى السياق تصحيحها

(105) 15 شعبان 1260 هـ / الجمعة 30 غشت 1844 م.

(*) • 107 أ.

[عقد الهدنة مع فرنسا]

ثم هادن الفرنسيس على شروط ثمانية[106]، من جملتها: نفي السيد الحاج عبد القادر المذكور من نواحي إيالته، لما في بقائه من ضرر الفتنة بين الدولتين، فكان بينهما ما هو مشهور، إلى أن سلم نفسه للفرنسيس كما سبق، ولله عاقبة الأمور.

وفاة مولانا عبد الرحمان

ولازال المولى عبد الرحمان على حسن السيرة، وجلب الخير للرعية، وحب العلماء والمهاجرين وذوي المروءة والدين، ذابا عنهم ما أمكنه، وسالكا منهاجا قويما ما أجمله، متجاوزاً عن مساوئهم قائماً حد الشريعة على باغيهم. وقد احتبس الغيث عن المسلمين سنة وفاته رحمه الله، وأرادوا الاستسقاء فطلبوا الإذن منه، لما اعتاده العامة من أن الاستسقاء يعقبه عادة موت السلطان، فأذن لهم، وقال لمن أخبره بتلك العادة: إن كانت موت عبد الرحمان فيها نفع المسلمين ورحمة لهم، عجل الله بروحه إلى دار نعيمه ورحم المسلمين وأغاثهم وأفاض عليهم نعمه الغير المتناهية، وأما الموت فشيء لا محيد لمخلوق عنه.

وفي تلك السنة توفي رحمه الله بمكناسة الزيتون، وذلك في التاسع والعشرين من محرم الحرام فاتح سنة ست وسبعين ومائتين وألف[107]، ودفن بين العشائين أول ليلة من صفر بضريح السلطان *الأعظم المولى إسماعيل بن الشريف، رحم الله الجميع بمنه (آمين)[108]

---

(106) هذه الهدنة أو الاتفاقية، أبرمت بطنجة، بتاريخ 25 شعبان 1260 هـ/ 10 شتنبر 1844 م، وترجمة نصها الفرنسي إلى العربية - دون المقدمة- توجد في كتاب المغرب عبر التاريخ، ج 3: 204-206 .
وقد لاحظ أستاذنا إبراهيم حركات من خلال التوافق الرسمي بين التاريخين (الهجري والميلادي) لهذه الاتفاقية أن معركة إيسلي لم تقع في 25 شعبان كما في المصادر العربية بل في اليومين الأخيرين من رجب (أي 29-30 رجب 1260 هـ / 14-15 غشت 1844 م) أنظر: المغرب عبر التاريخ، ج 3:206 ، هامش: 110 .

(107) 29 محرم 1276 هـ/ الأحد 28 غشت 1859 م.

(108) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(*) * 107 ب.

قصيدة لأبي عبد الله أكنسوس في رثاء المولى عبد الرحمان

وقد رثاه الفقيه أبو عبد الله أكنسوس كغيره من العلماء، ونص مرثيته قوله: [الكامل]

هَذِي الحياة (شبيهةٌ)[109] الأحلامِ — ما النَّاسُ إنْ حَقَّقْتَ غيرَ نيامِ
حَسْبُ الفتى إن كان يعقل (من)[110] يرى — مِنْهُ لآدمَ رُؤْيَةَ اسْتِغْلامِ
فيرى بِدايةَ كلِّ حَيٍّ تنتهي — أبداً وإنْ طالَ المدَى لِتَمَامِ
وَالنَّفسِ مِنْ (عَجَبٍ)[111] الهَوَى في غَفْلَةٍ — عَمَّا يُرادُ بِهَا مِنَ الأَحْكَامِ
أو لَيْسَ يَكْفِي ما يُرى مُتَعَاقِباً — بينَ الورَى مِنْ سَطْوَةِ الأيَّامِ
مَنْ لم يُصَبْ في نفسه فَمُصَابُهُ — بِجِنَبِهِ حكما على (إلْزَامِ)[112]
بَعْدَ الشَّبِيبَةِ شَيْبَةٌ يُخْشَى لَهَا — ذو صِحَّةٍ أنْ يُبْتَلَى بِسَقَامِ
دارٌ أُريدَ بِهَا العُبُورُ لِغَيْرِهَا — وَ (يَظُنُّهَا)[113] المغْرُورُ دارَ مقامِ
مَنْعَ البَقَاءَ بِهَا تَخَالُفُ حَالِهَا — وتَكَرُّرُ الإشْرَاقِ والإظْلامِ
لَوْ كَانَ يَنْجُو مِنْ رَدَاهَا مَالِكٌ — فِي كَثْرَةِ الأنْصَارِ وَالخُدَّامِ
لنجا أمير المؤمنين ومن غدا — أعلا ملوك الأرض نجل هشام
خير السلاطين الذين تقدموا — في الغرب أو في الشرق أو في الشام
سرُّ الإله ورحمة منشورة — كانت سُرَادِقَ ملة الإسلام
قَصَدَتْهُ (عاديةُ)[114] الحمام فما عدت — أن هددت علما من الأعلام
لم تحجب الحجاب منها طارقا — كلا ولا دفعت يد الأقوام
والملك في عز مهيب شامخ — وإمامه في جرأة الضرغام
عجبا لها لم تخش من فتكاته — والأسد تزأرُ حوله و (تحام)[115]
عجبا لها لم تستحي من وجهه — والوجه أبهج من بدور تمام
عجبا لها لم ترع طول قيامه — متهجدا لله خير قيام
تباً لها لم تدر (مَنْ)[116] فجعت به — من (مُعْتَق)[117] وأرامل الأيتام.
أسفا على (ذاتِ)[118] الجلال وأنه — لأجل من أسف وفرط هُيام

---

(109) في الجيش، ج 64:2: نسبة .
(110) في الجيش، ج 64:2: أن، وكذلك في الاستقصا، ج 9: 77 .
(111) في الجيش، ج 64:2: حجب . وكذلك في الاستقصا، ج 9: 77 .
(112) في الجيش، ج 2: 64 : الأزام.
(113) في الاستقصا، ج 9: 77 : بظنها.
(114) في الجيش، ج 2: 65: هادية.
(115) في الاستقصا: ج، ج 9: 78: تحامى.
(116) في الجيش، ج 2. 65: ما.
(117) في الجيش، ج 2: 65: معتز.
(118) في الجيش، ج 2: 65: ذاك.

* يـا مـالـكـا كـانت لـنـا أيـامـه ظـلاً ظـلـيـلا دائـم الإنـعـام
لاَ ضَـيْـرَ أنَّـك قـد رحـلت مُـيَـمِّـمـاً دارَ الـهَـنَـاءِ وجَـنَّـةَ الإكـرامِ
في حضـرةٍ تـغْـدُو عـلـيكَ بَـشَـائـرٌ مِـنْ حُـورِهَـا بِـتَـحِـيَّـةٍ وَسَـلاَمِ
ضَـاجَـعْتَ في تـلكَ الـقُصُورِ كـواعِـباً دُرِّيَّـةَ الألـوانِ والأجْـسَـامِ
تَـسْقِيك صـرفَ الـسَّلْسَبِيلِ مَـرُوقـا وتُـديـرُ كـأسـاً مِـنْ (مُـدَام)[119] مدام
فَـلَـكَ الـرِّضَـى فـانْـعَمْ بِـمَـا أُعْـطِـيتَـه ولَـكَ الـهَـنَـاءُ بِـنَـيْـلِ كُـلِّ مَـرَامْ[120]

[مآثر المولى عبد الرحمان العمرانية]

ومن آثاره بناؤه ما تهدم من مرسى طنجة وإعادته أحصن مما كان، ومن ذلك أيضا تجديده ضريح مولانا إدريس بن إدريس، وتتميم محاسنه بسعته وانفساحه، إذ هو الباني مسجده الخارج عن القبة من ناحية الشمال، المكتوب على سواريه الرخامية: [الكامل]

انْـظُـرْ بِـعَـيْـنِـكَ شُـذُورَ الـذَّهَـبِ لابْـنِ هِـشَـامِ المُنْـتَـقَـى المُنْـتَـخَـبِ
مُـؤسِّـسِ المجدِ شَـرِيـفِ الـنَّـسَـبِ مُـبَـارَكِ الإِسْـمِ أعَـزِّ الـلَّـقَـبِ
مِن (يدهِ)[121] زَهْرُ (المُنَى)[122] يَجْتَنَى فِي وَجْـهِهِ بَدْرُ الـهُدَى (المُرْتَقَب)[123]

وكذلك تجديده الشباك، الذي هو بمزارة مولانا إدريس والزيادة فيه على ما كان قبل، وقد كتب عليه الفقيه سيدي أحمد بو نافع[124] ما نصه: [الرجز].

هَـذَا مَـزَارٌ وَمَـقَـامُ الإِحْـتِـرَامِ قَـبِّـلْـهُ بِـالشِّـفَـاهِ وَادْعُ لِـلإِمَـامِ
إبْـنِ هِـشَـامَ قُطْبِ مَنْ صَلَّـى وَصَامَ شَـيَّـدَ مِـنْ إِحْـسَـانِـهِ هَـذَا المقَـامَ
مُـؤسِّسِ الـبِـنَـاءِ طَـالَ وَاسْـتَـقَـامَ مَـنْ زَارَهُ نَـالَ المُنَـى حَـازَ المَرَامِ
وَقَـفْـتُ فِـي مَـزَارِهِ قَـصْـدَ اسْـتِـلاَمِ فَرَاقَـنِي الـبِـنَـاءِ فِـي حُسْنِ انْـتِـظَامِ
صُـنْـعُ كُـلِّ صَـانِـعٍ وَشْـيُ الـتَّـمَـامِ مَـا كَـانَ ذَا الـبِـنَـاءُ في مصرَ وشَـامِ
(تَرَى سنَى لِلْكُلِّ حَيْنَ)[125] في ابْتِسَامِ تَـارِيـخُـهُ دَوامُ مُـلْـكِ ابْـنِ هِـشَـامِ[126]

---

(119) في الجيش، ج 2: 65:شهي.
(120) هذه القصيدة توجد في: الجيش العرمرم، ج 2:64-65، والاستقصا، ج 77-78 وقد لاحظنا ورود بعض الأخطاء في الجيش، فلم نحل عليها.
(121) في الدرر الفاخرة لابن زيدان : 83 : يديه.
(122) د، ك: المناه. والتصحيح من ز، ح.
(123) في الدرر الفاخرة: 83. يرتقب. هذه الأبيات وردت بدون نسبة في الدرر الفاخرة لابن زيدان: 83 .
(124) هو: أحمد بن محمد بن عبد القادر، بن نافع الفاسي المعروف ببو نافع. كان له اهتمام بعلم الأنساب والشعر، والأدب. توفي سنة 1260 هـ/ 1844 م. أنظر: سلوة الأنفاس، ج 3: 236-237، اليواقيت الثمينة: 70، فهرس الفهارس، ج 1:84-85 الفكر السامي، ج 2:299، الدليل، ج 2:324، الأعلام للزركلي، ج 1:246، معجم المؤلفين، ج 1:120 .
(125) في الدرر الفاخرة: 83: مبينا لكل حين .
(126) هذه الأبيات توجد في الدرر الفاخرة لابن زيدان: 83 .
(*) • 108 أ.

وكان هذا الشباك صغيراً أحدثه المولى يزيد، وعليه مكتوب من إنشاء العلامة سيدي سليمان الحوات: [مجزوء الرجز].

انظر لشكل بديع … أتى عن أمر اليزيد
أرّختُه في رشادِ … فقِفْ وزرْ من بعيدِ

* وكانت مجازات الفقيه الميد أحمد بونافع من المولى عبد الرحمان على أبياته المذكورة، ثلاثين مثقالا ووسقا قمحا، رحم الله الجميع.

وكذلك سقاية السبيل، التي هي تحت الشباك، من بناء المولى عبد الرحمان، وعليها مكتوب من إنشاء الفقيه السيد ابن قدور الشرقاوي ما صورته: [المتدارك].

مِنَ السَّعادةِ لاحَتْ … على شُمُوسِ (سُعُودِ)[127]
لِمْ لاَ وَنَجْلُ هِشَامِ … عَلَى يَدَيْهِ صُعُودِي
أَجْرَى لَجِينَاً زُلالاً[128] … فَلَذَّ مِنْهُ (وُرُودي)[129]
كَسَا بَهَائِي جَمَالاً … وَزَانَ وَشْمُ (خُدُودِ)[130]
كَسَاهُ رَبِّي سَنَاءً … وَعِزُّ ظِلِّ البُنُودِ
يَا نَاظِرَ الحُسْنِ مِنِّي … أَرِّخْ بِوَشْيِ (وُرُودِ)[131]

وكذلك الخصة الرخامية التي بوسط المسجد، العظيمة القدر والبديعة الشكل، هي من حسناته على ما هي عليه الآن، والخصة التي كانت قبلها، أمر بنقلها لمسجد جامع الأندلس، والتي كانت به، أمر بها لمدرسة الشراطين التي أسسها المولى الرشيد ابن الشريف، الثاني من هذه الدولة الفخيمة كما سبق.

وكما أن الباب المواجه لقبة الضريح الإدريسي الموالي لسوق المجادليين، من بناء سيدي محمد بن عبد الله، خامس هذه الدولة، وعليه مكتوب من إنشاء صاحب الشمقمقية: [المتقارب]

بَدِيعُ (مَحَاسِنِي)[132] زَانَ العُيُونَ … وَحُسْنَ شَمَائِلِي سِحْرَ الجُفُونَ
وَمَوْطِنِي السَّعِيدُ يَفُوحُ عِطْراً … بِذِكْرِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَا
وَمَجْدِي ثَابِتٌ لا رَيْبَ فِيهِ … بِقُطْبِ الغَرْبِ كَهْفِ العَابِدِينَ
وَرِثْتُ مَجَادَةً لَمَّا كَسَانِي … وَطَرَّزَنِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ

---

(127) ز. ح: سعودي.
(128) زلالا: من الزلال وهو الماء الصافي.
(129) ك: ورود.
(130) ز. ح: خدودي.
(131) ز.ح: ورودي.
(132) د: محاسن. والتصحيح من ز. ح. ك.
(*) * 108 ب.

مُـحَـمَّـدُ (الإمـامُ)[133] أخُـو المَزَايـا ... وَبَـانِـي المَجْـدِ بُـنْـيَـانـاً مَـكِـينـا
أجَـادَ أمِـينُـهُ الصَّـفَّـارُ[134] صُنْعِي ... وَأحْـسَـنَ إذْ تَـخَـيَّـرَهُ أمِـينَـا
وَتَـارِيـخِـي بِـشَـعْـبَـانَ جَـلِـيٌّ ... يَـدُومُ بِـهِ هَـنَـاءُ المُسْـلِـمِينَ[135]

* ومن الشائع أن الصفار المذكور، أعطى لقائله على بيته المذكور فيه خمسمائة مثقال، وبنى ابنه المولى علي وهو خليفة عليه حينئذ الباب الثاني وعليه مكتوب: [الوافر]

سَمَوْتَ [عُلاً][136] بِمَوْلاَنَا عَلِيٌّ ... خَلِيفَةِ سَيِّدِ الأُمَرَاءِ فِينَا
مُحَمَّدٍ مَنْ بِهِ بَكَتْ النَّصَارَى ... كَمَا ضَحَكَتْ ثُغُورُ المُسْلِمِينَ

وبقي بيت ثالث محي. وكانت وفاة المولى علي هذا في عاشر شوال عام سبعة وتسعين ومائة وألف[137]. ومن تمامه ما هو مكتوب على باب الصومعة التي هي من بناء المولى إسماعيل مع القبة -كما سبق- مواجها للقبة الشريفة: [الكامل].

كُنْ خَاضِعاً مُتَأَدِّباً مُتَضَرِّعاً ... مَهْمَا جَلَسْتَ قُبَالَةَ السُّلْطَانِ
وَاطْلُبْ حَوائِجَكَ المُهِمَّةَ إنَّ مَنْ ... قَصَدَ المُلُوكَ يَفُوزُ بِالرِّضْوَانِ

ومما هو مكتوب أيضا بدفتي القبة: [البسيط]

انْظُرْ لِمَا حُزْتَهُ مِنْ وَافِرِ القسمِ ... وَاسْمَعْ نِظَامِي مرِيدَ الحكْمِ والحِكَمِ
سَعَادَتِي سَعِدَتْ قُبِلَتْ مِنْ أمَلِ ... مَا يَشْتَهِي وَصَلْ مِنْ خَيْرٍ وَمُغْتَنَمِ
وَأيُّ مُغْتَنِمٍ كَمَا اسْتَفَدْتَ وَقَدْ ... أمْسَيْتَ بِأبِي ضَرِيحِ مَعْدِنِ الكَرَمِ
مَوْلاَيَ إدريسَ (قَدْ)[138] غَدَتْ كَرَامَتُهُ ... فِي النَّاسِ شُهْرَتُهَا نَاراً على عَلَمِ
كَهْفُ الأنَامِ وَغَوْثُ مَنْ يَلُوذُ بِهِ ... لِجَلْبِ نَفْعٍ وَدَفْعِ البُوسِ والنِّقَمِ
أعْظِمْ بِهِ مِنْ إمامٍ فَازَ زَائِرُهُ ... بِاليُمْنِ وَالأمْنِ فِي حَرْبٍ وَفِي سِلْمِ
بِحَقِّهِ صِلْ إلَهِي نَصْرَ مَالِكِنَا ... عبدَ الإلَهِ[139] إسْمَاعِيلَ ذِي الشِّيَمِ
(وَأنْ تُنِيل)[140] رِضَاهُ لِلْوَرَى وَلِمَنْ ... أجَلَّنِي كَرَماً بِشَاهِدِ الأمَمِ

---

(133) ك: الأمير.
(134) يقصد به: محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الأندلسي التطواني الملقب بالصفار. واد بتطوان في العشرة الثانية من القرن 13 هـ/ أوائل القرن 19 م، حيث نشأوا تعلم واشتغل بالتدريس، ثم رحل إلى فاس، فعمل كاتبا ثم وزيرا للمولى عبد الرحمان، ثم وزير الشكايات (العدل) للمولى محمد بن عبد الرحمان. وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة 1298هـ/1873 م. أنظر: اللجائي، المفاخر العلية، مخ، خ، ح، ر. 293:12068، الإعلام لابن إبراهيم، ج 7: 34-35.
(135) هذه الأبيات نقلها ابن زيدان عن الحلل البهية، وأثبتها في كتابه الدرر الفاخرة: 58.
(136) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ك. والتكملة من ز. ح.
(137) 10 شوال 1197 هـ / الاثنين 8 شتنبر 1783 م.
(138) ك: من.
(139) كذا في جميع النسخ. وزاد بعد ذلك في ز. ح: ابن
(140) ز. ح: حتى ينيل.
(*) 109 أ.

أَمِيرُ رَكْبِ الحَجِيجِ عَبْدُ خَالِقِنَا   عُدَيْلُ دَامَ فِي عِزٍّ وَفِي عِظَمِ
مَا لَاحَ تاريخ (أَنْشَأنِي) [141] المَهْلُ وَفِي   وَقْتِ نَجَاحِ جَزِيلَ البَسْطِ وَالنِّعَمِ

ومما وجد مكتوبا - أيضا - بخوختي الدفتين: [المجتث]

يَا زَائِراً لِإمَامِ   أَعْلَا الإِلَهِ مَقَامُهُ
فَاسْأَلْ تَنَالَ المَعَالِي   مِنْ فَيْضِ بَحْرِ الكَرَامَةِ
مَوْلَايَ إدريسَ غَوْث   غَيْثٌ لِذِي الاسْتِقَامَةِ
سَلِيلُ خَيْرِ الأَنَام   شَفِيعُنَا في القِيَامَةِ
*مُحَمَّدٌ ذُو الكَرَامَةِ   وَقَدْ حَمَتْهُ الحَمَامَةُ
صَلَّى عَلَيْهِ الإِلَهُ   مَا لِلصَّلَاةِ إقَامَةَ
وأهل بيته من قد   خصوا وأعطوا الزعامة
مِنْهُ كَإِدْرِيسَ   بِنَشْرِ نَشْرِ الإِمَامَةِ

وكل ما بهذا الضريح، إنما هو من آثار هذه الدولة العلوية أدام الله عزها وخلد في الصالحات ذكرها، وبتعظيمهم لهذا المقام [الشريف] [142] فازوا عن سائر دول المغرب، ودفع الله عنهم مكائد العدو [143]، كيف وهو تاج المغرب وابن الرسول المقرب. ولبعضهم على لسان [صاحب] [144] هذا الضريح العظيم القدر: [الطويل]

عَلَى قَبْرِنَا قِفْ عِنْدَ ضَيْقِ المَنَاهِجِ   تَفُزْ (بِعُلَى) [145] القدرِ مِنْ ذِي المَعَارِجِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَسْبَغَ نِعْمَةً   عَلَيْنَا وَأَوْلَانَا قَضَاءَ الحَوَائِجِ

ومما قيل على لسانه أيضا: [الطويل]

إليـنا فشد الرَّحل أو بابنا حطا   تفز بالامال والأمال وسل تعطَى
فَكَمْ آمل قد أمَّ سَاحَتَنَا فَمَا   تَوَانَى عَلَيْهِ الجُودُ مِنَّا وَلا أَبْطَا
أَلَسْنَا بَنِي بَيْتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ   وَبِضْعَتِهِ الزَّهْرَاءِ ذُرِيَّةِ الوُسْطَى
أَمَا بِأَبِينَا قَدْ تَوَسَّلَ آدَمُ   فَنَالَ مِنَ الرِّضْوَانِ مِنْ أَجْلِهِ القِسْطَا

---

(141) ز، ح: إنشاني.
(142) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(143) زاد بعد ذلك في ز، ح: و (حرف الواو).
(144) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(145) د. بعلى . والتصحيح من ز، ح، ك.
(*) * 109 ب.

ومما ينسب إليه - أيضا- ما نذكره على سبيل إتمام المعنى والمناسبة : [الطويل].

شَرِبْنَا بَنِي الزَّهْرَاءِ مِنْ مَوْرِدٍ عَذْبٍ ... مَعَ المُصْطَفَى المُخْتَارِ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ
وَفِي عَالَمِ الأَرْوَاحِ سَاغَ شَرَابُنَا ... وَنَزْدَادُ يَوْمَ العَرْضِ شُرْباً عَلَى شُرْبِ
وَكُنَّا لَدَى الرَّحْمَانِ نُوراً مُسَبِّحاً ... بِتَسْبِيحِنَا قَدْ سَبَّحَ اللَّهُ ذُو قُرْبِ
قَدْ اخْتَارَنَا المَوْلَى مِنَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ ... فَنَحْنُ خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ ذَوِي لُبٍّ
وَمِنَّا قَدْ اخْتَارَ الإِلَهُ مُحَمَّداً ... وَفَوْقَ جَمِيعِ النَّاسِ قَدْ خُصَّ بِالحُبِّ
وَنَحْنُ مِنَ الجِسْمِ المُطَهَّرِ بِضْعَةٌ ... وَنَحْنُ أُولُو القُرْبَى إِلَيْهِ بِلاَ حَجْبِ
بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ أَفْرَدَ جِنْسَنَا ... وَمِنْهُ سَلَكْنَا مَسْلَكَ الرُّوحِ وَ(القُرْبِ)[146]
عَلَى وَجْهِنَا نُورُ النُّبُوَّةِ مُشْرِقٌ ... عُقُولُ الوَرَى مِنْ شِدَّةِ الأَزْدِهَا نَسْبِ
إِذَا مَا رَآنَا مُبْصِرٌ هَاجَ شَوْقُهُ ... إِلَى جَدِّنَا الأَعْلَى وَكَمْ مَاتَ مِنْ صَبٍّ
* فَرُؤْيَتُنَا تِذْكَارُ رُؤْيَةِ جَدِّنَا ... فَمَا الفَرْعُ إِلَّا الأَصْلُ مِنْ غَيْرِ مَا كَذْبِ
عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ أَلْقَى جَلاَلَهُ ... فَمَنْ يَرَنَا فِي الحَالِ مَاتَ مِنَ الرُّعْبِ
وَمَنْ يَرَنَا لَمْ يُبْقِ حُبًّا وَلَوْعَةً ... فَذَلِكَ مَحْجُوبٌ عَنِ النُّورِ بِالذَّنْبِ
وَنَحْنُ أُسُودٌ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... وَنَحْنُ هُمُ الأَقْمَارُ فِي ظُلْمَةِ الكَرْبِ .
وَنَحْنُ هُمُ السَّادَاتُ بَدءاً وَعَوْدَةً ... لَنَا المَثَلُ الأَعْلَى عَلَى أَيِّ مَا حِزْبِ
وَنَحْنُ هُمُ الأَبْطَالُ لاَ الغَيْرُ فِي الوَغَى ... نَسُوقُهُمْ مِثْلَ الغَنِيمَةِ بِالعضبِ.
وَنَحْنُ هُمُ الأَطْوَادُ فِي مَيْلِنَا عَلَى ... كَتَائِبَ لاَ تَلْوِي عَلَى البَطْشِ فِي الحَرْبِ
نُقَرِّبُ آجَالَ الكُمَاةِ بِطَعْنِنَا ... وَسَاعَةَ تَلْقَانَا تَمُوتُ مِنَ الرُّعْبِ
تَنُورُ إِذَا يَحْمِي الوَطِيسُ وُجُوهُنَا ... وَيَبْدُو عَلَيْهَا البِشْرُ كَالشَّمْسِ فِي الرُّتَبِ
وَمَا كَانَ (أَحْلاَنَا)[147] جَمَالاً وَمَنْظَراً ... إِذَا مَا دَنَتْ مِنَّا كَتَائِبُ كَالسُّحْبِ

وهي طويلة. ولنرجع إلى إتمام الكلام على بقية آثار المولى عبد الرحمان. فمن ذلك -أيضا- البرجان[148] العظيمان بمدينة سلا وأشبار الكبير المواجه للبحر (منها)[149]، والمارستان الكبير بضريح الشيخ ابن عاشر[150]، والمنار الشهير بالمسجد الأعظم منها، وخزين البارود بالقلعة، وأشبار الكبير -أيضا- برباط الفتح، وبأعمالها - أيضا- قصبة الصخيرات، وقصبة أبي زنيقة، فأمن الناس بهما من شر اللصوص، من ذلك أيضا، تجديده

---

(146) ك: القلب.
(147) د. ك. أحلنا
(148) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 79:9 .
(149) د ز ح: بها. والتصحيح من ك، والاستقصا. ج 79:9 .
(150) هو أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، أبو العباس، المتوفي سنة 764 هـ/1363 م. اشتهر بتدينه وزهده، واهتمامه بالعلم. أصله من الأندلس ورحل إلى المغرب فاستقر بمدينة سلا. أنظر: نفح الطيب، ج 5: 354-355 . سلوة الأنفاس. ج 2:276-278 . شجرة النور: 233-234 . إتحاف أعلان الناس، ج 1: 304-311، المغرب عبر التاريخ. ج 2: 90-93 ، الأعلام للزركلي. ج 1:187 .
(*) أ 110 ، M. Ben chakroun, la vie intellectuelle, PP : 258 - 264 .

ما تهدم من أبراج الصويرة، ومن ذلك أيضا أجدال الشهير بمراكش، وتجديد جامع المنصور بالقصبة، بعد أن لم يبق منه إلا الإسم، فأعاده إلى شبابه وحسن هيئته، وكذلك تجديده جامع الكتبيين مرتين، وإصلاح قبة ضريح الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه، والزيادة في جامع الشيخ أبي إسحاق البلفيقي منها، وبناء جامع أبي حسون وإقامة الجمعة به كما كانت أولا، وبناء جامع القنارية والزيادة فيه. ومن آثاره بحضرة فاس - أيضا- تجديد بستان آمنة المرينية، وكان خرابا تألفه الوحوش بعد أن كان في الدولة المرينية على هيئة بهية، فيه ظهرت زينة تلك الدولة وضخامتها، وفيه مقاعدهم و(منازههم) [151] العالية ومجالسهم المشرفة على بساتين المستقى* كما قاله أكنسوس [152] [و] [153] قال أيضا: وبالجملة فقد كانت [تلك] [154] العرصة (مينة) [155] من زينة الحياة الدنيا، وجنة حائزة من (البهجة) [156] المرتبة العليا، ثم (أناخت) [157] عليها الأيام بصروفها ومحت من تلك الرسوم جميع حروفها، فرآها الملوك قبل مولانا المؤيد فلم يرقوا لحالها ولا أنقذوها من (أوحالها) [158]، مع أنها في جوارهم و(عقر) [159] ديارهم، فعطف الله عليها هذا السلطان المبارك فأعاد بعد الممات محياها [160]، وأبرز من ظلمات العدم جميل محياها [161]. ومن ذلك أيضا بناؤه جسر وادي مكس بسفح جبل زرهون وذلك عام ثلاثة و(سبعين) [162] ومائتين وألف [163]، إلى غير ذلك من المآثر رحمه الله.

[رجوع المؤلف لوفاة المولى عبد الرحمان]

وإلى بقائه على الأحوال المرضية إلى انقضاء أجله، أشار الناظم - رحمه الله- بقوله:

إِلَــى أَنْ دَعَــاهُ لــلـرحـيـل حِـمَــامُـهُ   فَـلَـبَّــى دَوَاعِـي الـلـهِ بَـيْـنَ الأَقَــارِبِ

الحمام: بالكسر الموت. والتلبية: الإجابة بالطاعة، فقول الرجل: لبيك أي ملازم طاعتك. ودواعي الله: الملائكة والرسل والمؤذنون، والمراد أعوان ملك الموت من الملائكة.

---

(151) في الاستقصا، ج 9: 79: منازلهم .
(152) أنظر: أكنسوس، الجيش العرمرم، ج 54:2 .
(153) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(154) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك والجيش العرمرم، ج 54:2 ، والاستقصا، ج 79:9 .
(155) ز، ح: منية، والتصحيح من د،ك والجيش ج 2 : 54 ، والاستقصا 9 : 79 .
(156) د، ك: النهجة، والتصحيح من ز،ح، والمصدرين السابقين.
(157) في الجيش، ج 54:2: أحنت.
(158) في الجيش، ج 2: 54: أحوالها.
(159) د، ك: عقود، والتصحيح من ز، ح، والجيش ج 2 : 54 ، والاستقصا 9 : 80
(160) إلى هنا تنتهي قولة أكنسوس، الجيش، ج 2: 54 .
(161) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 80:9 .
(162) ك: تسعين، وهو تصحيف.
(163) عام 1273 هـ/ 1856 م.
(*) * 110 ب .

والمعنى: أنه لازال على ما وصف به من المكارم، والمحامد، وحسن السيرة، والتقى، والعدل، والإعتناء، بأمر الدين والاستقامة، إلى أن دعاه داعي الله للرحيل من الدنيا إلى الآخرة، فأجاب داعيه بالتلبية والإنعام، وكان ذلك بمكناسة الزيتون كما سبق [164] بتاريخه، ودفن بقرب المولى إسماعيل جده وهو المراد (بقوله) [165]: بين الأقارب.

(164) أنظر: هذا المقصد الحادي عشر من الجزء الثاني ص: 82.
(165) ك: من قوله.

المقصد الثاني عشر :
الاحتلال الإسباني لتطوان وعقد الصلح

[تولية محمد بن عبد الرحمان]

وبعد وفاته[1] رحمه الله، تشرفت الخلافة بولده سيدي محمد[2] بعهد منه، وإلى ذلك أشار بقوله:

وَشَرَّفَهَا مِنْ فَضْلِهِ بِمُحَمَّدٍ ... فَأَطْلَعَ شَمْساً بَيْنَ تِلْكَ الكَوَاكِبِ
فَزَادَ لَهُمْ حُسْناً ونَمَّقَ عِقْدَهُمْ ... بِدُرٍّ نَفِيسٍ مِنْ نَفِيسِ المَوَاهِبِ

الشَّرف: العلو. والفضل: ضد النقص. والكواكب: جمع كوكب وقد مر تعريفه[3].
والتنميق: التحسين لكل شيء.

والعقد: القلادة. والدرّ: اللؤلوة معروف. والنفيس: المنتخب من المغتبط فيه من كل شيء. والمواهب: جمع هبة وهي العطايا.

والمعنى: أن المولى عبد الرحمان شرف الخلافة بأنجب أولاده وأعقلهم وأعلمهم وهو سيدي محمد * وذلك يعد من فضله عليها وعلى الرعية، حيث اختار لهم من يليق بسياستهم وتحمد عاقبتهم معه، فأطلعه في سماء الخلافة شمسا بين الملوك، فكانوا بمقابلته كواكبا لشرفه عنهم بزيادة العقل والدين كما أن الشمس تفوق بالضرورة سائر الكواكب بالنور والجرم، فزاد لهم أي للملوك العلوية حسنا بذكر مفاخره ومناقبه، وحسَّنَ عقدهم بنظمه في ذلك العقد الفريد وعده فيهم، لكونه بمنزلة الدرة النفيسة: من النفيس أي المختار من المختار المنتخب لجودته، وأن مناقبه بمنزلة (الدرة)[4] المختارة من المختار كذلك للهبة. فخلافته - رحمه الله- من مواهب المولى عبد الرحمان على الملوك والرعية، ونال ذلك من أبيه لما كان عليه من أول نشأته، من شدة البرور بأبيه، والإتصاف بالسكينة، والوقار، والصلاح، والتقوى، وسائر خصال الخير، حتى استخلفه أبوه صغيراً فجرى على منهاج السياسة. وحمدت سيرته الرعية، ففوض إليه، وألقى بزمام مملكته بيديه، ولم يستثن عليه شيئا منها، فاتخذ العساكر وجنّد الأجناد، وولى وعزل، وقدم وأخر، ووضع ورفع، كأنه مستقل بنفسه، ولم يعب عليه شيئا ولا رد له أمرا، وكانت العادة إذا كان والده المولى عبد الرحمان بفاس يكون هو بمراكش، وإذا صعد السلطان لمراكش أعقبه لفاس، وهكذا إلى أن توفي السلطان رحمه الله.

---

(1) يقصد: المولي عبد الرحمان بن هشام.
(2) زاد بعد ذلك في ك: و(حرف الواو).
(3) أنظر: المقصد التاسع من الجزء الثاني ص : 18-19.
(4) د: الدر، ك: الدرر، والتصحيح من ز: ح
(*) • 111 أ

[اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمان بالعلم والعلماء]

وكان من العقلاء الثابتين والأتقياء العارفين والعلماء الراسخين، بانياً أمره على الشريعة لا يحيد عنها طرفة عين، معتنيا بسرد البخاري كل سنة، متشوفاً لعلم الهندسة والتنجيم والهيئة، وجدّد معاهد العسكر وأسسها، ووجه لتعليم الهندسة والحرب عددا من الطلبة وأبناء المسلمين لبلاد الإفرنج، فتعلموا ما يكفي من ذلك، وما يحتاج إليه في تعليم كيفية النّظام، واستغنى بهم عمن عداهم من الأجانب.

[وقوع حرب تطاوين وأسباب انهزام الجيش المغربي]

وكان مكرما للعماء معظما لجانبهم، رادّاً مهمات الرعية إليهم، لم يقطع دونهم أمرا مهما، عالي الهمة[5]، مهتما بالجهاد والاستعداد، ظانا مقاومة الرعية للعدو، وبه أذن للرعية في مقاتلة الإصبنيوليين بسبب طلبهم قتل إثنى عشر رجلا من المسلمين المجاورين لهم بسبتة، * قائلين أنهم بغوا عليهم، فنشأ من ذلك حيث لم يساعدهم السلطان على طلبهم نقض الصلح[6] وحرب وقعة تطاوين، ولم يأل جهدا في إقامة الجنود والجيوش المتطوعة المجتمعة للغزو، ففتح الخزائن وأنفقها عليهم من كل ما يحتاجون إليه من خيل وآلة حرب من غير حصر، وذلك على يد خليفته أخيه المولى العباس، فكان الحرب، ونال المسلمون من الإصبنيوليين أجمل منال، وكان الحرب بينهم سجال، والنصر للمسلمين في غالب الأحوال، إلى أن تكاسلوا عن القتال وتقاعدوا، وتخالفوا على ما جزموا به وتواعدوا حتى إن نحو المائة من المسلمين واقفون أمام العدو يقاتلون، ونحو الألف والألفين ينظرون لقتالهم من بعيد يتفرجون على صنعهم، وما أقنعهم ذلك حتى جعلوا يتلصصون على من وجدوه من محلة المسلمين فريد، ويأخذون ما معه، وربما أصابوه بأسنة الرماح، أو قتلوه بمقامع الحديد، ففشل المسلمون بذلك، ودخل العدو مدينة تطاوين وأخذ بعض ما هنالك، وكان أشد بلاء على أهلها، قبائل الجبال المجاورة لها، فقد أباحوا حريمهم[7]، وسفكوا دماءهم لفرارهم نحوهم ظانين أمانتهم وأخوة الدين التي بينهم، فكان ما قدره الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(5) من هنا يبدأ محمد داود في تاريخ تطوان، ج 277-4 النقل من الحلل البهية، بنفس اللفظ.

(6) لعله يقصد بالصلح -هنا- الإتفاقية التي عقدها المولى عبد الرحمان مع إيزابيلا الثانية ملكة إسبانيا، في تطوان بتاريخ 24 محرم 1276 هـ / 24 غشت 1859 م. وهي اتفاقية تتعلق بحدود مليلية المحتلة، ويضمان سلامة وأمن الرعايا الإسبان بالمنطقة الشمالية من المغرب. وقعها من الجانب المغربي السيد محمد الخطيب، ومن الجانب الإسباني السيد خوان بلانكو (Juan Blanco del valle) . أنظر نص هذه الإتفاقية عند:
E.Rouard de card, les relations de l'espagne et du Maroc. Paris 1905. PP: 192-194

(7) أورد محمد داود في تاريخ تطوان، ج 278-4 هامش: 1 ، تعليقا يقول فيه: أما النهب فقد وقع منه الشيء الكثير بحيث لم يسلم من أموال أهل تطوان ومتاعهم إلا القليل، وأما القتل فقد وقع ولكنه قليل، وأما الأعراض فقد حفظها الله كما صرح بذلك الشريف العلامة سيدي مفضل أفيلال مشاهد تلك الحوادث ومسجلها، ولم يسمع أن امرأة واحدة وقع الاعتداء على عرضها والحمد لله.

(*) • 111 ب.

[جنوح السلطان لعقد الصلح وشروطه]

وحيث لم يساعد السلطان القدر، ولم يتم له ما أراد من قضاء الوطر [8]، جنح للسلم حيث جنحوا، وأمر قومه بقبول الصلح فاصطلحوا، وكان ذلك الصلح في أواخر شعبان سنة ست وسبعين ومائتين وألف [9] على شروط منها:

1- خروجهم من تطاوين وتسليمها مع ماوالاها من أرض المسلمين إليهم ويدفع السلطان لهم عشرين مليونا من الريال.

2- ويزاد للإصبنيوليين شيء يسير في المحدة على سبيل التوسعة [10] و(يبقى) [11] العدو مقيما بتطاوين حتى يستوفي الملايين المذكورة.

وبعد سنة من يوم الصلح استوفى عشرة ملايين، واتفق الرأي على استيفائه العشرة الثانية من مستفاد مراسي المغرب، فأقام أمناءه بها يأخذون نصف مستفاد كل شهر، إلى أن تم العدد، وكان خروجه من تطاوين يوم الجمعة [الثاني] من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين [13]، بعد أن مكثوا فيها سنتين وثلاثة أشهر ونصفا، ومنها:

3 - [14] وهو ثالث الشروط، تعيين جمعية من *الجانبين للوقوف على الحدود عند الاحتياج لإصلاحها.

الرابع: أن يعين السلطان عاملا في مليلية وسبتة لمداومة المهادنة.

الخامس: إن إصبانيا تبني تحصينات على ثغورها كيف شاءت.

السادس: التزام السلطان بالإنعام على الإصبنيول بأرض تكفي للصيد وقنصه بها على ساحل البحر المحيط المعروفة سنطكروس الصغرى [15] بحيث يصطادون بها، ويعينها لهم جماعة من الجانبين بحدها المتفق عليه.

السابع: المساعدة على تأسيس بناء دار بفاس للفرايلية وهم القسيسون المتعبدون بالأناجيل عندهم، ولا خصوصية لفاس، بل بأي محل أرادوه من أقطار المغرب.

---

(8) الوطر: الحاجة، البغية.

(9) أواخر شعبان 1276 هـ / أواخر مارس 1860 م. وفي المغرب عبر التاريخ، ج 243:3 أن ذلك كان يوم 2 رمضان 1276 هـ/ 25 مارس 1860 .

(10) هذان الشرطان -فقط- أوردهما الناصري في الاستقصا، ج 9: 101 .

(11) في جميع النسخ: بقي، واقتضى السياق تصحيحها.

(12) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .

(13) أي يوم الجمعة 2 ذي القعدة 1278 هـ / الخميس 1 ماي 1862م، وفي المغرب عبر التاريخ، ج 245:3 أن ذلك كان يوم 11 ذي القعدة 1278 هـ / 10 ماي 1862 م.

(14) الأرقام: 1 ، 2 ، 3 ، أوردها المؤلف هكذا. أما ما بعدها فقد أوردها بالحروف.

(15) كان هناك مركزين يحملان نفس الإسم، على الساحل الأطلسي للمغرب. الأول سانطا كروز بأكادير أقام به البرتغال مركزا تجاريا وقلعة حامية، ثم استرجعه السلطان محمد الشيخ سنة 943 هـ / 1536 م. أما المركز الثاني وهو المقصود في المتن سانطا كروز دي لا ماريكينيا Santa Cruz de la mar Pequena بني على ضفة وادي نون قبالة جزر كناريا، من طرف (Diego de Herrera) البرتغالي وذلك سنة 881 هـ / 1476م ، وسلم بعد ذلك للإسبان. وفي سنة 931 هـ/ 1524 م استرجعت القبائل المحلية المركز، وفقد أهميته التجارية. إلا أن الإسبان سيطالبون به في معاهدات واتفاقيات لاحقة، ومن ضمنها معاهدة صلح تطوان المذكورة في المتن. أنظر:
-Budgett Meaking, The land of the Moors, PP: 355-357
- J.L. Miège, Le Maroc et l'europe, T3 PP: 320-330 .

(*) 112 أ.

الثامن: إعطاء قطعة من الأرض بساحة دار القنصل بتطاوين لبناء كنيسة بها قرب الدار. وقد بنيت بحارة الفدان.

التاسع: الاستلزام بتوقير وتعظيم سكان الديار الذين هم الفرايلية بالمغرب في المصارفة من الجانبين.

العاشر: وفاق تجاري، وإجراء رعاية إسبانيا على القواعد الجارية عليها الدول الحائزون تصرف الامتياز.

الحادي عشر: لما (يتحرر)[16] الوفق التجاري المذكور لا ينتقض به مبرم الشروط المذكورة.

الثاني عشر: لا يمنع الإصبنيوليون من وسق الخشب من مراسي المغرب.

الثالث عشر: تسريح (الأسارى)[17] من الجانبين.

الرابع عشر: القيام بأمر المهادنة.

الخامس عشر: إصلاح الحدود من جهة إصبانيا، فأصلحوا من جهة الأنجرة[18] حد سبتة وجانب البحر.

السادس عشر: وهو غايتها. تعرض هذه الشروط على دول أوربا، حتى يروا رأيهم فيها بالتسليم أو عدمه، وتنفذ بعد عشرين يوما من وقوعها [19].

وبعده، وقع الإمضاء والاتفاق على تسليمها وقبولها من المفوض لهم من الجانبين وكان ذلك من قبل السلطان رحمه الله على يد السيد محمد الخطيب التطاوني والسيد محمد بن عبد الملك الجبلي[20]، ومن قبل إصبانيا على يد الويس غرسية [21] وطماس لخليس بردجي[22] المفوض إليهما منه كذلك.

وفي الأثر تحرر الوفق التجاري المذكور شرطا عاشرا في السابع عشر من جمادى الأولى عام ثمانية وسبعين[23] على يد المولى العباس بن أمير المؤمنين المولى عبد الرحمان من قبل السلطان سيدي محمد *وكلدرون كوياتطيس[24] من قبل إصبانيا، وقد احتوى هذا (الوفق)[25] على أربعة وستين شرطا[26]، كلها تتعلق بسلع إصبانيا من دخولها للمغرب، وما يلزم عليها من الأعشار، وغير ذلك من الأمور التجارية، التي يطول تتبعها بهذا ولله عاقبة الأمور.

---

(16) د. ك: يتحر. والتصحيح من ز. ح.

(17) ك: النصارى.

(18) أنجرة: قبيلة تمتد شرقي الفحص وطنجة. وتتألف من ستة فروع: بالأزرق، ربوع الوسطي، القصر، الخميس الفحاصة. والعزايب. أنظر: Augustt Moulieras, le Maroc inconnu. T2. P 706. 713-

(19) هذه المعاهدة أثبتها ابن زيدان في الإتحاف. ج 3: 487-489 نقلا عن الحلل البهية بشيء من التصرف.

(20) وفي تاريخ تطوان، ج 4: 279 هامش 1 ، و ج 4، 286، 287، 293. ورد اسمه هكذا: أحمد الشبلي بن عبد الملك. وكذلك عند: E. Rouard de card. les relations de l'espagne et du Maroc. P : 198.

(21) اسمه كاملا بالإسبانية: Louis CARCIA Miguel

(22) اسمه بالإسبانية: Thomas de Ligues Y Bardaji

(23) أي 17 جمادي الأولى 1278 هـ / الأربعاء 20 نوفمبر 1861 م.

(24) اسمه كاملا بالإسبانية: Saturnino Calderon Collantes

(25) د. ح. ك: الشروط. والتصحيح من ز.

(26) أبرم هذا الوفق التجاري (المعاهدة التجارية) بمدينة مدريد. أنظر نص هذا الوفق بشروطه الأربع والستين عند: E. Rouard de card. les relations de l' espagne et du Maroc. PP. 203-222

(*) • 112 ب .

[رجوع المؤلف لأسباب الانهزام في حرب تطاوين]

وبهذه الوقعة، انكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله، وزال حجاب الهيبة عن بلاد (المسلمين)[27] لذمامة الاصبنيول حينئذ وحقارته لدى الدول العظام، إذ (غلب)[28] [الحقير][29] أشد للحسرة وآكد للفضيحة، وفي المثل : لو ذات (سوار)[30] لطمتني. ولذلك كانت هزيمة وادي يسلي المتقدمة[31] مع الفرنسيس، أهون من هذه، لكون الغالب غير حقير، بل هو أعظم دول الإفرنج والروم وبمكائد الحروب خبير. وعلى كل حال فانهزام المسلمين إنما هو بسبب افتراق كلمتهم، وعدم حاكم يزعجهم على التقدم، وضابط يجبرهم على الزحف، حتى (يظهروا)[32] شجاعتهم، وأقوى من ذلك ركون بعضهم إلى العدو وانتصارهم له وسعايتهم في (تغلبه)[33]، وانتصاره بما أمكنهم. وبذلك أخذت أكثر بلاد المسلمين مع خبث نيتهم وسوء طويتهم. قال القاضي يحي بن عاصم رحمه الله في كتابه جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى[34] ما نصه: ومن استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أن النصارى - دمرهم الله- لم يدركوا في المسلمين ثأرا، ولم يدحضوا عن أنفسهم عاراً، ولم يخربوا من الجزيرة منازلاً وديارًا، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً، إلا بعد تمكينهم (لأسباب)[35] الخلاف، واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف، وتصريفهم بالمكر والخديعة، بين ملوك الجزيرة، (وتحريشهم)[36] بالكيد و(الخلافة)[37]، بين حماتها في الفتن (المبيدة)[38]، ومهما كانت الكلمة مؤلفة، والأراء لا مفترقة ولا مختلفة، والعلماء بمعاقدة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفة ، فالحرب إذ ذاك سجّال، ولله في إقامة الجهاد في سبيله رجال. إلى أن قال: وتطاولت الأيام بين مهادنة ومقاطعة، ومضاربة ومقارعة، ومنازلة ومنازعة، وموافقة وممانعة، ومحاربة وموادعة، ولا أمل للطاغية إلا هدم أركان الدين، وإضمار المكيدة للموحدين، و(استيصال)[39] الخديعة للمجاهدين، وهو يظهر أنه ساع *للوطن في العاقبة الحسنى، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنى[40] انتهى المراد منه.

---

(27) كـ: المغرب. وكذلك في الاستقصا، ج 101:9 ، وتاريخ تطوان، ج 279:4، ونشير إلى أن صاحب تاريخ تطوان مازال ينقل نصه عن الحلل البهية.

(28) ز،ح: غلبه.

(29) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من كـ .

(30) د، كـ: صوار.

(31) أنظر: المقصد الحادي عشر من الجزء الثاني ص : 79 - 81.

(32) كـ: ينظروا.

(33) د: تغليهم. والتصحيح من ز، ح، كـ.

(34) لم أقف على هذا الكتاب. وقد ذكره أحمد المقري في كتابه أزهار الرياض في أخبار عياض. ونقل منه عدة نصوص تاريخية. ومن ضمنها هذا النص. أنظر: أزهار الرياض، ج 1، 50 - 51

(35) كـ: بأسباب.

(36) د، ح، كـ: تحريشهم. والتصحيح من ز، وأزهار الرياض ج 1 51.

(37) ز، ح: الخلاف. وفي أزهار الرياض، ج 1: 51 الخلابة.

(38) ز: المبيرة، وكذلك في أزهار الرياض ج 1. 51.

(39) كذا في جميع النسخ، وفي أزهار الرياض، ج1 51. استبطان.

(40) هذا النص يوجد في أزهار الرياض لأحمد المقري، ج 1 50 - 51. نقلا عن كتاب جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى.

(*) * 113 أ.

[و][41] حكايات ما أحدثه المسلمون بأهل تطاوين تفزع منها القلوب، وتكذبها العقول، لولا مشاهدة العيان، وتواتر الأخبار بها، ولا شك أنها سبب الخذلان والهزيمة و(الحرمان)[42]، قال الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج[43] في مدخله: يخرج المجاهد وهو عند نفسه في طاعة وهو يقع في مخالفات جمة لعدم التلبس لمعرفته[44]. وقد يكون سببا إلى وقوع الرعب وانهزامه، فإن العدو إنما يستعد له بإقامة هذا الدين، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"[45]

قال العلماء: نصر العبد لربه امتثال أمره ونهيه، وقال تعالى: "واعلموا أن الله مع المتقين؛[46]، وقال البيضاوي[47]: هي بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم. روي أن عمر بن الخطاب -رضي الله[48] عنه - جاءه كتاب بفتح بلدة من الشام، وفيه أن الحرب بينهم وبين أهلها من أول النهار إلى آخر النهار، وفي غد إلى بعد الزوال، فبكى، فقيل له: أتبكي والنصر لنا؟ قال: والله ما الكفر يقوم أمام الإسلام إلى غد إلى الزوال إلا لأمر أحدثتموه أنتم وأنا انتهى.

وإنك إن فكرت تجد الإسلام[49] أحدث شيئا كثيراً من المناكر في هذه الوقعة[50] وفي غيرها، والخروج عن السنة أصل كل رذيلة، كما أن كثيرا من مدن الأندلس، أخذت بمعونة بعض المسلمين ومنها إشبيلية أخذها الطاغية بمعونة ابن الأحمر بمدده وسيره، وكذلك وطن الجزائر فإن جله أخذ بمعونة العرب وميل قبائله إلى الفرنسيس بغضا في السيد الحاج عبد القادر وبعضهم طمعا في الرتب والجاه والكلمة، وكل شيء له سبب، والأمر لله **"إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"**[51]

---

(41) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(42) ك: الخذلان.
(43) يقصد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج، (ت. 737 هـ / 1336).
أنظر ترجمته ومصادرها في المقصد الثاني من الجزء الأول ص : 202 ، الهامش 102 .
(44) أنظر: ابن الحاج، المدخل، ج 7:3 . بتصرف.
(45) سورة محمد، الآية: 7 .
(46) سورة البقرة، الآية: 194 .
(47) لعله يقصد به: عبد الله بن عمر البيضاوي، أبو الخير، المتوفي سنة 698 هـ / 1298 م. فقيه، مفسر، أصولي. ولي القضاء بشيراز. وله مؤلفات في الفقه والتفسير. أنظر: الفكر السامي، ج 2: 341 - 342 .
(48) زاد بعد ذلك في ز، ح: تعالى.
(49) كذا في جميع النسخ، وهو يقصد: بعض المسلمين سواء الذين شاركوا في حرب تطاوين أو في حروب ووقائع أخرى كما سيبرهن على ذلك بعد قليل.
(50) يقصد بها: وقعة تطاوين.
(51) هذه آية: 128 من سورة الأعراف.
(*) • 113 أ.

[دفع تعويضات حرب تطاوين]

ولنرجع إلى ما هو المقصود. وبالصلح المذكور في تاريخه [52] أصلح الإمام سيدي محمد ما أفسدته الرعية بفعلهم الذميم من الانهزام، بسبب الفشل المتولد من تفاقم الأمر والاختلاف والخروج عن السنة، وعدم النصيحة في القتال بدفع ما تقدم من الدراهم على الكيفية المقررة.

[تحديث العسكر وفشله]

وبعده، اجتهد في اتخاذ العسكر وحسن (انتظامه)[53]. وهو أول من أحدثه من ملوك المغرب، وكان إحداثه إياه في خلافته زمن دولة أبيه بعد رجوعه من وقعة إيسلي المتقدمة[54]، فلا * منافاة بين هذا و[بين][55] ما ذكرناه في دولة أبيه من حدوث العسكر بها [56]، ثم جد فيه بعد هذه الوقعة ، وصرف همته إلى القيام به، وإلى كل وسيلة يحتاج إليها حتى يضاهي به عساكر الدول العظام، فإذا بالمقادر لم تساعده، وقد جمع منه ما تيسر جمعه، ولم يتم ما أراده، لخيانة دائرته وخبث نيتهم، واعتنائهم بجلب النفع لأنفسهم خاصة، وإهمالهم أمور الدين والنصيحة له، وكلما توجه له بكليته، زهدوه فيه وزينوا له ما يوافق أغراضهم، وشرحوا له وجه النصيحة فيه، وأطلعوه على عورات المتولي أمره، ونسبوا له الأفاعيل، إلى غير ذلك من الغش والمكر الغير الموافق لدوام الملك وعزه، ومن الحكم قولهم: أربعة أشياء لا يدوم معها ملك: غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية. وكلها مجموعة فيمن ذكر، إذ السلطان معتمد عليهم يحسب أنهم نصحاء له وللرعية والدين، أمناء لا يخونون الله ولا يكذبون عليه، ولحسن نيته فيهم يصدقهم فيما قالوه، ويساعدهم على ما أرادوه، وهم على ما هو معلوم عند كل أحد، من اقتصارهم على جلب النفع الدنيوي لأنفسهم، من الجاه والرفعة ونفوذ الكلمة وبناء القصور واقتناء الذهب والفضة والتمتع بالجواري والفرش والأواني الرفيعة والبغال المعتبرة وآلة الملاهي والفرجة، لا يلتفتون لغير هذا، ولا يهتمون به، **"ولله عاقبة الأمور"** [57].

---

(52) أي أواخر شعبان 1276 هـ / أواخر مارس 1860 م.

(53) د. ح: انتظامه. والتصحيح من ز. ك.

(54) أنظر: المقصد الحادي عشر من الجزء الثاني ص : 79 - 81 .

(55) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(56) أنظر: المقصد الحادي عشر من الجزء الثاني ص : 77-78 .

(57) هذه آية: 41 من سورة الحج. وإلى هنا ينتهي ما نقله محمد داود في تاريخ تطوان، ج 4: 280 من الحلل البهية، بنفس اللفظ.

(*) * 113 ب.

[ثورة الجلالي الروكّي السفياني والقضاء عليها]

ومن الحوادث في أيامه، ظهور (الجلالي)[58] الروكَي السفياني عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف[59].

وكان هذا الرجل من (أوباش)[60] الناس وأجلافهم، حرفته الرعاية أو ما شاكلها من حرف أهل البادية المقلّين، ثم إنه دخل مغارة بجبل كورت الذي هو من أرضهم على ما حكى عنه أقاربه، وبقي بها نحو الثلاثة أيام، ولما خرج منها انقلبت أحواله، وعاد إليهم بشيء لم يعتادوه فيه ولا يظنوه، من خوارق عادات وأخبار بمغيبات، فاجتمع لذلك عليه العامة واعتقدوا فيه الولاية، فقصده بعض العقلاء من قبيلته للقبض عليه فصبت عليه وعلى من معه من السماء الحجارة، فزاد ذلك للعامة اعتقاداً، وسعوا بسببه في الأرض فساداً، كما تواتر من خبره أن من تقدم عليه وقت الحرب والقتال يصاب بالرصاص إن صادفه علي العادة وأن من تأخر عنه لا *يصيبه شيء من ذلك. وما وصل للمتأخر عنه لا يؤثر شيئاً ولا يولم إيلام الحجر، وأن السارق من الغوغاء[61] المجتمعين عليه، يبيت ليله سائراً بالسرقة ويصبح في ساحة محلته فيؤخذ، فطار في البلدان صيته، وقهر الناس شيطانه، واجتمع عليه خلق كثير من الرعاة والأجلاف، فتقدم بهم إلى قرية القائد عبد الكريم بن عبد السلام بن عودة (الحارثي)[62] السفياني، فحاصرها يوما وأمر القائد المذكور أقاربه ومن معه بها بالقتال، فتأهبوا واستعدوا له بما أمكنهم من رمي الرصاص، فلم يعمل فيه شيئا ولا فيمن تأخر عنه واقتحم العامة القرية ودخلوها وقتلوا القائد ومن معه ونهبوا كل ما كان بالقرية من الأموال والأمتعة، وكان شيئاً كثيراً قد استغنت منه أناس، فازداد الناس بهذا الخبر رعبا، وفشلوا بسمعهم أن الرصاص لا يفيد شيئا فيه ولا فيمن تبعه، وهابه جميع الناس، وفشا أمره في الحواضر والبوادي، ثم إنه قصد من هناك قرية الحباسي، فساعدوه على رأيه ودافعوه بما أصلح خاطره لما رأوا من فعله بقرية ابن عودة، ثم قصد قبيلة الشراردة [63] يريد اللحوق بمكناسة الزيتون، فنهبت الرعاة معه في طريقهم ما أمكنهم نهبه من الشراردة وغيرهم مما هو على الطريق، حيث أمنوا من إعمال الرصاص فيهم إن تأخروا عنه، فزادهم ذلك اجتراء وتعدياً، وتشوف الناس لهذا الرجل، وخافوا من شره، وارتعبت قلوب الخلائق من بأسه، واهتز له أهل فاس وتخوفوا منه، وكل من سمع أفعاله، ولما أراد الله أخذه واستراحة الناس من شيطانه، قصد ضريح مولانا

---

(58) في الاستقصا 9 : 108 : الجيلاني.

(59) عام 1278 هـ / 1861 م .

(60) د. ح. ك: أويش. والتصحيح من ز.

(61) الغوغاء. سفلة الناس.

(62) ك: الحارني

(63) قبيلة الشراردة: قبيلة عربية، كانت كثيرة الترحال، استخدم الملوك العلويون أفرادها في الجيش ووزعهم على أنحاء المغرب. وتنسب إليهم قصبة الشراردة، الواقعة في الطريق الرابطة بين فاس ومكناس وطنجة، وهي أقرب إلى مدينة فاس. أنظر: المغرب لابن العربي: 238، إيقاظ السريرة للصديقي ج 1:18، الموسوعة. معلمة المدن ملحق 286:2، تاريخ الضعيف، ج 1:151 هامش : 76 .

(*) • 114 أ.

إدريس بن عبد الله الكامل بزرهون، فقعد له الرماة بباب المدينة ورموه بعدة معادن دون الرصاص، من الفضة والنحاس، عسى أن يكون شأنه إنما هو في الرصاص، وكان رميهم إياه بالقرب دون حاجز بينهم وبينه، ولم يؤثر فيه شيء، حتى أنه ليقبض على الرصاصة الواصلة إليه بجسده ويردها على صاحبها باردة كأنها لم يمسها نار، فتحير الناس في أمره إلى أن دخل الضريح الشريف، فسلب ببركته مما كان معه من فعل الشيطان أو الجن، فقبض عليه حينئذ، وقتل وحز رأسه، وقطعت يده، وقبض على بعض من كان معه وأفلت البعض.

حكى لنا المرابط السيد المنور من آل سيدي *الشيخ وكان معه صاحب رايته. قال: إني لما رأيته، تغير حاله وهو بالضريح الشريف. قلت له: (أين ما)[64] نعتاده منك من الخوارق؟ وأين سيفك؟ فسله. وكان عادته يسل سيفا قصيرا كان عنده ويشير به إلى الناحية التي يريدها، فيكون ما يقوله، (فخرس)[65] عن الجواب! وبدا في وجهه العجز، وظهرت أمارات السلب، فنهضتُ وتحيلتُ في الخروج من الضريح، وقصدتُ الفرار بعد الاختفاء عند بعض الأحبة، فكان ذلك سبب نجاتي. وبمفارقتي إياه قبض عليه واضمحل سحره، وبطل أمره وخاب شيطانه. انتهى.

وبموته طار خبره في الآفاق، وحمل رأسه ويده إلى السلطان، وهو يومئذ برباط الفتح، قادم من مراكش، ووجه به إليها، وبقيت العامة أمدا طويلا تتحدث بأنه لازال حيًا، وتنكر موته، ومن تحدث بها مقتوه وأبغضوه وحاجوه بأنه لازال يأتي لزوجته ليلا، وقد أخبرتنا بذلك إلى الآن، وأنه كان يتحدث بأنه سيقع له هذا ويفشو قتله في الناس، حتى ييأسوا منه، ثم يعود ويمكر بمن تحدث بموته وقتله، وإنما ذهب لغرض يُقضى على يديه، إلى غير ذلك من الخرافات.

[ثورة المولى عبد الرحمان بن سليمان والقضاء عليها]

وكان -أيضا- قد قام قبله[66] ثائر المولى عبد الرحمان ابن سليمان بمجرد موت المولى عبد الرحمان بن هشام، وورد على فاس بشرذمة من البربر معه من سجلماسة بموافقة بعض الأعيان من أقاربه وبعض أهل فاس من عدوة الأندلس، فخرج لمحاربته الوزير الفقيه السيد العربي بن المختار الجامعي بمن معه من خيل أولاد جامع واشراقة، فلما تراءى الجمعان بقرب ظهر المهراس، انهزم البربر وذهب المولى عبد الرحمان منهزما، ولم تقم له قائمة بعد، ولما حل السلطان فاسا وتمت له البيعة من أهلها أخبره الوزير المذكور بالأعيان الموافقين والباعثين للمولى عبد الرحمان بالمجيء، وقيد أسماءهم، فأمر رحمه الله بحرق تلك الصحيفة، ولم ينظرها حلما منه وصفحا عن إساءتهم، وذلك يعد من حلمه وكمال عقله، ولم يعاقب أحداً منهم.

---

(64) د. ك: أينما. والتصحيح من ز. ح.
(65) د. ح. ك: فخرج. والتصحيح من ز.
(66) أي قبل ثورة الجلالي الروكي المذكور سابقا.
(*) • 114 ب.

[تحسن الوضع الاجتماعي العام بعد وقعة تطاوين]

وكانت أيامه كلها بعد وقعة تطاوين مواسما وأعياداً، ومواطن راحة وهناء وانقياداً، خالط السرور الكبير والصغير، واستكفى الغني واغتنى الفقير، وربح أهل المتاجر، وفتح على أهل المحابر، واستقام بإمامته الدين أي استقامة، وعلى منهج الشرع القويم كانت جميع * أحواله، فحمد الناس سيرته وأحكامه، وتنافس الناس في التمدن والحضارة، ولم يعبئوا بما لزمهم في اقتناء النفائس والذخائر من الخسارة؛ وما (وظفه)[67] من الإعانة على البائع والمشتري بكل سوق، كان بسبب دفع ما وقع عليه الصلح بتطاوين بعد استيشاره أهل العلم، وفتواهم بذلك، غفر الله لنا ولهم ولجميع المسلمين.

[وفاة المولى محمد بن عبد الرحمان]

ولازال على سيرته الحميدة لدى الرعية إلى أن قبضه الله إليه في عز ونصر. وإلى ذلك أشار بقوله:[68].

فَــلاَ زَال فِــي نَــصْــرٍ يَــذودُ رَعَــيَّــةً (بِسِر)[69] سَرَى فِي قَضَايَا العَجَائِبِ
إلى أَنْ أَجَــابَ دَاعِــي الــلّــه لِــلُــقَــا بِــعِــزَّةِ نَــفْــسٍ فِــي مَــنَــايَــا الــذَّوَاهِــبِ

لازال فلان يفعل كذا أي لم يزل عنه. والنصر: معلوم. وذاد: يذود أي ساق الإبل يسوقها. والسر: ما يكتم، وهو ضد الإعلان. والسري: السائر ليلا، ويستعمل في المعاني تشبيها لها بالأجسام مجازا واتساعا .

قال جرير[70]: [الكامل]

سَرَتِ الهُمُومُ (فَبِتْنَا)[71] غَيْرَ نِيَامِ وَأَخُو الـهُـمُـومِ يَـرُومُ كُـلَّ مَـرَامِ[72]

وقال السرقسطي[73]: سرى عرف السوء في الإنسان. وكذلك قولهم سرى فيه السم والخمر ونحوهما، ومنه هذا. والقضايا: جمع قضية وهي الحكومة، وإضافتها للعجائب

---

(67) د. ك: وصفه. والتصحيح من ز. ح.
(68) أي الناظم (الغالي بن المكي بن سليمان).
(69) د. ح: بسر. والتصحيح من ز. ك.
(70) هو: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي، اليربوعي التميمي (28 - 110 هـ / 640 - 728 م): شاعر مشهور، ولد ومات في اليمامة. أنظر: البداية، ج 9: 260 - 265 ، خزانة الأدب، ج 1: 75 - 77، الأعلام للزركلي، ج 2 : 119 .
(71) في ديوان جرير: 450: فبتن.
(72) هذا البيت يوجد في ديوان جرير: 452 .
(73) لعله يقصد به : محمد بن يوسف السرقسطي، الأندلسي المتوفى سنة 538 هـ / 1143 م: كاتب، أديب وشاعر، ولد بسرقسطة (SARAGOZA) وتوفي بقرطبة. أنظر: بغية الوعاة للسيوطي، ج 1: 279 . الأعلام للزركلي ج 7، 149 .
(*) 115 أ.

من إضافة الموصوف للصفة أي القضايا العجيبة. وإجابة الدعوى: معلومة. وداعي الله: رسوله. واللقاء: بالكسر والمد معلوم، ونصره ضرورة. وعزة النفس: شرفها وعدم إهانتها، إذ العز ضد الذل، وقوتها أيضا، والنفس قد يراد بها الروح فتؤنث، قال تعالى: "خلقكم من نفس واحدة" [74]، ويراد بها الشخص، فتذكر. والمراد هنا الشخص والروح معا. والمنايا: جمع منية وهي الموت، مشتقة من منى له أي قدره، وأنها مقدرة. والذواهب: جمع ذاهب.

والمعنى: أنه لازال رحمه الله مدة حياته، سائقا لرعيته بحسن سيرته بأسرار لم نطلع عليها من أنفس السياسة، وأجملها السارية في أحكامه وتولياته وشؤونه كلها، العجيبة الاختراع، المحمودة العاقبة، إلى أن أجاب داعي الله للقائه محبة فيه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وهو على ما هو عليه من العز، والشرف، والقوة الكاملة دون مرض أصابه، (فكان في قبضة المنايا)[75] الذاهبات بالأرواح .* ويحتمل أن المنايا جمع للمنية التي هي (واحدة)[76] المنى، ويكون المعنى أنه أجاب وأحب لقاء الله في حال كونه مشتغلا ومتلبسا بقضاء أمنية الرعية العازمين على الذهاب وتنفيذ أغراضها ومآربها. وكانت وفاته رحمه الله [بمراكش]،[77] قيل بشرب دواء مسهل فكان فيه أجله، وذلك في زوال يوم الخميس الثامن عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومائتين وألف[78]، ودفن ليلا بضريح جده علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض، وكُتب على رخامة قبره[79] [الطويل].

أ مُسْتَعْبِراً حَوْلِي (رُوَيْدَكَ)[80] إِنَّنِي ... ضَرِيحُ سَعِيد حَلَّ فِيهِ سَعِيدُ
هُوَ الْعَلَوِيُّ الْهَاشِمِيُّ مُحَمَّدٌ ... إِمَامٌ لَهُ فِي الْمُلْكِ سَعْيٌ حَمِيدُ
أَبُوهُ أَبُو زَيد وَ (قَدَّسَ)[81] ذِكره ... فَقَدْ كَانَ يُبْدِي فِي الْعُلاَ وَيُعِيدُ
تَرَحَّمْ عَلَيْهِ واعْتَبِرْ بِمُصَابِهِ ... فَعِقْدُ نَفِيسٌ قَدْ أُصِيبَ فَرِيدُ
وَمَنْ رَامَ تَارِيخَ الْوَفَاةِ فَقُلْ لَهُ ... بِشِعْرِكَ أَرِّخْ مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ[82]

---

(74) سورة النساء الآية : 1 .
(75) تكرار في ك.
(76) د. ز. ح: واحد. والتصحيح من ك.
(77) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ز. ح. والتكملة من ك.
(78) يوم الخميس 18 رجب 1290 هـ / 11 شتنبر 1873 م.
(79) زاد في الاستقصا، ج 9: 124: أبيات ليست من جيد الشعر.
(80) د: ضريحك. والتصحيح من ز. ح. ك. والاستقصا، ج 9: 124 والدرر الفاخرة لابن زيدان: 89 .
(81) في الدرر الفاخرة: 89 : قد شيد.
(82) هذه الأبيات توجد في الاستقصا، ج 9: 124 - 125 ، والدرر الفاخرة: 89 .
(*) • 115 ب.

[أعمال المولى محمد بن عبد الرحمان]

ومن آثاره بمراكش أيام خلافته على والده، تكملة غرس أجدال[83] وكان في زمان الصيف يناله الذبول لعطشه لتعطل الماء عنه من محله المعتاد له، وهي البركة الكبرى التي بدار الهنا طولها إثنتا عشرة مائة قدم وعرضها تسعمائة قدم حسبما أخبر به بعض المخبرين مما قاسها، وكانت تغيرت بامتلاء وسطها بالطين والتراب، حتى بنى الناس بوسطها منازل، فأمر رحمه الله في أيام ولايته (خليفة)[84] بإخراج ما في تلك البركة والصهاريج من الطين، فأخرج، وبه عادت إلى حالها الذي بنيت لأجله وهو اختزان الماء لوقت المصيف، وبذلك كمل المراد من أجدال، وعاد إليه شبابه بدوام (الري)[85].

ومن ذلك -أيضا- إحياء عين أبي (عكار)[86] خارج باب الطبول من مراكش حيث أمر بتنقيتها وإصلاحها، فعاد ما حولها بإحيائها مزارع (نفاعة)[87] تغني الزارعين وتبهج الناظرين، وبنى حولها قلعة يأوي إليها الحراثون بدوابهم وأنعامهم. ومن ذلك [أيضا][88] إحياء عين المنارة -أيضا- وبركتها العظمى، وكانت تعطلتْ منذ أزمان فقيض الله لها هذا الإمام، فأصلح ما تشعث من حيطانها وأخرج ما كان بها من الطين، وأجرى إليها العيون والأنهار، وأمر بغرس ما حولها، فضاهت أجدال.* ومن ذلك - أيضا- [إجراء][89] النهر المسمى بتاركي المستمد من وادي نفيس. ومن ذلك -أيضا- إجراء النهر الذي جلبه من تاساوت إلى البسيط الذي بين بلاد زمران والرحامنة[90] و(السراغنة)[91] وهو المسمى (بفيطوط)[92]، ومن ذلك بناؤه داره الكبرى بعد استقلاله بالملك بأجدال رباط الفتح والسور الكبير المحيط ببسيطها، وجلب الماء إليها. ومن ذلك -أيضا- إحياء جامع السنة قربها وكان بائداً يعشش فيه البوم، وأقام فيه الصلوات الخمس والخطبة كل جمعة. وكذلك إحياء المسجد الصغير هنالك المسمى بمسجد أهل فاس - ومن ذلك - أيضا - المسجد

---

(83) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا، ج 125:9 .

(84) د، ز، ح خليفته، والتصحيح من ك.

(85) د، ك الراي، والتصحيح من ز، ح.

(86) ز: عكاز، وكذلك في الاستقصا، ج 126:9 .

(87) ك بقاعة.

(88) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(89) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز، ح.

(90) الرحامنة: تدخل ضمن دوائر عمالة مراكش، وتتكون من جماعات منها: ابن كرير، والجعافرة، وأولاد عبو، والصخور. أنظر تاريخ الضعيف، ج 1: 228 هامش: 25 .

-Eugène Eubin, Le Maroc d'aujourd'hui, PP: 73-74

- Gaston Deverdun, Marrakech des origines à 1912. T1. P: 22

(91) د: السراغنة، والتصحيح من ز، ح، ك.

(92) ك: بعيطوط.

(*) + 116 أ.

الجامع بالسوق من الدار البيضاء، والحمام القديم الذي كان بها. وكان الصائر عليه من بيت المال، كما أصلح أسوار الجديدة وأبراجها، واعتنى بشأن الثغور كلها، ومن ذلك برج الفنار بطنجة يسرج فيه ضوء كثير يظهر للسيارة في البحر ليلا من مسافة بعيدة [93]، ومن ذلك بفاس بناؤه (مسجد)[94] المولى عبد الله بن إسماعيل وصومعته زمن خلافته في حدود أربعة وسبعين ومائتين وألف [95]، وكذلك بناؤه مسجد سيدي أحمد الشاوي وصيره جامعا تقام به الجمعة حذابه صنيع والده مع مولانا إدريس، فقد جدد بناء ما على يسار الداخل لقبة [المولى] [96] سيدي أحمد الشاوي وكان ذلك (البرج) [97] داراً له، فأخذ منها ما زيد في توسعة المسجد، والباقي منها جعله لخطيبه يوم الجمعة ، وأتى على بنائه وصومعته ومرحاضه من الأساس، وذلك في حدود إثنين وثمانين [98]، وَوُجِدَ عند حفر أساسه مقابر على طبقات أربع: السفلى منها بها عظام هائلة في الطول و(الغلظ) [99] مباينة [بكثير] [100] لأجرام أهل زمننا، ووقف عليها -رحمه الله- حتى نظرها وما فوقها من الطبقات، وأمر بعدم الدفن ومنعه بذلك المسجد لما ذكر، فمنع وانطمس آثار المقابر به عدا قبر امرأة تشفع له في بقاء أثرها فقبل شفاعة أمينه الحاج محمد بن (المدني) [101] بنيس لكونها من أقاربه، فبقي أثر قبرها معلوما. ومن آثاره -أيضا- بمراكش الزاهرة وهي من أعاجيب البناءات، وغير ذلك رحمه الله.

---

(93) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا، ج 127:9 .
(94) ز: لمسجد.
(95) 1274 هـ / 1857 م.
(96) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز. وكُتب في ك: الولي
(97) ز. ح: البراج .
(98) أي في حدود 1282 هـ / 1865 م.
(99) د. ك: الغلط. والتصحيح من ز.ح.
(100) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(101) د. ح: المداني. والتصحيح من ز. ك.

[المقصد الثالث عشر: الإصلاح وازدياد الأطماع الأوربية]

[تولية المولى الحسن]

ولم يؤرخ (الناظم [1]) لوفاته [2] اتكالا على تاريخ ولاية ولده المنصور بالله إمامنا المولى الحسن لكونه الخليفة بعده دون توان، وإلى ذلك أشار بقوله:

فَحَازَ سَمِيُّ السِّبْطِ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ   حِيَازَةَ نَيْلٍ فِي رَقِيبٍ وَرَاقِبِ

الحوز: الضم، وبابه قال: فكل من ضم شيئاً إليه فقد حازه. وسمي: الشيء ما (وافق)[3] اسمه تقول فلان سمي فلان إذا وافق اسمه اسم فلان. والسبط: ولد البنت، وصار علما بالغلبة على مولانا الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن بنته فاطمة الزهراء، وهي سيدة النساء على الإطلاق، وهي أفضل من أمها خديجة، وخديجة أفضل من عائشة، قاله تقي الدين السبكي [4]، ونصه: فالذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل، ثم خديجة، ثم عائشة، ولم يخف علينا الخلاف في ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، انتهى.

وكانت رضي الله عنها - مع صغر سنها- من ذوات العقل التام، والعلم الوافر، قال علي كرم الله وجهه: كانت تنفس علي في كثير من المسائل، ولقد كنت مع رسول الله ﷺ في جملة من أصحابه فسألنا عن خير النساء، فلم يجبه أحد منا، ولم ندر ما نقول، فلما انصرفت إلى فاطمة ذكرت ذلك لها فقالت من غير توفق ولا مهلة: خير النساء التي لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال. قال علي: فجئت فأخبرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا لك أو لغيرك؟ فقلت أخبرتني به فاطمة، فأعجبه ذلك وقال: "فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي"[5] إلى غير ذلك مما يدل على تفضيلها.

وأما سيدنا (الحسن) [6] السبط جدّ إمامنا الأعلى المسمى باسمه، فإنه يكنى أبا محمد و(يلقب)[7] بالتقي والسيد، وبشّره صلى الله عليه وسلم بالجنة، وكان أشبه برسول الله ﷺ

---

(1) في جميع النسخ: ظم، وهي اختصار لكلمة: الناظم.
(2) أي لوفاة المولى محمد بن عبد الرحمان(السلطان).
(3) د: رافق. والتصحيح من ز.ح.ك.
(4) هو: علي بن عبد الكافي السبكي، تقي الدين، أبو الحسن (683 – 756 / 1284– 1355): مفسر، مفتي، مترجم، وله مشاركة في علوم أخرى. توفي بالقاهرة. أنظر: طبقات الشافية، ج: 6: 146-226 ، الدرر الكامنة، ج 3:63 غاية النهاية، ج 1:551، الأعلام للزركلي. ج 4 : 302
(5) أخرجه البخاري، الفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 7: 105 ، بنفس اللفظ، والترمذي في السنن، ج: 5: 360.359 باختلاف يسير في اللفظ. وكلاهما أخرجاه عن المسور بن مخرمة.
(6) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ز. ح. ، والتكملة من ك.
(7) د، ز،ح: تلقب. والتصحيح من ك.

من رأسه إلى صدره، وأخذه أبو بكر -رضي الله عنه- وهو خليفة. وحمله على عاتقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك، وكان سيدنا الحسن من أكرم الناس يصل الرجل الواحد بمائة ألف، وكان كثير التزوج والطلاق، ويقال: تزوج رضي الله عنه سبعين امرأة، وقيل: مائتي امرأة. يقال: أنه طلق امرأة وأرسل إليها بسبعين ألف درهم متعة، فحين جاءتها تنفست الصعداء وقالت: متاع قليل من محب مفارق. فبلغته مقالتها فراجعها ولم يكن يراجع إذا طلق. ويقال أن أكثر أولاده منها. وقال ابن اسحاق: تزوج الحسن امرأة فبعث إليها بمائة جارية، مع كل جارية* ألف درهم، وحج ثلاث حجج ماشيا، ونجائبه تقاد بين يديه، وقيل: عشر حجات. وخرج عن ماله لله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات، ومن شعره الذي أفصح به عما طبع عليه من مكارم الأخلاق: (البسيط)

مَـــا وَدَّنِـــي أَحَــدٌ إلاَّ بَــذَلْــتُ لَــهُ   صَــفْــوَ المَوَدَّةِ مِــنِّــي آخِــرَ الأَبَــدِ
وَلاَ جَـفَــانِـي وَإِنْ كُـنْـتُ المُحِبَّ لَـهُ   إلاَّ دَعَـوْتُ لَـهُ الـرَّحْـمَـانَ بِـالرَّشَدِ
وَلاَ ائْـتُـمِـنْـتُ عَلَـى سِرٍّ فَبُحْتُ بِـهِ   وَلاَ مَدَدْتُ إلَـى غَيْـرِ الجَمِيـلِ (يَدِ) [8]
وَلاَ أَقُـولُ نَـعَـمْ يَـوْمـاً فَـأَتْـبَـعُـهَـا   مَـنًّـا وَلَـوْ أَذْهَـبْـتُ بِـالمَالِ وَالـوَلَدِ

وسأله أبوه - رضي الله عنهما - فقال[9]: يا بني[10] ما السؤدد؟ قال: يا أبت دفع المنكر بالمعروف، قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل (الجيرة)[11]، قال: فما المروءة؟ قال: العفاف والقيام بمصالح المال، قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذل (عرضه)[12] قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر، قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما بيدك سلفا وما أتلفته تلفا، قال: فما الإيخاء؟ قال (الوفاء في الشدة والرخاء)[13]، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو، وقال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا، قال: فما الحلم؟ قال" كظم (الغيظ)[14] وملك النفس، قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله إليها وإن قل، قال: فما الفقر؟ قال: (شدة)[15] النفس في كل شيء، قال: فما المنعة؟ قال شدة البأس و(منازعة)[16] أشد الناس، قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند (المصدوقة)[17]، قال: فما الثبات؟ قال: موافقة الأقران، قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك بما لا يعنيك، قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي العزم وأن تعفو عن الجرم،

---

(8) ز.ح: يدي
(9) زاد في ك: له
(10) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، ج 10. 282.
(11) في مجمع الزوائد، ج: 10. 282: الجريرة.
(12) في مجمع الزوائد، ج: 10. 282. عرسه.
(13) في مجمع الزوائد، ج: 10. 282. المواساة.
(14) د. ح: الغيظ. والتصحيح من ز.ح
(15) في مجمع الزوائد، ج: 10: 282: شره.
(16) ز.ح: مقارعة.
(17) كتب في متن ز: المصدومة. وفي متن ح: المصدوقة. وصححتا في طرة النسختين ب: الصدمة.
(*) 116 • أ.

قال فما العقل؟ قال: حفظ القلب، قال فما الخرق؟ قال: (معاداتك)[18] إمامك ورفعك عليه كلامك، قال: فما (السمو)[19]؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح، قال: فما الحزم: قال: الرفق والإناءة وسوء ظن الناس، قال فما السر؟ قال: موافقة الإخوان وحفظ الجيران، قال: فما السفالة؟ قال: اتباع الدُناة ومصاحبة الغواة قال: فما الغفلة؟ قال : ترك المسجد وطاعة المفسد، قال: فما الحرمان؟ قال: ترك حظك وقد عرض* عليك، قال علي: يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لاَ فَقْرَ أَشدَّ مِنَ الجَهْلِ، وَلاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنَ العَقْلِ، ولاَ وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ العُجْبِ، وَلاَ مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع (كالعف)[20] ولا عبادة (كالتذكر)[21]، ولا إيمَانَ كَالحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَآفَاتُ الحَدِيثِ الكَذِبُ، وآفَاتُ العِلْمِ النِّسْيَانُ، وَأَفَاتُ العِبَادَةِ الفَتْرَةُ، وَآفَاتُ الشَّجَاعَةِ البَغْيُ، وَآفَاتُ السَّمَاحَةِ المَنُّ، وَآفَةُ الجَمَالِ الخُيَلاَءُ، وَآفَةُ الحَسَبِ الفَخْرُ" [22].

يا بني لا تستخفن برجل تراه أبدا وإن كان (أكبر)[23] منك (فعد)[24] أنه أبوك، وإن كان مثلك (فعد أنه)[25] أخوك، وإن كان أصغر منك (فعد)[26] أنه ابنك [27] انتهى.

قال الحريري في أجوبة الحسن هذه: من الحكم والفوائد ما ينتفع به من رعاه وأدب نفسه بما حفظ منه ووعاه، بايعه بالكوفة على الخلافة أكثر من أربعين ألفا، وبقي بعد البيعة سبعة أشهر. خليفة في العراق وما وراءها من خراسان والحجاز واليمن وغير ذلك من البلدان، ثم لما جاء معاوية بجيش الشام، وجاء الحسن بجيشه، وتقارب الجيشان وتراءى الجمعان بموضع يقال له مسكر بناحية الأبار من أرض السواد، وعلم الحسن -رضي الله عنه- لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، ورأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال، (أخلع)[28] نفسه من الخلافة وسلم الأمر (فيها)[29] إلى معاوية رضي الله عنه، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين[30] على الأصح. توفي رضي الله عنه سنة سبع وأربعين[31] بالمدينة وهو ابن خمس أو ست أو سبع وأربعين مسموما، سمته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، قال عمرو بن إسحاق: دخلت على الحسن في مرضه الذي توفيه فيه، فقلتُ له: كيف (نجدك؟ قال) [32]: ألقيت طرفا من كبدي، وإني قد سُقيت السم

---

(18) في مجمع الزوائد، ج 10: 283: مفارقتك.
(19) في مجمع الزوائد، ج: 10: 283- حسن الثناء.
(20) ز،ح: العفة، وفي مجمع الزوائد، ج 10- 283: كالكف.
(21) في مجمع الزوائد، ج 10: 283: كالتفكير.
(22) الجزء الأول من هذا الحديث يوجد في مسند الشهاب، ج. 2 : 39-38. والجزء الثاني منه يوجد في نفس المصدر ج 1: 78 عن علي، باختلاف يسير في اللفظ.
(23) في مجمع الزوائد، ج: 10. 283: خيرا.
(24) في مجمع الزوائد، ج: 10: 283. فاحسب.
(25) في مجمع الزوائد، ج: 10. 283: فهو.
(26) ك: فعده. وفي مجمع الزوائد، ج 10: 283: فاحسب.
(27) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع مجمع الزوائد للهيثمي، ج: 10. 283
(28) ز: خلع.
(29) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(30) سنة 41 هـ/ 661 .
(31) سنة 47 هـ / 667 .
(32) ز، ح: تجدك، فقال.
(*) • 117 ب.

مراراً فلم أسق مثل هذه المرة. ثم دخلتُ عليه (في)[33] الغد (فوجدت) [34] الحسين عند رأسه وهو يقول له: يا أخي من تتهم بهذا؟ قال: لِمَ؟ قال: لنقتله. قال: إن يكن الذي أضرَّ بالله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وإلا فما أحب أن يؤخذ أحد بدمي على الظن.

وولد رضي الله عنه أحد عشر ابنا وبنتا: عبد الله، والقاسم، والحسن، و(زيد، ومحمد) [35]، وعبد الله، وعبد الرحمان، وأحمد، وإسماعيل، والحسين الأثرم، و(عقيل)[36]، وأم الحسين، *كذا ذكره الدراع، وفي ذخائر العقبي: خلف حسنا، وعبد الله، وعمرا، وزيدا، وإبراهيم. انتهى.

وفي المختصر الجامع: خلف حسنا وزيداً، وعمراً، والحسين الأثرم، وطلحة، وعبد الرحمان، والقاسم، وأبا بكر، وعبد الله، وهؤلاء الثلاثة قتلوا في الصف مع الحسين رضي الله عنه وعنهم، والعقب وإنما هو من (الحسن)[37] وزيد دون من سواهما من الأولاد: فالحسن له من الأولاد سبعة: عبد الله الكامل وإليه ينتهي نسب هذه الدولة العلوية من ابنه محمد النفس الزكية، ثم الحسن المثلث، وإبراهيم القمر، وعلي العابد، وداود، وجعفر، ومحمد. وأما زيد فمن ولده: الحسن بن زيد الذي ولاه أبو جعفر المنصور على المدينة، واستخلصه وجعله عينا على عبد الله الكامل وإخوته، يخبره بأحوالهم، وعبد الله الكامل، والحسن المثلث، وإبراهيم، وجعفر وعلي العابد، فقد حبسهم أبو جعفر المنصور إلى أن ماتوا في حبسه رحمهم الله.

وفي ذكر هذا تنبيه على أن مناقب هذه الدولة الفخيمة ومحاسنها، ممتدة ومتفرعة من أصل نبعتهم الطاهرة، ونشأتهم الزكية الفاخرة. وإن إمامنا المسمى باسمه المولى الحسن أكثر شبها بطبائعه المذكورة في شعره، وبإتقان معرفته، وسرعة جوابه بالصواب المشتمل على غزير فوائده وحكمه، واقتداء الرجل بفعال آبائه المحمودة وتعلمها، وطلب تعليمها أصله قوله صلى الله عليه وسلم: "آرْمُوا يَابَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً" [38] وإذا كان هذا في الرمي فما ظنك بغيره، قال الله تعالى حاكيا عن الكريم بن الكريم: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" [39]. وفي الخبر المرفوع: مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُشْبِهَ وَالِدَهُ"[40]، وفي المعنى ما قاله مسلم ابن الوليد: [41]: (الكامل).

---

(33) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(34) ز: فوجدت.
(35) في جميع النسخ: زيدا ومحمدا. واقتضى السياق تصحيحهما.
(36) ح: عقيلا.
(37) ز. ح: الحسين.
(38) الحديث يوجد في فتح الباري، ج 6: 91 عن سلمة بن الأكوع، وسنن ابن ماجة، ج 2: 98 عن أبي عباس. وكلاهما وردا باختلاف يسير في اللفظ.
(39) سورة يوسف. الآية 38.
(40) الحديث رواه العجلوني في كشف الخفاء، ج 2: 286 عن علي، بلفظ ... ولده".
(41) هو: مسلم بن الوليد الأنصاري، أبو الوليد، ويعرف بصريع الغواني. شاعر غزل، أول من أكثر من "البديع". عاش ببغداد، وتوفي سنة 208 هـ / 823 م. أنظر: معجم الشعراء للمرزباني: 277-278 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2: 72 ، مقدمة شرح ديوان صريع الغواني. هدية العارفين، ج 2: 431، الإعلام للزركلي ج 7: 223.
(*) 118* أ.

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنَ امْرِئٍ أَعْرَاقَهُ   وَقَدِيمَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ[42].

وقال ابن الرومي[43]: [المتقارب].

إِذَا شِئْتَ تَعْرِفَ فَضْلَ الفَتَى   أَجِلْ لَحْظَ طَرْفِكَ فِي مَنْظَرِهِ
فَإِنْ لَمْ يَبِنْ لَكَ فَانْظُرْ إِلَى   أَفَاعِلِهِ فَهْيَ مِنْ جَوْهَرِهِ
وَإِنْ غَابَ عَنْكَ بِهَذَا وَذَا   فَلاَ تَطْلُبَنَّ سِوَى مَحْضَرِهِ.
* فَإِنَّ المَحَاضِرَ سَبْرُ الرِّجَالِ   بِهَا يُعْرَفُ النَّذْلُ مِنْ خَيْرِهِ
بَلَوْتَ الرِّجَالَ وَأَخْبَارَهُمْ   فَكُلٌّ يَعُودُ إِلَى عُنْصُرِهِ[44]

ولنكف القلم عن السير في أَبَاطِحِ[45] هذه المحاسن التي تَكِلُّ[46]. فيها الجياد، وتتزين بعقود جواهرها الأجياد، ونرجع إلى إتمام الشرح المنمق بمناقب الأحفاد.

والكرسي: بضم الكاف مثقل معلوم، وهو من أعواد منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا (على)[47] أهل مجلسه أن يساويهم في الصعيد، ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الإسلام وفي دول العجم، وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب، وكان لسليمان ابن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسرير من عاج مغشى بالذهب. وأول من اتخذه في الإسلام معاوية رضي الله عنه، واستأذن الناس فيه، وقال لهم: إني قد بدنت، فأذنوا له، فاتخذه، واتبعه الملوك الإسلاميون [فيه][48] وصار من منازع الأبهة، فكان بعد ذلك لبني العباس، والعبيديين وسائر ملوك الإسلام شرقا وغربا من الأسرّة والمنابر والكراسي مما أزرى بالأكاسرة والقياصرة.

[و][49] الملك: بضم الميم اسم لما ملك السلطان من أمر الناس، وهو منصب طبيعي للإنسان، وهو على الحقيقة لمن يستعبد الرعية. ويجبي الأموال، ويبعث البعوث، ويحمي الثغور، ولا (تكون)[50] فوق يده يدٌ قاهرة. وحيـ.ـزة: مصدر حاز بمعنى الضم أيضا.

[و][51] المراد بكرسي الملك المحوز هي مدينة مراكش، إذ هي قاعدة المغرب الأقصى، وقد كان بنو مرين استبدلوها فاس وعدلوا عنها، كما عدل السلجوقية عن بغداد إلى

---

(42) لم أجده في ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد).
(43) هو: علي بن العباس بن جريج البغدادي، أبو الحسن، المعروف بابن الرومي (221-283 هـ / 836-896م): شاعر، رومي الأصل، ولد وتوفي ببغداد، من مؤلفاته: ديوان شعر، أنظر: معجم الشعراء للمرزباني : 145-147، الفهرست: 235 ، تاريخ بغداد، ج 12، 23-26 ، مرآة الجنان، ج 2: 198-200 البداية، ج 11: 74-76 تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2: 182 ، الأعلام للزركلي، ج 4: 297، معجم المؤلفين، ج 7، 114-116
(44) .
(45) هذه الأبيات لا توجد في ديوان ابن الرومي.
(46) أباطح: الأماكن المتسعة، والمراد بها هنا: التفاصيل.
(47) تكل: تتعب، تشقى.
(48) ك: عن.
(49) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك .
(50) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(51) د،ك: تكن، والتصحيح من ز،ح.
(*) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
* 118 ب.

أصبهان، والعرب قبلهم عن المدائن إلى الكوفة والبصرة، وبنو العباس عن دمشق إلى بغداد، وبعدهم عادت مراكش لما كانت عليه من إقامة الملوك وتوطنهم بها أكثر من توطنهم بفاس، فهي حينئذ كرسي ملك المغرب الأقصى، كما أن كرسي المغرب الأوسط مرسى الجزائر، ومملكة تونس هي تونس، وولاية طرابلس الغرب مدينة طرابلس، وملك الخديوية المصرية مصر القاهرة، والمملكة التركية القسطنطينية العظمى، والمملكة الروسية بطرسبورج، والمملكة الفرنساوية باريس* والبلجيك و(تختها)[52] بروكسيل، والفلمنك و (تختها)[53] لاهيه، والبروسيه وتختها برلين، والنامسا وتختها فبينا، والبرتغال وتختها لسبون، وإسبانيا وتختها مدريد، وإيطاليا وتختها رومه وبلاد اليونان وتختها أتينه، وبلاد بريتانيا وتختها الوندرة، إلى غير ذلك من الممالك. والنيل: بلوغ المقصود، تقول نال من عدوه بلغ منه مقصوده ونال من مطلوبه كذلك، وفيه مع ذلك إشارة إلى تاريخ ولاية المولى الحسن إذ هو رمز (نقطه) [54] تسعون. والرقيب: الحافظ. والراقب: المنتظر للشيء.

والمعنى أنه بموت سيدي محمد حاز نجله مولانا الحسن كرسي الملك التي هي مراكش حوزا تاما، بلغ مقصوده فيه بحافظ لذلك، ومتخوف منتظر لوقوعه من أعيان الدولة، وهو الفقيه الأشهر، السائس الأكبر، السيد موسى بن أحمد -رحمه الله- من نصوح أود، وذلك أنه لما صار لعفو الله المولى الإمام، المقدم في كل فضل إمام، أذن من حينه في جمع الأعيان، وأوصى مواليه والعبيد بضرب الرقاب لمن بان منه امتناع أو مناقشة وعتاب، أو بدا منه ما يشعر بالمخالفة فيما يقول من نصر المولى الحسن، ثم قام بعد الإجتماع، وتشوف الكل لما يأمر به وما يلفظه من الكلام، فحمد الله وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام، ثم أخبرهم بموت السلطان، وأعلن ببيعة نجله المولى الحسن، وكان حينئذ بالسوس مأمورا بإصلاحه من والده، فتتابع الناس على نصره، ولم يجد أحدٌ بدّاً من موافقة واحد عصره، وأسرع بالمكاتبة للآفاق، وانتشر الخبر وسقط في (أيدي)[55] مَنْ بقلبه نفاق، وكانت (بيعته) [56] بمراكش يوم موت والده، ولم يختلف في أهليته لها إثنان [ثم إنه لما] [57] وصله خبر ما وقع أسرع في السير من السوس إلى مراكش، فكان بين موت والده ودخوله (لمراكش)[58] منصوراً وحوزه (إياها) [59] ثمانية أيام.

(52) في جميع النسخ: نحتها، واقتضى السياق تصحيحها وتختها: تعني عاصمتها، من التُخْت جمع تخوت.
(53) د، ح، ك: تحتها. والتصحيح من ز. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الخطأ سيتكرر في د بعد قليل، وسنصححه من ز. وتفاديا للتكرار فإننا سوف لن ننبه إلى ذلك.
(54) د، ح:تقطة. والتصحيح من ز.ك
(55) د،ك: أيد. والتصحيح من ز،ح.
(56) ك: مبايعته.
(57) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ح. والتكملة من ز. ك.
(58) ك: مراكش.
(59) د. ك: أيها. والتصحيح من ز،ح.
(*) • 119 أ.

[ثورة المولى الكبير بن عبد الرحمان]

وفي إثره، قدم المولى الكبير بن عبد الرحمان بن سليمان من سجلماسة، مقتفيا أثر والده المتقدم[60] في القيام بطلب الملك، فلم يتم أمره ولم يوافقه أحد ممن يعتد به، وبقي يتردد بين قبائل البربر إلى أن قبض عليه بمكيدة، وأخذ من قبيلة بني سادن فعقل، ولازال معقولا أمدا إلى أن عفا عنه وسرحه من السجن وأكرمه للقرابة وكبر السن، وهو من حلمه.

[ثورة بوعزة الهبري والقضاء عليها]

ثم ثار بعده في حدود إثنين وتسعين[61] رجل اسمه بوعزة الهبري نسبة إلى *هبرة ، قبيلة بأرض سيرات بنواحي مستغانم من عمالة وهران، قيل أنهم أخوة سويد، وقيل أنهم من نسل المقداد بن الأسود رضي الله عنه كذا لابن خلدون، وفي نزهة الحادي أن المقداد لا عقب له وكان غزاهم الشيخ أحمد قدار دفين أرض مينة التجيني بسويد، حيث حرضه شيخهم أحمد العبد على قتالهم لما فعلوه بالمسلمين المهاجرين من غرناطة عند خروجهم بمرسى أرزيو ومرورهم بأرضهم من النهب والسلب والقتل، حتى أنهم كانوا يبقرون بطونهم لما يظنون من ابتلاع نحو الجوهر، فأتاهم أحمد المذكور من (أسرشو)[62] بجموع سويد، فلقيتهم جموع هبرة، وكانت الدائرة عليهم فانهزموا وركبت سويد أكتافهم فقتلوهم كيف شاءوا، وأخذوا بثأر المهاجرين، ومنها انكسرت شوكتهم وقل عددهم واضمحل جمعهم إلى الآن.

وكان هذا الثائر بنواحي وجدة، يتردد ويدّعي المشيخة، ويزعم أنه من تلامذة [الشيخ][63] سيدي أحمد التجاني[64] إلى أن ظهر له في الملك، فأتى إلى قبيلة بني (وراين)[65] إحدى قبائل البربر، فاستمال سخفة العقول منهم ومن شغروشن[66] بأوهام كاذبة،

---

(60) أنظر المقصد الثاني عشر من الجزء الثاني ص: 99 .

(61) أي في حدود 1292 هـ / 1875 م.

(62) ز.ح: اشرسو.

(63) ما بين المعقوفتين ساقطة من من د، ز، ح.، والتكملة من ك.

(64) هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني أبو العباس (1150- 1230 هـ / 1737- 1815 م): شيخ الطائفة التجانية بالمغرب. كان فقيها وعالما بالأصول، وملما بالأدب. نشأ في فاس ثم رحل إلى تلمسان ولما حج عاد إلى فاس وتوفي بها. أنظر سلوة الأنفاس، ج 1: 180-183 ، اليواقيت الثمينة: 59-62 ، شجرة النور: 378-379 ، الاعلام للزركلي، ج: 1· 245 ، الموسوعة، ج 3· 140-141 ، معجم المؤلفين، ج 2: 143

(65) د، ح· ورين، والتصحيح من ز.ك.

(66) شغروشن: أو آيت شغروشن: قبيلة تستقر في الأطلس المتوسط جنوب مدينة فاس. وتنتشر فروعها في مناطق مختلفة. لكن حضورها أكثر كثافة بين صفرو وملوية العليا، وهي من الشمال إلى الجنوب:-1 آيت سغروشن حريرة: يسكنون على بعد 50 كلم جنوب شرق فاس مجاورين لبني وراين.
-2 أيت سغروشن إيموزار: يستقرون على بعد 30 كلم جنوب فاس، قرب جبل كندر.
-3 أيت سغروشن جبل تيشوكت، يسكنون في الجبال على الضفة اليمنى لواد كيكو. أنظر:
EDMOND Destaing. Notice sur le tribu des Aït serghrouchn.

(*) * 119 ب.

وخيالات باطلة، فأصغوا إليه وساعدوه وعلى (مطلوبه)[67] وافقوه، وكان إذ ذاك المولى (اسعيد)[68] الشغروشني ممن يشار إليه بالديانة والخيارة عند أولئك القبائل، وكان يتحدث لديهم بأن والده أوصاه بأن القادم عليه من المشرق الطالب له السلهام الذي تركه له هو صاحب حاجتك، فاتبعه، ولابد لك من الملك على يده، فكن معه. فلما قدم الهبري سمع بخبر السلهام ووصية [والد][69] المولى (اسعيد)[70] من بعض من كان (يتجسس)[71] له الأخبار، فانتهز الفرصة وبعث للمولى (اسعيد)[72] يُعرّفه بالقضية، وأنه هو صاحب السلهام، وأنه قدم أمامه ليمهد له الملك مأذون في ذلك من أولياء الله، إلى غير ذلك من ناموسه وشيطنته، فصدقه ووثق به، ولم يشك في أنه هو المواعد به من والده لاطلاعه على ذلك مع بعده من وطنه، فركن إليه وتوافق معه على القيام، وكان مسموع الكلمة عند البربر، [فاجتمعت][73] عليهما وكثرت جموعهما، وتزايد أمر الهبري وفشا خبره، وصار يواعد من أطاعه بالمبرة والعدل والإنصاف، ومن حاد عنه بالعقوبة والاعتساف، وولى قواداً وجعل أعوانا وخدمة* وصاحب مشورة وكتابا، ومنهم (الشيخ)[74] محمد فتحا بن علي الورايني الزرودي، وقد أخبرنا عند الإجتماع به بأشياء صدرت منه مخالفة للشريعة بعد ذلك، فقلتُ: وما حملك على صحبته وجمع الناس إليه حيث علمتَ منه ذلك؟ فقال: خوفا على نفسي إذ كان البربر يعتقدون به اعتقادا قويا ولا سيما عند أخباره بالسلهام المدخر له عند مولاي اسعيد، ولوقلتُ فيه شيئاً بلغه حينا فيمكرُ بي ولا يمنعني منه أحد، فكنتُ أساعدهم على اعتقادهم مع جر النفع لنفسي. وبعده صار هذا الكاتب المذكور عاملا لمولانا الحسن أيده الله، ولازال عاملا على إخوانه بني وراين إلى الآن. وتبعه أيضا بعض الحياينة، وقصدوه طمعا فيما كان يزعمه من دخول فاس عنوة، وأخذ أموالها وربح من حضر دخولها، حتى سرى ذلك في أذهان العامة، بل وبعض العقلاء، وكان قائدهم إذ ذاك محمد بن قدور الريابي البوزياني، وكان رجلا عاقلا وشجاعا مقداما، فسأل يوما بعض (الحياينة)[75] القادمين من عنده عن حاله، فأخبره المسوّل بأنه ذو بركة ومكاشفة وخير وصلاح، وأنه يعطي كل من وفد عليه ما وجد بيده، ويكرم قاصده، ويواعد بالبر لمن أطاعه، والعقاب لمن عصاه، وأنه القائم بأمر الله، فقال له: دعني من هذا كله، فقد سمعت في شأنه أكثر مما وَصَفْتَهُ به، ولستُ أسألك عن هذا، وإنما (أسألك) [76] عن قدومك عليه ومشاهدتك لذاته، هل حصلتْ لك مهابة منه ودهشة عند ملاقاتك به أم لا؟ فقال: لا، وإنما هو كرجل من الناس ولا مهابة تعتري منه. فقال: دعني،

---

(67) د، ك: مطلوبهم، والتصحيح من ز،ح.
(68) ز: سعيد
(69) مابين المعقوفتين ساقطة من ز.
(70) د، ز، ح: السعيد، والتعديل من ك.
(71) د،ح: يتحسس، والتصحيح من ز،ك.
(72) ز: سعيد.
(73) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز، ح، ك.
(74) ك: السيد
(75) في الأصل: الحيانية، واقتضى السياق تصحيحها.
(76) ح: السالك
(*) 120 أ.

فإنما هو كذاب، وسترى ما يكون من أمره. فكان كما قال! ثم أمر بأهله وإخوته ومن هو على مذهبه، فركبوا، وقصد التعرض له وأن يكون عليه عند ذهابه لفاس. هذا كله والمولى الحسن بفاس لم يهتم بأمره ولا شغلته أخباره عن قصده، إلى أن ساق الهبري الطمع في أخذ الملك من يده بالهجوم عليه، فنهض بجموعه يريد فاسا، فلما وصل إلى أرض أرورات [77] وتعدّى جسر وادي سبو ولم ير أحدا زاد طمعه، ثم إنه رأى وراءه بجسر وادي سبو جيشا في أثره، فبعث من يأتي له بخبره ويعرفه بمقصده. فذهب المبعوث وعاد له بأن القوم من الحياينة مع قائدهم محمد بن قدور البوزياني. * فقال : هم طاعة لنا أو لغيرنا؟ فقال القائد (المذكور)[78]: نحن من إيالة مولانا الحسن، ولازلنا على طاعته وتحت ظله، حتى ننظر ما يكون من أمرك. فأمر الهبري خيله بالهجوم عليهم، وأن لا يدعوا العدو وراءهم. فالتقى الجمعان وآل أمرهما إلى انهزام الهبري ومن معه. ففرّ البربر وتفرقوا واختفوا في الأودية والشعاب، وقاتل الهبري قتالا عجيبا فيما يُحكى عنه من الشجاعة، ثم لحق بالبربر مهزوما، وقتل وزيرَهُ يعقوب وحزَّ رأسه الحياينة بالجسر، وجيء به على الرمح لفاس لحضرة المولى الحسن مع رؤوس أخرى من البربر، فحينئذ، نهضت الجيوش لمدافعته والقبض عليه أو قتله، بأمر المولى الإمام، وقصده واقتفى أثره، فإذا به فرَّ وتفرقت جموعه من بني سادن، وأفلت بنفسه مختفيا، ثم قبض عليه بقبيلة بني كلال بعد أيام، وأوتي به لمولانا الحسن مقيداً وهو بنواحي تازا، فسأله عن سبب قيامه وطمعه في الملك وليس هو لأبيه ولا لجده. فقال: إنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ" [79]. وهذا ما أراد الله! وسأله أن يؤمنه على نفسه ولا يريق دمه، فأمنه وبعث به مغلولا لفاس.

ويعدُّ ذلك من حلمه كما فعل بالمولى الكبير القائم عليه قبله. ولم يسفك دم أحد أيام إمامته كلها رحمه الله.

وكان دخول الهبري لفاس على تلك الحالة، يوما مشهوداً، لم يبق أحد بفاس إلا وتعرض لرؤيته وأعلن بسبه وشتمه، وبصق عليه الولدان، وصاح عليه النسوان، وسخر منه العقلاء والسفهاء. ولما سجن، تحدث بأن شيطانه كان يخبره بالدخول لفاس في يوم تتشوق إليه فيه جميع الخلائق بفاس، من ذكر وأنثى، وحر وعبد، فكان على على الحالة (لمذكورة)[80] المخالفة لما كان يؤمله، ثم بقي بالسجن إلى أن ذهب لمراكش، عند ذهاب المولى الحسن لها، وبقي بسجنها إلى أن مات به. وأما مولاي اسعيد الشغروشني فقد قتل -أيضا- بداره غيلة بسبب متابعته للثائر المذكور.

وهذا ما لدينا من الثائرين عليه وتحقيق خبرهما.

---

(77) أرورات: منطقة قرب مدينة فاس.
(78) ح: المذكورة.
(79) هذه آية: 128 من سورة الأعراف.
(80) في جميع النسخ المذكور، واقتضى السياق تصحيحها.
(*) * 120 ب.

[اختراع المولى الحسن قوانين جبائية]

ثم إنه لما حاز كرسي الملك كما سبق، وتمت البيعة له واستقل بالأمر، شمَّر عن ساعد الجد، وفاق في الحزم والضبط ومباشرة الأمور بنفسه الأب والجد، فاخترع أشياء وقوانينا موافقة * للشريعة، استحسنها عامة رعيته، وحمدت الخاصة والعامة سيرته، وشكرت نعمة فطنته، واعترفت بمزيد عدله وسلامة فكرته، من ذلك اقتصاره على أخذ الزكاة دون ما عداها من المبتدعات، وترتيب أموالهم، ليعطي من له مال دون غيره ما يجب عليهم لمونة تجهيز جيشهم وقت الإحتياج إليه مع الهدايا[81] في الأعياد على ما جرت به العادة للجانب العالي بالله.

ونهى القواد عن أخذ أموال الرعية والدعيرة بالمال، وأعلمهم بأن لا يدفع أحد لعامله شيئاً إلا عن إذنه، مع ما يتعين عليهم في (الزكاة)[82] وأعشار الحبوب. وأحسن للضعيف وبرَّ بالشريف والمشروف.

وأسقط التكاليف المخزنية عن كافة حملة القرآن.

[الاهتمام بالعلم والعناية بالعلماء]

ورفع درجة العلماء الأعيان، وأعطى لحفاظ مختصر الشيخ خليل مالا [83] وحللا، وأتحفهم بكل جميل، ورتب لهم على قراءة حزبه كل ليلة مرتبا يخصهم، ولا زالوا على قراءته بالقرويين جماعة كحزب القرآن العظيم، فتنافس الطلباء في حفظه، وبالغوا المجهود في فهم (منطوقه)[84] ومفهوم لفظه، وتسابقت الشعراء لفرط بذله، وتزاحمت على استيفاء مفاخره وفضله، بما وسعهم من البلاغة، واكتسبوه من الفصاحة والبراعة، وما أظن أحدا منهم أدرك غايته، ولا وفى بحذاقته رعايته، كيف ومناقبه غير متناهية، ومواهبه غير متفانية، قطوفها مقاصدها في كل زمان متدانية وفسيح مكارمه لكافة العقلاء داهية، وكل وافد منهم رجع بأوفر نصيب، من روض جوده الخصيب، بقدر ما أصاب مع زيادة البليغ المصيب، فتنافس الشعراء في مدحه، وأطنب البلغاء في امتلاء صرحه، وكل نال قسمته، وأدرك بالقرب حصته، فامتلأت بقصائد مدحه وعد مفاخره

---

(81) يشير بلير (Bellaire) إلى أن الهدايا كانت تدفع عن طواعية، ثم أصبحت -فيما بعد- واجبة تعتبر من الوظائف يسلمها القائد إلى المخزن المركزي في مختلف المناسبات، لا سيما في الأعياد الثلاثة. وكان القائد يقسط قيمة الهدية - التي لم تكن محددة- على دواوير إيالته. ويشير جول إركمان (Jules Erckman) إلى أن السلطان كان يستقبل القبائل الآتية بالهدايا في محفل ونظام خاص. وتكون هذه الهدايا عينا أو نقدا. أنظر: أحمد علمي، حركات السلطان الحسن الأول: 160 بحث (مرقون) لنيل د.د.ع. شعبة: التاريخ. السنة 1407-1406 هـ / 1987-1986م. جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

-Jules Erckmann, Maroc moderne. Paris. 1885. p: 233.

- Michaux Bellaire, les impots Marocains in Archives; maroc, 1904. T1. P: 61.

(82) د: الزكوة. والتصحيح من ز. ح. ك.

(83) زاد في ك: جميلا.

(84) د. ح: منظومه. والتصحيح من ز.ك.

(*) • 121 أ.

الدواوين، وقصرت عن إحصائها وعدها ألسنةُ العارفين، من ذلك أنه قيل في ختمه صحيح البخاري هذه السنة[85] نيف وخمسون قصيدة [86]، أجار الكل عنها على قدر مراتبهم دون ما قيل في المواسم والأعياد، ولم يرجع أحد خائبا جدب الحصيدة، فارتفع بوجوده منار الإسلام، وأضاء نور العلم به واستقام، فكانت أسواق العلوم بوجوده عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة، * وأغصان الأدب مثمرة (يانعة)[87]، موفية بأقصى الثمن بائعة، ومنح الأشراف، وزاد في توقيرهم وتعظيمهم إلى غاية الإسراف، وقرَّب إليه كل شجاع، وولاه على ما يريده من البقاع، وشمل عدله القوي والضعيف، والحر والوصيف، واغتبط الناس ولايته لما أمده على رعيته من الظل الظليل، ونالوا بوجوده من الإنصاف والحلم والعز الجليل ما وسعهم، فوفدت عليه الوفود من كل ناحية ومكان، وألقت إليه أزمة الإنقياد والطاعة لما ألفوه من العدل والإحسان، مع ما هو عليه من القوة التي تبهر العقول، ولا يوجد في ديوان نحوها عن ملك منقول، من تدبيره الأمور، وحسن ترتيبها كما ينبغي بأقرب تأمل وحضور، وإصابة الرأي في كل غرض، وعدم الذهول عن كل ما مرَّ على باله من جوهر وعرض، حتى أن حذاق الكتاب المنتصبين لتلك الخطة، يصدر منهم ذهول لطول مدة القصة، فيتحيرون في أمر توقفوا عليه، حتى يكشف لهم ذلك ببرهان إمارة لذكاء عقله، فيجدون الأمر كما قال بعينه، ومع اختصاصهم بهذا فمرجعهم كافة إليه، ولا يشغله ذلك مع ترادف الأخبار، بما يهول من أقصى البراري والبحار، عن إقامة شرائع الدين والتلاوة والأذكار، والتهجد والنوافل في الأسحار، والتدبّر والإعتبار، وكان ذلك دأبه من زمن الخلافة على والده كما قاله أبو عبد الله أكنسوس ونصه: لما استخلف المولى الحسن -حفظه الله- لم تشغله شؤون الخلافة المترادفة أناء الليل وأطراف النهار، ولا ما في قصوره السلطانية من الحدائق والأزهار عن (وظائف)[88] الدين ، وأسباب اليقين، من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة، كما حدثني بذلك بعض بطانته، وأنه يجد لها في خلواته لذة وحلاوة[89] انتهى . مع ما توفر فيه من شروط الإمامة، وتكامل فيه من النجدة والزعامة. وأما تعاهد العلوم، ولاسيما الحديث ففي كلها سبقه معلوم، ركب متون فنونها فراضها، ووقع في بحور معانيها فخاضها، وحاز بعناية الله لبابها، وميّز بذهنه الثاقب حبابها. ولم يفته علم شرعي ولا فلسفي، وهو كما قال أبو القاسم: ينقسم على أربعة * أقسام:

---

(85) لعله يقصد: سنة 1310 هـ / 1892 م.

(86) توجد أغلب هذه القصائد مثبتة في : الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية، لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، مخ. ع.ح. ر. 512. للجزء الأول.

(87) د. ك: نائعة. والتصحيح من ز. ح

(88) د. ح: وضائف. والتصحيح من ز.ك.

(89) أنظر: أكنسوس، الجيش العرمرم، ج2: 94 . باختلاف يسير في اللفظ.

(*) • 121 ب.

(*) • 122 أ

أحدها : الرياضات.

والثاني : المنطقيات.

والثالث : الطبيعيات.

والرابع : الإلهيات.

فأما الرياضيات فأربعة أنواع:

أحدها : علم الحساب.

والثاني : علم الهندسة. والأصل فيه النقطة وهو فيه كالواحد في علم الحساب.

والثالث : علم النجوم.

والرابع : علم (الموسيقى)[90]، وهو علم تأليف الألحان. وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع.

أحدها : معرفة صناعة الشعر وأنواع بديعه.

والثاني : معرفة صناعة (الخطابة)[91].

والثالث : صناعة الجدل.

والرابع : صناعة البرهان.

والخامس : صناعة المغالطين في المناظر والجدل:

وأما العلوم (الطبيعيات)[92] فسبعة أنواع:

الأول : علم المبادئ الجسمانية، وهي خمسة أشياء: الهيولى، والصورة، والزمان، والمكان، والحركة.

والثاني : علم السماء والأرض، وهو معرفة ماهية جواهر الأفلاك والكواكب، وكيفية تركيبها، وعلة دورانها، وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الأركان الأربعة التي هي دور فلك القمر أم لا، وما علة حركات الكواكب واختلافها في السرعة والإبطاء، وما علة سكون الأرض في وسط الفلك في المركز، وهل خارج العالم جسم آخر أولا، وهل في العالم موضع فارغ لا شيء فيه، وما شاكل هذه المباحث.

والثالث: علم الكون والفساد، وهو معرفة جواهر الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض.

والرابع: علم حدوث الجواهر بتغيرات (الهواء)[93] وتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعاتها على الأركان الأربعة، وانتقالات بعضها ببعض بقدرة الله تعالى.

والخامس: علم المعادن التي تنعقد من البخورات المحتقنة في بطن الأرض، والعصارات المتحللة من الهواء.

---

(90) د. ك: الموسقى. والتصحيح من ز. ح.

(91) ك: الخطاب

(92) د. الطبيعات. والتصحيح من ز.ح.ك.

(93) في جميع النسخ: الهوى، واقتضى السياق تصحيحها.

والسادس: علم النبات على اختلاف أنواعه، في هيأته وأشكاله، واختلاف صوغه وطعومه، وروائحه وخواصه، ومنافعه ومضاره.

والسابع: علم الحيوان، وهو معرفة كل جسم يتغذى، ويحس، ويعيش، ويتحرك على اختلاف أنواعه، وما شاكل ذلك مما (ينسب)[94] إلى علم الطبيعيات كعلم الطب، والبيطرة، وسياسة الدواب، والسباع، *والطيور، والحرث، والنسل. وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات.

والعلوم الإلهية خمسة أنواع:

(أولها) [95]: معرفة البارئ سبحانه وتعالى بجميع صفاته، وأنه أول كل شي وآخر كل شيء، والخالق لكل شيء، والعالم بكل شيء وأنه :لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" [96].

[و] [97] الثاني:: علم الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية، وهي الصورة المجردة عن الهيولى المستعملة للأجسام المطهرة، ومعرفة ارتباط بعضها ببعض، وهي أفلاك روحانيات محيطات بأفلاك جسمانية.

والثالث: علم الأنفاس والأرواح السائر في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض.

والرابع: علم السياسة، وهي خمسة أنواع:

أولها: السياسة النبوية والسياسة الملوكية، والسياسة العامية والسياسة الخاصية، والسياسة الذاتية.

فأما السياسة النبوية، فالله تعالى يخصُّ بها من يشاء من عباده، ويهدي لاتباعها من شاء، لا معقب لحكمه لا يُسأل عما فعل وهم يسألون.

والسياسة الملوكية: هي حفظ الشريعة على الأمة، وإحياء السنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والسياسة العامية، هي الرياسات على الجماعات، كرياسة الأمراء على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من ضبط الأمور وإتقان التدبير. والسياسة الخاصية، معرفة كل إنسان نفسه، وتدبير أمر غلمانه وأولاده وما يليهم من أتباعه، وقضاء حقوق الإخوان.

والسياسة الذاتية، أن يتفقد الإنسان أفعاله وأقواله وشهوته، فيزمها بزمام عقله وغضبه، فيردعه، وما شاكل ذلك.

---

(94) ك: يناسب
(95) في متن د، ز: أحدها. وصححت في طرة د بـ أولها. التي أثبتناها في المتن.
(96) هذه آية : 11 من سورة الشورى.
(97) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(*) * 223 ب .

والخامس من العلوم الإلهيات، علم المعادن، وكيفية انبعاث الأرواح، وقيام الأجساد، وحشرها للحساب يوم الدين، ومعرفة حقيقة جزاء المحسنين وعقاب المسيئين.

ولولا الخروج عن الموضوع لاستقصينا في هذه الأنواع الفلسفية أقوال القائلين. وله[98] في جلها يد، ولا سيما العلوم الشرعية.

وبالجملة فإن سجاياه المجبول عليها من حلم، وعلم، وديانة، وذكاء، وقوة، واعتناء بالأمور ومباشرته لها، وضبطه وحزمه لا يُعادله فيها غيره، وكذلك بذله *الجزيل وفعله الجميل، وبحثه عن الرقائق والأخبار، والإصغاء لمخترعات الأشعار، والتلذذ بأبكار الأفكار.

وأما توقيعاته على ما تواترت به النقول، فشيء يسلب العقول، لا يحاول نيله (من)[99] نظر، ولا يدانيه في فصاحته وإيجازه بشر، لم ينسج بليغ على منواله، ولم تسمع قريحة ذكي بمثاله، أبقى الله أعلام نصره المرفوعة في الخافقين خافقة، ونجوم مجده بآفاق الملك متلألآت الأنوار مشرقة، وشهب أسنة رماحه لشياطين الأعداء رجوما، ولوامع بوارق صقيلها في ظلام كل خطب نجوما، وبروق أسياف جيوشه تتألف إيماضا وأرواح أعدائه تتقطع حسرات وترد بجداول نصالها أنهارا من الردى وحياضا، مجنيا ثمار النصر من غصون رماحها، وأزهار العز من مقاومة كفاحها.

[الاتصاف بالجد والحزم]

لا جرم[100]، أن الله يؤيده بنصره، لما أبداه من القيام بالدين والعدل في عصره، وإلى ذلك أشار الناظم -رحمه الله- بقوله:

فَقَامَ عَلَى سَاقٍ يَذُودُ وَيَتَّقِي ... وَيَقْنَعُ مِن مِعْيَارِهِ بِالتَّجَارِبِ
فَصَارتْ فُتُوحُ النَّصْرِ تَبْدُو عِنَايةً ... وَيُمْنـاً وَإقْبَالاً بِأقْصَى المَغَارِبِ

القيام على ساق: كناية عن الحزم والضبط والجد، وترك اللهو والإصغاءِ إليه، وما يباح من التلذذ والإستمتاع بالجواري والإنهماك في ذلك، لأن القائم على ساق لا يكون مشغولا إلا بتلك الحالة مخافة السقوط إن غفل أو نام، كما أن قولهم: قامت الحرب على ساق، كناية عن الإلتحام والإشتداد، وقول الله تعالى: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ"[101] أي عن شدة، وقد شبه هيئة القيام بأمور الملك من الحزم والضبط بهيئة القائم على ساق بجامع الحذر من السقوط في كل، فكانت استعارة تصريحية لتصريحه بلفظ المستعار منه تحقيقية لتحقق ما عني بها أي ما نقل اللفظ إليه عقلا كما هنا.

---

(98) يقصد المولى الحسن (السلطان)
(99) د. لمن. والتصحيح من ز.ح.
(100) زاد في د. ز.ح: و (حرف الواو).
(101) سورة القلم، الآية: 42.
(*) - 123 أ.

وقد أشار بذلك إلى ارتكابه الجد والحزم، والقيام بأمور الملك أتم قيام، وصرف همته إلى مصالح الرعية، وإحياء ما اندرس منها، وتشبثه للمآثر العظام فجعل [من][102] ذلك ما (يشهد)[103] بالفوز وضخامة الملك على من تقدمه (من الملوك)[104].

* وأبطل اللهو ونبذ أهله، وكسر آلته.

[الاعتناء بشؤون العسكر]

وتوجه بهمته إلى اقتناء الأسلحة، وجلب ما اخترعته دول الإفرنج والروم من المكاحل (السريعة)[105] النهوض من غير كبير مشقة ولا كثير حركة، بحيث يكون بين نهوضها الأول والذي يليه قدر عدد أربعة متتابعة باللسان.

ثم سعى في بناء آلة تلك العدة واستخراجها من مخازنه المسماة بالمكينة، بعد أن اكتسب بالشراء من سائر الدول عدداً وافرا منها، وكذلك غيرها من المدافع العظام (المخترعة) [106] من الطرز الجديد.

كما اعتنى بأمر العسكر، وجمع الجيوش، وجدد الطلب في استعدادها وعدها وما يليق بشؤونها، فصلح حال الجيوش، وتكاثرت أنواعها، ومال الناس إلى الخدمة المخزنية لما رأوه من صلاح الأحوال، والإستقامة، والإعتناء، والقيام بأمور الدنيا والدين.

[البحث في أحوال الرعية ورجال المخزن]

وبحث في أحوال الرعية، فسأل كل قبيلة عن قوتها وضعفها وعددها وعدتها، وخيلها ورجالتها، حتى لم يخف عليه حال قبيلة من قبائل المغرب. وكل هذا من القيام على ساق بأمور الملك.

كما أنه لم يفته حال من أحوال قواده، وعماله، ووزرائه، وكتابه، وقضاته، وما هو عليه أهل كل حاضرة من الأحوال.

---

(102) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.

(103) د، ز،ح: يشاهد. والتصحيح من ك.

(104) تكرار في د.

(105) د. الشريعة. والتصحيح من ز.ح.ك

(106) ز.ح: مخترعة.

(*) ٭ 123 ب.

[تعظيم الأولياء والعلماء واحترامهم]

وما من ولي بأرض المغرب إلا وكشف عن نسبه، وأصله، واسمه، وتاريخ وفاته، وأشياخه، وتلامذته، وسعى في تعظيمه واحترامه وبناء ضريحه إن استحق لذلك واحتاج إليه نفعه الله بما أمله، وبذل جهده في ملاقات كل من يشار إليه بالصلاح من الأحياء، وأحسن لذريته وعظم جانبهم وأمر بالبرور بهم.

وأما العلماء (فمباششته)[107] لهم، ومحبته فيهم، وجلب النفع لهم، والتعظيم لجانبهم، فشيء لا يدانيه فيه غيره أبقاه الله لهذا الدين ذخراً.

[البحث عن أحوال الثغور والحدود]

كما تصدر -أيضا- للبحث عن أحوال الثغور والحدود، وجدد ما تلاشى من الأبراج، ولم يكفه الخبر حتى وقف على ذلك وشاهده بكل ثغر بعينه الناظرة، في عواقب هذه الأمة المحمدية باستقامة أمرها ورد عزها، وفك أسر أرضها وحواضرها، من أيدي أعدائها.

[الاعتماد على النفس في تدبير شؤون الدولة]

والدود: بإعجام الدال الأولى وإهمال الثانية بينهما واو ساكنة، الطرد والمنع، تقول: ذاده عن كذا يذوده ذياداً بالكسر إذا طرده ومنعه، ومنه قول الشاعر[108]: [الطويل]

وَمَنْ (لَمْ)[109] يَذُدْ (عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ)[110].

والاتقاء: الحفظ، * تقول: تقى يتقي كقضى يقضي قضاء، ووقاه الله حفظه من كل سوء.

يريد أنه بقيامه في أمور الخلافة، طرد كل إذاية عن رعيته ودهية تصيبها، وحفظها من كل مخوف في الحال والمآل، بما استعده لها وللخلافة أيده الله.

والقناعة: الرضى بالقسم من باب تعب وسلم، تقول: قنع بالقسمة رضي بها، يقنع فهو قنيع وقنوع، وقال بعض أهل العلم: إن القنوع -أيضا- قد يكون بمعنى الرضى، والقانع بمعنى الراضي، قال الشاعر: [الوافر]

---

(107) ح، ك: فبمباششتهم.

(108) يقصد به: الشاعر زهير بن أبي سلمى.

(109) في شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: 30: لا.

(110) د: بحوضه عن سلاحه. والتصحيح من ز، ح، ك. هذا الشطر الأول من البيت الشعري لزهير بن أبي سلمى يوجد في شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: 30. والبيت كاملا كالآتي:

وَمَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

(*) • 124 آ.

وَقَـــالُــوا قَــدْ زَهِــدْتَ فَــقُــلْــتُ كَــلاً ... وَلَـــكِــنِّــي أَعَــزَّنِــي الــقَـــنُــوعُ

وقال لبيد[111]: [الطويل]

فَـمِـنْـهُـمْ سَعِـيـدٌ آخِـذٌ بِـنَـصِـيـبِـهِ ... وَمِـنْـهُمْ شَقِـيٌّ بِـالمَعِيشَـةِ قَـانِـعُ[112]

والغالب جعل القنوع في السؤال والتذلل. [و] [113]. المعيار: ما يمتحن عليه غيره لمعرفة صحته. [و] [114] التجارب: جمع تجربة، وهي اسم، جربت الشيء تجريبا إذا اختبرته مرة بعد أخرى.

والمراد: أنه لا يسند ما أراد فعله واختراعه لوزير، وهو كالمعيار لما كُلِّفَ به من معرفة الأشياء وتفاصيلها، حتى أنهم قالوا: فطن الوزراء أكثر من فطن الملوك، لأن الملوك يتفقهون أبداً في سياسة من دونهم من الرعايا لا غير، والوزراء يتفقهون في سياسة الملوك وسياسات الرعايا ، فهم أشبه الأشياء بالجوارح التي تصيد وتفترس، وتصيدها -أيضا- جوارح أشد منها، فهي أعرف الجوارح بمكائد الإحتراس ومكائد الإفتراس انتهى. ومع ذلك لم يكتف بأحد منهم في أموره، لحرصه على وقوع الأشياء في محالها، والمحافظة على العدل والإنصاف، حتى يتحقق ذلك عنده بالاختبار المرة بعد المرة، ويثبت لديه بالتجارب القائمة مقام المعاينة، وهي من تمام الذكاء لما قالوا: أن العاقل يقدم التجريب على التقريب و(الاختبار)[115] على (الاختيار)[116]، فيقنع حينئذ ويرضى بما أنتجته له التجارب التي لا غرض لها في شيء ولا تتهم بشيء، فيقع الشيء بذلك في محله بحسن فطنته، والرأي تبع للتجربة، وهو في ذلك عالم بعدم توفر شروط الوزارة في أبناء زمنه، وهي أن يكون الوزير صدوقا في لسانه، عدلاً في دينه، مأمونا في الخلافة، بصيراً بأمور الرعية. وتكون بطانته من أهل الأمانة* والبصيرة. وأن لا يكون لئيما فاللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بالاشراف، وتكبر على ذوي الفضل. إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة. ولذلك كان يجتهد في أموره وتأسيسها بما لم يطلعوا على سببه. وكان في كل ذلك مصيبا، لاطلاعه على أحوال الرعية وأهل المظالم منها مع الوزراء، مدة خلافته وقبلها بممارسته للكل، ومعاينة عدم النصيحة من الوزراء للملك والرعية، وإنما همتهم مصروفة في جلب النفع لهم أكثر من كل شيء.

---

(111) هو: لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري المتوفي سنة 41 هـ / 661 م: شاعر مشهور، وهو أحد أصحاب المعلقات. أنظر : الأغاني للأصبهاني، ج 14: 9102، وج 15: 144-137، الفهرس: 224، مرآة الجنان، ج 1: 119، خزانة الأدب للبغدادي، ج 2. 246، 252، 253،256،257، 251 الاعلام للزركلي، ج 5: 240، مقدمة ديوان لبيد.

(112) أنظر: ديوان لبيد بن ربيعة: 89 .

(113) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز.ح.ك.

(114) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز.ح.ك

(115) د.ك: الأختبار. والتصحيح من ز.ح.

(116) د. ح. ك: الإختبار. والتصحيح من ز.

(*) • 124 ب.

فصارت بقيامه على ساق وبذله الكلية في أمور الملك، وسلوكه منهاج [الجد][117] والاجتهاد في إقامة السنة، وترك الملاهي والبدع. فتوح النصر: أي افتتاح أبوابه ومباديه و(علاماته)[118] تظهر بعد خفائها، والعناية: السعادة واليمن والبركة. والإقبال: ضد الإدبار. وأقصى الشيء: غايته ومنتهاه، والمغارب: جمع مغرب باعتبار أجزاء مواطنه.

والمراد أن تخيلات النصر ومباديه ظهرت بسعادته وبركته، وأقبلت الفتوحات إقبالا [بينا][119]، بما أسسه المولى الإمام من اقتناء السلاح، وتحشيد الجيوش وركونها إليه بقلب سليم ومحبة ونصيحة، (لما)[120] وسعهم من إحسانه وبروره، مع بسط العدل والحلم والعطاء، وبأقصى المغارب يتعلق بتبدو (كذا)، إذ المراد بأقصى المغارب الثغور المجاورة للعدو، ولازال البعض منها بيده كسبتة، ومليلية، وحجر بادس، وحجر النكور، فهي باعتبار (ما)[121] كان بالصحراء من جهة الجنوب تكون بأقصى المغرب له.

[التعريف بسبتة]

أما سبتة: بفتتح السين نسبة إلى سبت بن يافت ابن نوح عليه السلام، لأنه أول من اختطها، فهي من مشاهر المدن التي أسست قبل الإسلام، وقد كانت بيد فليان بن غمارة بن مصمود، ومنه أخذها المسلمون، وتداولتها ملوك الأدارسة، ثم لمتونة، ثم الموحدون، ثم بنو مرين، إلى أن أخذها الإصبنيول من يد أبي سعيد المريني غدرا سنة إحدى عشرة وثمانمائة [122]، وكانت باب الجهاد وعمدة البلاد، خرج منها جماعة من العلماء والأولياء والشعراء، فمن أوليائها العارف بالله أبو العباس أحمد بن أبي جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي، صاحب الطريقة الغريبة والأحوال العجيبة. ومن علمائها القاضي عياض الشهير الذكر -نفعنا الله بهما- وضريحهما معاً بمراكش. * ولما وضع المشارف في لغة الصحيحين والموطأ، قال بعض الأدباء في ذلك:

مَشَارِقُ أَنْوَارٍ تَبَدَّتْ بِسَبْتَةٍ ... وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ المَشَارِقَ فِي الغَرْبِ[123]

---

(117) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز. وكُتب في د: الحد. والتصحيح من ح، ك.

(118) ز، ح: علامته.

(119) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(120) د، ز، ح: كما. والتصحيح من ك.

(121) ك: من.

(122) سنة 811 هـ / 1408 م. وهو التباس، لأن سبتة احتلت سنة 818 هـ / 1415 م. وليس في التاريخ المذكور في المتن. ثم إن الذي احتلها هو البرتغال وليس الإسبان كما في المتن، وبصدد معطيات احتلال سبتة أنظر. المغرب عبر التاريخ: ج 2: 59.
- Henri Terrasse, Histoire du Maroc, T 2: 116
- Brahim Boutaleb, J. Brignon, Histoire du Maroc, P: 176

(123) هذا البيت يوجد في الخبر المعرب، مخ. خ. ع. ر. 2273 ك: ورقة 88 ب.

(*) = 125 أ.

ومنهم ابن (رُشَيْد)[124] الفهري[125]، ومن أدبائها مالك بن المرحل[126]، وعلي بن محمد[127] الكاتب وغيرهم[128]. وتقدم حصار المولى إسماعيل عليها[129] إلى أن مات محاصرا لها، ويعده حاصرها المولى يزيد من هذه الدولة العالية العلوية، وذلك سنة خمس ومائتين وألف[130] وأقبل على حربها بكليته وقدمها على جميع مهماته، فأخذ بمخنقها وحاصرها من كل طريق، حتى غصوا منها بالريف، وتمكن من نكايتها وأشرفوا على البوار لولا ما صده عنها من غير اختيار، وقد سبق سببه [131]، وكان في ذلك أجله، فخلا له[132] الجو بعد ذلك إلى الآن.

[التعريف بمليلية والنكور وحجر بادس]

وأما مليلية فكانت بيد تاسول، فاستولى عليها العدو أواخر المائة التاسعة [133].

وأما النكور [134] فكانت قلعة لبني صالح، وأول من اختطها أبو العيش بن عيسى[135] من ولد محمد بن سليمان الحسني أول القرن الرابع [136]، واليها فرّ موسى بن أبي العافية عامل عبد الرحمان الناصر الأموي[137].

---

(124) د، ح، ك: رشد. والتصحيح من ز.

(125) هو: محمد بن عمر بن رُشَيْد الفهري السبتي، أبو عبد الله (حوالي 659 - 721 هـ / حوالي 1260 - 1321 م) نحوي، لغوي، بياني، شاعر، مؤرخ، وله اهتمام بفنون معرفية أخرى. ولد بسبتة وتوفي بفاس. أنظر: أزهار الرياض، ج 2: 347 - 356، سلوة الأنفاس، ج 2: 191 - 192 ، الإعلام لابن ابراهيم، ج 4: 342 - 351 ، المصادر العربية، ج 1:74 ، 80 .

- R.ARIE, Ency. de l'islam, T3. PP: 933-934.

(126) هو : مالك بن عبد الرحمان، أبو الحكم، المعروف بابن المرحل (604 - 699 هـ / 1207 - 1300): أديب، شاعر، نحوي ولغوي، ولد بمالقة (MALAGA) وسكن سبتة، وتوفي بفاس. أنظر: درة الحجال، ج 2: 264 و ج 3: 19 - 26، سلوة الأنفاس، ج 3: 99 شجرة النور: 202، هدية العارفين، ج 2:1 ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج 3 ترجمة رقم 8 الموسوعة، ج 2: 109 الأعلام للزركلي، ج 5:263 تاريخ الأدب العربي في المغرب لحنا الفاخوري: 185 - 200 تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج 6: 335 - 339 معجم المؤلفين، ج 8: 169 .

-M.Benchakroun, La Vie intellectuelle, PP: 141-146

(127) لعله يقصد: علي بن محمد بن أبي الحسن الأندلسي، أبو الحسن. كاتب مشهور بالأدب والشعر. من أهل القرن 5 هـ / 11 م، أنظر: جذوة المقتبس للحميدي: 308 ، معجم المؤلفين، ج 7: 190 .

(128) هذا الجزء من هذه الفقرة (التعريف بسبتة) يوجد في الخبر المعرب: ورقة 88أ - 88 ب باختلاف يسير في اللفظ، مما يشير إلى أن المؤلف نقله منه.

(129) أنظر: المقصد السابع من الجزء الأول ص :325 .

(130) سنة 1205 هـ / 1790 م.

(131) أنظر: المقصد العاشر من الجزء الثاني ص :37 حيث أشار المؤلف إلى أن السبب هو قيام المولى هشام عليه، أي أن هذا الأخير ثار على أخيه اليزيد ونازعه على السلطة.

(132) يقصد به: الإسبان المحتلون لسبتة.

(133) أواخر القرن 9 هـ / أواخر القرن 15 م.

(134) ذكر ابن عذاري أن الذي بنى مدينة النكور هو سعيد بن إدريس، وهو حفيد صالح بن منصور الذي دخل إلى المغرب في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. وسميت النكور نسبة إلى أحد نهريها. أنظر: البيان المغرب، ج 1: 176 .

(135) لعله يقصد به: أحمد بن القاسم كنون بن محمد، المعروف بأبي العيش، والمتوفي سنة 348 هـ / 959 م: من أمراء الأدارسة، تولى الريف ومدن أخرى بالمغرب الأقصى عدا مدينة فاس، وأقام في قلعة حجر الناس. ثم ذهب إلى الأندلس واستأذن أميرها الناصر في الجهاد، فأذن له، فاستشهد هناك في إحدى الوقائع.

(136) أول القرن 4 هـ/ أول القرن 10 م.

(137) هو: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله، أبو المطرف المرواني الأموي (277 - 350 هـ / 890 - 961 م): خليفة أموي بالأندلس. كانت بيعته (سنة 300 هـ / 912 م) بموازرة أعمامه، ثم بايعه -بعد ذلك- العامة (316 - 928) فلقب بالناصر لدين الله. واتصف بالقوة والشجاعة، وحسن التدبير، وتشييد العمران. أنظر: جذوة المقتبس: 12 -13، البيان المغرب، ج 2: 156 - 229. الكامل في التاريخ، ج 8: 535 - 536 ، طبقات الشافعية للسبكي، ج 2: 230 ، نفح الطيب، ج 1: 353 - 376 ، 371 - 380 .

وأما حجر بادس كان به قرية، وكانت مراكب الجزائر لا ينقطعون عن مرساها، ولما رأى ذلك السلطان عبد الله الغالب السعدي وتخوف منهم اتفق مع الطاغية أن يعطيه حجر بادس لينقطع مدد الأتراك، ففعل، وقفل إليها النصارى ونبشوا قبور المسلمين وأحرقوهم بالنار، وأهانوا المسلمين كل الإهانة، والأمر لله.

[اتصاف المولى الحسن بأوصاف حميدة]

ويحتمل أنه أراد بافتتاح النصر بأقصى (المغارب)[138] ما وقع من التمكين والقهر لقبائل البربر العظام، الذين هم بأقصى المغارب من السوس ومن جاورهم كما يأتي. وقد مر ما يدل على استدلاله على النصر، ما وصف به المولى الحسن من العدل والحلم والعطاء، والتوجه لاقتناء السلاح والاستعداد. إذ العدل هو قوام الملك، ودوام الدول، وأس كل مملكة سواء كانت بنيوية أو اصطلاحية، وإن عدل الملك يوجب الاجتماع عليه، وجوره يوجب الافتراق عنه، في إشاعة العدل قوة القلب، وطيبة النفس، ولزوم اليقين، وأمان من العدو. وكتب عامل حمص إلى عمر بن عبد العزيز: إن مدينة حمص قد * تهدمت واحتاجت إلى إصلاح. فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل، ونق طرقها من الجور، والسلام. وقالت الحكماء: رُم ما شئت بالإنصاف وأنا زعيم لك بالظفر به.

والحلم، وأحق الناس به السلطان لأنه منصوب لإقامة أود الخلائق وممارسة أخلاقهم، ولا (يطيبون)[139] به في حال سلمهم وإنما يغشون بابه حين (تنازعهم)[140]، فإن لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم وإلا وقع تحت عبء ثقيل، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وجبت محبة الله تعالى على من أغضب فحلم"[141]. وسأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيرا من كبراء فارس (عن)[142] أحمد ملوكهم عندهم، فقال: لأزدشير فضل السبق غير أن أحمد هم سيرة أنوشروان. قال: فأي أخلاقه كان أغلب عليه؟ قال الحلم والإناءة. فقال علي رضي الله عنه: هما (توأمان ينتجهما)[143] علو الهمة. انتهى.

---

(138) ك: المغرب.
(139) ك: يطيفون
(140) ز، ح: سارعهم.
(141) الحديث أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، ج : 333 . والألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ج 6: 46 . وكلاهما عن عائشة، بنفس اللفظ، وهو من الأحاديث الضعيفة.
(142) د، ح، ك: من، والتصحيح من ز.
(143) د: توام بنتجها، ح: توأمان ينتجهما، ك: توأم بنتجهما، والتصحيح من ز.
(*) * 125 ب.

وقال (أكثم)[144] بن صيفي: الغلبة والعز للحلم. وقال الأحنف بن قيس[145]: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وصدق الأحنف: فإن من حلم كان الناس أنصاره كما رُوِيَ أن رجلا (أسرف)[146] في شتم بعض الأدباء وهو ساكت فحمى له بعض المارين في الطريق، وقال له: يرحمك الله ألا تنتصر لك؟ قال لا. قال: وَلِمَ؟ قال: لأني وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وهل حاميت فِيَ إلاّ لحلمي؟!

وقال معاوية رضي الله عنه: أفضل ما أعطي الرجل العقل والحلم[147]. وهذه دولة بني أمية، أولهم معاوية وآخرهم مروان الجعدي[148]، ولم يكن فيهم أحلم من معاوية، ولا جرم، دانت له الدنيا، وملك بها رقاب العرب والعجم[149].

والعطاء -أيضا- مقوٍّ للرعية، ويقوتهم قوة الجباية، ويقوة الجباية يَعظُمُ الملك، فهو أحد قواعد المملكة وأساسها وجمالها، يُسْتَرَقُّ به الأحرار، ويُستمال به الأعداء، ويُستكثَرُ به الأولياء، ويحسنُ به الثناء، ويُملك به الأقرباء والبعداء، قال الطرطوشي[150] رحمه الله: وكم قد [رأينا من كافر ترك دينه والتزم دين الإسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله. وكم قد][151] سمعنا من مسلم ارتدَّ في أرض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا، وأخلف بخصلة يترك لها الإنسان دينه الذي يبذل دونه نفسه أن تكون جليلة القدر عظيمة الخطر، وأحوج خلق الله عليها أفقرهم إلى عطف القلوب، وصرف الوجوه (إليهم)[152] وهم الملوك والولاة[153]. انتهى.

وأما اتخاذ الأسلحة و(اقتناؤها)[154]، والاعتناء *بجمعها وحفظها، وصرف الهمة لبناء محلها، والتوجه بالكلية إليها، فهو معظم حجة الذود والاتقاء، وسبب صيرورة الفتوحات والارتقاء، إذ هو من الاستعداد المأمور به شرعا ولا يكون عبثا.

وباجتماع هذه الأوصاف في إمامنا ظهرت فتوح النصر (للناظم)[155] - رحمه الله- ولغيره، إذ هي دالة لا محالة عليها.

---

(144) د، ك: أكتم، والتصحيح من ز. ح.

(145) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حسين المنقري التميمي أبو بحر (' ق. هـ - 72 هـ / 619 - 691 م): أحد أبرز رجال تميم دهاء وفصاحة وشجاعة، وضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة وانتقل إلى المدينة، وتوفي بالكوفة. أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد. ج 3: 112، و ج 5: 46، و ج 7: 130 . البداية والنهاية، ج 8: 326 - 329 ، تاريخ الخميس للدياربكري، ج 2: 309 . الأعلام للزركلي، ج 1: 276 - 277 .

(146) ك: أشرف.

(147) قولة معاوية -هذه- توجد في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي: 144 . بنفس اللفظ.

(148) هو: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك (72 - 132 هـ / 692 - 750 م): آخر خلفاء بني أمية، وكان يلقب بالجعدي وبالحمار، ولد بالجزيرة (شمال العراق). شارك في الفتوحات في خلافة هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد. وبويع سنة 127 هـ / 744 م. في وقت عرفت فيه الدعوة العباسية تقدما ملحوظا، وانتشارا واسعا، فقتل على يدي أنصارها. أنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج 2: 136 - 144 . الأخبار الطوال للدينوري: 351 - 369، البداية والنهاية، ج 10: 22 - 51، فوات الوفيات للكتبي، ج 4: 127 - 128، العبر لابن خلدون، ج 3: 91 - 92، 112 - 117، 128 - 133 .

(149) هذه الفقرة ابتداء من كلمة: وهذه دولة، توجد في سراج الملوك: 146 بنفس اللفظ.

(150) هو: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي (451 - 520 هـ / 1059 - 1126 م) أديب، حافظ وفقيه مالكي المذهب. ينسب إلى مدينة طرطوشة (TORTOSA) بشرقي الأندلس. زار بلاد المشرق وتوفي بالأسكندرية. أنظر: خريدة القصر للعماد الأصفهاني، ج 2: 290 - 292، نفح الطيب، ج 2: 85 - 90، تاريخ آداب العربية لجرجي زيدان، ج 3: 108، معجم المطبوعات، ج 2: 1239، هدية العارفين، ج 2: 85 . تراجم إسلامية لمحمد عبد الله عنان: 289 ، الأعلام للزركلي، ج 7: 133 - 134، الموسوعة ج 3: 15 . الدهاة العقلية لأحمد بدوي: 326 - 327 . التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى، ج 1: 335 .

(151) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(152) د، ح، ك: إليه، والتصحيح من ز.

(153) لم أقف على هذا الكلام في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي.

(154) د، ح، ك: اقتنائها، والتصحيح من ز.

(155) ك: للناظم.

(*) 126 أ.

[غزو المولى الحسن قبيلة بني مطير وحلفائها]

ومن إشارات الفتح والنصر، غزوة قبيلة بني مطير ومن وافقهم من مجاط وبني مكَيلد وآيت يوسي، والكل من البربر. وكان هؤلاء القبائل ممن ألفوا الفساد، واعتادوا العتو في البلاد، فضيقوا على مكناسة الزيتون وفاس بشن الغارات، وتغلبوا على من بساحتهما من العرب فأجلوها عن مراكزهم إلى الفلوات، وعبثوا وفتكوا بمن مر عليهم بالطرقات، إلى أن غزاهم المولى الحسن من مكناسة منتصف محرم الحرام فاتح سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف[156]، فاقتحم عليهم معاقلهم بعد قتال طويل، وانتهى إلى الموضع المعروف بالحاجب، بحبوحة قرارهم، ومحل منعتهم وانتصارهم، وشدة حصنهم واستوعارهم، ثم جاوزته الجيوش والعساكر، وأخذت بثأر ما كانوا عليه من أقبح المناكر، ولازالوا مستمرين إلى أن بلغوا الموضع المعروف بفم الخنيڤ الذي هو أول بلاد بني مكَيلد، فاستباح العسكر المنصور حلاتهم، وحز على القهر وغاية النصر رؤوس عتاتهم، ومزقوهم كل ممزق، وعبثوا بهم في كل حصن لهم مجتمع ومفرق، وقبضوا على عدد وافر منهم أسارى، وأذاقوهم طعم الصغار، وعلقت رؤوسهم المحزوزة وقت القتال على الأسوار، فارتهبت بها قلوب أهل البوادي والأمصار، ومن ذلك الحين، انقطع أذاهم على المسلمين، وانكسرت شوكتهم وسكنت حركتهم.

وكانت هذه الوقعة أول وقائعه، بعدما أوقع بأولاد يحي من بني حسن المتمردين عن طاعته، بما كاد أن يستأصلهم به من القتل والأخذ، جزاء (لما)[157] فعلوا بعاملهم عبد القادر بن أحمد المحروڤي من النهب والخروج عن الطاعة .

[الإيقاع بأهل فاس]

وبعد هذا، كانت وقعة فاس في رابع ربيع الثاني سنة إحدى وتسعين[158]، بسبب ثورانهم على أمين المستفاد بها وهو الحاج محمد بن المدني بنيس، ونهبهم داره وأمتعته بعد طلبهم إياه للقتل، فحفظه * الله باختفائه في الحمام، وكان ذلك لقبض المكس منهم، ولا سيما الدباغون المتولون حرفة الدباغة، فهم الذين أعلنوا بالعصيان، وامتنعو من أداء الواجب عليهم في ذلك، بفندق الجلد المعد لبيعه، وآل الأمر إلى شهر السلاح والصعود على المنارات وغيرها من الأماكن المرتفعة المطلة على فاس الجديد، وجعلوا يرمون بالرصاص على المار إليه

(156) منتصف محرم فاتح سنة 1291 هـ / الأربعاء 4 مارس 1874 م.

(157) ز: بما

(158) أي 4 ربيع الثاني سنة 1291 هـ / الخميس 21 ماي 1874 م.

(*) * 126 ب .

بالطرقات المتصلة به، وقصده جمع منهم، فحينئذ أمر السلطان -أيده الله- بمقابلتهم على ما أرادوه، فطافت بهم العساكر ورموهم بالقنابل من كل ناحية، وهجمت طائفة من العسكر عليهم بعد هدها (شيناً)[159] من سور المدينة وهم لا يشعرون من ناحية الطالعة، وأخذوا في النهب والقتل، فعظم الخطب، واشتد الكرب، وفي إثره وجه السلطان (أعزه)[160] الله وزيره أبا عبد الله الصفار، ليكف العساكر، ويؤمن الناس من شرهم إن رجعوا إلى الطاعة وبادروا إلى التوبة، شفقة عليهم وتعظيما لمن هم في حرمه ومجاورته مولانا إدريس بن إدريس نفعنا الله به، (فانطفت)[161] بذلك نار الفتنة وانحسمت أسباب المحنة، بعد أن عاينوا ما لا طاقة لهم به من القوة والاستعداد، وهو أيضا من أقوى سبب النصر مما عليه الاعتماد.

[الإيقاع ببني سادن وشغروشن وبني وراين]

وبعد ذلك أوقع -أيضا- ببني سادن و (شغروشن)[162] وبني وراين، فقتل وأسر وانتسف الجيوش زروعهم وخربت ديارهم، فجاؤا بعد ذلك تائبين، فعفا عنهم، ووظف عليهم ما لا وخيلا يدفعونها، فأذعنوا لذلك واستوفاه منهم، وكان ذلك بسبب ركونهم إلى الهبري الثائر وقيامهم بشأنه، وقد مرّ الكلام فيه[163]. وكانت هذه الوقعة في أوائل شعبان من السنة[164].

[القبض على محمد بن البشير وولد رمضان الوجدي]

وبعدها[165] مما يليها، وقعة قبضه على الحاج محمد ابن البشير بن مسعود، كبير قبيلة بني يزناسن و(رئيس)[166] القبائل التي هي بنواحي وجدة، وكذلك على ولد رمضان الوجدي أمين وجدة وهامتها العظمى، وذلك سنة ثلاث وتسعين. وكان (هذان الرجلان)[168] بالمرتبة القصوى في نفوذ الكلمة وامتثال الأمر منهما، بالسمع والطاعة بالنواحي الوجدية، بحيث لا يُلتفت لغيرهما، ولا يُعبأ بمن دونهما ممَّن ينتسب للمخزنية. وكانا على جباية تلك العمالة * يحكمان كيف شاءا، ويعاقبان بما أرادا ويوجهان من غير كلفة ولا

---

(159) كـ سينا.
(160) كـ أيده.
(161) كـ فانطفت. وفي الاستقصا ج 9: 137: وانطفأت.
(162) كـ شعروشن .
(163) أنظر هذا المقصد (الثالث عشر) من الجزء الثاني ص 110 – 112 .
(164) أي أوائل شعبان من سنة 1291 هـ / أواسط شتنبر 1874 م.
(165) أي بعد وقعة بني سادن وشغروشن وبني وراين في شعبان 1291 / شتنبر 1874 .
(166) د، ز، كـ رائس. والتصحيح من ح.
(167) أي سنة 1293 هـ / 1876 م.
(168) د، كـ هذين الرجلين. والتصحيح من ز، ح .
(*) * 127 أ.

محاسبة باختيارهما ما أرادا للسلطان، وهو متغافل عنهما، وهما يظنان عجزه عن إدراكهما والمكر بهما لطول مكثهما على هذه الحالة، وشكاية قواد المخزن بوجدة بهما، بنبذ الأوامر المخزنية واتباع كلمتهما كيفما كانت بتلك النواحي، إلى أن خرج السلطان - أيده الله- من فاس منتصف جمادى الثانية من السنة المذكورة[169]، فاجتاز بأرض غياثة، وحل بمدينة تازا منها، وأنصف أهلها من سفهاء غياثة الجائرين عليهم فأدوهم ما كان لهم عليهم من الحقوق، وكفوا اليد العادية عليهم، ووظف عليهم ثلاثين ألف ريال كبيرة - على ما قيل- فأدوها، كما استوفى منهم ومن غيرهم ما كان لبيت مال المسلمين عليهم من الزكاة والأعشار. ومنها توجه إلى وجدة ونواحيها لإصلاح شؤون تلك القبائل، فانتهى إليها في أوائل شعبان من السنة المذكورة[170]، فتلقاه قبائلها خاضعين ومن كل إساءة جندها تائبين، فقبل توبتهم، وعفا عنهم.

عادة قبائل وجدة استعمال اللف

ومن عادة[171] هذه القبائل ودأبهم التحزّب، وهو التجمع. ويسمونه حالة الحرب بينهم باللف وحالة السلم بالميعاد.

أما اللف في اللغة[172] بكسر اللام واحد الألفاف: وهو الأشجار يلتف بعضها ببعض ومن قوله تعالى: "وجنات ألفافا"[173] واحد لف ولإخفاء في مشابهة اجتماعهم بألفاف الأشجار وتشابك أغصان بعضها ببعض.

ويحتمل أنه من اللفيف، وهو ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ومنه قوله تعالى: " جئنا بكم لفيفا"[174] أي مجتمعين مختلطين، وهي حالتهم المشاهدة منهم وقت الحرب.

وكيفية العمل عندهم في ذلك، أن القبيلة المحاربة لجارتها بما يطرأ بينهما من أسباب العداوة، تطلب من قبائل غيرها يكونون معها على قتال عدوهم، لضعفهم عن مقاومتهم، إما لكثرة جموعهم وإما لقوتهم بلفهم، وكذلك القبيلة الأخرى تكون بلفها أو تطلبه -أيضا- من القبائل، بأن يدخلوا معها في الحرب، فيجتمع على كل منهما جموع ممن يوافقهما، وبذلك يقولون: إن ذوي فلان من لف القبيلة الفلانية وذوي فلان من لف القبيلة

---

(169) أي منتصف جمادى الثانية من سنة 1293 هـ / السبت 8 يوليوز 1876 م.
(170) أي أوائل شعبان من سنة 1293 هـ / أواخر غشت 1876 م.
(171) من هنا يبدأ سالمون (SALMON) ترجمة هذا النص إلى اللغة الفرنسية، في مجلة الوثائق المغربية. أنظر.
- G.SALMON, Coutumes des Tribus d'Oujda en ce qui concerne le leff. in Archives Marocaines; 1904. Tome I. PP: 143-148

(172) زاد في ك: فهو.
(173) سورة النبأ، الآية: 16 .
(174) سورة الإسراء، الآية : 104 .

* الأخرى[175]. ثم يتزاحفان للحرب ويستمر عليه اللفيفان إلى أن يظهر أحدهما على الآخر، فحينئذ يقود اللفيف المغلوب عددا من الخيل على شرط الغالب، هدية له مع شيء من المال أو الماشية [176] لتسمع القبائل بذلك، فيحصل الافتخار بشهرته، ويتحقق الغلب دون احتمال إذ لا يكون ذلك إلا مع ذل القهر والغلبة.

وهكذا، كلما قامت قبيلة لحرب غيرها يقوم من كان معها في لفها. وفي بعض الأحيان يختلف اللف، فتكون قبيلة في لف قبيلة، فيظهر لها لموجب الانتقال من لفها إلى لف غيرها، (فتنتقل)[177] وتصير للف غيرها ممن كان عدوا لها، ولا يعتبرون في ذلك المجانسة بأن يكون لف العرب كله من القبائل العربية ولف البربر كله من القبائل البربرية، وإنما العمل عندهم على المنافسة بحسب المصلحة المتعينة في الوقت: فيكون اللف من زناتة والعرب على العرب فقط أو على زناتة فقط. ويكون كل لف مختلط منهما.

وهذه سنتهم في حروبهم منذ أزمان، ومثله ما يقع من الإتحاد بين الدول المتباينة (لغرض)[178] يعرض لما يروا في عواقبه مصلحة لهم.

[عادة قبائل وجدة استعمال الميعاد]

وأما اجتماعهم في حالة السلم المسمى بالمعياد عندهم، فهو -أيضا- موافق (للغة)[179] العربية إذ هو المواعدة والوقت والموضع[180]، وكيفيته أن رئيس القوم، وكان حينئذ هو الحاج محمد بن البشير -المذكور- يختار من كل قبيلة عددا من أعيان أكابرها وعقلائها ويعيّنهم للإجتماع عنده والإنضمام إليه كلما أمرهم بذلك، فيتفقوا معه على ذلك، ويبقى هو بمحله والشكايات ترد عليه من تلك العمالة، إلى أن يتوفر لديه عدد منها، فيوجه لأعيان القبائل المذكورين، حتى يجتمع الكل عنده، فيأمرهم بالركوب، ويركب فرسه مع قومه أيضا،

---

(175) لاحظ سالمون (SALMON) أن تعريف كلمة اللف -هنا- يتطابق معناها مع مصطلح "الصف" المستعمل عند القبائل (Kabilie) بالجزائر. انظر:

- G. SALMON, Coutumes des tribus d'Oujda en ce qui Concerne le leff. in. ARch. Maroc. 1904. T1. P: 144, marge: 1

(176) مثلا في سنة 1299 /1881 وقع قتال بين بني مرّيصن وبني خلّوف فالتف حول بني مريصن كل من الزكارة وبني بوزكّو والشجع، بينما التف حول بني خلوف كل من أهل أنكاد والمهاية وبني يعلا وبني خالد. فكانت الغلبة لهؤلاء، ووقع الصلح بأن دفع "اللف" المغلوب 6 خيول و 30,000 فرنك . أنظر: عكاشة برحاب شمال المغرب الشرقي: 154 .

(177) ز. ح: فتنقل.

(178) د. ح: لعرض. والتصحيح من ز. ك

(179) ن: اللغة.

(180) وقد عرّف فوانو (Voinot) "الميعاد" بأنه مجلس الجماعة عند قبائل وجدة، ويعني في نفس الوقت اجتماع الأعيان للنظر في القضايا ذات المصلحة العامة لجميع أفراد القبيلة. واستنتج عكاشة برحاب في بحثه أن يكون استعمال مصطلح "الميعاد" عند بني يزناسن - وهم من البربر- قد انتقل إليهم عن طريق الاحتكاك بالعرب. ولاحظ -أيضا- أن مصطلح "الميعاد" مازال مستعملا في بوادي إقليم وجدة خصوصا عند المسنين، ويفيد معنى الاجتماع ومجلس الأعيان. إلا أنه في طريق الأندثار. أنظر: عكاشة، شمال المغرب الشرقي: 159، 160 . وهامش : 59 .

(*) * 127 ب.

ويطوف الكل على أصحاب الذعائر ويقصدونهم في بيوتهم ومنازلهم بكل قبيلة، فينزلون على كل واحد منهم، ولا ينهضون عنه إلا بعد أداء ما يوظفونه عليه باجتهادهم من المال العين أو الماشية، عقوبة له بما فعله من التعدي أو السرقة أو الغصب مثلا، وكل على قدر حاله، فيجتمع لديهم من ذلك مال له بال، فيرجعون لدار القائم بهذا الأمر *عند فراغهم من أهل الذعائر، ويقتسمون ما جمعوه من المال في طوافهم على أهل الجنايات، كل واحد حصته علي قدر ما يناسب حالته وجاهه وعظم منزلته عند القوم، ويأوي كل واحد منهم إلى محله بما حصل له.

وهكذا كلما اجتمعوا لذلك عند التوقف عليه، ولو كانت قضية واحدة أن هالهم [أمرها][181]، ويسمون هؤلاء بأصحاب الميعاد[182]، وهو -أيضا- أشبه شيء بصنيع الدول الجمهورية .

[إبطال عادتي اللف والميعاد]

والمخزن يأبى ذلك ولا يرضاه، لمشاركة الغير له في الحكومة، وسقوط الهيبة من قواده وأعوانه، ونقص الجباية من الرعية، والإصغاء لغيره، والتصامم عنه عند الاحتياج لأمر مهم.

ولذلك نهض المولى الحسن في التاريخ المذكور[183] لإبطال هذه المادة وحسم (أهلها)[184]، فقبض على الحاج محمد والشيخ ولد رمضان الوجدي المذكورين ، لما كان عليه الثاني أيضا من قبض جباية العمالة كلها وحبس وجدة ومكوسها وأعشار سلعها، مع إعانة كل منهما لصاحبه بما يناسبه من القوة والعصبية. ولولا وفود السلطان على هذه العمالة ما قبض على واحد منهما.

وبعده، أودعهما السجن، وبقيا به إلى أن مَنَّ عليهما بخروجهما منه، وعقلهما بمحل فسيح، وأعطى كلا منهما جارية، وأجرى عليهما النفقة الكافية، إلى أن ماتا، كما أعطى لأولاد الثاني ثلث ما كان أخذه له من الأملاك بوجدة، ليستعينوا بها، وملكها لهم، ولازالت على ملكهم إلا ما باعوه منها، ويعد ذلك من إحسانه و(إنزاله)[185] الناس منازلهم وحلمه الشهير.

---

(181) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز، ح، ك.

(182) ولاحظ سالمون (G.SALMON) اعتمادا على لشاتليه (Le chatelier) في كتابه قبائل جنوب غرب المغرب، أن قبيلة آيت ماسة ومجموعة من قبائل جنوب غرب المغرب لها عادات مشابهة إلى حد ما.

أنظر: - G.SALMON, Coutumes des tribus d'Oujda., in Arch. maroc. T: 1 P: 146, marge: 1

نقلا عن: - Le chatelier, Tribus du Sud-Ouest Marocain, P: 10 et seq

(183) أي سنة 1293 هـ / 1876 م .

(184) ك: أصلها.

(185) د، ك: نزوله، والتصحيح من ز، ح)

(*) ▪ 128 أ.

[وفود الجنرال أصمن على المولى الحسن بوجدة]

ولما حل وجدة في التاريخ المذكور[186] وقبض على المذكورين، وفد عليه الجنرال أُصْمَن[187]، موجهاً سفيراً من والي عموم الإيالة الجزائرية من جانب الدولة الفرنسوية، بقصد التهنئة له بحلوله وجدة وقبضه على من أراد قبضه ممن أساء السيرة وخالف أمره، فوفد عليه في جيش من عساكر الحدود بما (يناسب)[188] لذلك من الأبهة المقتضية ضخامة الملك من خيل، وطبجية[189]، واستعداد، وأمر بتحريب العساكر والمدافع والخيل أمام المولى الحسن، فاستحسن ذلك المولى الحسن وأعجبه، فكان ذلك سبب طلبه من الدولة توجيه الضباط الفرنسويين لتعليم العساكر* الإسلامية الحرب على مقتضى ما شهده من حركتهم. فوجهت إليه ما فيه كفاية من الضباط[190] لتحريب العساكر والطبجية، وإتقان الرمي بالمدافع كما ينبغي، ووفد عليه أولئك الضباط وهو بوجدة، وشرعوا بقدومهم في الإشتغال بأمر تعليم الحرب للعسكر المنصور بالله. ولازالوا على ذلك إلى الآن، ويعد ذلك -أيضا- من حزمه واعتنائه بالاستعداد.

---

(186) أي في سنة 1293 هـ / 1876 م.

(187) أصمن: OSMONT كان يرأس لواء الجيش الفرنسي بوهران برتبة جنرال.
أنظر:

- Jules Erckmann, Le Maroc moderne, Paris, 1885; P: 199
- La martinière, Le règne de Moulay El Hassan, P: 403 .

(188) ز: يناسبه.

(189) طبجية : جنود المدفعية.

(190) كان توجيه هؤلاء الضباط إلى المغرب حسب ما ذكره إركمان Jules Erckmann في دجنبر من سنة 1877 م. وهذه البعثة العسكرية كانت تتكون من 4 ضباط، و5 ضباط الصف، بتعيين من الحاكم العام الفرنسي بالجزائر. وقد أوردت ثريا برادة الوثيقة المتعلقة بهذه البعثة في بحثها وتحمل رقم 9 (بعد ص: 216). ونرى من المفيد إثبات أسماء ضباط هذه البعثة ورتبتهم كما وردت في الوثيقة المذكورة لتدعيم نص المؤلف (المتن):

-Payerne = Capitain.
- Journée = Lieutnant.
- Linarés = aide major.
- Erckmann = Lieutnan.
- Richert = m at des logis.
Pennel = Sergent major.
Lamarque = Sergent.
Ahmed bou Ayad = id.
Mansour ben Brahim = id.

أنظر: ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن 19 . ص: 216 وما بعدها. وهو بحث (مرقون) لنيل د.د.ع. في التاريخ. السنة 1404 هـ / 1984 م. جامعة محمد الخامس بالرباط.

- Jules Erkmann, Le Maroc moderne, PP: 199-200.

(*) • 128 ب.

[رجوع المولى الحسن إلى فاس ومكاتبته للأمصار]

وبعد قضائه الوطر، بما مهده من تلك النواحي ووظفه من المال على أهلها وبالرجلين المذكورين ظفر، قفل راجعا إلى فاس فدخلها في السابع والعشرين من رمضان[191]. وكتب بذلك إلى الأمصار بما صورته: هذا، وقد كتبنا لكم هذا بعد القفول من حركتنا السعيدة، وحلولنا بحضرتنا العالية بالله بفاس بالفتوحات الجديدة، والإنعامات المزيدة، حلول عز وظفر، وإسعاد ونصر، من لدنه لم يكن بحيلة ولا استعداد، وذلك بعد الفراغ من ترتيب تلك القبائل، وتطهيرها مما (تعلق)[192] بها من الرذائل، ونلنا بفضل الله في هذه الحركة، من أثر[الخير][193] واليمن والبركة، ما أثلج الصدور، وحمدنا (عنه)[194] في الورود والصدور، وتركنا أهل تلك النواحي، وساكني جبالها والضواحي، على أحسن ما يكون صلاحا واطمئنانا، وسلوكا للجادة المخزنية بالقلب والقالب سرا وإعلانا، وأبقينا طائفة من جيشنا السعيد عند قبائل الريف، زيادة في الاطمئنان والتأليف، بقصد استيفاء ما بذممهم من الواجب، واستخلاص ما تعلق بهم من الحقوق التي ألزموها ضربة لازب، وذلك كله من تيسير الله ورفده[195]، وفضله على عبده، فما النصر إلا من عنده، فأما نحن فلا حول لنا ولا قوة، ولا أنصار مرجوة، ولا نعتمد على عدة ولا عدد، بل على فضله تعالى المعول والمعتمد، عرفنا الله حق النعمة وألهمنا شكرها وحمدها، وأجرانا على عوائده الجميلة، التي لا يقدر قلم الواصف أن يدرك حصرها وحدها، وقد اقتضى نظرنا العالي بالله إعلامكم بذلك لتأخذوا حظكم من الفرح بتأييد الله ونصره، وتخلصوا في حمد نعمه الجزيلة و(شكره)[196]، والسلام، في السادس والعشرين من * رمضان عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف[197] انتهى.

---

(191) أي 27 رمضان من سنة 1293 هـ / الإثنين 16 أكتوبر 1876 م. وإلى هنا ينتهي سالمون من ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية، ج: 1 : 148 .
- G.SALMON. Coutumes des tribus d'Oujda en ce qui concerne le leff. in Arch. Maroc. 1904, T1. P: 148 .
ويلاحظ من خلال هذه الترجمة تطابق معناها مع المتن. وهذا يعني من جهة أخرى تطابق ألفاظ النسخ المعتمدة لدينا بالنسخة التي اعتمدها المترجم.

(192) ز: يتعلق.

(193) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(194) ز: غبه. وكذلك في الاستقصا، ج 9: 159 .

(195) رفده: إعانته ونصره .

(196) د، ح: سكره، والتصحيح من ز، ك.

(197) 26 رمضان 1296 هـ / الأحد 15 أكتوبر 1876 م. هذه الرسالة أوردها الناصري في الاستقصا، ج 9: 159 - 160 بنفس اللفظ.

(*) • 129 أ .

[الغزوة الثانية لقبيلة بني مطير وحلفائها]

ومن ذلك -أيضا- زحفه [ثانيا][198] لبني مطير ومن انضم إليهم، حيث استفحلوا على قبائل العرب المجاورة لهم من دخيسة وأولاد نصير، واستضعفوهم لقلة عددهم، وانتصروا لإخوانهم مجاط، لكون العرب استوطنوا أرضهم بإذن المولى الحسن عند ظهور الفساد منهم، فلما طالت إقامة المولى الحسن بمراكش نهضوا إلى قبائل العرب، وامتلأ البربرعليهم حتى أزالوهم عن بلد مجاط بعد حروب ووقائع، وعادوا إلى عتوهم وعبثهم بالطرقات، فزحف إليهم عند رجوعه من مراكش سنة ست وتسعين[199]، وأوقع بهم وقعة أشر من الأولى، وأمر القبائل المجاورة لهم أن تحيط من كل ناحية بهم عند حدودها، وهجمت عليهم الجيوش الحوزية والمغربية، فضاق بهم المتسع، وأيقنوا بالهلاك والبوار، ولفظتهم السهول والأوعار، ولم يبق لهم ملجأ ولا قرار، وارتعبوا بشن الغارات وأخذ أموالهم وحز رؤوسهم في الفلوات، فحينئذ ركنوا إلى الإنقياد وتطارحوا على السلطان بالشفاعات، فرق لهم وأقلع عنهم، على شرط إعطاء خمسمائة مرهون من رجالهم، ومائة وخمسين ألف ريال كبيرة بعد أداء الحقوق ورد المظالم، وخروج مجاط من بين أظهرهم ومن ساحتهم، وإعطاء ضامن على عدم عودهم التعرض لطريق مكناسة وفاس، وجعل العهدة فيها عليهم، جريا على عادتهم القديمة من (جعلهم)[200] النزائل بها والحراس، فالتزموا ذلك كله وأدوه على التمام، ومن ثم انقطع أذاهم وانكسرت شوكتهم، والزموا الطاعة والانقياد، ودفع الجباية كغيرهم من القبائل وإعطاء الهدايا في المواسم والأعياد، وبذلك أذعن جميع البربر من أهل الصحاري وغيرهم لدفع الواجب عليهم من الزكاة والأعشار وغيرها. إلى غير ذلك من فتوحاته العديدة بقبائل البربر المستوطنة جبل (فازاز)[201] الذي هو بعض من جبل درن من قبل دخول الإسلام المغرب، وهم من بطون صنهاجة أولوا عدد وافر ومنعة، لتحصنهم بأوعار ذلك الجبل، وضيق مسالكه وقلة فجاجه.

---

(198) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(199) أي سنة 1296 هـ/ 1878 م.
(200) ز: جعل.
(201) د، ك: فازار، والتصحيح من ز، ح.
(*) • 129 أ.

الكلام في أزرف عند البربر

ولازال غالب أحوال* عامة هؤلاء [القبائل][202] المذكورين بهذا الجبل، ومن يليهم شرقا إلى قبيلة بني وراين من القبائل البربرية، ومن جاورهم من العرب، على منهاج الجاهلية وسننها، غير أهل السوس الأقصى فإنهم مخالفون لهم، جانحون لإقامة شرائع الدين وسننه.

فمن ذلك عرفهم[203] المختص بهم في الأحكام المسمى لديهم بأزرف: ويعنون به الحكم المقابل للشرع، فيقولون: ما حكم الشرع في هذه النازلة؟ وما حكم أزرف فيها؟ كما يقولون للمتحاكمين: تزارفوا. أي تحاكموا به. ولغتهم هذه، توافق اللغة العربية في هذا المعنى من حيث التقدم والزيادة. وفي القاموس: زرف إليه تقدم، وأزرف الرجل تقدم، وزرف في الكلام زاد فيه[204].

فيكون وجه تسمية الحاكم بأزرف لديهم من زيادته في الكلام عند حكمه على ما هو مشروع أو من تقدمه إلى الحكم بالعقل، وهم في ذلك كما هم عليه قبائل عمالة وجدة من اللف والميعاد، وقد تقدم كيفيته.

[و][205] كيفية أزرف، أن يتقدم في كل قبيلة واحد أو أكثر من عقلائهم المتمهرين في الأحكام العقلية المألوفة لديهم،المضبوطة القواعد، بتواتر الحكام عليها، وقد مرت عليه نوازلها، وتكررت لديه وقائعها مع ما يكون عليه من الأمانة من أخذ الرشوة وقبولها، ويقصدونه القبائل، ويرحلون إليه في مهماتهم من كل (ناحية)[206] حين يشتهر بمعرفة الحكم والأمانة وجودة الرأي، وإن حكم حاكم في قضية ولم يرض المحكوم عليه بذلك يذهب لحاكم ثاني وثالث، وهو المنتهى. ويقدمون حكمه على حكم الشارع صلوات الله عليه، فإن من طلب خصمه للشريعة بأن يقول: أنا أدعوك للشرع المطاع، وأجابه خصمه بأن يطلبه للحق بأن يقول: وأنا أدعوك للحق. يعني به أزرف. فكل من سمع ذلك يأمر بتقديم دعوة الحق عندهم على الشرع، ولا يلتفت لمدعيه، ولايلزم المدعي للحق إجابته، فإذا جلس الخصمان بين يدي الحاكم بأزرف، أمر كلا منهما -قبل سماع دعواهما- بإعطاء ضامن فيما يجب عليه، إن حكم عليه بشيء أو رهن يكفي للتوثق به ثم يقول كل منهما كلامه، ويحكم بينهم بما يراه من القوانين المعتادة [لديه][207] اللائقة بتلك النازلة. وكثير أحكامهم في الدماء، وخفر الذمة، والسرقة، ونهب المحصنات، *وما شاكل ذلك من الجرائم.

والقانون عندهم في أحكام الدماء: أن القاتل عمدا أو خطأ يخرج وأقاربه من أرضهم إلى أرض يأمنون فيها على أنفسهم، لأنهم لا يراعون (القاتل)[208] في القتل فقط، ويقولون

---

(202) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(203) من هنا يبدأ سالمون (G.SALMON) ترجمة النص إلى الفرنسية. أنظر:
- G.SALMON. De L'azref chez les Bérbères. in Arch. Maroc. 1904. T1. P:130
(204) أنظر: القاموس المحيط، ج 3: 152. بتصرف.
(205) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(206) د. ك: تحية. والتصحيح من ز. ح.
(207) خرم في د. والتكملة من ز. ح. ك.
(208) د. ز. ح: القتل. والتصحيح من ك.
(*) * 129 ب.
(*) * 131 أ.

على سبيل الاحتجاج في ذلك: فمتى أجد الذئب الذي أكل نعجتي بين الذئاب، فكل ذئب لقيته فهو صاحب نعجتي. ويبقى القاتل وأقاربه مغربين بحيث لا يمر أحد منهم على أحد من أولياء الدم إلى أن يقع الصلح بعد طول المدة بحسب جاه المقتول وعصبيته بين أولياء دم المقتول، والقاتلين على يد الشرفاء وأهل الجاه وأكابر القبائل، وتقديم الذبائح، والتزام الشروط من أولياء الدم كطلاق امرأة من أقارب المقتول هي في عصمة بعض أقارب القاتل وإن كانت حاملة يأخذون ولدهم بمجرد وضعها إياه. إلى غير ذلك من الشروط، ولابد من هدية (خفية)[209] لكبير أقارب المقتول ليراود أقاربه على الصلح ويوافقهم عليه، وحينئذ يشترطون في الدية ما هي، وعددها خمسمائة ريال دور[210] إن لم تكن عندهم مقدرة متعارفين عليها من غابر الأزمان فيدفعونها على يد الشرفاء، وأهل الجاه، ويحضر الفريقان لديهم ويصافحونهم، ويقبل بعضهم رأس (بعض)[211]، ويتم الصلح، وحينئذ يعودون لمنازلهم، ويأمنون على أنفسهم من أولياء الدم، إلا أن بعضهم يستمر على ذلك ولا يخون، ولا يسعى في نقض الصلح، وبعضهم يحفظ ما قبضه من الدية ويراصد القاتل أو أحدا من أقاربه إلى أن يقتله، ويرد لهم ما أخذ منهم، ويقول: ما أخذته منكم هو هذا، وقتلت صاحبكم في أبي أو أخي مثلا.

ويقع ذلك كثيراً (فيمن)[212] له أقاربه كثيرة، لأن الدية عندهم لا يختص بها ابن المقتول أو وارثه شرعا فقط، بل تتوزع على كل أقاربه، ولا يأخذ الوارث إلا حصته معهم أو (يزيدونه)[213] شيئا فوق حصته، بحسب عددهم (بل)[214] (يضعفون)[215] له حصته إلى أن يرضى، فإذا تنازع يوما مع أقاربه، وطرأت عداوة بينهم، نهض لقتل قاتل وليه ليرد الأقارب ما أخذوه معه من دية وليه. ومنهم من يأخذ امرأة من أقارب القاتل في الدية أو من غير أقاربه. يشترطها لجمالها، فيذهب القاتل ويرضي أولياء المرأة في مهرها أو يدفع لهم بدلا منها ابنته* أو أخته وزيادة مال، ويستعطفهم حتى يسمحوا له بذلك، ويدفع المشترط فيها تكون زوجة لأحد أولياء دم المقتول، فتبقى عنده إلى أن تلد ولدا ذكرا فيقوم القاتل على أولياء المقتول ويقول: إني قتلت لكم ذكراً وقد أخلفته لكم بالمرأة المدفوعة لكم. فيقولون: صاحبنا كان رجلا بالغا وهذا طفل! فيحكم الحاكم المذكور بينهم بعدم رد المرأة إلى أن يسلم الطفل من الجدري بأن يتجاوزه ويقدر على حمل السلاح والمدافعة، فحينئذ يرد المرأة لأهلها أو يطلب منهم بقاءها على صداق يدفعه لهم، وتبقى زوجة له إن رضوا ذلك، وإلا يأخذونها منه بحكم عرفهم قهراً. والعمد والخطأ في القتل سواء.

---

(209) ز: خفيفة.

(210) 500 ريال دور = حوالي 2000 فرنك، ومقدار هذه الدية يختلف ويتفاوت من قبيلة إلى قبيلة، وكثيرا ما كان يتم تأديته من الغنم عوض النقد.

أنظر: G.SALMON, de l'azref chez les berbères, in Archives. Maroc. 1904, TI, P: 133, marge: 2

(211) د، ك: بعضهم، والتصحيح من ز، ح.

(212) ز: ممن.

(213) د، ك: يزيدوه، والتصحيح من ز،ح.

(214) ك: بأن.

(215) د، ك: يضعفوا، والتصحيح من ز، ح.

(*) • 131 أ.

[الكلام في المزراف عند البربر]

وأما خفر الذمة، ويسمونه بكسر المزراق، إذ المزراق[216] عندهم هي الحماية، فإن الرجل يكون في حمايته رجل آخر أجنبي، ويتعرض له أحد بإذاية من أخذ مال على وجه التعدي ظاهرا أو إهانة أو قتل، وهو يعرفه في حماية من ذكر، فإن الحامي له يقاتل عليه بنفسه وإخوته إن كان حاضرا، إلى أن يموت أو يأخذ بثأره من فاعل ذلك بصاحبه، وإن كان غائبا أو بعيداً، فالحكم عندهم معروف متفق عليه بإعطاء شيء وافر مقدر معلوم على ذلك، أي على كسر المزراق زيادة على رد ما أخذه المتعدي أو قتل نفس إن كان التعدي بالقتل، فإن لم يكن لهم عرف بقدر معلوم، يجعل الحاكم لهم قدرا معينا يعتادونه من ذلك الوقت في المستقبل أو يتفقون عليه فيما بينهم كلما وقعت نازلة مثل ذلك، يؤخذ عليها ما اتفق عليه، فإن لم يقاتل الحامي عن حمايته، وكسر مزراقه سقط من أعين قبيلته وحيه وذل، ولم تبق له كلمة تسمع، ولا جاه يراعى، وكذلك إن غدر المحتمي به بنفسه أو وافق على غشه بأخذ ماله أو خيانته أو قتله ويسمونه بالمعورط، وكلما ذكر يقال إنما ذلك معورط لا يقبل منه قول ولا فعل ما دام حيا.

وذلك حرصا منهم على ورود الأجانب عليهم، والمرور بأرضهم بجلب ما فيه نفع لهم من السلع، وقضاء المآرب من الأمصار على يدهم، ولابد من حماية أحدهم للوارد عليهم من قافلة أو غيرها، ويسمون صاحبها بالكاسي، فإذا * تعرض أحد لهم بإذاية يقولون له: إن فلانا هو الكاسي لنا ونحن ذاهبون إليه أو جئنا من عنده، وهذه علامة صدقنا، بأن يظهروا له شيئا من ملبوس معروف للكاسي أو دابة له يعرفونها أو خديم عنده أو عبد أو صبي أو امرأة من جانبه، فحينئذ لم يقدر أحد أن يسومهم (بأذى)[217] لما يعرفونه من جاه (الكاسي)[218] أو شجاعته وعصبيته لما يترتب على ذلك من سوء العاقبة حتى أنه يؤدي إلى قتال عظيم مدة طويلة وهكذا.

وأما السرقة، فالسارق لا يعاقب بشيء، ولا معرة عندهم فيها، وكل سارق له أصحاب بالقبائل المجاورة لحيه، يوجه ما حصل لديه بالسرقة إليهم أو على يد غيره ممن حرفته ذلك، ويسمونه بالصراف أو الصرارفي، فيكون هو الواسطة في بيع الشيء المسروق، ويأخذ

---

(216) المزراف يُقابل في معناه عند البرابر (بالجزائر) العناية بالقبائل .(KABYLES) والعناية عند القبايل تمنح لشخص منابع، شخص مجرم يبحث عن ملجأ يحتمي فيه من أولياء الضحية. أما بالنسبة للبربر (بالمغرب) فالمزراف ضرورة لكل فرد يريد السفر في أمان وتحت الحماية. ففي جميع القبائل التي لها نوع من الاستقلال أو الغير الخاضعة للسلطة المركزية، الوسيلة الوحيدة لمن يريد السفر، سواء كان أجنبيا أو ينتمي لقبيلة من هذه القبائل، هي الإلتجاء لشخص له تأثير ونفوذ لطلب منه المزراف (الحماية). والحامي له يبعث معه في سفره شخصا يسمى "زطاط" الذي سيقوده في حمايته إلى قرية أخرى عند صديق آخر معروف وله -أيضا- نفوذ. وهذا الأخير يبعث معه -أيضا- "زطاطا" آخر، وسيقوم بنفس عمل الأول. وهكذا إلى أن يصل الشخص المحمي إلى المكان الذي يريده. ومقابل هذه المهمة يتقاضى الحامي ثمنا محددا سلفا يسمى "زطاطة". وكثير من العائلات ذات النفوذ كونوا رصيدا مهما من هذا الدخل. أنظر:

-G. SALMON, MEZRAG, in. Archives. Maroc. 1904. T1. P: 136. marge: 1

(217) د، ك: بأذاء. والتصحيح من ز،ح.

(218) ك: الكراسي.

(*) • 131أ.

حصته منه إن أذن له السارق في البيع إن جزم على عدم ردها لصاحبه، وإلا فإن السارق يعود لمحله حتى يأتي المسروق منه يبحث على ما سُرق منه، فيتفاصل مع المستودعة عنده (السرقة)[219] الصرارفي المذكور، أو مع السارق على يد غيره بنصف ما تساوي السرقة أو ما يقرب منه، ويأخذ على ذلك ضامنا بأن لا يعود للكلام على ما يدفعه في ذلك، فيدفع المسروق منه نصف القيمة ويأخذ سرقته وإلا فتباع ولا يلتفت إليه. ومن وجدت بيده سرقة فلا يكلف بإعطائها لربها واتباع ذمة من اشترى منه، وإنما يُكلف ببيان من اشترى منه، ولا تخرج من يده إلا بقبض ثمنها المشتراة به إن أراد ذلك، فإن أقرّ بالمشتري منه يكتب لرب (السرقة)[220] بذلك ويرجع عليه، وكل واحد يرجع على من اشترى منه إلى أن تقف على السارق، فيغرم ثمن الشيء المسروق مع البشارة التي أعطاها رب السرقة عليها، إذ لا يتمكن من السرقة إلا بإخبار خبير يكون بعلمه فيها أو رآها عند من هي[221] وعرفها مسروقة، فيذكر لربها بعد قبض شيء يشترطه، ويسمونه البشارة[222]، إلا أنهم يسقطون على السارق الثلث من البشارة، وإن أنكر الموجودة عنده السرقة البائع، وادعى أنه لم يعرفه ولا محله، يحلف مع أربعة من أقاربه يزكونه في مسجد أو ضريح ولي بأن يقول: وحق هذه البركة ما عرفت ممن اشتريت الشيء الفلاني ولا محله. ويقول *قرابته: وحق هذه البركة [أن][223] الذي قاله أخونا فلان لحق. فإن لم تكن له قرابة يزكونه، يكلفه الحاكم بأن يجعل قرابة ليحلفوا عليه ولا يترك بغير قرابة، وصورة جعله القرابة واتخاذها يختار فرقة من الحي ويذبح عليهم شاة بمسجدهم أو بباب ديارهم أو بساحتهم ويقول: إني أتيت إليكم لتضموني معكم وتجعلوني واحد منكم يلزمكم ما يلزمني، ويلزمني ما يلزمكم، فيقبلونه ويشتهر عند الناس أنه أخو ذوي فلان، فيصير من ذلك الوقت يحلف عليهم ويحلفون عليه وإن كان في قرابة الحالف من لا يوثق به لتساهله في الحلف، ومن عادته الحلف على الكذب، يطلب المحلف من الحالف بأن يختار عليه واحدا من غير أقاربه، بأن يكون من أبناء عمه الأباعد عنه يحلف مع الأقارب فيقضي له بذلك، ويسمونه النقار، ويقضي له بأن يحلف هو وثلاثة من أقاربه والنقار هو الخامس، ويرضاه المحلف بنفسه، فإن حلف مع الأربعة فذاك وإلا يقبل حلفهم ويقضي على المتهم بالغرم وإعطاء الحق المتنازع فيه. وهكذا في جميع حلفهم إلا التهمة بقتل الناس، فيحلفون خمسين يمينا،

---

(219) د. السريقة. والتصحيح من ز. ح. ك.
(220) د. ك: السريقة. والتصحيح من ز.ح.
(221) زاد في ز.ح: بيده.
(222) وعند القبائل (بالجزائر) يطلق اسم "البشار" على كل شخص يأتي بمعلومات عن الأشياء المسروقة، ويقوم بتقديم المساعدة للبحث عنها لمجموعة من الأشخاص (لجنة) تقوم بالمهمة. وتسمى هذه (اللاجنة) بالبشارة. انظر:
-G.SALMON, MEZRAG. in Archives. Maroc. 1904. 1904. TI P: 138.
(223) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(*) 131 .

ويعض المسائل العظام عشرة، ويعضهم عندهم العشرة عرفا بينهم لا يحيدون عنها فيما بينهم وفيما بين غيرهم الخمسة على العادة المعروفة، ومن وجدت بيده امرأة كان هرب بها أو هربت إليه فلا شيء عليه، وإنما يتنازعون فيما ولدته، فالذاهبة من عنده يقول: ولدي، لأنها هربت وهي حامل. والموجودة عنده يقول: بل هو ولدي، فيقضى بينهم (بأن)[224] تسأل المرأة وتصدق مع يمين من نسبت إليه الولد خمسين يمينا، وإن تحقق بعدم حملها وقت ذهابها، يأخذ الموجودة عنده ولده، ويأخذ المرأة وليها إن رضيت بذلك[225].

ومن عاداتهم عدم الغيرة على الخالية من الزوج لصغرها أو لتأيُّمها، وإنما يغير الزوج على زوجته التي بعصمته فقط، وما عدا ذلك لا يبالون به، ولا معرة عندهم فيه، كما أنهم لا يعرفون العدة فضلا عن أن يجعلوها، ومن خاطبهم بها يقولون: ومن ينفق على هذه المرأة حتى تخرج من عدتها، فهذا شيء ما سمعناه إلا منك!

إلى غير ذلك مما يخرج استقصاؤه عن الموضوع. وقد آن إلى ما نحن بصدده الرجوع[226].

[شعر أبي محمد العربي المشرفي في مدح المولى الحسن]

وما ذكره الناظم في هذين البيتين[227]* في حق هذا الإمام من القيام على ساق و(بدء)[228] الفتوحات بأقصى المغارب بوجوده -أيده الله- هو الحق الذي لا مرية فيه وشاهده المعاينة لتلك الخصال والوقائع، وتسطيرها في دفاتر المؤرخين، وعدها في دواوين الشعراء.

وكذلك كل ما (حليناه)[229] به من الأوصاف الجميلة وأثبتناه له من العلوم والسيرة الحميدة، ويعسر استيفاء عد القائلين (بمثله)[230] وأزيد من الشعراء لمزيد اطلاعهم على ما (لم)[231] نطلع عليه، والناظم ذكر ذلك مجملا لشهرته.

---

(224) د، ح، ك: بل، والتصحيح من ز.

(225) وهذه الأعراف يجري العمل بها -أيضا- عند قبائل زمور. أما عند أهل القبائل Kabyles بالجزائر، فإن القوانين في هذا الشأن تخول للزوج حق الحماية. وفي عادات قبائل بني مطير يتم إعطاء 18 دورو لمن يقوم برد المرأة الهاربة إلى زوجها. أنظر:
G.SALMON, MEZRAG, in Arch. MAROC, 1904, TI, P: 141, marge: 1

(226) إلى هنا ينتهي سالمون من ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في المجلة المذكورة سابقا، ص: 142. وقد لاحظنا تطابق المعنى، مما يشير إلى التطابق في اللفظ.

(227) يقصد: البيتان اللذان هو بصدد شرحهما. أنظرهما في هذا المقصد (الثالث عشر) من الجزء الثاني ص : 117 .

(228) في جميع النسخ: بدو، والتضى السياق تصحيحها.

(229) د: جلبناه، والتصحيح من ز، ح، ك.

(230) ز، ح: في مثله.

(231) د، ك: لا، والتصحيح من ز،ح .

(*) 132 *

وممن ذكر ذلك في شعره الفقيه أبو محمد السيد العربي بن علي المشرفي، ويكفي الإقتصار عليه، من ذلك، قوله في يائيته: [الوافر]

فَحَزْمُكَ فَاقَ سَيِّدِي كُلَّ حَزْمٍ وَعَزْمُكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ آدَمِيِّ
تُشِيرُ عَلَى الأمِيرِ وكلُّ خَادِمٍ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ الخَفِيِّ
فَمُقْلَتُهُمْ جَفَانَا النَّوْمُ رَغْياً لِمَا تَرِدُ مِنْ فِعْلٍ رَدِيِّ
وَكَمْ غَيَّرتَ لِلْوُزَرَاءِ أَمْراً عَقِيماً عِنْدَهُمْ لِرَأْيٍ غَبِيِّ
وَكَمْ بَيَّضْتَ لِلْكُتَّابِ رِقّاً خِطَاباً بِاخْتِصَارٍ أَعْرَبِيِّ
بِكَ اسْتَعَانَ كُلُّ فَصِيحٍ لَفْظٍ فِي خُطْبَتِهِ بِتَوْثِيقٍ جَلِيِّ
وَرَتَّبْتَ الرَّعَايَا بِكُلِّ قُطْرٍ كَذَاكَ جَيْشُ دَوْلَتِكَ السَّنِيِّ
وَقَبْلَكَ لَمْ يُرَتِّبْهَا مَلِيكٌ ذُو رَأْيٍ مُسْلِمٍ أَوْ كِسْرِيِّ

ومنها:

مُلُوكُ الأَرْضِ فُقْتَهُمْ بِعِزٍّ وَنَصْرٍ مِنْ رَحِيمٍ رَحْمَانِيِّ
وَمَا فَاقُوكَ فِي خَيْلٍ وَرجْلٍ وَنُزْهَةِ الصَّبَاحِ مَعَ العَشِيِّ
وَلاَ فِي رَفَاهَةٍ وَعُلُوِّ قَدْرٍ وَلاَ فِي جُودِ حَاتِمِهَا الطَّائِيِّ
بَلْ فُقْتَهُمْ بِحُكْمِ العَدْلِ حَقّاً وَزِدْتَ عَلَيْهِمْ أَنْتَ مِنْ عَلِيِّ

إلى أن قال:

فَبِالإِقْدَامِ تَهْزِمُ كُلَّ جُنْدٍ وَلاَ تَحْسَبْ هُجُومَكَ غَيْرَ شَيِّ
فَكَمْ هَجَمْتَ ثُمَّ رَجَمْتَ قَوْماً أَقَامُوا عَلَى الضَّلاَلِ الحَسَنَوِيِّ
* هَجَمْتَ هُجُومَ مَنْ عَدَاهُ كَرْبٌ وَمِثْلُ هُجُومِ (عَمْرو)[232] الكُلْثُمِيِّ
وَمِثْلَ خَالِدِ البَطَلِ المُفَدَّى وَمَرْجُ دِيبَاجِكَ الغَرْبِ القَصِيِّ
وَمَا بَرَّتْ بَرَابِرٌ فِي رُبَاهَا حَتَّى أَهَنْتَهُمْ بِالمَشْرَفِيِّ
وَهُمْ قَتْلاَكَ فِي صِفِّينِ سُوسَ وَهُمْ قُفْرَاكَ فِي القَفْرِ الدَّوِيِّ
وَأَظْهَرُوا البُرُورَ بِطِيبِ نَفْسٍ بَعْدَ (العُقُوقِ)[233] خَوْفَ السَّمْهَرِيِّ

ومنها:

شَرِيفٌ صَالِحٌ سَنِيٌّ وَبَرٌّ تَقِيٌّ مِنْ تَقِيِّ مِنْ تَقِيِّ

(232) ك: عمر
(233) د الحقوق، والتصحيح من ز. ح. ك.
(*) 132 *

[و] [234] من شعره -أيضا- بغير هذه فيه: [الطويل]

هو الفارس المقدام في معرك الوغى ... هو العالم النحرير وابن الأكارم
سما فخره على الرشيد وصنوه ... أبي النصر إسماعيل بحر المكارم
وحاز علوم ابن الشريف وكل من ... تنسل منه عالم وابن عالم

وقال في غزوة بني يزناسن المتقدم [ذكرها] [235] وقبضه على رئيسهم ولد البشير بن مسعود: [الطويل]

وَلاَ مَنْ جَرَّ الجُنُودَ مِنْ بَنِي ورْمِشِ ... وَبَاتَ الرَّئِيسُ فِي قُيُودِ الأَدَاهِمِ
وَخَرَّبَ دَارَ ابْنِ البَشِيرِ ورَهْطِهِ ... كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِحَدِّ ابْنِ وَاشِمِ

ثم قال:

فَأَحْيَا رُسُومَ العِلْمِ بَعْدَ انْدِرَاسِهَا ... بِوَجْدَةَ وَاهْتَدَى بِهِ كُلُّ حَازِمِ
وَرَتَّبَ مَا يَحْتَاجُهُ كُلُّ عَالِمٍ ... وَسَرْمَدَهُ إِلَى قِيَامِ الغَوَالِمِ

إلى أن قال:

وَتَمَّ لَهُ المُرَادُ وَاغْتَمَّ مُشْرِكٌ ... بِمَ صَارَ فُتُوحَ تِلْكَ الأَقَالِمِ [236]

إلى غير ذلك من تعداد الوقائع ووصف حربها، والتهنية بالفتح من كل أديب بالمغرب، وإعطاء الجزيل على ذلك أيده الله ونصره.

[دخول القبائل في الطاعة وامتثالها للواجب الجبائي]

وَلِمَا اكتسبه من النصر والتمكين، بإعانة من الملك المعين والقهر لقبائل البربر العظام، أشار [الناظم] [237] بقوله:

وَجَاءَ بِإِكْسِيرِ الشُّذُورِ وَشَمْسِهِ ... مِنَ العَيْنِ عَيْنِ الشَّمْسِ بَعْدَ الغَيَاهِبِ

فهو كناية عما اجتمع له من الأموال، وعاد به من تمهيد القبائل بسبب النصر والتمكين، لانحياش الأمة البربرية والعربية إلى طاعته، والدخول تحت ولايته من كان يألف * الطاعة،

(234) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(235) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز، ح. وانظر غزوة بني يزناسن في هذا المقصد(الثالث عشر) من الجزء الثاني ص 126 .
(236) هذه الأبيات الشعرية لم أجدها في كناش أبي محمد العربي المشرفي. مخ. خ. ع. ر 471 . كما لم أجدها في كتبه الأخرى.
(237) ما بين المعقوفتين ساقطة من د،ح، ك. والتكملة من ز.
(*) 132 *

ومن كان لا يعرفها ولا تقدم عليه حكم أحد من القبائل المجاورة للبحر والسودان والصحاري الذين هم كالبهائم والوحوش، حتى استأنسوا بسيرته، وركنوا للدخول في طاعته، ووفدوا عليه طالبين رضاه. ولا شك أن المال يعظم ويكثر بكثرة الرعية ودخولها في الطاعة وانقيادها إلى امتثال الأوامر المخزنية، وقد حكى ابن خلكان أن جوهر الرومي[238] قائد المعز لدين الله[239] لما وجهه لإصلاح أمور المغرب وفتح ما (استعصى)[240] عليه من دياره، فسار إلى فاس ثم منها لسجلماسة، ثم توجه إلى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعلها في قلل الماء، وأرسله إلى المعز، ثم رجع ومعه صاحب سجلماسة وصاحب فاس أسيرين في قفص من حديد، وكان جبى القطائع التي كانت على البربر خمسمائة ألف دينار[241] انتهى.

وهذا كان بمروره بهم مرة واحدة في أمد قريب، ولم يشمل كل البربر، فكيف باستيفاء كل الواجب على جميعهم! بل تحقق لدينا بالتواتر المستفيض أن قائد قبيلته منهم يدفع للجانب العالي بالله أكثر من هذا العدد في كل سنة، جباية على قبيلته دون ما يبقى تحت يده لنفسه.

[اكتساب رعية السلطان الأموال والراحة]

ويُحتمل أنه أراد به [242] ما اكتسبته رعيته زمن ولايته من الأموال والراحة، ولا سيما أهل دائرته ومن انتمى إليه، فقد ظهرت عليهم آثار نعمه، وتوسعوا في المأكل والملبس، واكتسبوا الخيول المسومة، والبغال الفارهة، وادخروا الجواهر الثمينة والتحف النفيسة والحلي المرصع باليواقيت، وشيدوا القصور المزخرفة، وامتاز بناؤهم بكل حاضرة عما عداهم بتشييد وارتفاع، و(ملئوا)[243] البساتين بالقبب والمنازه المرتفعة، وتمتعوا بثمارها وأزهارها، وملكوا الجواري والعبيد، وخدمتهم الأحرار والموالي، وتنافسوا في اتخاذ (الجواري)[244] الحسان، وارتفاع البنيان، كأنهم يغترفون من بحار الأكوان، وصار بذلك علم الإكسير لديهم مهان.

---

(238) هو: جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن، المتوفى سنة 381 هـ / 992 م. كان من موالي المعز لدين الله الفاطمي أمير إفريقية (تونس)، وأبرز قواده. استولى على عدة مناطق وضمها إلى الخلافة الفاطمية وأسس مدينة القاهرة (358 هـ / 986 م) وجامع الأزهر الذي انتهى من بنائه سنة 361 هـ / 971 م. أنظر: وفيات الأعيان، ج 1: 375 - 380 . البيان المغرب، ج 1: 221 - 222 . النجوم الزاهرة، ج 4: 28 – 71 ، 39 ، 41 ، 42، 54 ، 55 ، 62 ، 65 ، 73 . تاريخ الخميس، ج 2: 386 . الحلل السندسية للسراج، ج 1 (القسم 4) 914 - 917 الاعلام للزركلي، ج 2: 148 .

-M. CANARD. Ency. de l'islam. T2, PP: 503-504

(239) هو: معد المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور بن القائم العبيدي (319 - 365 هـ / 931 - 975 م). أمير مصر وإفريقية منذ سنة 341 هـ / 952 م. وُصف بالحزم والشدة. وكان جوهر الرومي أحد أبرز قواده فتح بلادا استعصت على المعز ومن بينها بلاد المغرب الأقصى. أنظر تفاصيل ترجمته في: الكامل في التاريخ، ج 10: 590 - 592، 620 - 622، 638 - 641، 663 - 665 . وفيات الأعيان، ج 5: 224 - 228 . المنتظم، ج 7: 82 - 83 . البيان المغرب، ج 1: 221، 222، 223، 228، 229 . مرآة الجنان، ج 2: 383 - 385 . النجوم الزاهرة، ج 4: 69 - 104 شذرات الذهب، ج 3: 52 - 54 . الحلل السندسية للسراج، ج 1 (القسم 4) 909 - 917 . تاريخ الخميس، ج 2: 386 .

(240) وفي جميع النسخ: استقصى، والأصح ما أثبتناه من وفيات الأعيان، ج 5: 225 .

(241) أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5: 225 - 226 بتصرف.

(242) أي يُحتمل أن الناظم أراد بالبيت الشعري المذكور سابقا.

(243) د، ك: املأوا، والتصحيح من ز،ح.

(244) في جميع النسخ: الجوار، واقتضى السياق تصحيحها.

(*) * 133 أ.

وكل ذلك من نعمائه الظاهرة عليهم آثارها بعد افتقارهم قبل الخدمة، واجتماعهم قبل الصحبة.

ومما تحدث به بعض أمناء مرسى الصويرة أنه أقام بها ستة أشهر فتحصل لديه ثمانون ألف ريال دور دون ما صحبه من التحف، واشتراه من (الإماء)[245] والبغال وما أعطاه للوزير *ليسلم له دفتر المحاسبة الواقعة على يده. أو ليس قد جاء لمثل هذا بإكسير الشذور كما قال الناظم!

[شرح كلمة الإكسير]

والإكسير لغة الكيمياء كما في القاموس[246]، وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني، وأصله كيْم يَهْ معناه أنه من الله، والأشبه أنها فارسية كي ميا، ومعناها متى تجيء على سبيل الاستبعاد قاله الصفدي[247] في شرح لامية العجم[248].

[اعتناء المولى الحسن بالشعراء وما دحيه]

وكذلك الشعراء، فقد نال منه كل شاعر ما أراد، وبلغ (أمنيته)[249] متى مدحه واستزاد، وما رد أحدا خائباً ولا كان لمدحه عائباً، مع كثرة موجبات المدح من التهاني بالفتوحات، وختم البخاري كل سنة والإحتفال للمواسم والأعياد بأفعال الخيرات، من إدخال السرور على كافة الشرفاء والعلماء بترادف الصلات.

وكذلك طلبة العلم والضعفاء وأهل العاهات، فكان في كل وقت تظهر لهم أسباب للمدح موجبات، فربحت تجارتهم وانمحق فقرهم وخسارتهم، واستبدوا بالتحف والذخائر، وأنشدوا أبلغ وأكثر مما قيل في الأوائل والأواخر، من ذلك ما قيل في أبي دلف[250]: [الرجز]

---

(245) في متن د، ك: الإيماء، والتصحيح من طرة د، ز، ح.

(246) أنظر: القاموس: ج 4: 175. بتصرف.

(247) هو: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين (696 - 761 هـ / 1296 - 1363 م). أديب ومؤرخ. ولد في صفد بفلسطين، ودرس في دمشق. وعمل في ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب ثم في وكالة بيت المال في دمشق. أنظر: الطبقات الشافعية للسبكي، ج 6: 94 - 103 ، البدر الطالع للشوكاني، ج1: 243 - 244 ، تاريخ آداب العربية لجرجي زيدان، ج 3: 161 ، الاعلام للزركلي ج 2: 315 - 316 .

(248) أسم الكتاب: الغيث المنسجم في شرح لامية المعجم. والكتاب مطبوع، صدرت نشرته الأولى بالمطبعة الأزهرية بمصر سنة 1305 هـ /1887. وأنظر النص المذكور في المتن في الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، ج 1: 9 . بنفس اللفظ.

(249) د، ك: منيته، والتصحيح من ز، ح.

(250) هو: القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي أبو دلف. تولى ولاية "الجبل" من لدن الرشيد العباسي، ثم أصبح قائد جيش المأمون، وعرف بشجاعته وأدبه. توفي ببغداد سنة 226 هـ/ 840 . أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ج 7: 153 - 164 ، معجم الشعراء للمرزباني: 216 ، الفهرست: 169، البداية والنهاية، ج 10: 294 ، الأعلام للزركلي، ج 5: 179 ، معجم المؤلفين، ج 8: 109 ، التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى، ج 1: 206 .

(*) • 133

يَـا طَـالِبـاً لِلْكَـيْـمِيَـاءِ وَ (عِلْمِهَـا) [251] مَـدْحُ ابْـنِ عِـيسَـى الـكَـيْـمِـيَـاءُ الأَعْـظَـمُ
لَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ فِـي الأَرْضِ إِلاَّ دِرْهَـمٌ وَمَـدَحْـتَـهُ لَـأَتَـاكَ ذَاكَ الـدِّرْهَـمُ [252].

وقال أيضا ابن قلاقس الإسكندري[253]: [الكامل]

مَـا صَـحَّ عِـلْـمُ الـكَـيْـمِـيَـاءِ لِـغَـيْـرِ (مَـا دِحِ) [254] الإِمَـامِ الأَرْيَـحِـيِّ الحَـافِـظِ
يُـعْـطِـيـهِـمُ الأَمْـوَالَ إِذْ يُـعْـطُـونَـهُ لَـفْـظـاً وَمَـا مِـقْـدَارُ لَـفْـظِ الـلاَّفِـظِ [255]

ولاشك أن مجيء المولى الحسن كان بإكسير الشذور -كما قال الناظم- لهؤلاء الشعراء حيث صير شعرهم إكسيراً لهم كما قال: [الكامل]

مَـا صَـحَّ عِـلْـمُ الـكَـيْـمِـيَـاءِ لِـغَـيْـرِهِـمْ فِـيـمَـا رَأَيْـنَـا مِـنْ جَـمِـيـعِ الـنَّـاسِ
تُـعْـطِـيـهِـمُ الـبَـذْرَ الـنُّـضَـارَ إِذَاهُـمْ رَفَـعُـوا إِلَـيْـكَ الشِّـعْـرَ فِـي قِـرْطَـاسِ [256]

والشذور: جمع الشذر من الذهب بوزن البحر، وهو ما (يلتقط)[257] من الذهب من المعدن من غير إذابة الحجارة. والشمس أيضا في اصطلاحهم الذهب. والعين: الدينار والمال الناض. وعين الشمس: معلومة. والغياهب: التستر.

والمراد: أن المولى الحســـن -أيده الله- فكأنما *جاء لرعيته و(خواصه)[258] على الإحتمال الثاني بإكسير الذهب. وشمسه: أي الإكسير، لأن يكون شمسيا وقمريا، وذلك من الناض المصوغ حتى أنهم لم يحتاجوا لضربه بكبير مشقة ولا كلفة صنعة، فأخذوه مضروبا ناضا بأدنى سبب وهو كذلك، وجاء من العين الذي هو اللفظ المشترك بعين الشمس الخاصة بعد تسترها وخفائها، فأخرجهم من ظلمات الفقر وضيق العيش إلى نور الغنى والانبساط والترفه والنعم التي لا تحصى.

---

(251) في الغيث المنسجم للصفدي، ج 1: 12: علمه
(252) البيت يوجد في الغيث المنسجم، ج 1: 12 . وفيه أن قائله هو: بكر بن النطاح.
(253) هو: نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي، أبو الفتوح المعروف بابن قلاقس (532 - 567 هـ / 1138 - 1172 م): شاعر، أديب، وكاتب، ولد ونشأ بالاسكندرية وزار صقلية وعدن واليمن إلى أن أكثر مقامه كان بعيذاب (شمال جدة). أنظر: وفيات الأعيان، ج 5: 385 - 389، البداية والنهاية، ج 12: 269 - 270، معجم البلدان، ج 4: 115، أزهار الرياض، ج 3: 176 - 177، الحلل السندسية للسراج، ج 1 (القسم الرابع): 965 - 969، تاريخ آداب اللغة العربية، ج 3: 15، هدية العارفين، ج 2: 492، الاعلام للزركلي، ج 8: 24 - 26 .
-U.RIZZITANO. Ency. de l'islm. T 3, P: 838
(254) في الغيث المنسجم للصفدي، ج 1: 12: مداح.
(255) البيتان يوجدان في نفس الجزء والصفحة من المصدر السابق
(256) البيتان يوجدان في نفس الجزء والصفحة من المصدر السابق
(257) د، ح: يلتقط . والتصحيح من ز، ك.
(258) د، ح، ك: خواصية. والتصحيح من ز.
(*) • 134 أ.

[الاعتناء بالكيمياء وعلمائه]

[و][259] قد قدمنا مشاركة هذا الإمام لسائر العلوم الشرعية والرياضية، ومن جملتها علم الكيمياء، وقد اعتنى به اعتناء لم يعهد من غيره، حتى أنه لم يبق بأقطار المغرب ومشايخه من ينتمي إليه إلا وقد أمر بإحضاره، وبحثه عن مبلغ علمه فيه حتى يتحقق عنده ما لديه، وبعده يأمر بمقامه عنده ومصاحبته له حضرا وسفرا، ويرتب له ولعياله ما يكفيه من النفقة والكسوة وغير ذلك، ويشتغل معه فيما يحتاجه إليه، وله (جواسيس)[260] بكل أرض يخبرونه بكل من يتعاطى هذا العلم ويتّهم به سراً وجهرا، إلى أن اشتهر به، فجعلت ترد عليه الوفود من أهله بقصد الصنعة من الأجانب من كل أرض، وكذلك أصحاب علم الأسماء والأوفاق لما له من اليد الطولى في ذلك أيضا. وقد بذل أموالا في تحصيل نتيجته لا تحصى للإنفاق والصلة للمتهمين به ولجلب آلته وما يحتاج إليه من أرض الروم وغيرها.

ولم يزل ذلك دأبه إلى أن مات وهو مجتهد في طلبه رحمه الله.

[ذكر بعض ما يتعلق بعلم الكيمياء وعلمائه]

[و][261] يناسب -هنا- ذكر بعض ما يتعلق بهذا العلم. فمن ذلك أنه علم به يعرف طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية. وجلب خاصية جديدة إليها أو تقول هو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة[262] انتهى.

وإن أول طلب الكيمياء ظهر في جبابرة قوم هود، وتعاطوا ذلك، وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد[263]. وأول من تكلم في علم الكيمياء من أهل الإسلام ووضع فيها الكتب، وبين صنعة الإكسير والميزان، ونظر في كتب الفلاسفة خالد بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان[264] قال صاحب الأغاني: وكان من رجال قريش سخاء وعارضة وفصاحة، وقد شغل نفسه بطلبه، فأفنى في ذلك عمره[265] انتهى.

---

(259) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز، ح، ك.

(260) د، ح، ك: جواس، والتصحيح من ز.

(261) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.

(262) هذا التعريف يوجد في العبر، ج 1. 444 بنفس اللفظ.

(263) هذه العبارة والتي تبتدئ من كلمة: إن أول. توجد في الغيث المنسجم للصفدي، ج 1: 9 . بنفس اللفظ.

(264) هو: خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، اشتهر بتعاطيه لعلم الكيمياء والطب وعلم الفلك. واختلف في سنة وفاته. ومنهم من يرجح سنة 90 هـ / 708 م. أنظر: الأغاني للأصبهاني، ج 16: 88 - 93 . الفهرست: 497 . البداية والنهاية، ج 9: 80 . وفيات الأعيان، ج 2: 224 - 226. طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل: 60 . الاعلام للزركلي، ج 2: 300 - 301 . المجددون في الإسلام 54 - 56 . الحياة العلمية في الشام للزرو: 29. 177 - 183 .

(265) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ج 16. 88 . باختلاف يسير في اللفظ. كما أن نفس العبارة توجد في الغيث المنسجم، ج 1: 12 . باختلاف يسير في اللفظ.

وقال ابن خلدون ما صورته: ومن (المعلوم)[266] البين أن خالدا من الجيل *العربي والبداوة إليه أقرب،فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها، وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكن[267] انتهى.

قلتُ: ما زعمه بظنه في هذا الرجل ظاهر، إذ إلهام الحق سبحانه هذا الرجل لطلب علم الكيمياء وإدراكها والتمهر في علمها لا مانع منه عقلا ولا شرعا إذ ذاك العلم هو كغيره من سائر العلوم، لم يخص الله به جنسا من أجناس البشر ولا نوعا من أنواعه، بل "يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ"[268]، فاستبعاده وجود الحكمة في خالد لقربه من البداوة وبُعده عن العلوم والصنائع غير سديد ولا ينهض بحجة الاستبعاد، لأن ذلك إنما يتجه في الأجلاف من أهل البادية القاطنين بها، وأما خالد فالحضارة إليه أقرب من البداوة، والعلم أقرب إليه من الجهل لنشأته بالحاضرة وتأدبه بها وملازمته إياها، كيف وهو من أبناء ملوكها العظام، حفيد معاوية الإمام، من ضربت بذكائه وسديد رأيه ومعرفته بالأمور وحزمه وحلمه وسيادته الأمثال، وإلا لزم من تسليم ما ذكره أن يكون كل عربي بعيدا عن العلوم لقربه من البداوة بالأحروية، وهو باطل بالبديهة دون احتمال، لما تراه بالمعاينة في جنسهم من العلوم في سائر الأجيال، على أن خالدا لم يخترع ذلك من عنديته، ولا استنبط حكما من أحكام أوديته، وإنما طلبه بالتعليم من أهله، وبلغ الغاية في الاشتغال به، وإن مريانس الراهب هو شيخه ومعلمه في الحال، وذكر بعض من أنفق عمره في طلبه أنه ألقى المثقال منه على ألف ألف ومائتي ألف مثقال، ولا مانع من معرفة الطبائع المركبات وأمزجتها، والصنائع الغريبة لطالبها من أهلها، ولا يمكنه نفي، وجودهم لتقدمهم على من أراد، وعدم انقضائهم في الوقت المراد، وخالد موصوف بالعقل والفصاحة، والرأي والسماحة، فلا يقدح فيه ببعده عن العلوم كونه عربيا، وهو إلى البداوة أقرب وليا، ولا فرق في هذا الوصف بينه وبين جده، وقد اقتفى الناس أثر رأيه وتزودوا من مزيد حلمه وعلمه، والله أعلم بغيبه.

[وبعد][269] تقييدي ما* رأيته في شأن خالد هذا، وقفتُ على ما يؤيد حجة مذهبي فيه في ترجمته من كتاب وفيات الأعيان لأبن خلكان ونص الغرض منه: كان من أعلم قريش بمتون العلم، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب، وكان بصيرا بهذين العلمين، متقنا لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس المذكور، وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار إليها، وله فيها أشعار كثيرة مطولات

---

(266) د، ح، ك: العلوم، والتصحيح من ز.
(267) أنظر: ابن خلدون، العبر، ج 1: 445 . بنفس اللفظ.
(268) هذه آية قرآنية: 269 من سورة البقرة .
(269) ما بين المعقوفتين ساقطة من ح.
(*) • 134 ب.
(*) •135 أ

و(مقاطع) [270] دالة على حسن تصرفه وسعة علمه، وله في ذلك أشعار جيدة منها: [الطويل]

(تَجُولُ) [271] خَلاَخِيلُ النِّسَاءِ وَلاَ أرى ... لِـرَمْـلَـةَ خَـلْـخَـالاً يَـجُـولُ وَلاَ قُـلْـبـا
أَحُبُّ بَـنِـي الـعَـوَّامِ مِـنْ أَجْـلِ حُـبِّـهَـا ... وَمِـنْ أَجْـلِـهَـا أَحْـبَـبْـتُ أَخْـوَالَـهَـا كَـلْـبـاَ

وهي طويلة، وكان له أخ يسمى عبد الله، فجاءه يوما وقال: إن الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال: يا أمير المومنين، الوليد ابن أمير المؤمنين قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره، وعبد الملك مُطْرق فرفع رأسه وقال: "إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ" [272] فقال له خالد: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَهَا تَدْمِيراً" [273].

فقال عبد الملك: أَفِي عبد الله تكلمني؟ والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا، فقال خالد: أفعلى الوليد (تقول) [274]؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان، فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فو الله ما تُعَدُّ في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم أقبل على الوليد فقال: ويحك! وَمَنْ العيرُ والنفير (غير)[275] جدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير؟ ولكن لو قلت: غُنيمات و(جبيلات)[276] والطائف، ورحم الله عثمان لقلنا صدقت[277]. انتهى.

وكيف يعد من هذا وصفه بعيدا عن العلوم لكونه من الجيل العربي وتتبع ما اكتسبه الجيل العربي من العلوم والحكم التي عجزت عنها الأعاجم واعترفت بسبقيتهم فيها يطول، ومقامهم في ذلك كشمس الظهيرة أغنى عن التوقف إلى استدلال عليه.

وأَوَّلُ مَنْ اشتهر هذا* العلم عنه جابر بن حيان الصوفي [278] حتى أنهم يخصونه به فيسمونه علم جابر، وله فيه سبعون رسالة كلها شبيهة بالألغاز، وزعموا أنه لا يفتح مقفلها إلا من أحاط علما بجميع ما فيها، وهو من تلامذة خالد كما قيل: [الرمل]

---

(270) في وفيات الأعيان، ج 2 :224: مقاطيع.
(271) د، ك: بحول، والتصحيح من ز.ح، وم، س، ن، ج، ص .
(272) سورة النمل، الآية: 34 .
(273) سورة الإسراء، الآية: 16 .
(274) في وفيات الأعيان، ج 2: 225: تعول.
(275) في م، س، ن، ج، ص: غيري.
(276) في م، س، ن، ج، ص: حبيلات.
(277) أنظر النص في م، س، ج 2: 224 - 225 . باختلاف يسير في اللفظ.
(278) هو جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، أبو موسى: فيلسوف كيميائي، وعرف بالصوفي، ينتمي أصله إلى خراسان، وكان سكناه بالكوفة حيث اتصل بالبرامكة، وتوفي بطرس سنة 200 هـ / 815 م. أنظر: الفهرست: 498، تاريخ الحكماء للقفطي: 160 - 161 ، معجم المطبوعات، ج 1: 664 - 665 ، الأعلام للزركلي، ج 2: 103 - 104 .
(*) 135 ب.

حِكْمَةٌ أَوْرَثَنَا جَابِرٌ عَنْ إِمَامٍ صَادِقِ الْقَوْلِ وَفِي
لِوَصِيٍّ طَابَ فِي تُرْبَتِهِ فَهُوَ كَالْمِسْكِ تُرَابُ (النَّجَفِ)[279]

وذلك لأنه وفّى لعلي واعترف له بالخلافة وترك الإمارة، وقيل إنه تلميذ جعفر الصادق[280]، وأعلم أنه فرقها في كتب كثيرة، لكنه أوصل الحق إلى أهله، ووضع كل شيء في محله، وأوصل من جعله الله سبحانه سببا له في الإيصال، ولكن أشغلهم بأنواع التدهيش والمحال لحكمة ارتضاها عقله ورأيه بحسب الزمان، ومع ذلك فلا يخلو كتاب من كتبه عن فوائد عديدة.

وأما (من)[281] جاء بعد جابر من حكماء الإسلام مثل: مسلمة ابن أحمد المجريطي[282]، وأبي بكر الرازي[283]، وأبي الأصبغ بن تمام العراقي[284]، والطغرائي[285]، والصادق محمد بن أمين التميمي، والإمام أبي الحسن علي[286] صاحب الشذور[287].

فكل منهم قد اجتهد جهده في التعليم، والجلدكي[288] متأخر عنهم.

وممن اشتهر بطلبه من أكابر العلماء: ابن دقيق العيد[289] قال الصفدي: حدثني من أثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد - رحمه الله- أنه كان

---

(279) ن: النجى.

(280) هو: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي الملقب بالصادق، أبو عبد الله (80 - 148 هـ / 699 - 765 م) سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية (الشيعة). كان له اهتمام ببعض العلوم، أخذ عنه جماعة من العلماء منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. أنظر: حلية الأولياء: ج 3: 192 - 206. وفيات الأعيان. ج 1: 327 - 328. مرآة الجنان. ج 1. 304 - 305. الاعلام للزركلي. ج 2. 126 . معجم المؤلفين. ج 3. 145 .

(281) د. ن. ج: ما. والتصحيح من ز.

(282) هو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي أبو القاسم (338 - 398 هـ / 950 - 1007 م) فيلسوف. رياضي وفلكي. ولد بمجريط (MADRID) بالأندلس. وتوفي بها. كان من أبرز الرياضيين بالأندلس وأكثرهم إلماما بعلم الفلك. أنظر: أعيان الشيعة للعاملي. ج 9. 254 - 257 . هدية العارفين. ج 2. 434. الاعلام للزركلي. ج 7. 224. معجم المؤلفين. ج 12. 234 . صانعو التاريخ العربي لفليب حتي . 305 . J.VERNET. Ency. de l'islam. T 5. P : 1105

(283) هو: محمد بن زكريا الرازي أبو بكر (251 - 311 هـ / 865 - 923 م). فيلسوف طبيب وكيمياوي. ولد بالري ونشأ بها. اشتغل بعلم الكيمياء. وكان اهتمامه في نشأته بالأدب والموسيقى والشعر والصياغة. ولما كبر تعاطى مهنة الطب. وتوفي ببغداد. أنظر: مرآة الجنان. ج 2: 263 - 264. الوافي بالوفيات. ج 3: 75 - 77. النجوم الزاهرة. ج 3: 209 . طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل: 77 - 78. 79. 80 . شذرات الذهب. ج 2: 263. تاريخ آداب اللغة. ج 2: 253. معجم المطبوعات. ج 1: 913 - 915 . هدية العارفين. ج 2: 27 . المجددون في الإسلام: 141 - 144 . الاعلام للزركلي. ج 6: 130 معجم المؤلفين. ج 10. 6 - 7 .

(284) لعله يقصد به. عبد العزيز بن تمام العراقي. أبو القاسم: صوفي. حكيم. رياضي. وكيماوي. توفي سنة 762 هـ / 1361 م. أنظر: معجم المؤلفين. ج 5: 244 .

(285) هو: الحسين بن علي بن محمد. الأصبهاني. أبو إسماعيل الطغرائي (455 - 513 هـ / 1063 - 1120 م): أديب. شاعر. وله إلمام بعلم الكيمياء. ولد بأصبهان. وولي ديوان الإنشاء والوزارة. وله مؤلفات في الكيمياء. أنظر: معجم الأدباء ج 10: 56 - 79. عيون التواريخ. ج 12: 93 - 101. البداية والنهاية . ج 12: 190. أعيان الشيعة. ج 27: 76 - 88. شذرات الذهب. ج 4: 41 - 43 . الاعلام للزركلي. ج 2: 246. معجم المؤلفين. ج 4: 36 .

(286) هو: علي بن موسى بن علي بن أرفع رأسه. الأنصاري. الأندلسي الجياني. أبو الحسن (515 - 593 هـ / 1121 - 1197 م): عالم بالكيمياء. شاعر وخطيب. سكن مدينة فاس وكان خطيبها. أنظر: فوات الوفيات للكتبي. ج 3 . 106 - 109 . نفح الطيب. ج 3: 605 - 606 . كشف الظنون. ج 2: 1029 - 1030 . الاعلام للزركلي. ج 5: 26 .

(287) اسم الكتاب: ديوان الشذور في تحقيق الأمور. وهو ديوان شعر في الكيمياء. مرتب على الحروف. شرحه الجلدكي. والديوان مازال مخطوطا. توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 103 د. وقد اعتمدنا عليه في توثيق بعض النصوص الشعرية.

(288) هو: علي بن محمد بن أيدمر الجلدكي. عز الدين. عالم بالكيمياء. ينسب إلى جلدك (قرية بخراسان) توفي سنة 743 هـ / 1342 م. أنظر: الأعلام للزركلي. ج 5.5 . معجم المؤلفين. ج 3. 28 .

(289) هو: محمد بن علي بن وهب بن مطيع. تقي الدين القشيري أبو الفتح. المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد. (625 - 702 هـ / 1228 - 1302 م): محدث. حافظ. فقيه. أصولي. أديب. نحوي. شاعر وخطيب. ولد في ينبع على ساحل البحر الأحمر. ونشأ بقوص. ورحل إلى الشام. ثم عاد إلى مصر حيث ولي القضاء. وتوفي بها. أنظر فوات الوفيات. ج 3: 442 - 450. البداية والنهاية. ج 14: 27. الوافي بالوفيات. ج 4: 193 - 209. النجوم الزاهرة. ج 8: 206 - 207 . الطبقات الشافعية للسبكي. ج 6: 2 - 22 . الدرر الكامنة. ج 4: 210 - 214 . شذرات الذهب. ج 6: 5 - 6 . الديباج المذهب لابن فرحون: 324 - 325 . البدر الطالع. ج 2: 229 - 232 . هدية العارفين. ج 2: 140. المجددون في الإسلام: 267 - 274. الاعلام للزركلي. ج 6: 283. الحياة العقلية: 167 - 170 معجم المؤلفين. ج 11: 70 - 71 .

(*) • 135 ب .

(به مغرما)[290] وأنفق في الصنعة مالا وعمرا، وقيل: إن إمام الحرمين [مات][291] وهو يفك وصلا من أوصالها، خرج منه إليه لسان نار فقتله[292] انتهى.

وفي الخبر المعرب ما يفيد أن الباجي[293] -رحمه الله- كان من أهل هذا الشأن[294]، وناهيك به من عالم جليل، قال الشيخ علي العدوي[295] في حاشيته على الإمام الخرشي في باب الرهن: كان يحضر مجلسه خلق كثير ينتهون لأربعين ألفا، وهوسليمان بن (خلف)[296] بن سعيد بن أيوب ابن وارث (التجيبي)[297] الباجي. وقال عياض[298]: قال بعض أصحابه: كان يخرج إلينا للإقراء وبيده أثر المطرقة، وكان يقول: لولا السلطان لنقلني الدر من الظل إلى الشمس[299] انتهى.

هذا، ووجد في تركة الشيخ الأكبر أبي محمد بن أبي زيد، آلة الصنعة، ووجد في تركة الشيخ أبي عمران الفاسي* الإكسير، واشتراه السلطان المعز لدين الله بن باديس ملك افريقية[300] والمغرب ومصر.

ومن ذلك أن الناس[301] فيه فريقان: فريق يقول ببطلانه وعدم وجوده، منهم: الشيخ الرنيس بن سيناء، أبطله بمقدمات من كتاب الشفاء[302] والشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية[303]. صنف رسالة في إنكاره، وصنف يعقوب الكندي[304] رسالة في إبطاله جعلها مقالتين، لكنهم لم يوردوا شيئا يفيد الظن لامتناعه فضلا عن اليقين، ولامتناعه عنهم كان ما ذكروه ومن ذلك قول بعض المشايخ فيه: [البسيط]

---

(290) في الغيث المنسجم، ج 1، 12: بها مغرى.

(291) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز، ح، ك.

(292) أنظر: الصفدي، الغيث المنسجم، ج 1: 12. باختلاف يسير في اللفظ.

(293) هو: سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي (403 - 474 هـ / 1012 - 1081 م). فقيه، محدث، أديب، كاتب، شاعر ومفسر. ولد بمدينة بطليوس، ورحل إلى المشرق. فأقام بالموصل، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بألمرية.
أنظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1 (القسم 2): 94 - 105. تاريخ قضاة الأندلس للنباهي: 95. مرآة الجنان، ج 3: 108 - 109. البداية والنهاية، ج 12: 122 - 123. فوات الوفيات للكتبي، ج 2: 64 - 65. النجوم الزاهرة، ج 5: 114. شذرات الذهب، ج 4: 344 - 345. نفح الطيب، ج 2: 67 - 69، 71 - 77، 84 - 85. فهرس الفهارس، ج 1: 150 - 151. الفكر السامي، ج 2: 216 - 217. تاريخ آداب العربية لجرجي زيدان، ج 3: 76. شجرة النور: 120 - 121. الاعلام للزركلي، ج 3: 125. الموسوعة، ج 1: 93. معجم المؤلفين، ج 4: 261 - 261.
- Montgomery Watt, Ency. de l'islam. T 1. PP: 889-890.

(294) أنظر: الخبر المعرب لأبي رأس. مخ، خ، ع، ر. 2273 ك: ورقة 58 ب - 59 أ.

(295) هو: علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (1112 - 1189 / 1700 - 1775 م). ولد في بني عدي بالقرب من منفلوط وتوفي بالقاهرة. كان فقيها مالكي المذهب. وله مؤلفات في ذلك. أنظر: الفكر السامي، ج 2: 292. الاعلام للزركلي، ج 4: 260.

(296) د، ك: أخلف. والتصحيح من ز، ح.

(297) د، ح، ك: التجيبي. والتصحيح من ز.

(298) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الخبر المعرب: ورقة: 58 ب.

(299) الجزء الول من قولة عياض (القاضي) توجد في نفح الطيب، ج 2: 77. بنفس اللفظ.

(300) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الخبر المعرب: ورقة: 58 ب.

(301) زاد في د: أن. فحذفناها ليستقيم المعنى.

(302) الشفاء كتاب ألفه حسين بن عبد الله المعروف بابن سينا (ت 428 هـ / 1036 م) في موضوع المنطق. أنظر: كشف الظنون، ج 2: 1055.

(303) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني الدمشقي أبو العباس تقي الدين بن تيمية (661 - 728 / 1263 - 1328) محدث، حافظ، مفسر، فقيه ومشارك في علوم أخرى، ولد في حران، وسكن في دمشق وأفتى بمصر، وسجن بها وبدمشق بسبب فتاويه. أنظر: البداية والنهاية، ج 13: 241 وج 14: 36 - 39، 135 - 141. النجوم الزاهرة، ج 9: 271 - 272. البدر الطالع، ج 1: 63 - 72. فهرس الفهارس، ج 1: 199 - 202. تاريخ آداب اللغة، ج 3: 243. المجددون في الإسلام: 262 - 266. كنوز الأجداد: 360 - 369. الأعلام للزركلي، ج 1: 144. ابن تيمية السلفي لخليل هراس. ابن تيمية لأبي زهرة. ابن تيمية ليوسف موسى سلسلة أعلام العرب العدد 5. معجم المؤلفين، ج 1: 261 - 262.
H.LAOUST ency. de l'islam. T 3: pp: 976-979.

(304) هو: يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف عالم بالطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وله اهتمام بعلوم أخرى. ولد بواسط، ونشأ في البصرة ثم انتقل إلى بغداد وأصبح من المقربين إلى المأمون ثم المعتصم توفي ببغداد نحو 252 هـ / 867 م. أنظر: طبقات الأطباء لابن جلجل: 73 - 74. لسان الميزان، ج 6: 305. تاريخ آداب اللغة، ج 2: 249. هدية العارفين، ج 2: 537. المجددون في الإسلام: 138 - 140. صانعو التاريخ: 251 - 275. الأعلام الزركلي، ج 8: 195. معجم المؤلفين، ج 13: 244 - 245.
- J. Jolivet - R. Rached, Ey. de l'islam, T 5. pp: 124-126.

(*) ت 1036 م.

كَافُ الكُنُوزِ وَكَافُ الكِيمِيَاءِ مَعاً ... لاَ يُوجدانِ فَدَعْ عَنْ نَفْسِكَ الطَّمَعَا
وَقَدْ تَحَدَّثَ أَقْوَامٌ بِكَوْنِهِمَا ... وَمَا أَظُنُّهُمَا كَانَا وَلاَ وَقَعَا

وكتب بعضهم على مصنفات جابر حيث جرب وتعب في تعليمه، ولم يحصل على طائل هذين البيتين: [مجزوّ الكامل]

هَذَا الَّذِي بِمَقَالِهِ ... غَرَّ الأَوَائِلَ وَالأَوَاخِرَ
مَا أَنْتَ إِلاَّ كَاسِرٌ ... كَذَبَ الَّذِي سَمَّاكَ جَابِرَ[305]

وذهب الفريق الثاني إلى إمكانه، منهم الإمام فخر الدين الرازي فإنه في المباحث المشرقية[306] عقد فصلا في بيان إمكانه، الشيخ نجم الدين بن البغدادي رد على الشيخ ابن تيمية وزيف ما قاله في (رسالته)[307]، ورد أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي على يعقوب الكندي ردا غير طائل ومؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي المعروف بالطغرائي صنف فيه كتبا منها حقائق الإشهادات، وبين إثباته والرد على ابن سينا.

ومن حجج المنكرين له أنه لو كان الذهب الصناعي مثلا للذهب الطبيعي لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة، فكنا نجد سيفا أو سريراً أو خاتما بالطبيعة، وذلك باطل، وقالوا أيضا: الجوهر الصابغ إما أن يكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويا، فإن كان الصابغ أصبر وجب أن يفنى المصبوغ قبل الصابغ، وإن كان المصبوغ أصبر وجب أن يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ على حاله الأول عريا عن الصبغ، وإن تساويا في الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما في المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغا ولا مصبوغا، وهذه الحجة* من أقوى حجج المنكرين. والجواب من المثبتين على الأولى أنا نجد النار (تحصل)[308] بالقدح واصطكاك الأجرام والريح تحصل بالمراوح و(أكوار)[309] (الفقاء)[310] والنوشادر، وقد تتخذ من (الشعر)[311] وكذلك كثير من المزاجات، ثم بتقدير أن لا يوجد بالطبيعة ما يوجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفي ذلك، ولا يلزمنا من إمكان حصول الأمر الطبيعي بالصناعة إمكان العكس، بل الأمر موقوف على الدليل، وعن الثانية أنه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ على النار استواؤهما في الماهية، لما عرفت أن (المختلفين)[312] يشتركان في بعض الصفات.

---

(305) البيتان موجدان بدون نسبة في الغيث المنسجم، ج 1: 11.
(306) المباحث المشرقية: كتاب كبير الحجم، جعله مؤلفه في العلم الإلهي والطبيعي، وجمع فيه آراء العلماء السابقين ونتائج أبحاثهم، مع مناقشتهم، رتبه على ثلاثة كتب وخاتمة. أنظر. كشف الظنون، ج 2: 1577 - 1578.
(307) ر: رسالة.
(308) في جميع النسخ: يحصل، والتصحيح من الغيث المنسجم، ج 1: 10.
(309) ك: أكوار، وكذلك في الغيث المنسجم، ج 1: 10.
(310) في الغيث المنسجم، ج 1: 10، الفقاع.
(311) في الغيث المنسجم، ج 1: 10، الشعير.
(312) د: المتخلفين، والتصحيح من ر، ج، ك.
(*) 136 ب.

قال الصفدي وغيره: وفي هذا الجواب نظر[313]، وقال ابن سينا: نسلم[314] إمكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب. وأن يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص، فإما أن يكون المصبوغ يسلب أو يكسي فلم يظهر إلى إمكانه بعد، إذ هذه الأمور المحسوسة يشبه أن لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الأجساد أنواعا بل هي أعراض ولوازم، وفصولها مجهولة، وإذا كان الشيء مجهولا كيف يمكن [أن يقصد][315] قصد إيجاد أو إفناء؟ كما استدل أيضا على عدم وجوده بقوله تعالى: "لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ"[316]، وذكر أيضا الإمام فخر الدين الرازي حججا أخرى للفلاسفة على امتناعه وأبطل بعد ذلك ما قرره الشيخ ابن سيناء وغيره من الفلاسفة، وقرر إمكانه، واستدل في الملخص[317] على إمكانه، فقال: الإمكان العقلي ثابت لأن الأجسام مشتركة الجسمية، فوجب أن يصح على كل واحد (منها)[318] ما يصح على الكل على ما يثبت، وأما الوقوع فلأن انفصال الذهب من غيره باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن التشابه، ولا منافاة بينهما، نعم، الطريق إليه عسير. وحكى أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن (باجة)[319] الأندلسي[320] في بعض (تآليفه)[321] عن الشيخ أبي نصر الفارابي[322] أنه قال: قد بين أرسطو في (كتابه من)[323] المعادن: أن صناعة الكيمياء داخلة تحت الإمكان إلا أنها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل، اللهم إلا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود، وذلك أنه فحص عنها أولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس و(أبطلها)[324] بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الأوضاع، ثم أثبتها أخيراً بقياس، ألفه من مقدمتين بينهما في أول الكتاب و(هما)[325] أن الفلزات واحدة[326] بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ما هيتها، وإنما

---

(313) هذه الفقرة ابتداء من كلمة المنكرين له. توجد في الغيث المنسجم ج 1: 10 - 11 باختلاف يسير في اللفظ مما يشير إلى أن المؤلف نقلها منه.
(314) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الغيث المنسجم، ج 1 9 . وفيه أن قائل هذا الكلام هو فخر الدين الرازي وليس ابن سينا.
(315) ما بين المعقوفتين ساقطة من د و ز، ح، والتكملة من ك.
(316) سورة الروم، الآية: 30 .
(317) الملخص: كتاب في الكيمياء والمنطق للإمام فخر الدين الرازي (ت 606 هـ / 1209 م). شرحه أبو الحسن علي بن عمر القزويني الكاتبي. أنظر: كشف الظنون، ج 2. 1819 .
(318) د، ك: منهما، والتصحيح من ز،ح.
(319) د، ك: ماجة، والتصحيح من ز،ح.
(320) هو: محمد بن يحي بن باجة، ويعرف بابن الصائغ أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي: فيلسوف وعمل وزيرا لأبي بكر ابن ابراهيم والي غرناطة ثم سرقسطة، ولد في سرقسطة (ZARAGOZA)، وانتقل إلى فاس واتهم بالإلحاد ومات فيها سنة 533 هـ / 1139 م. أنظر: خريدة القصر للعماد الأصفهاني، ج 2: 332 - 334. تاريخ الحكماء للقفطي 406، عيون التواريخ، ج 12. 344 - 348، نفح الطيب، ج 7: 17 - 27،26 - 28. تاريخ آداب اللغة، ج 3: 103، هدية العارفين، ج 2: 87 ، الموسوعة المغربية، ج 1. 45، صانعو التاريخ العربي 305. الاعلام للزركلي، ج 7: 137 .
(321) في الغيث المنسجم: ج 1 : 9 : تعاليق.
(322) هو: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي (260 - 339 هـ / 874 - 950 م). فيلسوف، رياضي، طبيب، موسيقي، له إلمام باللغة التركية والفارسية واليونانية والسريانية. ولد في فاراب، ورحل إلى بغداد فنشأ فيها ثم زار مصر والشام، وتوفي بدمشق. أنظر: الفهرست 368، وفيات الأعيان، ج 5: 153 - 157 ، البداية والنهاية، ج 11. 224، الوافي بالوفيات، ج 1: 106 - 113 ، مرآة الجنان، ج 2: 328 - 331 ، شذرات الذهب، ج 2: 350 - 354 ، تاريخ آداب اللغة، ج 2: 213، 250 ، هدية العارفين، ج 2: 39 ، المجددون في الإسلام 161 - 164، الاعلام للزركلي ج 7. 20 معجم المؤلفين، ج 11. 194 - 196 .
(323) في الغيث المنسجم، ج 1: 9: كتبه في.
(324) د: أثبتها، وصححت في طرة ز، ح: نفاها، والتصحيح من ك، والغيث المنسجم، ج 1. 9 .
(325) ز: هي.
(326) زاد في د، ك: و (حرف الواو)

هو في أعراضها، فبعضه في أعراضها الذاتية* و(بعضها)[327] في أعراضها، فبعضه في أعراضها العرضية، والثانية إن كانا شيئين تحت نوع واحد اختلفا بعرض، فإنه يمكن انتقال كل واحد منهما إلى الآخر، فإن كان (العرض)[328] ذاتيا عسر الإنتقال، وإن كان مفارقا سهل الإنتقال، والعسر في هذه الصناعة إنما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر في أعراضها الذاتية، ويشبه أن يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيرا جدا. انتهى.

وقال الإمام شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري[329]: إذا أراد المدبر أن يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت (الظاهرين)[330] فيحتاج إلى أربعة أشياء، كمية كل واحد من ذينك الجزأين وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه وكل واحد منها عسر التحصيل، وأما إن أراد ذلك بأن يدبر دواء وهو المعبر عنه بالإكسير مثلا، ويلقيه على الفضة ليمتزج بها، ويستقر خالدا فيها، و(يكسوها)[331] لون الذهب ورزانته، فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج إلى استقراء حل جميع المعدنيات وخواصها، وإن استخرجه بالقياس فمقدماته مجهولة، ولاخفاء في عسر ذلك ومشقته. انتهى.

[الطويل]

فَيَا دَارَهَا (بِالخَيفِ)[332] إنَّ مَزَارَهَا قَـرِيبٌ وَلَـكِـنْ دُونَ ذَلِـكَ أَهْـوَالُ

والمراد بالفلزات الجواهر (التي)[333] لا تحرقها النار عند الملاقاة، بل تذيبها، فإذا فارقتها النار عادت إلى حالتها الأولى، وهي هذه المتطرقات السبع: الذهب، والفضة، والنحاس، والحديد، والرصاص، والقصدير، والحديد الصيني (الذي)[334] يأتي منه القدور من بلاد الصين[335]. ولعسر وجود الإكسير بهذه الصناعة، وتعذره استحاله قوم، وقال بعضهم فيه: [البسيط].

أَعْيَا الفَلاَسِفَةَ المَاضِينَ فِي الحِقَبِ أَنْ يَصْنَعُوا ذَهَباً إلاَّ مِنَ الذَّهَبِ
أَوْ يَصْنَعُوا فِضَّةً بَيْضَاءَ خَالِصَةً إلاَّ مِنَ الفِضَّةِ المَعْرُوفَةِ النَّسَبِ[336]

وقد أجمع أولياء الله على التحذير من خلطة الكيمياء وطلبها،وذلك لأحد أوجه ثلاثة:

---

(327) في الغيث المنسجم، ج 1: 9: بعضه.
(328) ز: الغرض.
(329) هو: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري، أبو عبد الله: طبيب، كيميائي ورياضي. ولد ونشأ في سنجار، واستقر في القاهرة وزاول الطب إلى أن توفي فيها سنة 749 هـ / 1348 م. أنظر البدر الطالع، ج 2: 79 - 80. الأعلام للزركلي، ج 5: 299.
(330) في الغيث المنسجم، ج 1: 10: الطاهرين.
(331) في م، س، ن، ج، ص: يكسبها.
(332) د، ح، ك: بالحيف، والتصحيح من ز، وم، س، ن، ج، ص.
(333) ز: الذي.
(334) د، ك: التي، والتصحيح من ز، ح.
(335) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الغيث المنسجم ج: 1: 10، مما يشير إلى أن المؤلف نقل نصه هذا منه.
(336) البيتان يوجدان - بدون نسبة - في الغيث المنسجم، ج 1: 11.
(*) 137 أ.

أولها: أنها من المستحيلات، كما ذكره ابن سيناء مستدلا بقوله تعالى: " **لا تبديل لخلق الله**" [337]، فكما أنه ليس في قدرة المخلوق أن يبدل القرد إنسانا والذنب غزالا، كذلك ليس في قدرته أن يبدل الرصاص ذهبا، والخالص فضة، ولقد (تناظر)[338] رجلان في الكيمياء، فقال مجوزها: أتنكر ما تشاهد في الصبغ وتغيير الجسد الأحمر أصفر والأبيض أسود؟ فقال له مانعها : لا أنكر ذلك الصبغ، لأنه ليس تغيير أصل، وإنما أنكر أن ثوب الصوف * الأبيض ترده صنعة الصبغ قطناً أو حريراً أحمر أو أخضر، وأما الصبغ فلا شك أن النحاس يصير (أبيضا)[339]، ولا يخرجه ذلك عن أصله ويسلب عنه اسم النحاس، بل يقال فيه نحاس أبيض، كما لا يسلب عنه اسم الصوف.

ثانيها: أنها جائزة الوجود، لكنها معدومة في الخارج كما ذهب إليه أبو الفرج [بن][340] الجوزي [341] رحمه الله، فقال : ثلاثة متفق على عدم وجودها في الخارج، وقد اتفق على عدم رؤيتها كلها على وجه السماع و(الإسنادات)[342] وحكايتها كالموضوعات عن العجماوات والجمادات، قال أبو إسحاق إبراهيم (الغزي)[343]: الكامل:

كَجَوْهَرِ الكَيْمِيَاءِ لَيْسَ (تَرَى)[344] مَنْ نَالَهُ وَالأَنَامُ فِي طَلَبِهِ[345]

ثالثها: أنها على تقدير وجودها ومعرفتها يحرم تناولها، والبيع والشراء بها، وقد سئل عنها أبو اسحاق التونسي رحمه الله، فقيل: أحلال إن كانت خالصة؟ فقال: لو دبرت الفضة أو غيرها من الأجساد حتى تصير ذهبا خالصا لاشك فيه. فمتى لم يقل بائعها هذا كان فضة أو جسدا من الأجساد، فدبرته حتى صار ذهبا كما ترى غاشا مدلسا، ومتى ذكر ذلك لم يشتر منه أحد ذلك بفلس، ويقال كذلك يدبر غيرك، فيرجع إلى أصله، فمن لم يبين فيها، فهو داخل في قوله صلى الله عليه وسلم "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" [346] فتكون صنعتها حراما، وقال ناصر الدين: لا أعلم قائلا يقول بتحليل الكيمياء، وذكر ابن عبد البر عن القاضي أبي يوسف أنه قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء افتقر. انتهى.

---

(337) سورة الروم، الآية: 30 .
(338) د، ك: تناظرا، والتصحيح من ز، ح .
(339) ز، ح: أبيض
(340) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز، ح.
(341) هو: عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج (508 - 597 هـ / 1114 - 1201 م): محدث، حافظ، مفسر، فقيه، أديب ومشارك في علوم أخرى، ولد ببغداد، وتوفي بها. أنظر: البداية والنهاية، ج 13 : 28 - 30، النجوم الزاهرة، ج 6. 174 - 176، شذرات الذهب، ج 4: 329 - 331 ، تاريخ آداب اللغة، ج 3: 91 ، المجددون في الإسلام: 232 - 240، الأعلام للزركلي، ج 3: 316 - 317 ، معجم المؤلفين، ج 5. 157 - 158، التاريخ العربي والمؤرخون، ج 1. 369 - 370 .
(342) ز: الاستنادات
(343) في جميع النسخ: المغربي، واقتضت الضرورة تصحيحها.
وهو: إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي، الغزي أبو إسحاق 441 - 524 هـ / 1049 - 1130 م). شاعر وأديب من فلسطين، ولد بها ورحل إلى العراق وخرسان. أنظر: الأعلام للزركلي، ج 1: 50)
(344) في الغيث المنسجم، ج 1: 11: يرى.
(345) البيت يوجد في م، س، ن، ج، ص.
(346) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج 2: 108 عن أبي هريرة، وسنن ابن ماجة، ج 2: 15 . عن أبي الحمراء، وكلاهما بنفس اللفظ.
(*) * 137 ب.

ونقل عن سيدي أحمد بن موسى أن رجلا جاءه وطلب منه أن يعلمه صنعة الكيمياء، فقال له الشيخ: حروفها خمسة، وهي عدد أصابع اليد، فإن (أردتها)[347] يا (أخي)[348] فعليك بالحراثة، فتلك كيمياء الناس لا كيمياء الرصاص والنحاس، وأيضا فإن الشيخ من أكابر الأولياء، وما كان ليفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب الفتنة، وكان ينشد لزائره هذا البيت كثيرا: [الطويل]

عَلَيْكَ (بِأَوْسَطِ)[349] الأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلاَ صَعْبا[350]

وقد مرّ جميع الأولياء على التحذير منها، ومن ذلك كتمانهم لهذا العلم والتحاسد فيه * وإخفائه تحت الرموز وغايته، قال الجلدكي[351] في نهاية الطلب[352]: إن من عادة كل حكيم أن يفرق العلم كله في كتبه كلها ويجعل له من بعض كتبه خواصا يشير إليها بالتقدمة على بقية الكتب لما اختصر به من زيادة العلم كما خص جابر من جميع كتبه، كتابه المسمى بالخمسمائة وكما خص مؤيد الدين من كتبه كتابه المسمى بالصابح والمفاتيح[353]، وكما خص المجريطي كتابه الرتبة، وكما خص ابن أميل[354] كتابه المصباح. ثم قال الجلدكي: ومن شروط العالم (أن لا)[355] يكتم ما علمه الله [تعالى][356] من المصالح التي يعود نفعها على الخاص والعام إلا هذه الموهبة، فإن الشرط فيها أن لا يظهرها بصريح اللفظ أبداً، ولا يعلم بها الملوك لا سيما الذين لا يفهمون، ومن العجب أن المظهر لهذه الموهبة مرصد لحلول البلاء به من عدة وجوه: أحدها أنه إن أظهرها لمن يتم عليه فقد حل به البلاء، لأن ما عنده مطلوب الناس جميعا، فهو مرصد لحلول البلاء، لأنهم يرون انتزاع مطلوبهم من عنده، وربما حملهم الحسد على إتلافه، وإن أظهره للملك يخاف عليه منه، فإن الملوك أحوج الناس إلى المال، لأن به قوام دولتهم، فربما يخيل منه أنه يخرج عنه دولته بقدرته على المال، لا سيما ومال الدنيا كله حقير عند الوصال لهذه الموهبة. قال صاحب كنز الحكمة[357]: فأما الوصال إلى حقيقته فلا ينبغي له أن يعترف

---

(347) ك: أدرتها.
(348) د، ك: أخ، والتصحيح من ز، ح.
(349) في زهر الأفنان للناصري، ج 1: 24 بأوساط
(350) البيت يوجد في زهر الأفنان للناصري، ج 1: 24 .
(351) أنظر ترجمته في هذا المقصد(الثالث عشر) من الجزء الثاني ص : 146 . هامش رقم: 288 .
(352) اسمه كاملا نهاية الطلب في شرح المكتسب في زراعة الذهب، وهو كتاب في علم الكيمياء، يقع في ثلاث مجلدات، مازال مخطوطا توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط (46 جلاوي)، وله صورة على الميكرو فيلم بنفس الخزانة تحت رقم 1326
(353) اسمه: مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة، وضعه الطغرائي في موضوع الكيمياء، جمعه من شرح الرموز وبيان مقالة كل حكيم، أنظر كشف الظنون، ج 2: 1755 .
(354) هو: محمد بن أميل بن عبد الله، أبو عبد الله: عالم بالكيمياء وله مؤلفات في ذلك، توفي حوالي 180 هـ / 796 م، أنظر هدية العارفين، ج 2: 8 . معجم المؤلفين، ج 9: 68 .
(355) د، ك: ألا، والأصح ما أثبتناه من ز، ح.
(356) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(357) اسمه: كنز الحكمة في الصنعة الإلهية، وهو كتاب -على ما نعتقد- في موضوع الكيمياء، ألفه ابن وحشية، أنظر كشف الظنون، ج 2: 1514 .
(*) 138 أ.

به، لأنه يضره وليس له منفعة البتة في إظهاره، وإنما يصل إليه كل عالم بطريق يستخرجها لنفسه إما قريبة أوبعيدة، والإرشاد إنما يكون نحو الطريق العام، وأما الطريق الخاص فلا يجوز أن يجتمع عليه إثنان اللهم إلا أن يوفق الإنسان بسعادة عظيمة وعناية إلهية لأستاذ يلقنه إياها تلقينا، وهيهات من ذلك، إلا من جهة واحدة لا غير، و(هي)[358] أن يجتمع فيلسوفان: أحدهما واصل، والآخر طالب، ولا يسعه أن يكتمه إياه، وهذا أعزّ من الكبريت الأحمر ومن الأبلق ومن العقوق. انتهى.

ثم إن المعتنين بأمره بعضهم يدبر مجموع الكبريت والزئبق في حر النار لتحصل امتزاجات كثيرة في مدة يسيرة لا يحصل في المعدن إلا في زمان طويل، وهذا أصعب الطرق لأنه يحتاج إلى عمل شاق، وبعضهم يؤلف المعادن على نسبة أوزان الفلزات وحجمها، وبعضهم يجهل القياس (فيحصل)[359] لهم الاشتباه والالتباس * فيستمدون بالنباتات والجمادات والحيوانات كالشعر والبيض والمرارة وهم لا يهتدون إلى النتيجة، ثم إن الحكماء أشاروا إلى طريقة صنعة الإكسير على طريق الأحاجي والألغاز والتعمية، لأن في كتمه مصلحة عامة، فلا سبيل إلى الاهتداء بكتبهم "والله يهدي من يشاء"[360]، قال أبو الأصبغ عبد العزيز بن تمام العراقي يشير إلى مكانة الواصل لهذه الحكمة: [البسيط]

فَقَدْ ظَفَرْتَ بِمَا لَمْ يُؤْتِهِ مَلِك   لاَ المُنْذِرَان وَلاَ كِسْرَى ابْنَ سَاسَان
وَلاَ ابْنَ هِنْدٍ[361] وَلاَ النُّعْمَان صَاحِبَهُ   وَلاَ ابن ذِي يَزِن فِي رَأْسِ غَمَدَان

وقال الجلدكي في شرح المكتسب[362] بعد أن بين انتسابه إلى الشيخ جابر وتحصيله في خدمته. وبالله تعالى أقسم أنه [إن][363] أراد بعد ذلك أن ينقلني عن هذا العلم مرارا عديدة ويورد علي الشكوك يريد لي بذلك الإضلال بعد الهداية، ويأبى الله إلا ما أراد. فلما فهمت مراده وعلمت أن الحسد قد داخله مني حصرته في ميدان البحث، ومددت إليه سنان اللسان، وعجز عن القيام بسيف الدليل، ونادى عليه برهان الحق بالإفحام، فجنح للسلم وقام، واعتنقني، وقال: إنما أردتُ أن أختبرك واعلم حقيقة مكان الإدراك منك ولتكن من أهل هذا العلم على حذر ممن يأخذه عنك، واعلم أن من المفترض علينا (كتمان)[364] هذا العلم وتحريم إذاعته لغير المستحق من بني نوعنا، وأن لا نكتمه عن أهله، لأن وضع

(358) د، م، ك: هو. والتصحيح من ز .
(359) د، ح، ك: فيحل. والتصحيح من ز.
(360) هذه أية 213 من سورة البقرة .
(361) لعله يقصد: عمرو بن المنذر اللخمي المعروف بعمرو بن هند ملك الحيرة في الجاهلية. اشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغسانيين وأهل اليمامة. وتوفي نحو 45 ق. هـ / 578 م. أنظر الاعلام للزركلي، ج 5: 86 - 87 .
(362) يقصد به: نهاية الطلب في شرح المكتسب. وقد سبق أن عرفنا به وبمؤلفه. والكتاب هو شرح لكتاب المكتسب في زراعة الذهب لأبي القاسم محمد بن أحمد السيماوي العراقي. أنظر: كشف الظنون، ج 2: 1811 .
(363) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(364) تكرار في د.
(*) • 138 ب.

الأشياء في محالها من الأمور الواجبة، ولئن في إذاعته خراب العالم، وفي كتمه عن أهله تضييع لهم، وقد رأينا أن الحكمة صارت في زماننا[365] مهدمة البنيان لا سيما وطلبة هذا الزمان من أجهل الحيوان، وقد اجتمعوا على المحال فإنهم ما بين سوقة وباعة وأصحاب دهاء وشعبذة لا يدرون ما يقولون، ورأينا أنه وجب علينا النصيحة لمن طلب الحكمة، وهذه الصناعة الشريفة الفلسفية، فوضعنا لهم كتابنا الموسوم ببغية الخبير في قانون طلب الإكسير، والشمس المنير في تحقيق الإكسير[366] انتهى.

وزعم بعضهم أن المقامات الحريرية وكليلة ودمنة رموز في الكيمياء. ويزعمون أن الصناعة مرموزة في صورة البرابي، وقال بعضهم: الإكسير هو العلم بصناعة الحجر المكرم، وصفته على ما قالوا حجر مثلث الكم مربع الكيفية، أبيض بصاص يشبه البذر، فأما تثليثه فإنه مركب من ثلاثة أجزاء: من روح، ومن نفس، *ومن جسد في أصل خلقته، وأما تربيعه فإن فيه أربع طبائع حكمية، وليس للفلاسفة حجر غيره، ولا يقوم مقامه شيء سواه، فينفصل إذا فصلته سريعا، ويمتزج إذا مزجت به طباءعه سريعا، وليس يحتاج إلى عقار غيره يدخل معه أو فيه، وإن دخل معه شيء أفسده، بل منه به يكون الأمر كله، ورمز له الحكماء من الفلاسفة بعقار غريب وكنوا عنه بذلك،ثم أضافوا إليه باقي طبائعه حتى أن من لم يقع عليه أو بيده لم يفك ذلك الرمز المكنى به، فإذا دبروه لم يدخل في تدبيره ذلك الغريب فلا يفلح من دبره أبدا، وقد بينه بعضهم بقوله: وأما الحجر فهو والله هضيب، وأمه وأبوه كبده، وهو إن قلبت الكلمات تمرّ به من آخرها كما هي من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير، كل حرف في منزلته في اللفظ والكتابة التي وضعته به الحكماء ثقة منهم بالسر المكتوم. وقال بعضهم: وها أنا أقول فيه أبياتا من شعري برمز هرمس الحكيم وهي: [الطويل]

خُذِ البَيْضَةَ (السَّقْرَاءَ)[367] مِنْ خَيْرِ مَعْدِنٍ ... تُصَادِفُهَا لاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الأَرْضِ
فَلاَ الأَرْضُ تَخْلُو مِنْهَا فِي كُلِّ بُقْعَةٍ ... وَلاَ الجَوُّ يَخْلُو مِنْهَا بِالطُّولِ وَالعَرْضِ
فَتِلْكَ (الَّتِي)[368] أَفْنَى القُرُونُ وُجُودَهَا ... وَقَدْ يَنْظُرُوهَا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ تَمْضِي
فَإِنْ كُنْتَ ذَا فَهْمٍ وَعَقْلٍ وَفِطْنَةٍ ... تُفَسِّرْهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْمَعَنَّ لَفْظِ

ثم قال هرمس الحكيم: هذا هو الحجر الذي علمه الله لنبيه آدم -عليه السلام- وورثه من بعده ولده شيت - عليه السلام، ثم الأنبياء من بعدهما عليهم الصلاة والسلام، ثم الفلاسفة والأتقياء والأصفياء، أفراد الأفراد، وكذلك يبقى هذا الأمر إلى آخر الدهر لأنه كنز الله الأعظم الذي لا يفنى ولا يودعه تعالى إلا عند أصفيائه وأوليائه وأتقيائه، ثم يورثه لمن

(366) هذا الكتاب ذكره بهذا الإسم حاجي خليفة في كشف الظنون،ج 2: 1062 ، وقال بأن أيدمر بن علي الجلدكي صنفه بالقاهرة.
(367) د، ك: الشقراء، والتصحيح من ز، ح.
(368) د، ك: الذي، والتصحيح من ز، ح.
(*) • 139 أ.

يشاء من عباده، وصانه تبارك وتعالى لئلا يقع في أيدي الفسقة فيركبوا المعاصي ويبغون في الأرض كما أخبر الله تعالى عن قارون وأهلكه. وأكثر الفلاسفة رموزها في كتبهم وغيبوها غيرة منهم عليها، وحكى بعض من أنفق عمره في طلب هذا الحجر أن الطغرائي ألقى المثقال من الإكسير أولا على ستين ألف مثقال من معدن آخر فصار ذهبا،ثم إنه ألقى آخراً المثقال من الإكسير على ثلاثمائة ألف، وأن مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثقال على ألف ألف ومائتي * ألف مثقال، وقالت مارية القبطية[369]: والله لولا الله لقت أن المثقال يملأ ما بين الخافقين، والجواب الفصل ما قاله الغزي: [الكامل]

كَجَوْهَرِ الكِيْمِيَاءِ لَيْسَ تَرَى مَنْ نَالَهُ وَالأَنَامُ فِي طَلَبِهِ [370]

وصاحب الشذور[371] من جملة أئمة هذا الفن، صرح بأن نهاية الصبغ إلقاء الواحد على الألف في قوله: [الطويل]

فَعَادَ بِلُطْفِ الحَلِّ، وَالعِقْدُ جَوْهَراً يُطَاوِعُ فِي النِّيرَانِ وَاحِدُهُ (الأَلِفِ)[372]

وقال -أيضا- في قصيدته القافية: [الطويل]

فَذَانِ [هُمَا][373] البَدْرَانِ فَاعْنِ بِعِلْمِنَا تَنَلْ بِهِمَا مَا يَصْبِغُ (الأَلْفَ)[374] دَائِقَهُ[375]

وقال الصفدي والكمال الدميري[376]: والظاهر من كلام الطغرائي - رحمه الله - أنه لم يدبر شيئا إنما كان يعلمها علما لا عملا ألا تراه يقول في شعره: [الطويل]

وَلَوْلاَ وُلاَةُ الجَوْهَرِ أَصْبَحَتْ وَالْحَصَى بِكَفِّي أَنَّى شِئْتُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

ومن ذلك حكايات وقعت لبعض الملوك بسببه، منها حكاية يحي بن تميم

---

(369) هي: مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم، من سراري النبي (صلعم). أصلها من مصر. أهداها المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية ومصر سنة 7 هـ / 628 إلى النبي (صلعم) هي وأخت لها تدعى سيرين، فولدت له إبراهيم. وأهدى أختها إلى حسان بن ثابت الشاعر المشهور. أنظر: مرآة الجنان، ج 1: 72، الاعلام للزركلي، ج 5: 255 . أعلام النساء لعمر رضا كحالة، ج 5 10 - 11 .

(370) البيت يوجد في الغيث المنسجم، ج 1: 11 . وقد سبق أن والقناه وعرفنا بقائله الغزي في هذا المقصد(الثالث عشر) 735 . هامش رقم: 343 . 345 .

(371) عرفنا بالكتاب ومؤلفه (علي بن موسى الأنصاري) في هذا المقصد(الثالث عشر). من الجزء الثاني ص . 146 هامش رقم: 286- 287 . في ديوان الشذور في تحقيق الأمور لعلي بن موسى الأنصاري،مخ،خ، ع، ر، 103 د: 60، ألف، وكذلك في نهاية الطلب للجلدكي مصور على الميكروفيلم في خ. ع. ر . 1326 . والبيت يوجد في المصدرين السابقين وفي الغيث المنسجم، ج 1: 11 .

(372) الميكروفيلم في خ. ع. ر . 1326 . والبيت يوجد في المصدرين السابقين وفي الغيث المنسجم، ج 1: 11 .

(373) ما بين المعقوفتين ساقطة من ديوان الشذور 65 .

(374) في ديوان الشذور: 65: الرطل.

(375) البيت يوجد في م. س. وفي نهاية الطلب، وفي الغيث المنسجم، ج 1: 11 .

(376) هو: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء (742 - 808 هـ / 1341 - 1405 م): أديب وفقيه شافعي. كان يهتم بالحديث وعلم الحيوان، وله في ذلك مؤلفات. ولد، ونشأ وتوفي بالقاهرة. أنظر: الضوء اللامع، ج 10: 59 - 62 ، طبقات الشافعية، لابن هداية الله: 240 - 241 ، البدر الطالع، ج 2: 272 ، الاعلام للزركلي، ج 7: 118 .

(*) 139• ب.

-L.KOPF, Ency. de l'islam, T2, Pp: 109-110

الصنهاجي[377] صاحب إفريقية مع الغرباء المدعين الصنعة، قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم: وفي سنة أربع وخمسمائة[378] أتى المهدية قوم غرباء، فقصدوا يحي بمطالعة زعموا فيها أنهم من أهل الصنعة الكبيرة [و][379] من الواصلين إلى نهايتها، فأذن لهم في الدخول عليه، فلما مثلوا بين يديه طالبهم أن يظهروا له من الصناعة ما يقف عليه، فقالوا: نحن نزيل من القصدير التدخين والصرير حتى يرجع لا فرق بينه وبين الفضة، ولمولانا من السروج والقضب والبنود والقباب والأواني قناطر من الفضة نجعل عوضا منها ما يريده، وليستعمل جميع ذلك في مهماته، وسألوه أن يكون ذلك في خلوة، فأجابهم وأحضرهم للعمل ولم يكن عند الأمير يحي سوى الشريف أبي الحسن علي والقائد إبراهيم قائد الأعنة، وكانوا هم ثلاثة، وكانت بينهم إمارة وأمكنتهم الفرصة، فقال أحدهم: دارت البوطقة. فتواثبوا، وقصد كل واحد منهم واحدا بسكاكينهم، فأما الذي قصد الأمير يحي فقال: أنا سراج، وكان يحي جالسا على مصطبة فضربه، فجاءت* على أم رأسه فقطعت طاقات في العمامة ولم تؤثر في رأسه، واسترخت يده بالسكين على صدره فخدشه، وضربه يحي برجله، فألقاه على ظهره، فسمع الخدم الجلبة، ففتحوا باب القصر من عندهم، فخرج يحي وأغلق الباب دونهم، وأما الشريف فلم يزل به الذي قصده حتى قتله، وأما القائد إبراهيم فإنه شهر سيفه ولم يزل يقاتل الثلاثة، وكسر الجند الباب الذي كان بينهم، ودخلوا فقتلوه، وكان زيهم زي أهل الأندلس، فقيل في البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزي، وخرج الأمير يحي في الحال، ومشى في البلد وسكن الفتنة.

ومنها ما ذكره ابن خلكان -أيضا- ونصه: حكى ابن جلجل[380] في تاريخه[381] أن الرازي المذكور صنف للمنصور كتاباً في إثبات صناعة الكيمياء، فأعجبه وشكره، وحباه بألف دينار، وقال له: أردت أن تخرج هذا الذي ذكرت في هذا الكتاب إلى الفعل، فقال له الرازي: ذلك مما نتمون له المؤن، ونحتاج إلى آلات و(عقاقير)[382] صحيحة، وإلى إحكام صنعة ذلك كله، وكل ذلك كلفة. فقال له المنصور: كلما احتجت إليه من الآلات ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملا حتى تخرج عما ضمنته كتابك إلى العمل. فلما حقق عليه امتنع

---

(377) هو: يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي الحميري أبو طاهر (457 - 509 هـ / 1065 - 1116 م) أمير إفريقية منذ سنة 501 هـ/1107 م. عرف بحسن التدبير لشؤون إمارته، كما كان كثير الإهتمام بالأدب، والأخبار، والشعر، وكانت له عناية بالكيمياء، وعلمائها، يقول ابن عذاري: "وكان يطلب عمل الكيمياء، وجعل لها دارا تربها الطلبة، وأجرى عليهم الإنفاق، ومكنهم من الآلات". أنظر، وفيات الأعيان، ج 6: 211 - 216، الكامل في التاريخ، ج 10: 512 - 513، البيان المغرب، ج 1: 304 - 306، الاستقصا، ج 2: 72 .

(378) سنة 504 هـ / سنة 1110 م.

(379) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك، والتكملة من ز، ح .

(380) هو: سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل أبو داود: طبيب من قرطبة كان على قيد الحياة سنة 372 هـ / 982 م. أنظر: تاريخ الحكماء للقفطي: 190، الموسوعة، ج 1: 62، معجم المؤلفين، ج 4: 136، 258.
- A. DIETRICH. Ency. de l'islam T3. PP: 778 - 779.

(381) لعله يقصد به: كتاب طبقات الأطباء والحكماء، وهو كتاب وضعه مؤلفه في ترجمة الأطباء والحكماء في الإسلام، وهو مطبوع ومتداول.

(382) د، ك: عقاقر، والتصحيح من ز، ح .

(*) 140 أ .

من مباشرة ذلك، وعجز عن عمله. فقال له المنصور: ما اعتقدت أن حكيما يرضى بتخليد الكذب في (كتبه)[383] ينسبها إلى الحكمة ليشغل بها قلوب الناس، ويرغبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة وقد كفيناك على قصدك وتعبك بما صار إليك، ومن الألف دينار، ولابد من معقابتك على (تخليد)[384] الكذب، ثم جهزه وصيره إلى بغداد فضرب، وكان ذلك الضرب سبب نزول الماء إلى عينيه، ولم يسمح بقدحهما، قائلا: إن الدنيا قد رأيتها[385] انتهى.

ومنها ما وقفت عليه بكتاب الحيل لبعض المشارقة بما هو معناه أن رجلا جمع ألف دينار ذهبا خالصا، ثم بردها بالمبرد. فصارت برادة، وأضاف إليها شيئا من (العقاقير)[386] ومزجها بها وعجنها بما صيرها كعقار واحد وجعلها في مزود ولبس ثيابا رثة بدوية، وجعل المزود على عاتقه، وأخذ يطوف بأزقة (دمشق)[387] الشام ويعرض ذلك العقار للبيع حتى انتهى إلى العطارين، فعرضه على الأول منهم، فقال له: ما هذا وما فائدته؟ فقال: هذا عقار يسمى عندنا بالطنزباك نافع للسموم وللسحر وللجنون، وعد له منافع، ولولا إني ذاهب لبيت الله الحرام ولم أستطع حمله* والزاد والماء والسفر بعيد، ما بعته بوزنه ذهبا. فقال له : وبكم ثمنه؟ فقال: بعشرة دنانير. فأستبعد ذلك وقال: ما سمعنا بهذا العقار قط ولا رأينا من يسأل عنه أو يذكره. وجعل يطوف على السوق كله، والكل يقول مثل مقالة الأول، إلى أن وقف على رجل، وذكر له إسمه وفائدته وثمنه، فقال في نفسه: هذا عقار غريب عسى أن يتوقف عليه من يعرفه أو تكون فيه فائدة، فهو من جملة (العقاقير)[388] المدّخرة. فاشتراه منه بخمس دنانير، فقبضها وانصرف، ثم غير زيه ولبس ثيابا فاخرة، وجعل يدعي صناعة الإكسير، ويخالط الأعيان وأهل المعرفة من أهل البلد، إلى أن بلغ خبره الوزير، فطلبه طلبا مؤكدا، فامتنع من الذهاب إليه قائلاً لا حاجة لي عند أهل الدنيا والمناصب، وأريد أن تكون صناعتي لله وتصرف في سبيل الله في حق من يستحقها من المسلمين، فأخبر بذلك الوزير، فجد في طلبه إلى أن اتصل به وذاكره فأعجبه سمته وأدبه، فأخبر بخبره السلطان، فأمره بإحضاره، وقال: قل له لا شيء أنفع من مال يصرف في الجهاد، ولا تجد قربة أقوى من هذه الخطة، وقد رأيت ما نحن عليه من الضيق مع الكفار وخراب الثغور واحتياجهم للإصلاح والعمارة، والاستعداد لا يكون إلا بالمال القوي، فليكن مطمئن البال من جانب الإنفاق في غير ما يرضي الله. فلما كلمه

---

(383) ك: كتب.
(384) د: تحليه، ك: تخلية. والتصحيح من ز، ح
(385) أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5: 160 . باختلاف يسير في اللفظ.
(386) في جميع النسخ: العقاقير، واقتضت الضرورة تصحيحها.
(387) د، ك: ذي مشق. والتصحيح من ز، ح.
(388) في جميع النسخ: العقاقر، وصححناها. ونشير إلى أن نفس الكلمة سترد بنفس اللفظ في جميع النسخ بعد قليل. وسنصححها دون التنبيه على ذلك.
(*) م 141 ب.

الوزير وعرفه بأمر السلطان ونيته، قال: نعم، إن كان هذا هو الغرض فعلي بركة الله. فذهب وإياه، واجتمعا بالسلطان. واتفق الكل على العمل بمحضر السلطان والوزير نهارا، فهيأ السلطان له ما طلبه من الآلة، وأخذ القلم وجعل يقيد العقاقير التي يحتاج إليها، وجعل منها الطنزباك، فأخذ أحد الأعوان التقييد وذهب به إلى المحتسب ليشتري له ذلك، فاشترى له العقاقير المذكورة إلا الطنزباك لم يجده، فرجع الرسول بدون الطنزباك. فقال المدعي للصنعة: لابد من هذا العقار وإلا لم يتم العمل، وكيف لا يوجد الطنزباك بأرض الشام، وهي، قديمة الحضارة ومأوى الوفود والتجارة، ما هذا إلا أنهم يكتمونه لفائدته العظيمة، ولا يسمحون به إلا لمن يعرفه وقيمته والآن لابد يراجع المحتسب أصحاب العقاقير ويهددهم حتى يعترفونه له به، فكتب الوزير إلى المحتسب يجدد عليه الطلب بإحضار الطنزباك، ثم بدا له أن قال للرجل: إن المحتسب لا يعرف هذا العقار حتى لو رآه بيد أحد* وأنكره منه لم يعرفه وعليه نحبك أن تذهب بنفسك، ونأمره بالوقوف معك حتى تقف على مطلوبك بنفسك، فقام وذهب مع رسول الوزير إلى المحتسب وأمره بأن لا يغيب من العطارين، وأن من غاب منهم يكلف من يحضره حتى يتمكن من البحث في (عقاقيره)[389] المدّخرة بدكانه، وذهب وإياه والأعوان، وبدأ بالبحث من أول دكان إلى أن بلغ دكان المشتري منه الطنزباك وهو في كل ذلك يتجاهل عن معرفته، فبحثه عما عنده من العقاقير وجعل يأمره بإحضار ظروف العقاقير لديه إلى أن حضر ظرف الطنزباك الذي جعله فيه يوم شرائه، فبمجرد رؤيته قال: هذا والله هو المراد، ثم سأله بكم اشتريته؟ فقال: بخمسة دنانير، فقال: إذن لا أبخسك فيه. فأمر المحتسب بدفع عشرة دنانير لربه وأخذه ورجع إلى محله، وأحضر الأواني وجمع العقاقير مع شيء من الطنزباك، وجعل الكل في البوط، وقال: انفخوا، إلى أن صعد الكل دخانا، وبقي الذهب مُذابا فأفرغه سبيكة، وهم ينظرون، فأخذه السلطان وأمر بإحضار أهل المعرفة والمعيار، فأعرضوه على المعيار، واختبروه كل الاختبار فوجدوه ذهبا خالصا، وسلموه، فتحقق السلطان والوزير بمزيد معرفته، وركنوا إلى تسليم صنعته، فبقي كذلك يفعل إلى أن انتهى إليه الطنزباك، فطلبه ثانيا، فلم يجدوه، فقال: إن معدنه بخراسان وهو كثير بتلك النواحي، فانظروا من يذهب إليه ويأتينا بشيء كثير منه لنبلغ الغاية فيما نريد، فقال السلطان: لايصلح لهذا غيرك، لمعرفتك بتلك الأرض والمعدن وبأهلها، وأما غيرك فقد رأيت أنه وجد عندنا (بهذه)[390] الأرض، ولم يعرفه أحد لولا أنك نهضت بنفسك، وعليه فلابد من سفرك في طلبه، وقد تعين عليك. فجعل يتعلل ويتعذر بالمشاق وبعد المسافة وعدم الطاقة على البرد، فلم يقبل منه

---

(389) د، ز، ح: عقاقره. والتصحيح من ك.
(390) د، ح، ك: بهذا. والتصحيح من ز.
(*) * 141 ب.

شيء. وبعده لما أن رأى أنه تمكن من حاجته أظهر المساعدة على السفر. فحينئذ هيأ السلطان له ما يحتاج إليه من أمور السفر من فساسط وبغال لحمل الأثقال وعبيدو (مال)[391] للزاد ولثمن العقار، فاستولى على ذلك وأخذ ه وانصرف.

وكان في البلد رجل مضحك يكتب أسماء المخرفين، فلما رأى ذلك قيد إسم ذلك السلطان مع أسماء المخرفين، فبلغ ذلك السلطان، فأمر بإحضاره، وقال: أنت فلان المشتغل * بتقييد أسماء المخرفين؟ قال: نعم، قال: أرني تقييدهم. فأخرج له ورقة وناوله إياها، فلما تأملها السلطان وجد اسمه أول الورقة، فقال: ما هذا وما سببك فيه؟ فقال: كيف لا وقد أعطيت رجلا أفقيا ليس من رعيتك ولا تعرف له مقرا ولا بلدا، خزنة مال يعيش فيها مدة عمره دون نفع يعود عليك منه؟ فهلا خصصت بها بعض بطانتك ممن يعود نفعها عليك؟ فقال: ليس الأمر كما فهمت، فإن ذلك الرجل من الأخيار ومن الأغنياء الكبار، ولاشك من الانتفاع به عاجلا إن شاء الله وكافة المسلمين، فقال له الرجل: إن رجع إليك محوت اسمك من ديوان المخرفين وجعلت بدله اسم ذلك الرجل إذ هو حينئذ المخرف لرجوعه إليك بعدما أخذ منك ما يكفيه وإن لم يرجع فإنه ذو عقل ويبقى اسمك في محله مع المخرفين. فكان كما قال، وسلم له السلطان الأمر بعد ذلك. انتهى.

[تمهيد سوس الأقصى]

ولما ذكر الناظم -رحمه الله- قيام المولى الحسن على ساق في شأن الإمامة وضبطه أمورها إلى (أن بدت) [392] فتوحات النصر من حزمه على سبيل الإجمال، أخذ يتكلم على تفصيل باقي الفتوحات وذكر محالها، فقال:

وَمَهَّدَ سُوساً مِنْ عِنَايَتِهِ الَّتِي ... تَبَرَّجَتِ الدُّنْيَا بِهَا فِي المَوَاكِبِ
إِلَى أَنْ تَبَدَّى أَهْلُهُ بِرِعَايَةٍ ... تَتِيهُ دَلالاً بِاهْتِزَازِ المَنَاكِبِ

التمهيد: الإصلاح والانقياد إلى الطاعة بعد فترتها والتغافل عنها. والسوس: تقدم الكلام فيه موفى[393] في دولة المولى الرشيد، والمراد به الأقصى وهو ما وراء وادي العبيد إلى البحر المحيط غربا، وخصه بالتمهيد لعظمه، وكثرة خلقه، وفسيح أرضه، وتوعر مسالكه، وتباين أحوال أممه، حتى يعلم أن ما دونه ممهد بالأحروية. والعناية: هنا المراد بها الاعتناء، وهي ضد الإهمال والتراخي. والتبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، وسميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دنياوي، وقيل دنيوي، ودنى وهي ضد

---

(391) د، ك: مالا. والتصحيح من ز، ح.
(392) د: أبدت. ح: أن أبدت. والتصحيح من ز، ك.
(393) أنظر: المقصد السادس: من الجزء الثاني ص: 268 - 269.
(*) * 141 ب.

الآخرة. والمواكب: جمع موكب كموضع الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان. والتبدي: الظهور. والرعاية: جمع رعية، وهي العامة من الناس. والتيه: التكبر. والدل: بفتحح الدال الغنج والشكل، وقد دلت المرأة تدل بالكسر دلا ودلالا بفتح* الدال (فيهما)[394] بمعنى تري زوجها جرأة في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها خلاف. والاهتزاز: التحرك من باب قتل. والمناكب: جمع منكب، وهو مجتمع رأس العضد والكتف.

والمعنى[395] أن قبائل السوس كلها قد انقادت لطاعة هذا الإمام الجليل وانحاشت لظل عدله، وذلك من كثرة اعتنائه بأمر الخلافة و(بالرعية)[396] وإرادته بها الخير، واجتماع الكملة، وفيها كل خير كما لا يخفى، حتى أن الدنيا المكنى بها عن الرعية أو معناها الحقيقي لغة قد أبدت [زينتها][397] وحسنها المستتر قبله بهذه الإرادة، وهي إذ ذاك في المواكب بقصد إظهار الزينة للناظر إليها. ولا زالت الرعية والدنيا على ما هي عليه بوجوده، إلى أن تظاهر أهل السوس برعاية وطاعة حسنة، تتيه لجمالها وفرط حسنها حالة كونها مظهرة لغنجها وشكلها مع اهتزاز، وهو ما يهيج من بديع الرقص مناكبها على سائر الرعاية، وقد فاقتهم بذلك.

وكان مسيره -أيده الله- لقبائل السوس بقصد ما ذكره من التمهيد في أواسط سنة تسع وتسعين ومائتين وألف[398] من مراكش بسبب جولان الإصبنيول وتردده إلى ساحل تلك النواحي وتشوفه لتملك بعض المراسي السوسية محتجا بأن من شروط صلح تطاوين أخذ بعض المراسي السوسية[399]، وقد عزم الآن على الأخذ بشرطه، وإلا أفضى الحال إلى ما هو أعظم من ذلك.

وفي ابتداء أمره كان يجلب من السلع لتلك النواحي ما يستهوي به أهلها ويظهر لهم الأرباح، فكانوا بين ساكن إليه ونافر منه، فتحرك السلطان إليهم ليباشر سد هذا الباب بنفسه، لبعد عهده بإجراء الأحكام المخزنية فيما بينهم على مقتضياتها.

---

(394) د. ك: فيها. والتصحيح من ز. ح .

(395) من هنا يبدأ كوفرري (L. Coufourier) ترجمة هذا النص إلى اللغة الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية أنظر:
-L. Coufourier Chronique de la vie de Moulay El-Hassan. in Archives Maroc. 1996. Vol. 8. P: 335

(396) ك: الرعية.

(397) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ز. ح. والتكملة من ك.

(398) أواسط سنة 1299 هـ / أواخر أبريل وبداية ماي 1882 م.

(399) إن البند السادس من معاهدة الصلح المبرمة بين المغرب وإسبانيا في أواخر شعبان 1276 / أواخر مارس 1860 . والبند الثامن من المعاهدة المبرمة في 4 شوال 1276 هـ / 26 أبريل 1860 م قد نصا على أن ملك المغرب يلتزم بأن يخول لملكة إسبانيا أرضا على الساحل الأطلسي بالقرب من سانطا -كروزدي ماريكينيا (Santa Crus de mar Pequena) لإنشاء مؤسسة للصيد وتعيين لجنة من الطرفين لتحديد المنطقة. إلا أن المحادثات بين الطرفين توقفت لبضعة سنين. وفي سنة 1296 هـ / 1878 م استؤنفت المحادثات ونزلت اللجنة المختصة بهذا الملف بأنجديدة، وبعد مشاورات اتفق الطرفان على تعيين المنطقة الواقعة على بعد 30 كلم شمال شرق وادي نون المسماة بإيفني. لكن سلطان المغرب لم يقبل به إلا في سنة 1301 هـ / 1883. وكانت إيفني تمتد على مساحة 70 كلم2، وعدد سكانها حوالي 6000 نسمة. وكانت لها أهمية متميزة من الناحية الإقتصادية نظرا لموقعها الساحلي وقربها من المناطق التجارية المهمة. وأنظر البند السادس المذكور من معاهدة الصلح في الحلل البهية المقصد الثاني عشر: من الجزء الثاني ص: 93 – 94 وأنظر تحليل البند الثامن المذكور مع نصه ونص المعاهدة كاملا عند.
- E. Rouard de card. Les relations de l'espagne et du Maroc; PP: 108-111. 197-198 .

(*) • 141 ب .

فكان نهوضه من مراكش في رمضان السنة المذكورة[400]، بعد حمله ما يحتاج الجيش إليه من الميرة[401] من مرسى الدار البيضاء والجديدة إلى ساحل السوس، فانتهى من السوس إلى وادي نون، ومهد تلك النواحي، وولى على أهلها القضاة و(الولاة)[402]، واتخذ هناك مرسى للوسق والوضع لما يحتاج إليه تسمى أساكا[403]، ثم كتب لولاة أعماله بأقطار المغرب يعرفهم بالحال ما صورته بعد الحمدلة والتصلية والمخاطبة: أما بعد، فإنا لما نهضنا من مراكش بحول الله وقوته، وسطوته الباهرة وصولته، وجيوش الله المظفرة موفورة، *وجنوده (سبحانه)[404] مقطورة، وأعلامها منشورة، نهضة معتمد على مولاه، منقاد لما قذف في قلبه فأبداه، متمسك بعروته الوثقى التي من استمسك بها بلغ مناه، وانتهينا بمعونة الله لمبدإ هذه الأقطار السوسية، وامتطينا صهوتها وهي ذلولا في ربوع اليمن ساعية، وبنود الله خافقة على مفارق الظفر، و(بذرى المجد)[405] سامية، تواردت على حضرتنا العالية بالله الوفود (متناسقة)[406] متتابعة، وانتظمت في سلك السمع والطاعة والخدمة الجامعة، فتسارعوا إلى ما إليه دعوا، وتلقوه تلقي الظمآن فنهلوا وكرعوا، وأوقدوا لوفود كبرائهم وأعيانهم وأشياخهم مصباحا، واستضاءوا بضياء [نور][407] الله غدوا ورواحا، ومدوا أعناق الإذعان، وبسطوا أيدي المسالمة والإبقاء عليهم والامتنان، بعدما كانت قد بلغت منهم الحناجر، وارتعدت فرائصهم من هيبة الله ثم اطمأن البر وشرق

---

(400) أي في رمضان من سنة 1299 هـ / 17 يوليوز - 15 غشت 1882 م. وفي كناش، مخ. خ. ح. ر. 12059 ز. أن ذلك كان يوم الإثنين 11 رجب 1299 هـ / 17 ماي 1882 م. وهو الأصح وعند: - Jules Erckmann, Le Maroc moderne, P: 205 .
أن ذلك كان في جمادى الأولى 1299 /ربيع 1882 م. وكذلك عند: - Louis ARNAUD, Au temps des Mehallas, P: 61
والجدير بالذكر أن الكناش المذكور وردت به معلومات دقيقة عن حركات المولى الحسن، خاصة بالنسبة لمراحل حركة سوس الأولى والثانية، حيث أوردهما مع ذكر عدد الأيام والساعات والدقائق.

(401) إن المولى الحسن اتخذ كل الإستعدادات لهذه الحركة من توفير المواد الغذائية والعلف وغير ذلك، يقول الناصري : "وأمر [السلطان] قبائل دكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتبن إلى مرسى الجديدة والدار البيضاء". ويقول إركمان (J.ERCKMANN) بأن السلطان اكترى سفينة بخارية تحمل اسم l'AMELIE لحمل المواد الغذائية إلى سواحل سوس، ويذكر أحمد علمي أنه كان هناك - أيضا- قافلة تتكون من 1500 جمل محملة بالمونة تتبع الجيش، ولاحظ أن هذه الاستعدادات لم يسبق لها مثيل في الحركات السابقة. أنظر الاستقصا، ج 9: 174، حركات السلطان الحسن الأول، 236 .
- J.Erckmann, Le Maroc moderne, P: 205.
- L.ARNAUD, Au temps des Mehallas, P: 61

(402) ك: القواد. ذكر إركمان (J.Erckman) أن المولى الحسن عيّن 43 قائداً على سوس، وأورد أحمد علمي أسماء عشرة قواد الذين تم تعيينهم على قبيلة هوارة، وأصبح الحسين بن هاشم - وهو من أسرة ذات زعامة وصيت كبيرين - ممثلا عاما له في المنطقة ومراقبا لباقي القواد. أنظر: أحمد علمي، حركات السلطان الحسن الأول : 240 .
- J. Erckmann, Le Maroc moderne, P: 211.

(403) على إثر تزايد الأطماع الإسبانية والإنجليزية بالمنطقة حيث أنشأ مركزين تجاريين استقطبا سكان وتجار المنطقة عمل المولى الحسن على إنشاء ميناء أسكا عند مصب وادي نون، وكلف لجنتين الأولى تقوم بالإشراف على إنجاز الميناء ويترأسها المولى الأمين، والثانية كلفت بالتفاوض مع الإنجليز في شأن الإنسحاب من طرفاية، وكان الهدف من إنجاز هذا الميناء هو تحويل شحن البضائع المحلية من المركزين الإستعماريين إلى الميناء الوطني مع محاولة تدمير المركز الإنجليزي الذي لم يكن مرخصا له من الدولة المغربية، وفتح الميناء المذكور في 15 شتنبر من سنة 1882 م. أنظر: المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات، ج 3:525 .
-J.Erckmann, Le Maroc moderne, P: 210.
- Budgett Meaking, The land of the moors, PP: 391-392.
- Louis Arnaud, Au temps de mehallas; P: 62 .

(404) ز: سحابة.
(405) د: بدري البدر، والتصحيح من ز، ح.
(406) د: متنافسة، والتصحيح من ز، ح، ك، والاستقصا ج 9: 175 .
(407) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(*) * 142 ب.

الفاجر، وانتبهت أجفان المراسم المخزنية التي عفت بعد نومتها، فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها، وصرفنا إليهم عنان الترتيب، بعد أن وطأنا لهم كنف الترحيب، فبوأنا من توسمنا فيه الأهلية للتولية على إخوانه مهاداً، وقلدناه أمرهم جمعا وفرادى، وضربنا لكل فيها على مقتضى السياسة بمعونة الله بسهم مصيب، وأرعيناه من مربع خدمتنا الشريفة المرعى الخصيب، حتى وقع التمكن من أزمتهم، وأجلسنا خاصتهم وعمالهم على أسرتهم، فاتصلت بهم المخزنية اتصال الأرواح بالأجساد، واستنارت هذه الأرجاء بنور الله استنارة عمت الحاضر والباد، فأدوا من الطرف والهدايا ما فيه غنيمة لمن ركب متن المزايا، مع كون البلاد لم تنكح بالمخزن مدة من السنين، تنيف على عدد الستين، ولم لم ننل من هذه الفتوح الباهرة بفضل الله إلا عشرا، لكان في جنب من قدم عهده بالمخزنية كثرا، ولكن ما عودنا سبحانه إلا الجميل، إذ هو المتصرف الغني القاهر القوي الكفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ثم ولينا عليهم من القضاة من فيهم الكفاية لإقامة شرائع الدين، ولم نأل جهدا في انتخابهم من أمثل المقلدين، علما بأن الشرع عليه المبنى، وبه يعمر (المغنى)[408]، ويغزر الحسن و(المعنى)[409]، ثم تطارح شرفاؤهم* ومرابطوهم على أعلا جنابنا بإقرارهم على عوائدهم، وإبقائهم على أعرافهم ومحاتدهم التي عندهم عليها ظهائر أسلافنا المقدسين، أئمة المسلمين وأمراء المؤمنين. وكذا ظهائر من (غبر)[410] من المتقدمين، رضوان الله عليهم أجمعين، فانتهجنا نهجهم، وسمكنا بحول الله أوجهم، وساعدناهم فأقررنا وجددنا لكل ظهيره، وأجريناه على ما أسس له من المجد وجعلنا نجيبه وسميره، وحيث كان القصد الأهم من هذه الوجهة المباركة هو حماية ذمار هؤلاء المسلمين، والدفاع عن بلادهم ورقابهم وأموالهم مما طمحت إليه نفوس المؤملين، وكان ملاك ذلك هو فتح المرسى بوادي نول بمحل يسمى أساكا بأرض قبيلتي تكنة وآيت باعمران[411] إذ بفتحها يستقيم أمر الدفاع، ويسهل على أهل ذلك المحل البيع والابتياع، يقينا بأن سد أبواب الضرر من الأمر المحتوم، وإرشاد الضال في الشرع من المقرر المعلوم، (تسابقت القبيلتان المذكورتان اللتان تلقتا)[412] جنابنا العالي حين عبرنا وادي والغاس، وقصدنا بجيوش الله بلادهم قصد طبيب آس، فتلقوا ركابنا السعيد[413] بأمصا وقرب مرسى تسمى بأكلو إذ هو الطرف الموالي لآيت باعمران المسمى بالساحل، وإليه شدت هذه المراحل، وبين أمصا ومحل المرسى

---

(408) د، ك: المبنى، والتصحيح من ز، ح، والاستقصا ج 9: 176 .

(409) ح: المغنى.

(410) د، ح، ك: غبر، والتصحيح من ز.

(411) أيت باعمران يقع موطن أيت باعمران في جنوب غرب الأطلس الصغير الغربي على مساحة تقارب 1500 كلم 2 .
وكان يتشكل من القبائل التالية: 1 - أيت إخلف، -2 أيت النص، -3 أيت إعزا، -4 أيت عبد الله، -5 ايت الخمس، -6 صبويا.
وتحدها من الجهة الشرقية مناطق مرتفعة ومن الناحية الشمالية مناطق واطئة، أما الجهات الجنوبية فهي بداية الأراضي الصحراوية. هذا الموقع الجغرافي جعلها تستفيد من المبادلات التجارية بين المغرب والسودان (افريقيا جنوب الصحراء). ومن اختلاف أنماط عيش المناطق المجاورة، مما خفف من وطأة الظروف الطبيعية القاسية حيث يغلب الجفاف مع سيادة التربة الفقيرة. أنظر: علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران، 24، 25، 28، 29 .

(412) في جميع النسخ: تسابق القبيلتان المذكورتان التي تلقى. واقتضى السياق النحوي تصحيحها.

(413) ويذكر وكاك أنه ما أن وصل المولى الحسن إلى "الكعدة" - وهي منطقة تقع في قبيلة أكلو القريبة من آيت باعمران- حتى هرعت قبائل الباعمرانية والتوسية والصحراوية لاستقباله، معربة بذلك عن ولائها وإخلاصها له، ومعربة عن تشبثها بالوحدة الوطنية. وفي هذه الزيارة قام المولى الحسن بتنظيم الشؤون الإدارية والسياسية لمختلف القبائل التي زارها في "الكعدة". أنظر: الحسين وكاك، أطوار الصراع مع الاستعمار في سيدي إفني وأيت باعمران: 910 .

(*) ● 143 أ .

الذي أريد فتحه مرحلتان، وبثلاث عشرة ساعة ميقاتية مقدرتان، فأتوا بشرفانهم وفقهانهم ومرابطيهم وأعيانهم وأشياخهم المالكين لقيادهم، فقوبلوا بما قوبل به أمثالهم، وناسب أن يتصف به حالهم، ثم ولينا عليهم عدة من العمال[414]، جعلناهم بحول الله عدة في تلك الأعمال، وحينئذ وقع الكلام معهم في شأن المرسى، فامتثلوا ما أمرناهم به من فتحها امتثال من أضحى يتقلب في رضا الله ورسوله وأمسى، ثم وجهنا معهم سرية من (أعيان)[415] الجيش معتبرة، ومعهم من الفقهاء والمهندسين من يعتمد بهم في رسم تلك المرسى، وتخطيطها على نهج القواعد المقررة، والأعمال المحررة اقتضى المقام والحال تسبيقها رفقا بعباد الله، واعتباراً بأن الله سبحانه قد قضى الغرض ووهبه وأسداه : **"وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله"** [416]، **"قل إن الفضل بيد الله"** [417]، **"وما بكم من نعمة فمن الله"**[418]، ثم أقمنا في المحل المذكور لانتظارهم، في تشييد منارهم، فإن انقلبوا *بالمقصود فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإن لم يشفوا الغليل، شددنا بحول الله لذلك المرسى عزمات الرحيل، وقطعنا تلك المفازات.

هذا، وقد نصبنا قائدا من قواد جيشنا السعيد، مختارا من ذوي الرأي السديد، وأقمناه بقصبة تيزنيت[419] محل المخزن في القديم، بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال القطر السوسي من وادي والغاس إلى منتهى وادي نول و(كليميم)[420]، يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولا سيما إذا كان المخزن بعيداً عن هذه الشرفات، بعدما (عرفناهم)[421] بأنا أقمناه مشرفا للتفاوض معه وبصيرة على ما قصدنا من فتح ذلك المرسى إيثارا للنعمى ودفعا للبؤسى، ففرحوا بذلك فرح الظمآن الوارد، والضال الواجد، ووقع الإشهاد عليهم بكل ما فصلناه، وأبرم عقده معهم على نحو ما رسمناه، فكان ذلك تمام العمل الذي قصدناه، والمورد الذي أردناه وانتحيناه، والله تعالى يخلص في ذاته العمل، ويجعل هذه الوجهة المباركة بفضله ومنته من الجهاد المتقبل، إنه جواد كريم، متفضل غني حليم، والسلام. في متم (شعبان)[422] عام تسعة وتسعين ومائتين وألف[423].

---

(414) فقد تم تعيين الشيخ ماء العينين رئيسا على الصحراء، والقائد دحمان بن بيروك على بعض قبائل تكنة، والقائد أحمد التامنارتي على درعة والقائد محو التزنيتي على إداولتيت وسهول تزنيت. أنظر: أطوار الصراع مع الإستعمار في سيدي إفني وايت باعمران: 10 .

(415) د. ح: أعمال. والتصحيح من ز. ك والاستقصا ج 9: 177 .

(416) هذه آية: 30 من سورة الإنسان.

(417) هذه آية: 73 من سورة آل عمران.

(418) هذه آية: 53: من سورة النحل.

(419) قصبة تيزنيت: تأسست في صيف سنة 1299 هـ / 1882 أثناء قيام المولى الحسن بحركته إلى سوس وبالتحديد إلى منطقة أيت باعمران. تقع جنوب مدينة أكادير، وتبعد عن شاطئ البحر بـ 20 كلم . كانت نقطة التقاء الطريق الموازي لواد تزروالت بالطريق المؤدي إلى درعة الذي يلتقي في بويزكارن بالطريق المار بكلميم. وكان الغرض من إنشائها هو جعلها مركزا عسكريا وسياسيا لمراقبة -عن قرب- مناطق سوس وخاصة آيت باعمران، حيث أصبحت مقر استقرار خليفة السلطان على سوس. أنظر المغرب عبر التاريخ، ج 3: 525 - 526 ، السلطة والمجتمع في المغرب: 28 .
- L.Arnaud, Au temps des mehallas; P: 63 .

(420) ز: كلميم.

(421) ح: عرفنهم.

(422) في جميع النسخ: شوال، والتصحيح من الاستقصا، ج 9: 177 .

(423) متم شعبان عام 1299 هـ / أواسط يوليوز 1882 م. هذه الرسالة وردت في الاستقصا، ج 9. 175 - 177 باختلاف يسير في اللفظ.

(*) * 143 ب.

[التمهيد الثاني لسوس الأقصى]

ثم (أعاد)[424] الغزو ثانيا للسوس من مراكش، في عاشر جمادى الثانية من سنة ثلاث وثلاثمائة وألف[425]، فخاض في بلاد السوس إلى ما وراءها من عرب معقل وسائر قبائل الصحراء، لما بلغه من اضطراب الرعايا بتلك النواحي، وأن بعض تجار دولة إنكلترا قصد مرسى طرفاية[426] بتلك السواحل، ووصل يده في البيع والشراء ببعض القبائل واطمأن بالبناء هناك لمخالطته تلك النواحي، فسارع لحسم مادة ما ينشأ من ذلك، وأصلح أحوال البلاد، وأبطل ما كان يريد التاجر من الفساد، وقد رجعوا إلى الطاعة وتلقوه على العادة أفواجاً، ناشرين أعلام الفرح تجاه جيوش الله سرى وأدلاجا، مقدمين بين يديهم هداياهم، (مترسين)[427] بأبنائهم وإخوانهم وسراياهم، مادين أعناق الإمتثال، عاضين بالنواجذ على الخدمة وصالح الأعمال، وكتب بذلك أيضا إلى قواد المغرب يعرفهم الخبر[428].

وكذلك وفدت عليه أشياخ عرب معقل وكبراؤهم عند انتهائه لأرضهم فارحين بقدومه، متبركين بطلعته السعيدة، ومن بلادهم وجه كتيبة من جيشه إلى مرسى طرفاية، فغيروا ما كان أحدثه التجار الإنجليزيين* من البناء، وطمسوا أعلامه، وفر من كان بها من النصارى إلى مراكبهم بالبحر. وأمر -أيده الله- ببناء مرسى أساكا واتخاذها محلا هناك للوسق والوضع، ورتب الحامية والعسات بتلك النواحي من أكادير إلى قليميم، وكتب بذلك كله لكافة عماله على عادته.

ثم إن دولة إنكلترا لم ترض بما فعله الإمام بأهل تجارتها من هدم بنائهم وطردهم

---

(424) د. ك: عاد. والتصحيح من ن.ح.

(425) 10 جمادى الثانية 1303 هـ / الثلاثاء 16 مارس 1886 .

(426) في سنة 1289 هـ / 1872 . قدم إلى طرفاية (رأس جوبي) مهندس إنجليزي (من اسكوتلندا). اسمه دونالد ما كنزي (Donald Mackenzie)، يحمل معه مخطط مشروع ضمنه في كتاب ألفه سنة 1294 هـ / 1877 تحت عنوان "غمر الصحراء" (The Flooding of the sahara) يتلخص في توصيل المياه من المحيط الأطلسي إلى داخل المنخفض الصحراوي بطريقة هندسية. والهدف هو الوصول إلى تمبوكتو عبر أقصر طريق ومن ثم إنشاء مراكز تجارية واحتكار تجارة تمبوكتو. ولما لم يجد ماكنزي من يؤيد المشروع تقدم عام 1296 / 1878 م بمشروع آخر يهدف إلى إقامة مركز تجاري في طرفاية (رأس جوبي). وبالفعل فقد تمكن من إنشاء شركة تجارية حملت اسم "شركة شمال غرب إفريقيا (North West African company) - سنة 1297 / 1879، ضمت عدة مهندسين ورجال أعمال. الذين حاولوا الحصول على ترخيص رسمي من سلطان المغرب بواسطة جون دريموندهاي (Jhon Drumond Hay) الممثل الإنجليزي بالمغرب (طنجة) لكن هذا الأخير كان متحفظا ويشاطر رأي سلطان المغرب. إلا أن الشركة استطاعت الحصول على مساندة من الشيخ محمد ابن بيروك بعد مفاوضات انتهت بعقد اتفاق بين الجانبين ينص على احتكار الشركة حق التجارة بالمنطقة. وعندما قام المولى الحسن بحركته الأولى إلى سوس (1299 / 1882) أبلغ ماكنزي وشركاءه بوجوب الرحيل. لكن ماكنزي رفض الامتثال. مما أدى -فيما بعد- إلى حدوث أعمال العنف بين الأهالي وعمال الشركة نتج عنها مقتل أحد أفراد عمال الشركة وجرح عدد آخر من الإنجليز وذلك سنة 1305 / 1887 اضطر السلطان على إثره دفع تعويض يقدر بـ 4000 أو 6000 جنيه. وأدى تطور الأحداث إلى مطالبة مدراء شركة شمال غرب إفريقيا بالحماية من الحكومة الإنجليزية، التي تدخلت لدى الحكومة المغربية. واستمرت المفاوضات لمدة طويلة. أنظر: المغرب عبر التاريخ، ج 3: 256 – 266 . حركات السلطان الحسن الأول : 219 – 223 . تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية لروجرز: 257 - 258 . السلطة والمجتمع في المغرب للمحمدي: 82

- J.Erckmann, le Maroc moderne, P: 210 .
- Henri Terrasse, Histoire du Mroc, T 2, P: 337.
- L. Arnaud, Au Temps des Mehallas, P: 65.
- L. Coufourier, Chronique de la Vie de Moulay El-Hassan, in Archives Maroc. 1906. Vol: 8, PP: 342-343. marge: 1.

(427) ن.ح. مترهين.

(428) أنظر نص الرسالة في الاستقصا، ج 9، 180 - 181 .

(*) * 144 ب.

من أرضه ووقع الصلح -بَعْدُ- على مال دفعه السلطان إليهم في مقابلة ذلك[429]، والأمر لله، وهو من جملة تفضله وإحسانه بهذا الحي، ولذلك قال الناظم رحمه الله:

وَعَمَّرَهُمْ بِالفَضْلِ والبَذْلِ والنَّدَى　　　وَكَمَّلَهُمْ فِي غَايَةٍ بِالمَرَاكِبِ

أي أملأهم بالفضل وهو الخير. والبذل: وهو ما سمحت به النفس وأباحته عن طيب منها. والندى: الجود، وبابه عدى، يقال: فلان ندي الكف أي سخي. والكمال: ضد النقص، تقول: رجل كامل وقوم كمله. وغاية الشيء: انتهاؤه. والمراكب: جمع مركب، وهي في الأصل السفينة، وتطلق على كل ما يركب من الإبل والخيل والبغال.

يريد أن أهل السوس عمرت أرضهم وأهلها بالخيرات والعطاء والجود، وكمل نقصهم كمالا في غاية الأمر بما اكتسبوه من الخيل وأصناف الدواب والأمتعة بوجود المولى الحسن، وحسن سيرته ودفع الضرر عنهم، ولا سيما الولاة من قبله عليهم والأعيان وأهل الدين والفضل والعلم والشرف والضعفاء، فصار أهله في غاية الكمال والقوة والاستعداد والأمان، واستكملوا الشرف والفوز عن غيرهم، بما عمهم من عدل هذا الإمام، واعتنائه بأمر الرعية، وتفقد أحوالها والفحص عن شؤونها وكيفيتها أيده الله. ثم قال :

وَلِلسُّوسِ إِذْ ذَاكَ امْتِثَالٌ لِمَا يَرَى　　　بِحَوْزٍ وَغَرْبٍ فِي جَمِيعِ الجَوَانِبِ

المراد: أن أهل السوس مع وصفهم بما ذكر من القوة والشهامة والتوغل في الجبال الوعرة، فهم أقرب الناس إلى الطاعة وامتثال الأوامر الشرعية، فلم يصدهم عن الامتثال للأوامر المخزنية التي مقتضى الشريعة ما استكملوه من العدة والعدد، لأنه الغالب على النفوس، فهم مخصوصون بطاعة السلطان عن سائر القبائل من البربر والعرب، كما أن أهل الشام كذلك، وبهم يضرب المثل في الطاعة والمبايعة، وإنما قدحت زناد* معاوية -رضي الله عنه- بهم، وكثيرا ما كان يقول: أعنتُ على عليَّ بأربع: كنتُ رجلا كتوما وكان رجلا ظهره، وكنتُ في أطوع جند وأصلحه -يعني أهل الشام- وكان في أعصى جند -يعني أهل العراق- وتركتُه وأصحاب الجمل وقلتُ: إن ظفروا به كفيته وإن ظفر بهم اعتذرتُ بها

---

(429) أثارت مسألة المركز التجاري الإنجليزي بطرفاية اهتمام المسؤولين السياسيين بالمغرب وإنجلترا وذلك من إنشائه سنة 1297 هـ / 1879 إلى سنة 1313 / 1895 م. ففي شهر يناير 1895 طرحت المسألة للبحث، وعقدت اجتماعات تمهيدية أعقبتها اتفاقية بين الطرفين، وقعها من الجانب المغربي الوزير أحمد بن موسى، ومن الجانب الإنجليزي الوزير ساتو (SATOW)، وذلك في 13 مارس 1895 م. وقد نص البند الثالث من هذه الإتفاقية على أن تشتري الحكومة المغربية منشآت شركة شمال غرب إفريقيا بطرفاية بمبلغ قدره 50 ألف جنيه (1300.000 فرنك). ونصت الإتفاقية -أيضا- على تأكيد سيادة المغرب على أراضيه الواقعة بين وادي درعة ورأس بوجادور، وعلى إثر ذلك تم تنصيب حامية وولاة مخزنيين بالمنطقة. أنظر: الموسوعة، معلمة الصحراء ملحق 1: 141 - 142. تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية" 297 - 298. المغرب عبر التاريخ، ج 3: 266. التاريخ الدبلوماسي للمغرب للتازي، ج 10: 69 - 70

- L. Arnaud, Au temps des Mehallas. Pp: 65-66.
- A. Laroui, Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain. P: 340.
- L.Coufourier, Chronique de la vie de Moulay El - Hassan, in Archives. Maroc. 1906. P: 342 - 343. marge: 1.
-La Martinière, le Regne de Moulay El Hassan. PP : 407 - 408.
- J.L .Miège, Le Maroc et l'europe, T3. PP: 299-309.

(*) • 144 ب.

عليه في ذنوبه، وكنتُ أشدّ تآلفا بقريش وأكثر تحننا إليها منه فيالك من جامع إلي ومفرق عنه ومن عون لي ومن عون عليه. انتهى.

فطاعة أهل السوس مما هو مريء بالعيان بأقطار المغرب بالحوز منها، وهو في العرف من رباط الفتح إلى السوس، وقد يشمل شيئا من السوس الأدنى كماسبق حده.

والغرب في عرف أهل (المغرب)[430] -أيضا- يطلق على ما بين وادي ورغة[431] إلى قصر كتامة وإلى البحر من جانب غروب الشمس، وهي أرض بني مالك وسفيان. ويْطلق على المغرب الأقصى من تلمسان إلى البحر المحيط. وفي كل نواحي هذا القطر وجوانبه يرى امتثال أهل السوس وخدمتهم ونصحهم للجانب العالي بالله لورود هداياهم بمراكش على الحضرة العالية بالله، وهي من الحوز بل بحوزها سمي الحوز. وكذلك بفاس الغراء يتعجب الناس من هداياهم وكثرة أموالهم الواصلة على يد عمالهم، ويعترف كل من عداهم بالفضل والقوة لهم، وكل القبائل ضعفاء عند مقابلتهم، وكذلك جيوشهم وعساكرهم ونصيحتهم في الخدمة السلطانية. وليس بينهم عرف يتعاهدونه في (المقابلة)[432]، وأحكامهم كما عند قبائل وجدة وبقية البربر من جبل فازاز ونواحي سجلماسة وفاس كما ذكرنا من عرفهم[433]، وإنما هم مراعون للشريعة، وإن أصاب شيء بأرضهم غريبا عند افتتانهم ، اجتمع أعيانهم وأنصفوه ممن تعدى عليه وظلمه.

ولامتثالهم أجابوا ما طلبه المولى الحسن منهم، من خرص الحبوب وغير ذلك، وإليه أشار بقوله:

يُؤدِّي عَلَى هُدىً لِخَرْصِ حُبُوبِهِ	وَيُعْطِي الزَّكَاةَ مِنْ خَرَاجِ المَكَاسِبِ
وَيَذْعَنُ لِلأَحْكَامِ مَهْمَا تَوَجَّهَتْ	وَيَقْبَلُ حُكْماً (جَازِماً)[434]، فِي المَآرِبِ

الأداء: فراغ الذمة مما كان معمرا بها، وهو القضاء.

والهدى: جمع هدية وهي السيرة: يقال ما أحسن هديته -بكسر الهاء وفتحها- أي سيرته، والجمع هدى، كتمرة وتمر. والخرص حزر ما على النخل من التمر ومثله حزر سنبل الزرع.

(430) ك: الغرب.

(431) وادي ورغة: يوجد بشمال المغرب، موطن قبيلة ورغة ينبع من جبال الريف ويمر بتاونات، وهو من أهم روافد وادي سبو . وتستقر على ضفافه قبائل صنهاجية مع بعض المصامدة وأعراب الحياينة، وكلها تتكلم اللسان العربي الدارج. أنظر: الحركة الفكرية، ج 2: 485 ، تاريخ الضعيف، ج 1: 172 هامش: 75 .

- H.Terrasse, Histoire du Maroc. T2. P: 454.
- R. Montagne, Les Bèrbères et le Makhzen, P: 209.

(432) ك: المقاتلة.

(433) انظر هذا المقصد (الثالث عشر) من الجزء الثاني ص 127 – 129 ، 133 – 137 .

(434) في جميع النسخ : حازما. واقتضت الضرورة تصحيحها من م .

(*) • 145 أ.

والزكاة: معروفة، وقدر الواجب فيها من* المكاسب منصوص في كتب الفقه. و(الذعن)[435]: الذل والخضوع. والأحكام: جمع حكم وتقدم. ومهما: بسيطة لا مركبة من مه وما، خلافا لمن زعمه، وهي هنا شرطية وترد بمعنى الاستفهام، وترد ظرفا لفعل الشرط، وتوجهت: فعل الشرط وجوابه يذعن. والقبول: ضد الإباية. والجزم: القطع. والمآرب: جمع مأربة -بفتح الراء وضمها- الحاجة.

والمراد: أن أهل السوس إذ هو على حذف مضاف كأسال القرية، يؤدون على حسن سيرتهم من غير إكراه ما يجب عليهم من أعشار الحبوب المحرزة أقدارها لديهم، ويعطون كذلك ما يجب عليهم من الزكاة في ماشيتهم من غنم وبقر أي أثمانها، ولذا قال: من (خراج)[436]، لأن الخراج لغة غلة الأرض، ومهما توجهت إليهم الأحكام الموافقة للشريعة من الوظائف طاوعوها وساعدوا مقتضاها، كما يقبلون كل حكم قاطع عليهم بقضاء كل حاجة قصدت وطلبت منهم دون الواجبات، وذلك غاية التمهيد والانقياد.

[تمهيد بني مكيلد]

وبعد ذلك، رد المولى الحسن وجهته وقصده لمن عداهم من قبائل البربر العظام المتمردين عن الطاعة والانقياد، وإلى ذلك أشار بقوله:

وَبَعْدَهُ رَدَّ الْعَزْمَ لابْنِ مِكِيلْدٍ ... وَقَدْ جَمَحُوا فَوْضَى بِتِلْكَ السَّبَاسِبِ

أي وبعد تدويخ السوس وتمهيده التمهيد التام، رد عزمه، أي صرف جده واجتهاده عنه إلى غزو قبيلة بني مكيلد وهي إحدى قبائل البربر الكبار، يرجعون إلى آيت ومالو الذين هم بطن من بطون صنهاجة، ولا خصوصية للغزو بهذه القبيلة، بل المراد جميع القبائل التي هي تحت البطن مثل ظيان وشقيرن[437]، وآيت شخمان[438]، وآيت يسري[439] وغيرهم من أمم البرابر الذين عمروا جبال فازاز و(مَلَوُّا قننها)[440] وتحصنوا بأوعارها منذ (تملكت)[441] البربر المغرب قبل الإسلام بأعصار طويلة.

---

(435) ز: الذعر.

(436) ز، ح: خارج

(437) شقيرن: قبيلة بربرية بالأطلس المتوسط تحدها شمالا قبيلة زيان، وغربا تادلة، وجنوبا آيت يسري، أنظر:
- C.H. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc, P: 263 .

(438) ايت شخمان: قبيلة بالأطلس المتوسط، من زعمائها علي بن مكي، وهو من بقية آل أمهاوش، ثار ضد المولى الحسن بهزمه. أنظر: الموسوعة المغربية، معلمة المدن ملحق 2: 6 .

(439) آيت يسري: قبيلة بربرية بالأطلس المتوسط، من فروعها: ايت وهَة، آيت سعيدْ وايت محمد. أنظر: كناش، مخ، خ، ح، ر 12059 ز: 32 .

(440) ح: ملأوا متنها، وفي د، ز مالوا متنها. والتصحيح من الاستقصا ج 9: 199 .

(441) ك: تملك.

(*) 145 أ.

وقد أعصوا وركبوا أهواءهم وعتوا، إذ الجموح هو الراكب هواه من قولهم: جمح الفرس براكبه جموحا، بمعنى استعصى حتى غلبه، فهو جموح -بالفتح- حالة كونهم فوضى، أي متساوون لا رئيس لهم ينهاهم عن غيهم، ولا يتوقفون في أمر إمام عليهم بتلك السباسب، وهي الفيافي والأوعار، وتوسعوا في تلك الأراضي وبغوا فيها.

وقد انتهى -أيده الله- إلى تلك الجبال ودوخها، ثم إلى قصبة أدخسان التي بناها المولى إسماعيل رحمه الله، فوفد * عليه جل القبائل هناك.

وكان توجهه إليهم من مكناسة الزيتون في عاشر رمضان المعظم من عام خمسة وثلاثمائة وألف[442].

وكان -رحمه الله- مواظبا على السفر، مراعيا قول من قال: إن المقام في الحضر، رأس كل بلية وضرر، فمقامه ظهور الخيل، ونشواته قيام الليل، وعزمه حمل الجياد على أهل الضلالة والعناد، دأبه القوة والجلد، والزهد في الصاحبة والولد، والرغبة في الأبطال والعدد، والنهوض من مجاورة الهر والفار، لمساواة بيوت الغبار، فهو في هذا خليفة الخضر، ولا له في هذا الباب نظير: [الطويل]

(مَقَامُ)[443] عقَابُ الطَّيْرِ فِي الجَوِّ والفَلاَ ... وَأَنْـشَـطُ ديكٍ فِـي الـبُـيُـوتِ يَـجُـولُ
وَمَـا المُلْـكُ إلاَّ لِـلْـعِـقَـابِ بِـعَـزْمِـهِ ... وَلِـلـدِّيكِ صَـوْتٌ فِـي الـدَّجَـاجِ يَـصُـولُ

وللحذاق من الكتاب في هذه الوقعة رسائل، كشفت أحوال ما اشتملت عليه من الوسائل، وأولاها بالذكر ما حققه الناظم بمشاهدته لتلك الغايات والمغانم، نصها بعد الافتتاح المؤمل: وبعد، فلما كان الانتقال من محل لمحل، فيه لذة للمال والمحل، لا سيما مع اعتبار علو في الثاني، أو نقل أمر من أول الثاني، كان السفر مطلوبا من هذه الحيثية، لكون الإنسان يحصل فيه على (الأمنية)[444]، ولهذا اتخذته ملوك الغرب وسيلة، حيثما طمحت بنظرها إلى قبيلة، حتى تنخرط في سلك الجماعة، وتقوم بواجب السمع والطاعة، وتذعن لأداء ما تخلد بذممها على مقتضى (قوانين)[445] قيامها، ثم بالواجبات المستقبلة والهدايا كذلك، وحراسة الطرقات وحط النزائل بما بها من المسالك، ثم القيام بحركتها لمن خرج عن الجادة، حتى تنحسم من مفاسده المادة، فحينئذ يصير المخزن فيها هدى، لكونها بسببه لم يبق فيها عدى، وهذا هو السر فيما أظهره الله الآن ظهور يمن وبركة، من كثرة الأسفار وتعداد الحركة، وجعل سبحانه هذا السر فيمن لازالت عظماء الأقيال، تقتدي به

---

(442) 10 رمضان 1305 هـ / الإثنين 21 ماي 1888 م.
(443) ز. ح. فقام.
(444) د. ك: الأفنية. والتصحيح من ز. ح .
(445) د. ح. ك: كوانين. والتصحيح من ز.
(*) - 146 أ.

وإن طالت المسافة وكثرت الأميال، الطالع في سماء السعادة بدره، الشائع في سائر الآفاق تأييده ونصره، المتوكل على الله فيما هال وعظم صوره، المستغني بعناية الله فكانت القوة على عسكره مقصورة، *المعتز بعزة الله في السر والنجوى، المتجلي فيه حديث "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"[446]. هو سيدنا ومولانا الذي أنعم الله على هذا القطر المغربي به، حيث جعل زمامه بيده في سلمه وحربه، فكان في أرغد عيش منذ امتطى صهوة جواده، وصار (يدبر)[447] أمور مملكته على مقتضى مراده، الأمير ابن الأمير أباءا وجدوداً، ولذا كان قوام روح هذا العالم عليهم مقصوراً وممدوداً، أبو علي والعلو مخلوق من (طينته)[448]، مولانا الحسن والحسن موجود من أسرار سيرته، دبّر فكان تدبيره تدبيراً، وعبر فكان تعبيره تعبيراً، كلما رسل وأطلق ليراعه عنانه، أزرى بالسلماني في الريحانه. اللهم زده تأييدا ونصراً عزيزاً، حتى يكون الحال حالاً والتمييز تمييزاً.

هذا ودونك ورقات سميتها: رنات المثاني، بمضمون واقعة الفتح الثاني، في النواحي المكَيلدية، بعد النواحي السوسية، لما ظهر في القبيلة المكَيلدية ما يؤذن بفسادها، ويعلن بإفسادها، صار مولانا المنصور يدبر في ذلك أمره الشريف، ويفرغه في قالب السياسة على مقتضى المعرفة والتعريف، ويعذر وينذر ائتلافا واستئناساً، ويحذر على سلوك الطريق المستقيم أنواعا وأجناساً، وهم يتلونون في أمورهم تلون الحرباء، وهو دام علاه يجاريهم عسى أن ينزل على رأس الحية، أو يتوصل من المتهم بالواجب عليه في الدية، فلم يزدهم ذلك إلا روغانا، حسبما ظهر ذلك عيانا، فلما رأى الأمر يفضي إلى آخره بالدليل، صيره أولا فأفرغ سبيكة صراحته في قالب التأويل، وجعل ذلك نصب عينه، و(ورّى)[449] بغيره على وفق ما لديه، كل ذلك لأجل التشاكل، والتشابه والتجاهل، والمقصود بالذات في الحدود والفصول، هو إعطاء الصلة للموصول، وأن يكون عائدها ضميراً مستترا عن ساعد الجد لهذه الحركة، المحفوفة بكل بركة، بعد أن كانت الجيوش والعساكر، مرتبة على مثال المساطر، فنهض -أيده الله- من مكناس وقد عرف ما قصد إماماً، فلم يمر زمن قليل إلا وهو بقبيلتهم خيلا ورماة و(رايات)[450] وأعلاما، وسياسته -دام علاه- عدم نشب البارود إلى إبانة، وإنما العمل إذ ذاك على (يراع)[451] نباله، تفضيلا* للقلم على السيف، حيثما ظهر الحيف، إن دار وأفاد، وإلا فالسيف أمير المستفاد، حتى تعرضوا يوما لأخير المحلة وقد

(446) هذا الحديث يوجد في فتح الباري، ج 1. 9، بنفس اللفظ عن عمر بن الخطاب.
(447) ز. ح: يدبر.
(448) ح: طيبه
(449) د. ح: روى، والتصحيح من ز.ك.
(450) د. ح: ريات، والتصحيح من ز. ك.
(451) د. ح: براع، والتصحيح من ز.
(*) * 146 أ.
(*) * 146 ب.

رحلت من الدار، قاصدة محل سكناهم الذي عليه المدار، فتقابل الجمعان وصار كل يزحف على قدر قوته ونجدته، فكانت الكرة عليهم والمرء مقتول بما أضمر في نيته، فصار السبي فيهم للعدة والخيول، بعد أن حزت رؤوس منهم وكانت دماؤها كالسيول، ثم ضربت المحلة على قصور لهم تحصَنوا بها، فدار العسكر بها وصار يضرب في جوانبها، ولما ضاقت بهم الأرض بما رحبت وولوا مدبرين، تداركوا أمر أنفسهم فتسارعوا للمدافع متشعفعين، فقبل مولانا -أيده الله- توبتهم، وقابل بالحلم هفوتهم، فأمنهم وقد شرط عليهم أداء الواجب من الزكاة والعشور، وأن يكونوا عند الامتثال، فيما يؤمرون به في الطي والنشور، ووظف عليهم جزاء على المقابلة بالقتال ثلاثة آلاف من البغال، وثمانية آلاف من رؤوس الغنم والبقر، فشرعوا في دفع ذلك على مقتضى النظر، بعد أن بقي ببلدهم ناشرا أعلامه، ومستلا سيوفه وأقلامه، حتى جاءوا في الدفع عن آخره والأكوان تصرِّح بأن هذا من خصائص مولانا المنصور ومآثره، فكان هذا الفتح شفعا لفتح السوس فتحا عزيزاً وسيعزز بحول الله تعزيزاً.

وقد أنشأ أدباء الديوان الشريف في هذه الوقعة قصائد عديدة [452]، مستحسنة (غريبة)[453]، كل يأتي على قدر بضاعته، بما يظهر من قصيدته، فأمر -أيده الله- بتوجيهها لفاس، بقصد أن تعرض على الأدباء والفقهاء والنجباء، وبعد أن يظهر النفس من التعبير، تدرج في التاريخ الكبير ولنا[454] من جملة قصائد القضية قصيدتان، نص الأولى منها: [الكامل].

هَذِي المَعَزَّةُ فِي دَلاَلٍ غَوانِ   هَذِي المَسَرَّةُ فِي سُرُورٍ تَدَانِ
هَذِي النَّفَائِسُ فِي فَرَائِدَ عِزُّهَا   هَذِي الجَوَاهِرُ فِي عُقُودِ جُمَانِ
حَطَّتْ رِحَالُ المَجْدِ تَحْتَ مِظَلِّهَا   وَأَرَتْ لَنَا فَتْحاً كَفَتْحِ عُمَانِ
بِبَنِي مَكِيلْدٍ قَدْ تَبَرَّجَتْ زِينَةٌ   وَبَدَتْ لَنَا فِي لَفْظِهَا بِمَعَانِ
قَدْ دَبَّرُوا أَنَّ (التَّمَانُعَ)[455] بِالفَلاَ   يُغْنِي وَإِنَّهُمْ كَطَيْرٍ عِنَانِ
(وَمَتَى)[456] رَأَوْا جَيْشَ العَسَاكِرِ بَيْنَهُمْ   فِي (شُعَالَةٍ)[457] تَغْدُو بِكُلِّ سِنَانِ
* حَزَّتْ رُؤُوسَ البَغْيِ عِنْدَ قُصُورِهِمْ   وَسَقَتْهُمُ حَتْفاً بِكَأْسِ دِنَانِ
قَدْ عَايَنُوا حَرْبَ (النُّفُوسِ)[458] فَأَصْبَحُوا   بَيْنَ المَدَافِعِ فِي حَرِيمِ أَمَانِ
إِذْ أَظْهَرُوا بَيْنَ القَبَائِلِ مَا بِهِمْ   مِنْ ذِلَّةٍ وَمَعَزَّةٍ وَهَوَانِ
قَبِلُوا الشُّرُوطَ وَأَذْعَنُوا وَتَوَاعَدُوا   أَلاَّ يَعُودُوا لِبَغْيِهِمْ بِأَوَانِ

(452) توجد القصائد التي قيلت في هذه المناسبة مثبتة في الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية. لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج. مخ. خ. ح. ر. 512 . ج 2. 277 - 319 .
(453) كـ مفهدة.
(454) المتكلم هو الناظم (الغالي بن المكي بن سليمان).
(455) في البستان الجامع لمحمد بن إبراهيم السباعي. مخ. خ. ع. ر 1346 د. ورقة 129 ز : التمنع.
(456) ك: متى. وفي البستان الجامع: ورقة 129 أ: حتى.
(457) ز. سعلة. وفي البستان الجامع: ورقة 129 أ: شعلة.
(458) في البستان الجامع: ورقة 129 أ: البسوس.
(*) * 147 أ.

هَــذِي المَزِيَّــةُ لاَ مَــزِيَّــةَ قَــبْـلَــهَــا ... فَـلْـتَـحْـرِسَـنَّـهَـا بِـأَحْـرُفِ الـقُـرْآنِ
يَــا مَــالِـكـاً شَــاعَـتْ مَـآثِـرُ عِـزِّهِ ... بَـيْـنَ الـوَرَى حَـتـى بَدَتْ كَـكَـوَانِ
يَـا مَـالِـكـاً فَـاضَـتْ يَـنَـابِـعُ فَضْلِـهِ ... حَـتَّـى رَوَى بِـجَـدَاوِلٍ وَسِـوَانِ
يَــا مَـالِـكـاً مَـلَـكَ الخَلاَئِـفَ نِـعْـمَـةً ... بِـلِـسَـانِـهِ وَأَكُـفِّـهِ وَبَـنَـانِ
يَــا مَــالِـكــاً فُـقْـتَ المُلُـوكَ عِـنَـايَـةً ... حَاشَا يَـكُـونُ لِـمُـلْـكِـكُـمْ مِـنْ ثَـانِ
فَـلْـيَـهْـنِـكَ الـفَـتْـحُ المبِـينُ فَـإِنَّـهُ ... فَـتْـحٌ بَـدِيـعٌ فِـي (مَـغَـالِ)[459] بَيَانِ
فَلِعُدَّةِ (القِرْطَاسِ)[460] سِرٌّ ظَـاهِـرٌ ... إِنْ كُـنْـتَ لِـلـتَّـدْبِـيرِ سَـيْـفَ لِسَـانِ
أَوْ كُـنْـتَ فِـي قِـرْطَـاسِ كُـتْـبِـهِ نَـاثِـراً ... أَوْ مُـنْـشِـيـاً (بِـفَـوَاصِـلِ)[461] التِّبْيَانِ
الـلَّـهُ يَـحْـفَـظُـكُـمْ وَيَـحْـفَـظُ عِـزَّكُـمْ ... وَيَـزِيـدُكُـمْ نَـصْـراً بِـكُـلِّ مَـكَـانِ
مَـا غَـرَّدَتْ طَـيْـرُ الحَمَـامِ وَأَنْـشَـدَتْ ... هَـذِي المَـعَـزَّةُ فِـي دَلاَلِ غَـوَانِ[462]

ونص الثانية: [الطويل]

أَبَـى الـنَّـصْـرُ إلاَّ أَنْ يَـرُدَّ الأَعَـادِيَـا ... وَإِنْ سَـكَـنُـوا وَعْـراً رَأَوْهُ فَـيَـافِـيَـا
وَيُـلْـبِـسَـهُـمْ بَـيْـنَ الـقَـبَـائِـلِ ذِلَّـةً ... وَيُذْعِـنُـهُـمْ وَالسَّيْفُ يَبْرِي المُنَافِيَا
أَلَـمْ يَـعْـلَـمُـوا أَنَّ الـعَـسَـاكِـرَ دُونَـهُـمْ ... وَأَنَّـهُـمْ جَـيْـشٌ يَـشُـقُّ الـدَّوَاهِـيَـا
إِذَا شَمَّرُوا (لِلْحَرْبِ)[463] أَبْصَرْتَ خَالِداً ... لَـهُ عَـدَدٌ وَالـفَـضْـلُ لاَزَالَ بَـاقِـيَـا
وَإِنْ رَكِـبُـوا سَـهْـمَ الـقِـتَـالِ بِـعُـدَّةٍ ... تُقَرْطِسُهُمْ فَالرَّبْعُ (يُصْبِحُ)[464] خَالِيَا
تَـرَاهُـمْ بِـأَعْـلاَ الـقَـصْـرِ فِـي هَـدْمِ سُورِهِ ... بُزَاةً (بِأَغْشَاشِ)[465] الجِبَالِ الرَّوَاسِيَا
تَـشَـتَّـتَ أَفْـرَاخُ الـطُّـيُـورِ بِـمَـخْـلَـبٍ ... وَلَـكِـنَّـهُ سَـيْـفٌ تَـرَاهُ يَـمَـانِـيَـا
أَيَـا ابْـنَ مَـكَـيْـلِـدٍ إِنْ نَـصَـبْـتُـمْ حَـبَـائِـلاً ... فَـهَـا أَنْـتُـمْ فِـيـهَـا خُـيُـولاً وَرَامِـيَـا
* تَـوَدُّونَ عَـنْ قَـهْـرٍ عَـلَـى يَـدِ عَـامِـلٍ ... تَـوَلَّـى عَـلَـيْـكُـمْ مَـا تَـرَوْهُ أَمَـانِـيَـا
وَعِـنْـدَ قِـيَـامِ الصَّـاعِ يَـظْـهَـرُ مَـا بِـكُـمْ ... هُـيَـامـاً (وَ)[466] حُـزْنـاً أَوْ تَـأَسُّـفـاً وَاهِـيَـا
أَطَـعْـتُـمْ وَلَـكِـنْ بِـالسُّـيُـوفِ لَـدَى الـوَغَـى ... فَـيَـا لَـيْـتَـكُـمْ لَـبَّـيْـتُـمْ مَـنْ كَـانَ دَاعِـيَـا
وَلِـلْـحَـقِّ فِـي إِظْـهَـارِهِ كُـلُّ صَـوْلَـةٍ ... وَ (بِـأَصْـلِـكُـمْ)[467] رِيـحٌ تَـبَـدَّتْ شَـمَـالِـيَـا
فَـدُومُـوا عَـلَـى هَـذَا بِـسَـمْـعٍ وَطَـاعَـةٍ ... وَإِلاَّ فَـسَـيْـفُ الـلَّـهِ لاَزَالَ هَـادِيَـا

---

(459) في البستان الجامع: ورقة 129 أ: معان.
(460) في البستان الجامع: ورقة 129 أ: القرطوس.
(461) د، ك: بفواضل، والتصحيح من ز، ح، البستان الجامع: ورقة 129 أ.
(462) هذه القصيدة توجد أيضا في البستان الجامع: ورقة 129 أ.
(463) في الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية. مخ. خ. ح. ر. 512، ج 2: 294: للزحف، وكذلك في البستان الجامع: ورقة 128 أ.
(464) في الدرر الجوهرية، ج 2: 294: أصبح.
(465) د، ح، ك: بأعشاش، والتصحيح من ز، الدرر الجوهرية، ج 2: 294.
(466) د، ح، ك: أو، والتصحيح من ز، الدرر الجوهرية ج 2: 294، البستان الجامع: ورقة 128 ب.
(467) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: باطلكم، وكذلك في البستان الجامع ورقة 128 ب.
(*) * 147 ب.

وَهَـذَا أَمِـيرُ المُؤْمِـنِينَ فَـمَـنْ طَـغَـى ... فَـسَـطْـوَتُـهُ قَـهْـراً تَـرُدُّ الـطُّـوَاغِـيَـا
(أَسَيِّدَنَا)[468] المَنْصُورَ (جِئْتَ)[469] فَيَافِيا ... (يُقَاصِرُ)[470] عَنْهَا مَنْ تَعَاظَمَ وَالِيَا
(نَصَبْتَ)[471] سِهَاماً قَدْ أَصَابَتْ عِنَايَةً ... فَنَصَبْتَ بِهَا طَيْراً غُرَاباً وَبَازِيَا
وَأَصْبَحْتَ فِي فَتْحِ (تَبَدَّى)[472] بِعِزِّكُمْ ... فَـيَـا حَـبَّـذَا فَـتْـحٌ تَـبَـدَّى عَـمَّـانِـيَـا
فَـيَـا رَبُّ أَيِّـدْهُ وَأَيِّـدْ جُـيُـوشَـهُ ... وَعَـسْـكَـرَهُ نَـصْـراً عَـزِيـزاً جَـمَـالِـيَـا
بِـجَـاهِ رَسُـولِ الـلَّـهِ نُـخْـبَـةِ هَـاشِـمٍ ... عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ تَتْرَا (دُعَائِيَا)[473]
وَآلِـهِ والأَصْـحَـابِ مَـا قَـالَ قَـائِـلٌ ... أَبَى النَّصْرُ إِلاَّ أَنْ يَـرُدَّ الأَعَـادِيَـا[474]

وفي خلل ذلك أُخْبِرَ بأن بقرب بلاد بني مكيلد مهراسا عظيما من مهاريس الحرب ملقى في البرية، ولم يدر حقيقة أمره لمن هو ممّن تقدم من ملوك المغرب، ولا سبب بقائه بتلك الفيافي، فأمر -أيده الله- بحمله والإتيان به إلى المحلة، فأتى به على إبل عدة واستعظم القوم ضخامته، ثم أضافه لما لديه من أمثاله ورجع به لمكناسة الزيتون [475].

وهذا ما كان من خبر غزوة بني مَكِيْلْدْ بفتح الميم وكسر الكاف المعقودة بعدها ياء ساكنة وفتح اللام وسكون الدال المهملة.

[خيانة آيت شخمان وتأديبهم]

وفيها [476] وقعت خيانة آيت شخمان البربر وغدروا من أتاهم من أمر السلطان، وذلك أنه لما فرغ من أمر بني مكَيلد، بعث ابن عمه المولى سرور في نحو المائتين من الخيل بقصد استيفاء الواجب عليهم من الزكاة والعشور، فأظهروا الطاعة والانقياد، وعزموا على أداء الواجب عليهم، ولما رآهم مهويشهم[477] وهو أحد أفراد فرقة مسماة عندهم بهذا الإسم، يعظمونها وينقادون لأمرها، مالوا إلى الطاعة [جعل][478] يوسوسهم ويغريهم على الغدر والفتك بمن عندهم من الخيل وقائدها، فمالوا إلى *قوله وقبيح فعله، وفرقوا الخيل على الحلل والبيوت بقصد الضيافة في الظاهر كما هي العادة، وسارعوا إلى إكرامهم والترحيب بهم، ثم إنهم اجتمعوا واتفق رأيهم على أن كل حلة تقتل النازلين بها ساعة كذا، فكان من ذلك ما أملوه، وقتلوا من استوفى أجله، وفرّ البعض، وقتل المولى سرور كبير الجيش كذلك غدراً وحمل للمحلة والأمر لله.

(468) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: أيا مولانا. وكذلك في البستان الجامع ورقة 128 ب .
(469) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: جبت. وكذلك في البستان الجامع ورقة 128 ب .
(470) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: تقاصر. وكذلك في البستان الجامع ورقة 128 ب .
(471) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: رميت. وكذلك في البستان الجامع ورقة 128 ب .
(472) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: تباهي. وكذلك في البستان الجامع ورقة 128 ب .
(473) في الدرر الجوهرية، ج 2: 295: داعيا.
(474) هذه القصيدة توجد في الدرر الجوهرية، ج2: 294 - 295 ، والبستان الجامع ورقة 128 أ - 128 ب.
(475) لعل إلى هنا ينتهي كلام الناظم (الغالي بن المكي بن سليمان).
(476) أي في غزوة بني مكيلد التي كانت سنة 1305 هـ/ 1888 كما سبق.
(477) من بقايا أسرة آل مهاوش الدرقاوية.
(478) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك
(*) * 148 أ .

وبعده فروا (لقنن)[479] الجبال وافترقوا في الآجام والأوعار، فأمر المولى الحسن -أيده الله- بتوجيه شرذمة من العسكر لقتالهم وأخذهم، فلم يجدوا بأرضهم أنيسا ولا مالا، فخرّبوا الديار والأبنية والأماكن والحصون، فصارت أرضهم خالية من حينها، وبحث في المظاهرين لهم على ذلك من لفوفهم، فلم يتحقق شيء إلا أن المغرى لهم هم قبيلة آيت داود وعيسى مع (مهويشهم)[480] المذكور، فأباح السلطان مالهم، فكان ما وقع بهم من نهب الأموال والإضرار.

وأنشأت في ذكلك -أيضا- الأدباء ما لا يحصى ، ومن جملة ما قيل في ذلك قصيدة (للناظم) [481] أمنه الله [وهي] [482]: [الطويل]

فَمَا حِيلَةُ المُخْتَالِ وَاللَّهُ نَاصِرُ ... وَمَا صَوْلَةُ الفُرْسَانِ وَاللَّهُ قَاهِرُ
وَهَلْ نَافِعٌ مَهْمَا غَدَرْتُمْ، فِرَارُكُمْ ... لِوَعْرٍ، وَسَيْفُ اللَّهِ (لِلْغَدْرِ) [483] بَاتِرُ
لَقَدْ غَرَّكُمْ مَا تَسْمَعُونَ غِوَايَةً ... وَلَكِنَّهُ قَوْلٌ أَتَى بِهِ سَاحِرُ
فَكَانَ عَلَيْكُمْ بِالوَبَالِ مَآلُهُ ... وَعُقْبَى الأُمُورِ مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ
فَهَا مَالُكُمْ عِنْدَ الجُيُوشِ سَعَايَةً ... وَفُرْسَانُكُمْ مَوْتَى دَعَتْهَا المَقَابِرُ
وَأَوْلادُكُمْ سَبْيٌ وَدَارُكُمْ قَفْرَةٌ ... وَأَشْيَاخُكُمْ إِمَّا أَسِيفٌ أَوْ (عَاذِرُ) [484]
أَيَفْعَلُ هَذَا فِي البَرِيَّةِ عَاقِلٌ ... لَقَدْ عَمِيَتْ أَبْصَارُكُمْ وَالبَصَائِرُ
وَنِلْتُمْ بِهِ سَخْطاً وَمُقْتاً وَذِلَّةً ... فَمَا مِنْكُمْ إِلاَّ بَغِيضٌ أَوْ فَاجِرُ
وَحَتَّى الَّذِي يَأْوِي إِلَيْكُمْ يَنَالُهُ ... مِنَ اللَّهِ سَخْطٌ فَهُوَ مِثْلُكُمْ غَادِرُ
كَآيَةِ (يَعْقُوبَ) [485] وَعِيسَى وَلَفِّهِمْ ... فَكَانَ عَلَيْهِمْ مَا طَوَتْهُ السَّرَائِرُ
مَهْيُوشُكُمْ قَدْ غَرَّ أَغْيَانَكُمْ فَمَا ... عَلَيْكُمْ إِذِ الأَخْبَارُ فِيكُمْ نَوَادِرُ
وَعُذْرُكُمْ إِنْ كَانَ حَقِيقَةً ... وَلاَ عُذْرَ فِي عَقْدٍ عَلَيْهِ الأَكَابِرُ
* نَقَضْتُمْ عُهُوداً فِي عُقُودٍ بِغَدْرِكُمْ ... فَصَفْقَتُكُمْ فِيهَا عَدِيمٌ وَخَاسِرُ
(لَئِنْ) [486] كَانَ حُمْقُ فَاحِشٍ بِقَبِيلَةٍ ... فَفِي آيَةِ الشُّخْمَانِ هَا هُوَ ظَاهِرُ
دَرَيْتُمْ وَلَكِنْ مَا دَرَيْتُمْ عَسَاكِراً ... تُشَتِّتُكُمْ مَهْمَا دَعَتْهَا الأَوَامِرُ
إِذَا عَمَّرُوا لِلضَّرْبِ فَالنَّفْضُ فَاتِكٌ ... وَإِنْ شَمَّرُوا لِلزَّحْفِ فَالغُنْمُ حَاضِرُ
وَعِنْدَ فَتِيلِ البُوزَيَانِ بِمِخْلَبٍ ... يُشَتِّتُ أَفْرَاخاً عَلَيْهَا ظَفَائِرُ
وَيُهَدِّمُ دَاراً أَوْ (قُصُوراً) [487] وَإِنَّهُ ... لَيَسْعَى كَمَا تَسْعَى الطُّيُورُ الطَّوَائِرُ
وَذُو حَافِرٍ لَوْ طَارَ طَارَ كَمِثْلِهِ ... وَلَكِنَّهُ رَامَ حَمْتَهُ المَقَادِرُ

(479) د، ف: لقتق. والتصحيح من ز، ح.
(480) ف: مهوشهم.
(481) ز، ح: الناظم.
(482) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(483) ك: في الغدر.
(484) ز، ح: غادر.
(485) صححت في طرة د ب: داود
(486) د، ح، ك: لأن. والتصحيح من ز.
(487) د: قصور. والتصحيح من ز، ح، ك.
(*) * 148 ب.

وَفِي هِمَّةِ السُّلْطَانِ كُلُّ عِنَايَةٍ ... وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى حَوَتْهَا الْبَشَائِرُ
هُوَ الْفَخْرُ لاَ مَا قَدْ سَمِعْتَ مِنَ الْوَرَى ... لَقَدْ صَغُرَتْ يَوْمَ الْفَخَارِ الْمَفَاخِرُ
أَمَوْلاَيَ إِنْ كَانَتْ مَعَارِكُ قَيْصَرٍ ... وَكِسْرَى أَنُوشَرْوَانَ فِيهَا مَآثِرُ
فَعِنْدَكَ مَا يَزْهُو بِهِ النَّصْلُ فِي الْوَغَى ... وَعِنْدَكَ مَا تَرْوِيهِ عِنْدَكَ الْمَحَابِرُ
وَفِي رَاحَتَيْكَ الْجُودُ وَالْفَضْلُ وَالنَّدَى ... وَإِنَّكَ بَحْرٌ فِي الْعَطِيَّةِ زَاخِرُ
فَلَوْ صَرَخَتْ بِالشَّرْقِ رَبَّةُ فَاقَةٍ ... لَلَبَّيْتَهَا بِالْغَرْبِ وَالْكَفُّ عَامِرُ
وَلَوْ ضَاقَتِ الأَقْوَامُ وَانْقَطَعَ الرَّجَا ... لَدَارَتْ عَلَى الْفِعَالِ مِنْكَ الدَّوَائِرُ
وَإِنْ سَكَنَتْ وَغْراً تَحِقُّ بِسَطْوَةٍ ... عَلَيْهِمْ جُيُوشُ اللَّهِ وَهِيَ تَبَادَرُ
فَمَا مَلِكٌ إِلاَّ وَأَنْتَ مَلِيكُهُ ... لِذَاكَ طَاعَتْ (عِرْبَانُنَا)[488] وَالْبَرَابِرُ
فَلَوْ دَبَّرُوا يَوْمَ الْحُرُوبِ سَرِيَّةً ... لَكُنْتَ سَدِيدَ الرَّأْيِ مِنْكَ الْمَظَاهِرُ
وَلَوْ حَكَمُوا بِالْمُقْتَضَى كُنْتَ فِيهِمْ ... بَلِيغاً بَرِيعاً تَصْطَفِيكَ الدَّفَاتِرُ
وَلَوْ نَظَمُوا فِي عِقْدِ عِزَّةِ جَاهِهِمْ ... لَكُنْتَ بِهِ الْوُسْطَى وَهِيَ الْجَوَاهِرُ
لَقَدْ طَالَمَا رُمْتُ الْمَدِيحَ تَفَنُّناً ... فَيَمْنَعُنِي فِي الْوَصْفِ مِفْصَلٌ قَاصِرُ
وَلَكِنْ لِي مِنْكُمْ عِنَايَةُ نَظْرَةٍ ... لِأَجْلِهِ قَالَ النَّاسُ إِنِّي شَاعِرُ
فَيَا رَبُّ أَبِّدْ مُلْكَهُ وَانْصُرْ جَيْشَهُ ... وَكُنْ لَهُ عَوْناً إِذْ تَصُولُ الْعَسَاكِرُ
وَأَيِّدْهُ تَأْيِيداً بِفَتْحٍ مُبَارَكٍ ... وَعَزِّزْهُ تَعْزِيزاً فَإِنَّهُ شَاكِرُ
* بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ وَالآلِ جُمْلَةً ... وَأَصْحَابِهِ أَنْصَارِهِ وَالْمُهَاجِرُ
عَلَيْهِمْ صَلاَةُ اللَّهِ مَا غَنَّ طَائِرٌ ... عَلَى قُضُبِ الأَغْصَانِ وَالزَّهْرُ زَاهِرُ

وبأرض أدخسان من قبيلة ظيان أقام سنة العيد من هذه الغزوة عيد الأضحى، وبها جاءه ظيان براية قالوا أنها من بقية رايات المولى سليمان، فأضافها لراياته.

[رجوع المولى الحسن إلى مكناسة ثم فاس]

ومنها[489]، رجع لمحروسة مكناسة الزيتون وذلك في أواخر ذي الحجة الحرام من عام خمسة وثلاثمائة وألف[490]، فقابلته الوفود بالترحيب والتهليل، وبقي بها إلى فاتح صفر الخير الموالي للتاريخ المذكور[491] قصد زيارة الولي الأشهر مولانا إدريس الأكبر.

ثم بعده لفاس المحروسة، فقصده ووفد عليه بالتهنئة والهدايا الأعيان، وأما الشعراء فتهانيهم بالقصائد والأمداح (مما)[492] لا يحصى كثرة، وكل رجع بما يستحقه على قدر أدبه، ومن ذلك قول الناظم -أيضا- وهو: [الكامل]

---

(488) ر: عربابنا. ز: عربنا. ح: عربا. والتصحيح من ك.
(489) أي من أدخسان بقبيلة ظيان.
(490) أواخر ذي الحجة 1305 هـ / أوائل شتنبر 1888 م.
(491) أي فاتح صفر من سنة 1305 هـ / الأربعاء 19 أكتوبر 1888 م.
(492) د. ك: فمما. والتصحيح من ز. ح.
(*) • 149 أ.

دُمْ فِي السُّرُورِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا ... وَتَمَتَّعَنْ فَالمُلْكُ قَدْ وَاتَاكَا
وَانْهَضْ بِجَيْشِكَ نَحْوَ فَاسٍ تَجِدْ بِهَا ... (عِزّاً)[493] وَنَصْراً دَائِماً يَرْعَاكَا
فَرِيَاضُهَا وَقُصُورُهَا وَنَعِيمُهَا ... تَهْوَاكَ حَيْثُ بِهَا مَأْوَاكَا
لاَ سِيَمَا وَإِذَا حَلَلْتَ بِرَاحَةٍ ... دَارَ الهَنَا فِيهَا المُنَى يَلْقَاكَا
فَالفَضْلُ فَضْلٌ والمَكَارِمُ (حُجَّةٌ)[494] ... والمُلْكُ (مُلْكٌ)[495] لاَ مَلِيكَ سِوَاكَا
فَمَتَى ظَهَرْتَ فَلِلْمَفَاخِرِ ظَاهِرٌ ... وَمَتَى حَجَبْتَ فَإِنَّهُ مَغْنَاكَا
إِنَّ الإِمَارَةَ قَدْ تَسَرْبَلَتْ (حُلَّةً)[496] ... لَمَّا تَحَلَّتْ زِينَةً بِحُلاَكَا
إِذْ قَلَّدَتْ فِي جِيدِهَا سِلْكَ عِقْدِهَا ... بِفَرِيدَةٍ وَيَتِيمَةٍ لِعُلاَكَا
إِنَّ السِّيَاسَةَ فِي الرَّعِيَّةِ مَقْصَدٌ ... لَكِنَّهَا لِوَسِيلَةٍ تَرْضَاكَا
وَلِذَا تَوَافَقَتِ البَرِيَّةُ كُلُّهَا ... إِنَّ الهُدَى والهُدَى تَحْتَ لِوَاكَا
فَمَشَارِقُ الأَقْطَارِ تُعْلِنُ بِالثَّنَا ... حَتَّى تَمَنَّتْ أَنْ تَرَى بِحِمَاكَا
وَلِمَغْرِبٍ حَمْدٌ وَشُكْرٌ وَاجِبٌ ... إِذْ كُنْتَ فِيهِ مُؤَيَّداً بِهُدَاكَا
أَوَ مَا تَرَى فَاساً بِفَرْحَةِ أَهْلِهَا ... طَرِبَتْ فَكَانَتْ فِي سُرُورٍ بَهَاكَا
* وَرَوَتْ أَحَادِيثَ التَّفَاضُلِ فِي الوَرَى ... عَنْكُمْ فَكَانَتْ فِي كَرِيمِ نَدَاكَ
بِاللَّهِ يَا فَاسُ فَدُونَكِ والثَّرَى ... قَبِّلْ وَبَايِعْ هَا المَلِيكُ أَتَاكَا
يَا مَالِكاً وَالبَحْثُ فِي أَعْطَافِهِ ... فَاهْنَأْ فَإِنَّ (المُلْكَ)[497] قَدْ هَنَّاكَا
لاَ زِلْتَ فِي عِقْدِ المُلُوكِ فَرِيدَةً ... مَنْظُومَةً فِي سِلْكِ نُورِ سَنَاكَا
مَا غَرَّدَ القُمْرِيُّ بِرَوْضِكَ قَائِلاً ... دُمْ فِي السُّرُورِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا

وأقام بها إلى أن نهض في ذي القعدة من سنة ست وثلاثمائة[498]. للوقوف على الثغور وتفقد أحوالها كما يأتي عقبه.

[التعريف بالسياسة]

ثم قال الناظم- رحمه الله- متمما وقعة بني مكيلد ومن والاهم:

فَلاَ زَالَ فِي سِيَاسَةٍ وَسَعَادَةٍ ... إِلَى أَنْ رَضُوا قَهْراً بِأَمْرِ المَكَاتِبِ
فَعَيَّنَ (عُمَّالاً)[499] عَلَيْهِمْ وَقَدْ جَرَوْا ... عَلَى سُنَنِ الإِعْطَاءِ حُكْماً (لِغَالِبِ)[500]

(493) د: غز. والتصحيح من ز، ح، ك.
(494) ز: حمة.
(495) ك: ملكك.
(496) د، ك: حلية. والتصحيح من ز، ح .
(497) ك: الكون.
(498) ذي القعدة 1306 هـ / يوليوز 1889 م.
(499) د، ح ، ك : عملا. والتصحيح من ز.
(500) ز، ح: لغائب.
(*) * 149 ب.

والمراد بلا زال: ملازمة الشيء والحال الدائمة مثل ما برح وزنا ومعنى، ولا يتكلم به إلا بحرف النفي، فهو ملازم للسياسة في جميع أحواله.

والسياسة: التدبير والقيام بالأمر، تقول ساس زيد الأمر يسوسه دبره وأقام بأمره، وأصلها العمل بطاعة الله بأبين للرعية أحدهما رأفة ورحمة وبذل وتحنن والآخر غلظة ومباعدة وإمساك ومنع وإزعاج بالقهر، والعدل أساسها.

ومما يُحكى في هذا المعنى مما يشتمل على أنواعها ويعتمد ما قيل: أن أنوشروان جعل يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم، فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم من مجلسه: دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي، فتكلم كل واحد منهم بما حضره من الرأي وأنوشروان مطرف مفكر في أقاويلهم، وانتهى القول إلى بزر جمهر فقال: أيها الملك إني جامع لك في إثنتي عشرة كلمة، قال له: هات، ما هن؟ فقال:

أولاهن: تقوى الله في الشهوة والرغبة والغضب والهوى، فاجعل ما عوض ذلك كله لله لا للناس.

والثانية: الصدق في القول والوفاء (بالعدة)[501] والشروط والعهود والمواثق.

والثالثة: مشورة العلماء فيما يحدث من الأمور.

والرابعة: إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول.

والخامسة: التعهد للقضاة، والفحص عن العمال محاسبة عادلة، ومجازات المحسن منهم بإحسانه* والمسيء على إساءته.

والسادسة: تعاهد أهل السجون بالعرض لهم فيستوثق من المسيء ويطلق البريء.

والسابعة: تعاهد سبل الناس وأسواقهم وتجاراتهم.

والثامنة: حسن تأديب الرعية على الجرائم وإقامة الحدود.

والتاسعة: إعداد السلاح وجمع آلات الحرب.

والعاشرة: إكرام الولد والأهل والأقارب، وتفقد ما يصلحهم.

والحادية (عشرة)[502]: تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذوي الغش منهم.

والثانية عشرة: (إذكاءُ)[503] العيون في الثغور لعلم ما يتخوف فتؤخذ أهبته قبل هجومه.

فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب، وقال: هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة. انتهى.

---

(501) د، ح، ك: بالعداة، والتصحيح من ز.
(502) د، ك: عشر، والتصحيح من ز، ح.
(503) د،ح،ك: إذا كان، والتصحيح من ز.
(*) • 150 أ.

ورُوي عن الفضل بن سهل[504] قال : كانت رسل (الملوك)[505] إذا جاءت بالهدايا تجعل اختلافها إلي فكنت اسأل الرجل منهم عن سيرة ملوكهم وأخبار عظمائهم، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم، فقال: ملك بذل ماله وجرد سيفه، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة، لا يبطن جنده ولا (يخرج)[506] رعيته، سهل النوال جريء النكال، الرجاء والخوف معقودان في يديه، فقلت: فكيف حكمه؟ قال: الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه، فالرعية إثنان: راض ومغتبط، قلت: فكيف هيبتهم له؟ قال: يتصدر في القلوب فتغضى له العيون، قال: فنظر إلى رسول الحبشة وأنا أصغي إليه، وأقبل عليه فسأل ترجمانه: ما الذي يقول الرومي ؟ فقال: يذكر ملكهم ويصف سيرته، فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان: إنه يقول أن ملكهم ذون أناءة عند القدرة، وذو حلم عند الغضب، وذو سطوة عند المغالبة، وذو عقوبة [عند][507] الاجترام قد كسى رعيته جميل نعمته وخوَّفهم خسف عقوبته، فهم يتراءونه ترائي الهلال خيالا، ويخافونه مخافة الموت نكالا، وسعهم عدله وردعهم سطوته، إذا أعطى أوسع، وإذا عاقب أوجع، فالناس إثنان: راج وخائف، فلا الراجي خائب الأمل، ولا الخائف بعيد الأجل. قلتُ: فكيف هيبتهم له؟ قال : لا ترفع العيون إليه أجفانها، ولا تتبعه الأبصار إنسانها (كأن)[508] رعيته قطار فرفت عليها صقور صوائد، فحدث المأمون بهذين الحديثين، فقال: كم قيمتهما عندك؟ قلت ألفا درهم، قال : *يا فضل إن قيمتهما عندي أكثر من الخلافة، أما عرفت قول علي بن أبي طالب: قيمة كل امرئ ما يحسن. أتعرف أحدا من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين بمثل هذه الصفة؟ قلت: لا، قال: فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار، وأجعل العذر بيني وبينهما في الجائزة على العود، فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما ما في الخاصة والعامة دون ما يستحقانه.

[اتصاف المولى الحسن بالتقوى]

ومن (تتبع)[509] سيرة المولى الحسن وجدها حاوية لأنواع محامد السير كلها، متصفا بما هو أزيد من ذلك من مسارعته لإقامته منار العدل وأدرار الفضل، وتشييد المآثر، وعمارة البلاد، والرأفة بالعباد، وزم أقطارالمملكة، ورد ما تخرم في سائر الأيام منها.

---

(504) هو: الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس (154 - 202 هـ / 771 - 818 م): وزير المأمون العباسي، أسلم على يده. كان يلقب بذي الرياستين (أي الحرب والسياسة). ولد وتوفي في سرخس بخراسان.
أنظر: معجم الشعراء للمرزباني: 183، تاريخ بغداد، ج 12: 339 - 343 ، مرآة الجنان، ج 2: 5 - 7، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2: 253 ، الاعلام للزركلي، ج 5: 149 .

(505) ز ح: الملك.

(506) ز: يحرج .

(507) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك، والتكملة من ز، ح

(508) د، ك: كأنه، والتصحيح من ز،ح.

(509) د، ز، ح: يتبع، والأصح ما أثبتناه من ك.

(*) • 150 ب.

أما تقوى الله تعالى واتباع الأوامر واجتناب النواهي، فلا يساويه في ذلك بشر من أهل زمانه، إلا ما قل من الخواص، مع القوة الباهرة على التجلد للعبادات، والتعرض في الأوقات، التي هي مظنة الاستجابة للنفحات، فهو على ما ينبغي من الكمالات.

[الاتصاف بالصدق والوفاء بالعهد]

وأما الصدق والوفاء بالعهد، فهو الشائع المستفيض عنه، حتى أن الثوار والبغاة لم ينتقم منهم ولا سفك دم أحد منهم، وفاءً بما وعدهم به، حيث أذعنوا، ولم تقم لهم قائمة.

[إكرام العلماء والأشراف]

وأما إكرام العلماء والأشراف، فوصف قام به ولا ينكره أحد حتى أمال قلوب النافرين منهم، كمعاهدته للقضاة والفحص عن أحوالهم والإحسان إليهم، وكذا رد الأمر إلى العلماء فيما يحدث، ومشاورتهم فيما يهتم به من أمر الدين والدنيا، مقتفيا في ذلك آثار آبائه الكرام، فقد كان دأبهم وسيرتهم الوقوف عند حدود الشريعة، والاقتصار عليها، ورد الأمر كله إليها.

[تعاهد الأسواق والأسعار]

[و][510] من تعاهده - أيده الله- الأسواق والأسعار أنه أمر ببيع الزرع هذه السنة وهي سنة عشر وثلاثمائة وألف[511] المدخر عنده، وكان قد قل بيعه بالأسواق، فأمر بفتح المخازن وبيعه بالسعر الواقع وقتئذ ، فوسع على الرعية، وأفاض الرخاء بذلك، ورجع سعر الحب وتقهقر بعد أن كان في الزيادة والارتفاع.

[حسن تأديب الرعية]

ومن حسن تأديبه للرعية ما هو معاين في مكاتبه الشريفة لأعيانهم من التحفظ على الضعيف، واحترام العالم والشيخ الكبير والشريف، واجتناب الكبائر، وقبض الذعائر من الجاني وتخليته والظالم يضيق عليه ويجلب للسجون مع الجاني والهاجم لتحصل الرهبة كما تحققت منه* الرغبة بالإحسان والكرم، إذ هما أصلان لكل تدبير [و][512] عليهما مدار

(510) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز، ح، ك.
(511) سنة 1310 هـ / 1892 م.
(512) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(*) • 151 ب.

كل سياسة عظمت أو صغرت، وبذلك بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الوعد مع الوعيد والثواب مع العقاب، والرجاء مع المخافة، والعفو مع السطوة، قال الله عز وجل: " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" [513]. وكان أنو شروان فيما يُحكى عنه أنه إذا ولى رجلا أمر الكاتب أن يضع في كتاب العهد موضع ثلاثة أسطر، فيوقع فيها بخطه: سُسْ خيار الناس بالمحبة، وأمزج للعامة الرغبة بالرهبة، وسُسْ سفلة الناس بالمخافة، قال الشاعر: [الطويل]

إذَا كُـنْـتُـمْ لِـلـنَّـاسِ أَهْـلَ سِـيَـاسَـةٍ   فَسُوسُوا كِرَامَ النَّـاسِ بِـاللِّينِ والبَذْلِ
وَسُوسُو لِئَامَ النَّـاسِ بِـالذُّلِّ يَصْلُحُوا   عَـلَـى الـذُّلِّ إنَّ الـذُّلَّ يَـصْـلُـحُ لِلـنَّـذْلِ

كما حُكي عن عمرو بن العاص أنه لما أراد المسير إلى مصر قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أوصيك، قال: أجل فأوصني، قال: أنظر فاقة الأحرار، فاعمل في سدها وطغيان السفلة فانظر في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.

[الاهتمام بجمع المعدات الحربية]

وأما إعداد السلاح وجمع آلات الحرب، فلم يبلغه في ذلك من تقدمه من ملوك المغرب، ولم يقنعه ما جمعه من أرض الروم من العدة المخترعة ، مع ما وجده بخزائن آبائه الكرام من الأسلحة والمدافع، حتى زاد إنشاء دار الآلات الحربية المخترعة بحسن فطنته بدار السلاح المشيد لها بحزمه، الفائقة عن سائر (المآثر) [514]، وسيأتي ذكرها قريبا.

[إكرام الأهل والأقارب والأباعد]

[و][515] أما إكرام الأهل والأقارب، بل والأباعد، فأمره معلوم، وصلته لهم مشهورة، ومونتهم اليومية بكل ما يحتاجون إليه مما يكفيهم لا تخفى على أحد، وكل من انتمى لجانب نسبه يجعل له مرتبا، ولا سيما الضعفاء والمساكين منهم، لكل منهم دارا للسكنى يجتمعن النساء الشريفات المنقطعات بها، وينفق عليهن.

---

(513) سورة الزلزلة، الآية: 7-8.
(514) ك: المراتب.
(515) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

[من خصوصيات الأسرة العلوية
التواضع والخضوع للأحكام العامة]

ومن الفوائد المختصة بهذه الدولة العلية العلوية، أن أقاربهم كغيرهم من الناس، لم يصدر منهم علو في الأرض ولا فساد، وأن الأحكام تنال قويهم وضعيفهم، ولا يتجاسر أحد منهم على اختراع فعل يختص به (عن)[516] * سائر الناس، وربما شدد الحكم عليهم نقباؤهم طرداً لدفع ما يتوهم من الظلم والميل لهم، حيث هم من جنس ملوك الأرض -أبقى الله ملكهم- وما منهم إلا ولا تمل حديثه وحسن معاشرته.

[تفقد المولى الحسن للوزراء وتعاهد السجون]

وأما تفقد الوزراء والخول، فلا يحتاج فيه إلى دليل: فهو كالشمس للعيان، ويسره وسعهم و (رفاهيتهم)[517] ونصيحتهم للعامة والخاصة، في قضاء حوائجهم أيده الله.

وأما تعاهد السجون وتسريح البريء منهم، فذلك على مدة الأيام والاستمرار، مهما تحقق عنده براءة أحد أمر بتسريحه وقبل توبة التائب منهم.

[إقامة الحدود والحرص على الحلم بالرعية]

ولم يبق مما ذكروه في أنواع السياسة إلا إقامة الحدود، فإنه منذ وُلِّيَ -أيده الله- لم يسفك دم أحد ولا قطع يدا ولا رجلا، أما من أهل الجنايات والسرقة فلأنه لم يثبت عنده ذلك ثبوتا شرعيا، وأما المحاربون الساعون في الأرض الفساد، فعقابه لهم إنما كان بالمرتبة الرابعة، وهي النفي مع السجن خوف الإعادة لا غير.

وهذا من حلمه الذي لا يدانيه فيه أحد، إلا ما يُحكى عن معاوية -رضي الله عنه- فيه، وهو من أقوى أنواع السياسة لتأليف القلوب النافرة، فالعفو والحلم من شيمه الكريمه أيده الله، فاق فيهما الآباء والأجداد.

والحلم يمنع من العجلة، ومن لم يعجل قل (خطؤه)[518]، حكي أن جده المولى عبد الرحمان أقام الحد على رجل ثبت لديه بالشريعة أنه قتل نفسا، فأمر بقتله وحز رأسه، فلما حز رأسه جعل يستر عورته [بيده] [519] ويجذب ثوبه لسترها، فلما أُخبر -رحمه الله- بذلك أسف على قتله وندم عليه، وتمنى أن لو أبقاه وأرضى أولياء الدم في دية صاحبهم بما أمكنه.

---

(516) كُرِّرت في د.
(517) د، ك: رفهيتهم، والتصحيح من ز، ح.
(518) د، ح، ك: خطأه، والتصحيح من ز.
(519) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ح، والتكملة من ك.
(*) • 151 ب.

والغالب على هؤلاء الملوك الحلم، ولا سيما المولى الحسن. ومما يعد من شرف الحلم وفضيلته ما كتب به بعض الصالحين لبعض الأمراء [ونصه][520]: مثلك أعزك الله من تواضع لعظمة الله وتقرّب بها إلى ما يرضاه، وقدم العدل في عباد الله، فأغاث المستغيث، و(أجار)[521] المستجير، وأمنّ الخائف، وعاد على الراجي وآثر الحلم، فاغتفر ذنوب الجاني طائعا لله، مقتديا برسول الله، مستشعراً حسن التوبة من الله.

فالحلم أجل عزائم الصبر وأوضح معالم البر [وأعظم][522] صنائع الخير[523]، وهو إسم من أسماء الله تعالى، وصفة من صفاته، لأنه جل ذكره يرى عصيان العاصين، ويطلع على جناية الجانين، ويشاهد جور الظالمين، ويحصي ذنوب الخاطئين، فلا * يحتجب عنه عمل، ولا يغيب عن علمه شيء في عاجل ولا آجل، وهو لا يعجل بالانتقام مع القدرة، ولا يستفزّه الغضب مع إمكان القوة، ولا تبعثه العجلة على إنفاذ حكمه، مع وضوح الحجة بل يؤثر الإناءة والإمهال، ليكون له الفضل والنعمة، وحسبنا قوله تعالى: وربك الغفور ذو الرحمة:[524] [الآية][525] وقوله سبحانه: "ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم"[526] الآية الأخرى. وقال الشاعر: [البسيط]

لَنْ يُدْرِكَ المَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامِ
وَيَصْفَحُوا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ إِسَاءَتِهِمْ ... لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامِ

انتهى

وقال الطرطوشي: بالحلم يدرك السلطان كمال العز وإسداء المنة، لا كما يتوهم أنه من عجز (القوة) [527]، وإضعاف المنة كما قيل لا يدرك المجد إلخ. البيتين انتهى.

وهو في غاية الحسن وأحق الناس بفضيلة الحلم وأحوجهم إلى الاتصاف به السلطان.

وخطب سعيد بن شريك بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الإسلام حائط منيع وبابه وثيق، فحائط الإسلام الحق وبابه العدل، ولايزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل، انتهى المراد.

---

(520) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(521) ك: أمّن .
(522) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(523) زاد في ك : ومواسم
(524) سورة الكهف، الاية: 58 .
(525) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(526) سورة النحل، الآية: 61 .
(527) كتب في متن د: القدرة، وصُححت في الطرة ب: القوة.
(*) 152 * أ .

ومن الكلمات الحكمية في الحلم: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك.

والحلم ترك المكافاة بالشر قولا وفعلا، وقد سبق أن جد مولانا الداخل كان سبب إرسال والده له (بسبب)[528] اتصافه بهذا المعنى، وكيف لا توجد في سائر عقبه والحلم حجاب الآفات، إن حلما واحدا ليرد سبعين آفة، والحلم لا يناسب إلا لمن قدر على السطوة، والملوك تعاقب قدرة وتعفو حلما.

والحكايات عن الحلماء متعددة، وأولاهم به الملوك. ومما يماثل حلم مولانا الحسن فيما تقدم من عفوه عن (الثوار)[529] ما حُكي أن زياداً بعث إلى معاوية رجلا من بني تميم، فلما مثل بين يديه: قال أنت القائم علينا المكثر لعدونا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنما كانت فتنة عم عماها وأظلم دجاها، تراءى فيها الوضيع وخف الحليم والرفيع، فأخذت، وأكلت وشربت، حتى إذا انحسرت ظلماؤها* و(انكشف)[530] غطاؤها، آل الأمر إلى مآله، ارتفع العبوس وتابت النفوس، فتركنا فتنتنا ولزمنا عصمتنا، وعرفنا خليفتنا، ومن يجد متابا لم يرد الله به عقابا، ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما. فعجب معاوية من فصاحته، واستغرب حسن اعتذاره، وعفا عنه وأحسن إليه، وهي نظيرة حكاية الهبري المتقدم[531] مع المولى الحسن غير فقد الفصاحة منها.

وبالجملة، فمقامه -أيده الله- في الحلم لم يشاركه فيه أحد من ملوك سلفه، بل ولا من غيرهم إلا ما يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

[الحرص على معاينة الثغور]

وأما الثغور فلم يكتف بأخبار أحد عنها حتى نهض لمعاينتها، وطاف عليها بنفسه ونظر في [إصلاحها في غزوة جبال غمارة بعد هذه الغزوة. ولا زال -كما قال الناظم- على هذه][532] الأحوال المرضية المحتوية على أنواع السياسة التامة.

---

(528) د، ح،ك: سبب. والتصحيح من ز.

(529) د، ك: الثور، والتصحيح من ز، ح.

(530) د، ح، ك. انكشفت. والتصحيح من ز.

(531) أنظر أحداث ثورته في هذا المقصد الثالث عشر من الجزء الثاني، ص 110 – 112 .

(532) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك

(*) 152 ب.

[رجوع المؤلف لتمهيد المولى الحسن لبني مكّيلد]

والسعادة التي هي ضد الشقاوة والنحس من باب تعب، تقول: سعد يسعد في دين أو دنيا. إلى أن رضوا بنو مكّيلد منهم قهرا عليهم بأمر المكاتب، (أي)[533] بمطالب المكاتب الموجهة لهم وبأداء ما تضمنته تلك المكاتب الشريفة، فحينئذ، عين عمالا عليهم عند انقيادهم وإذعانهم للأوامر المخزنية وظهور طاعتهم، حيث رتب نظام مملكته لسكونه وحركته على ما يتمكن به من صلاح رعيته، فجعل عمالا وأوصاهم بالمحافظة على حق الله، ووزراء و(حضهم)[534] على (أن لا)[535] يخشون [أحدا] [536] إلا الله، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتابا وحسابا يحفظون، ورسلا وجساسا وحفظة وعساسا وقضاة يفصلون، وعدولا يشهدون، وخداما بالحضرة يتصرفون، وعقلاء [وعلماء] [537] ثقاة يشيرون.

ولا يخفى عليه حال أحد من ولاته، بوصيته للمتمكنين من الاطلاع على أحوالهم، بنقل أخبارهم إليه، ومكاتبتهم له بذلك مع العيون، بعد تأكيد الوصية وتجديدها منه، وتعاهدهم بها ونهيهم عما يسمع عليهم من المخالفة للبرور بالرعية، وأخذ غير الممتثل منهم المفرط في الإذاية، وتثقيفه وسجنه، وهو من حسن سيرته أيضا أيده الله. وبذلك كان أهل العدل -أيضا- يتصفون ويتعاهدون أحوال العمال والولاة. كتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يكتب إليه بسيرته، فكتب إليه: إني أيقظتُ رأيي وأنمتُ هواي فأدنيتُ المطاع في قومه، ووليّتُ الحرب الحازم* في أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقمت لكل امرئ من نفسي قسما، فأعطيته حظا من نظري ولطيف عنايتي، وصرفتُ السيف إلى النطق المسيء، والثواب إلى المحسن البرئ ليخاف المريب صولة العقاب ويتمسك المحسن بحظه من الثواب، ويرغب أهل العفاف في أداء الأمانة، و (يتجنب)[538] أهل النطق، والخيانة، وأملت على ذلك من إليه النجاة ومن خليفته المكافاة.

وكان زياد إذا ولى رجلا عملا قال له: خذْ عهدك وسرْ إلى عملك، واعلمْ أنك مصروف رأس سنتك وأنت تصير إلى أربع خلل، فاختر لنفسك، إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك، وإن وجدناك قويا خائنا استهنّا بقوتك وأحسنّا عن خيانتك أدبك، وأوجعنا ظهرك، وثقلنا عزمك، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين، وإن وجدناك قويا أمينا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك وكثرنا مالك و(أوطأنا)[539] عقبك.

---

(533) د: أبي. والتصحيح من ز،ح، ك.
(534) د، ح، ك: حظهم. والتصحيح من ز.
(535) د، ك: ألا. والأصح ما أثبتناه من ز، ح.
(536) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز، ح.
(537) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(538) ز، ح: يتجنبها.
(539) د، ح، ك: أرطانا. والتصحيح من ز.
(*) 153 • أ.

وقال أبو وائل الثقفي: دعاني سليمان بن وهب[540] وقال لي: إني قدمت حسن الظن بك والثقة بأمانتك، ووليتك قلادة في عنقي، فصدق ظني وحقق ثقتي بك، ولا تفارق العدل في المخلوقين ظاهرا، والعدل بينك وبين الخالق باطنا والله المستعان، ثم دفع إلي رقعة فيها توليتي على بعض الأمور. إلى غير ذلك مما قيل في هذا المعنى.

وقد جروا (على)[541] ذلك، على سنن الإعطاء المعهود والمألوف، من الواجب المذكور شرعا عليهم، كغيرهم من أنواع الزكاة والعشور، وبعض المرتب للكلف للمخزنية، حكما صدر من قاهر بسطوته وعدله، فثبت لغالب بأمر الله غير (مغلوب)[542]، وهو المولى الحسن أيده الله بنصره.

[غزو جبال غمارة والطواف على ثغورها]

وبعد هذه الغزوة[543] غزا -أيضا- جبال غمارة، وطاف على الثغور بقصد إصلاحها والنظر فيما تحتاج إليه بنفسه.

وقد أكثر الشعراء في وصف هذه الحركة ومدحها، وكم رحلة جُعلت فيها، وذلك بسبب ما أسدى المولى الحسن -أيده الله- لأهل العلم والأدب المعروف، حتى أن حركاته وسكناته منحصرة لديهم، لا يفوتهم شيء منها، لما ينالونه من الإحسان والعطايا على اشتغالهم واعتنائهم بأمره سفرا وحضرا، ومن ذلك قول بعضهم في رحلته[544] وسببها كثرة مطالب الدول الأجنبية ما صورته: (فبسبب)[545] تراهاتهم الواهية، التي لم تكن متناهية، نوى تجديد الحركة لتكون رعيته على أهبة واستعداد، وليختبر ما عنده في جبال الزبيب وقت الاستمداد، فخرج من فاس، المحروسة من كل باس، ونقل فسطاطه الشريف من ظهر المهراس، إلى قنطرة وادي سبو، فخيم بمحاله السعيدة فيه، فاهتز في الإقليم المغربي كل كيس نبيه، لما جاءه من عنده التنبيه، وكان انتقاله يوم الإثنين سابع عشر شوال الأبرك من عام ستة وثلاثمائة وألف[546]، ورحل من القنطرة يوم الثلاثاء ثامن عشر شوال المذكور، فبات بنهر إيناول[547] وهو أول منزلة لقبائل بني حيان، فواجههم بهذه الحركة زعازع حيان، وأقام فيه لاستراحة

---

(540) هو: سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي: وزير، كاتب، أديب وشاعر، ولد ببغداد، وتوفي بها سنة 272 هـ / 885 م. أنظر : مرآة الجنان، ج 2: 187 - 188 ، النجوم الزاهرة، ج 3: 37 ،40 ، الاعلام للزركلي، ج 3: 137 ، معجم المؤلفين، ج 4: 279 .

(541) ك: عند.

(542) د، ز، ح: مخلوق، والتصحيح من ك.

(543) أي بعد غزوة (تمهيد) بني مكيلد.

(544) يقصد رحلة أبي حامد العربي المشرفي إلى شمال المغرب. والكتاب (الرحلة) مازال مخطوطا، توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية تحت رقم 2420 . يقع في 67 ورقة. وأوراقه غير مرقمة. وردت به معلومات مهمة ومفصلة عن زيارة المولى الحسن لتطوان وطنجة وغيرهما من المدن الشمالية. جاء في آخر الكتاب ما يلي: "وأختم هذه العجالة المسماة بتمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور بإنشادات موشات..."

(545) د، ح، ك: فسبب . والتصحيح من ز، ورحلة العربي المشرفي: 8 .

(546) الإثنين 17 شوال 1306 هـ / 17 يونيو 1889 م.

(547) نهر إيناول: أو إيناون، وهو نهر يقع شمال فاس على بعد 30 كلم يبلغ طوله حوالي 150 كلم. ويبلغ متوسط عرضه 25 مترا، وعمقه في فصل الصيف قد يصل 60 مترا وهو أحد روافد نهر سبو. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1: 360، هامش: 101 .
- De la Martinière, itinéraire de Fès à Oujda, P: 7.

العيان، ثم انتقل في العشرين من شوال إلى أربعاء تيسة[548]، فأهدت له تلك القبائل عتاق الخيل، وأهدى المسكين معهم حبة فيه كبشه وتيسه، ومنها قصد الرباط على صنهاجة، فخيم بسفح الجبل على عين مديونة، فأقام هنالك إقامة طويلة، وأهل هذا الجبل مقلون وليس لهم حرث إلا فيما انخفض أسفل الجبل، فإن كانوا صلحا مع جوارهم بني حيان، يحصدون ما زرعوه ويدرسونه ويتمتعون به وإلا فيذرونه مخاطرة، إلا أن جبلهم ذو مياه غزيرة، ولهم أجنة وغلات يتمعشون ببيع ثمرها، ويكتالون بها قوتهم، وهو أشبه بالحاضرة في النظافة وملاذ الطعام، وفيهم أهل الخير والصلاح وبيوت الرياسة والفلاح.

ثم رحل السلطان من جبل صنهاجة، وانتقل إلى ظهر المحلة بوسط مثيوة، وما قرب لهم من بني وليد وارغيوة، وفناسة وبني ونجل ومرنيسة، فوجدهم كعظام الرأس أدقهم يجرح، وأحفاهم لا ينجح ولا يصلح، لهم قلوب قاسية (أقسى)[549] من الحجر، وهم أظلم الناس في البشر، لا يضعون السلاح على رقابهم، كل يقصد أن يرمي أخاه في شدته ورخاه، وأن يقصد قتله ختلا وغيلة، فالرجل في كل شعب وواد هائم وامرأته ترعى البهائم، فرحل عنهم خوفا من أن تعفي الجيوش رسومهم، وتطمس آثارهم، وعفا عن مساويهم الكبيرة التي هي أكبر من جسومهم، وانتقل إلى بني زروال، فنزل ببلاد الشرفاء الحموميين، فقاموا بواجب الضيافة من ميرة وإكرام الجيوش والخواص* ثم انتقل من ساحة الحمومي ونزل بدار أخرى في وسط بني زروال، و(زار) [550] إمام العارفين بالله وقطب الصالحين الإمام الشطيبي بالتصغير صاحب اللباب في مشكلات الكتاب، والجمان في أخبار الزمان، وهو الذي شرح المباحث الأصلية، وأمر بهدايا ذبحت على أولياء تلك النواحي، ثم نزل بقرب إمام الطائفة الشاذلية الدرقاوية سيدي مولاي العربي، الذي سرى مدده في مغارب الأرض ومشارقها، فزاره الإمام وتبرك به، ثم انتقل إلى وادي (أودور) [551] فنزل بمجمع العروق وفيهم أهل الخير والصلاح وبيوت الرياسة والفلاح بين قبائل بني أحمد وبني زروال وبني مسارة [552]، وكان قصده الفتك ببني مسارة لما اشتهروا به من نهب الركبان وقطع الطريق على المار لمدينة وازان، وهتك، حرمة الكريم، ففزعوا بصبيانهم وشيوخهم وكهولهم، واحترموا بالمدافع خاضعين خاشعين، فعفا عنهم، وقبل شفاعة حريمهم وصبيانهم، ووظف عليهم وظائف أدوها، وعيد بتلك الدار عيد الأضحى، وأقام بها مدة مديدة، ثم انتقل قاصداً ضريح ذي المواهب الربانية، قطب المغارب وشيخ

---

(548) أربعاء تيسة: إحدى الدوائر التابعة لعمالة تاونات، مركز قبيلة الحياينة. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 2: 495 هامش: 160

(549) د. ك: أقصى. والتصحيح من ز. ح.

(550) د. ك:زام. والتصحيح من ز. ح.

(551) في رحلة العربي المشرفي 27: أوذز

(552) بنو مسارة: قبيلة تقع في شمال غرب المغرب، وأهم مراكزها ومدنها مدينة وزان.
ومن فروعها: بني كلا، أولاد جهرون، أولاد كنون، حجر بن يعيش، ابن رواس، ابن يعل، متيوة، ابن مرشود... إلخ. أنظر: كناش، مخ. خ. ح. ر. 12059 ز: 32 . الموسوعة، ج 4: 274 . تاريخ الضعيف، ج 1: 344 هامش: 31 .

- Moulièras, le Maroc inconnu, T 2, PP: 453-486.
- E. Doutté, Le Djbala du Maroc, P: 21, 22.

(*) • 154 أ.

الطائفة الشاذلية مولانا عبد السلام بن مشيش، فنهض من الدار المواجهة لمدينة أشاون[553] بعد زيارته لصلحائها، وحل بدار مسامتة لجبل (العلم)[554] فركب منها في كتائبه المنصورة بالله سحراً، وانتقلت محلته إلى منهل معلوم لنزول الملوك فيه مسامت لآخر جبل (العلم)[555]، وظن القوم أنه يزور الضريح ويرجع لمحلته، فإذا به لما وصل الجبل ورقى لقبته، ألفاه مملوءاً بالأشراف من أولاد السيد وبالأطراف من حلفائهم وأهل (عشيرتهم)[556] نساء ورجالا وصبيانا، ينتظرون وفوده للزيارة، فدار ذلك السواد الأعظم جميعه بالسلطان دوران الخاتم بالأصبع، فحينئذ أمر بتفريق الصدقات على أهل ذلك الجبل، فاصطفت تجاهه الصفوف، ورفعت إليه الكفوف، ففرق عليهم الألوف، ولاشك أن الله قبل دعاء ذلك الجم الغفير للسلطان بمزيد الخيرات الدنيوية والأخروية، إذ الثلاثة من القوم لا يخلو أن يكون فيهم مؤمن فأحرى إذا اجتمعت المحافل العظيمة ورفعت أكفها، ولا سيما عند ضريح من كراماته أوضح من شمس الضحى في سماء صفا وصحا.

ولازالت على مر الأيام والدهور، أشياخ العلم العاملون * والأولياء المتقون، ينذرون زيارته كل عام، ويستعطفونه في قصائد أشعارهم، ومن جملتهم عالم الدنيا وإمام بهجتها أبو علي اليوسي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه، وفيه يقول في مواجهته للضريح الأسعد [الكامل]

يَا قُطْبَ هَذَا القُطْرِ بَلْ قُطْبَ الوَرَى ... وَمُوَاصِلَ الإِدْلاَجِ[557] وَالإِسْآدِ[558]
وَمُسَابِقَ الوُرَّادِ حَتَّى بَذَّهَا[559] ... (لِمَنَافِعِ)[560] تَنْبُو[561] (عَنْ)[562] الوُرَّادِ[563]
وَمُغَادِي[564] الغَيْثِ المُجَلِّلِ[565] (فَارْتَعَى)[566] ... (بِمَخَائِلٍ خَمِلَتْ)[567] (عَنْ)[568] الرُّوَّاد

(553) أشاون أو شفشاون: مدينة تقع شمال غرب المغرب، أسسها الشرفاء الأدارسة بنو راشد أواخر القرن 9 هـ / 15 م. لتكون مركزا عسكريا يتجه منه المجاهدون للدفاع وحماية الثغور الشمالية وخاصة تطوان وسبتة. واتسع النسيج الحضري للمدينة مع مرور الزمن، واستقرت بها أسر عديدة من الشرفاء. من علمائها ابن عسكر صاحب الدوحة، وسليمان الحوات صاحب الروضة.
أنظر: وصف إفريقيا. ج 1: 258 ، الحركة الفكرية، ج 2: 422 - 426 ، المغرب عبر التاريخ، ج 2 . 169 - 170 ، 219 ، 254 .
- CH, de Foucauld, Reconnaissance au Maroc, PP: 5-9.
- August moulièras, Le maroc inconnu, T2, PP. 121-152.
- Budgett Meaking, the land of the moors, PP: 316-320.
- E. Doutté, Les Djbala du Maroc, PP: 5-6 .

(554) د، ك العلام:، والتصحيح من ز، ح .
(555) د، ك: العلام، والتصحيح من ن ح.
(556) د، ك: عشرتهم، والتصحيح من ز، ح.
(557) الإدلاج: السير من أول الليل.
(558) الإسآد: السير جميع الليل.
(559) بذها: سبقها.
(560) ك: لمناقع. وفي رحلة العربي المشرفي: 25: مناقع.
(561) تنبو: تبعد وترتفع.
(562) ز: على.
(563) الوراد: جمع وارد، وهو الإقبال والقدوم.
(564) مغادي: مباكر أي مبادر.
(565) المجلل: العام.
(566) في الرحلة: 25: فارتقي.
(567) ك: بخمائل حظرت. وكذلك في ديوان الحسن اليوسي. مخ. خ . ع. ر. 32 ج : 57 والرحلة: 25 .
(568) ز: على.
(*) • 154 أ.

وَمُزَاوِلاً بَيْضَ الأُنُوفِ فَحَازَهَا   مِنْ حَالِفٍ يَسْمُو عَلَى الصُّيَّادِ
وَمُخَيِّماً وَمُوتِداً[569] فِي (ذِرْوَةٍ)[570]   قَصْوَاءَ[571] عَالِيَةٍ عَنِ الأَوْتَادِ
وَمُجَلِّيَ الحَلَبَاتِ[572] فِي مَيْدَانِ مَا   كَانَتْ إِلَيْهِ نِهَايَةُ العُبَّادِ
حَتَّى احْتَظَى[573] بِمَكَانَةٍ أَمْسَى بِهَا   مُتَوَلِّيَ الإِصْدَارِ وَالإِيرَادِ
وَوَرِثْتَ مِنْ سِرِّ الوُجُودِ وَنُورِهِ   بِالفَرْضِ وَالتَّعْصِيبِ كُلَّ مُرَادِ
وَحَظِيتَ[574] بِالوِرْدِ[575] المَعِينِ[576] المُرْتَوِي   بِزُلاَلِهِ الصَّافِي الضَّرِيمِ[577] (الصَّادِي)[578]
فَأَقَمْتَ لِلْمُسْتَرْشِدِ الصَّادِي الَّذِي   يَسْمُوا إِلَى (العَلْيَاءِ)[579] بِالمِرْصَادِ[580]
حُرِمَتْ عَلَى بُعْدِ المَدَى[581] أَخْمَاسُهَا[582]   فَفُؤَادُهَا ظَمَأٌ عَلَى (جِمَادِ)[583]
تَعْنُو[584] إِلَيْكَ وَقَدْ كَسَاهَا صُغْرُهَا[585]   فَرَطَاتِ سَالِفَةٍ[586] الهَوَى المِقْوَادِ
لَمَّا رَأَتْ أَنْ قَدْ (تَجَاوَزَ)[587] طِبْيُهَا   وَسُيُولُهَا شَمَخَتْ[588] عَنِ الأَوْهَادِ[589]
وَانْقَدَّ مُرْتَبِكَ السَّلاَفِي[590] بَطْنِهَا   وَتَلاَقَتِ الحَلَقَاتُ فِي الأَكْبَادِ
وَتَخَوَّفَتْ إِنْ قَدْ أَتَى مِنْ دُونِ مَا   تَعْنُو إِلَيْهِ الضَّرْبُ بِالأَسْدَادِ[591]
وَتَوَقَّعَتْ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَحَاتُ مَا   تَرْجُو (إِلَيْكَ)[592] وَقِيعَةً فِي (النَّادِ)[593]
فَانْقَعْ[594] صَدَاهَا[595] (بِالمَعِينِ)[596] وَسِمْ بِهَا[597]   لِأَرِيضَةٍ[598] مُرْتَاضَةٍ بِعِهَادِ[599]

---

(569) موتدا: ضاربا أوتاد خيمته.
(570) ك: ذررة.
(571) قصواء: بعيدة.
(572) الحلبات: جماعة الخيل.
(573) احتظى: نال.
(574) حظيت: نلت.
(575) بالورد: بالماء
(576) المعين: الحلو.
(577) الضريم: المحترف.
(578) د، ك: الصادم. والتصحيح من ز، ح، ديوان اليوسي: 57 .
(579) في الرحلة: 25: العليل.
(580) زاد بعد ذلك في ديوان اليوسي: 57 بيتا واحدا وهو: جَاءَتْكَ خَوْصَاءُ اللَّحَائِظِ وَضِيئُهَا   قَلِقٌ مِنَ التَّنْدَاءِ وَالتَّرْدَادِ
(581) المدى: الغاية.
(582) أخماسها: جمع خمس، وهو وقت شرب الإبل.
(583) في الديوان: 57: مِقْأَدِ
(584) تعنو: تقصد.
(585) صغرها: ذلها.
(586) سالفة: سابقة.
(587) في الديوان: 57: تجوز، وكذلك في الرحلة: 25
(588) شمخت: علت.
(589) الأوهاد: الأراضي المنخفضة.
(590) السلافي: جلدة فيها الدلو.
(591) بالأسداد: يقال ضربت عليه الأرض بالأسداد أي سدت عليه الطرق وأصبح في حيرة من أمره.
(592) في الديوان: 57: لديك، وكذلك في الرحلة: 25 .
(593) في الديوان: 57: النادي.
(594) فانقع: فارو.
(595) صداها: شدة عطشها.
(596) د، ز، ح: بالنعيم والتصحيح من ك، الديوان: 58، والرحلة: 26. والمعين هو الماء الزلال.
(597) سِمْ: ارعَ.
(598) لأريضة: أرض جيدة.
(599) بعهاد: بالمطر الذي يأتي بعد المطر الموسمي .

رَوْضٌ بِـهِ مَـا شَـاءَ رَائِـدُهُ وَمَـا ... (شَاءَ) [600] المُسِيمُ [601] حَفَيْدَدُ [602] الأَذْوَادِ

(حَاكَى)[603] النُّهَارُ اللَّيْلَ فِي أَزْهَارِهِ ... وَشَكَرْنَ مَا أَسْدَى السَّجِيمُ (الغَادِ)[604]

وَ(ارْتَدْ)[605] لَهَا مَرْعَى (العِزِيَةِ)[606] إِنَّهَا ... فِي دِيمَةٍ هَطْلاءَ خَيْرَ مَرَادِ

* وَاقْبِسْ لَهَا مِنْ (نُورِ) [607] شَمْسِكَ مَا يَفِي ... بِهِدَايَةٍ فِي كُلِّ (أَغْمَرَ سَادِ)[608]

وَاقْذِفْ بِهَا عَنْ كُلِّ وَهْدٍ[609] سَافِلٍ ... (مُتَوَخِّمٍ)[610] مُسْتَوْبِلٍ مِكْسَادِ

وَاحْذَرْ عَلَيْهَا أَنْ تُصَابَ بِطَارِقٍ [611] ... أَوْ تُسْتَبَاحَ بِغَاشِمِ الأَسَادِ

وَامْنَحْ جَمِيعَ القَاصِدِينَ قُصُودَهُمْ ... وَجَمِيعَ أَهْلِ مَوَدَّةِ القُصَّادِ

وَاجْمَعْ جَمَاعَتَنَا بِظِلٍّ وَارِفٍ[612] ... مُتَمَنِّعٍ فِي بَاذِخِ الأَطْوَادِ[613]

و(منه) [614] تقدم إلى مدينة تطاوين [615]، فدخلها يوم الأربعاء ثامن المحرم فاتح سنة سبع وثلاثمائة وألف [616]، فأقام بها نحو الخمسة عشر يوما.

ومنها سار إلى طنجة، فكان يوم دخوله لها يوما مشهوداً، اعتنى بتأريخه وكيفية دخوله، على ما هو عليه من أبهة الملك، وحسن الترتيب، وانقياد قبائل المغرب، وطاعتها كلها له، مؤرخ الروم حينئذ بها، فوصف هيئة الدخول، وتقديم محفة صحيح البخاري أمام الكل، ثم الإمام، ثم الخيل والعسكر على ترتيبها البديع، وطار الخبر بذلك إلى كافة الأقاليم، وفرح المسلمون وكل الأجانب بقدومه، ويوم الجمعة فاتح صفر من عام سبعة[617]، صلى الجمعة السلطان المؤيد (بالجامع) [618] الأعظم، الذي بناه [619] جده المولى سليمان دون الجامع العتيق الكائن بالقصبة لضيقه، وليشاهد الأجانب مآثره وقوته، ورتب ضباط (العسكر)[620] عساكرهم من باب المدينة إلى المسجد الذي صلى فيه صفين صفين، وكان يوما مشهودا

---

(600) ز: ساه.
(601) المسيم: الراعي.
(602) حفيدد: عارف بالرعاية.
(603) د، ك: حكى، والتصحيح من ز، ح، والديوان: 58 .
(604) د، ز،ح: القاد، والتصحيح من ك، والرحلة: 26، وفي الديوان: 58: الغادي.
(605) ز: ارتض.
(606) في الديوان: 58: العَزِيَّة.
(607) في الديوان: 58: ضوء، وكذلك في الرحلة: 26 .
(608) في الديوان: 58: أغبر سادي
(609) وهد: أرض منخفضة.
(610) في الديوان: 58 مستوخم.
(611) بطارق : بسارق.
(612) وارف: ورف الظل أي امتد وطال واتسع.
(613) الأطواد: الجبال. هذه القصيدة توجد في ديوان الحسن اليوسي، مخ، خ، ع، ر، 32 ج، 57 - 58 ، ورحلة العربي المشرفي: 25 - 26 التي ما يزال المؤلف ينقل منها نصه.
(614) د، ز،ح: فيه، والتصحيح من ك.
(615) أنظر تفاصيل زيارة المولى الحسن لتطاوين في رحلة العربي المشرفي 31-37 ، عمدة الراوين للرهوني، مخ، خ، ع، ت ، 877 ، ج 2: 268 - 283 ومذكرة قنصل إسباني بتطوان نشرت -مؤخرا- في مجلة دار النيابة، العدد: 22 السنة 1989 ، ص: 18 - 24 .
- Fr. Manuel. P. Castellanos, Historia de Marruecos, Madrid 1946, PP: 676-677.
- Manuel Fernandez Rodriguez, Espana y Marruecos anos de la Restauracion, Madrid 1985, PP: 248-249 .
(616) يوم الأربعاء 8 محرم 1307 هـ / 4 شتنبر 1889 م.
(617) أي يوم الجمعة فاتح صفرو 1307 هـ / 27 شتنبر 1889 .
(618) د، ك: بالجانب، والتصحيح من ز، ح.
(619) زاد بعد ذلك في ح: عم.
(620) د، ح، ك: العساكر، والتصحيح من ز.
(*) * 155 أ.

أعظم من يوم دخوله للثغر المذكور، فلم تبق مخدرة في خدرها مسلمة كانت أو كافرة، ولم يبق مسلم ولا مسيحي ولا يهودي في بيته ومسكنه، وكانت عليه مهابة عظيمة وجلالة قبول وإقبال، كساه هيبة وتعظيما، ومن رآه من بعيد أحبه، ومن رآه بديهة هابه.

ويوم السبت ثاني صفر[621]، اجتمعت بمرسى ثغره بواخر المسيحيين، بقصد ملاقاة السلطان، وهم في (عددهم)[622] وعديدهم وتزايد عساكرهم[623].

ويوم الأحد الثالث من صفر برز لملاقاة الوفود، وقبول هداياهم، وكان كل يفتخر بهديته ويراها أفضل من هدية غيره، ولا يخفى أن الهدية تدخل السرور على المهدى له وتورث المودة وتطفئ الغضب، وقد رد على كل أفخر من هديته. ولا زال بها يتفقد أحوالها ويأمر* بإصلاح أسوارها وأبراجها، ويعامل بالجميل سكانها، وكل من قصده رجع بمطلوبه (فرحا)[624]، وكان له لفرط محبته ناصحا، إلى يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر المذكور[625] أمر بالرحيل إلى ثغر أصيلا، فباتت جيوشه بعين الدالية، وعشية يوم الخميس بعده خرج من طنجة وبات بالمحل المذكور مع المحلة، وَخَرَجَتْ معه أكابر الدول تشيّعه وتودّعه، ونساء ملوكهم من (اللائي)[626] جاءت من أمصارهم بقصد رؤية أمير المسلمين، وكذلك بنات أكابرهم على براذينها، و(خيولها)[627] مصطفة أمام رؤسائهم، متأسفات على فراقه، لمبالغته في الإحسان مع كل أحد، وخصوصا في قدومه هذا، فقد أحسن للخاصة والعامة من كل جنس، ولله در من قال: [الرمل]

خَالِقْ النَّاسَ بِأَخْلَاقِ الرِّضَا   تَمْلِكِ الأَحْرَارَ مِنْ غَيْرِ ثَمَنْ[628]

ويوم الجمعة الخامس عشر منه[629]، خيمت جيوشه على شاطئ وادي الحشف، وبعده خيمت بثغر أصيلا، وأقام فيه يوم الأحد لاستراحة الجنود وزيارة وليها سيدي محمد بن مرزوق، وأمر بإصلاح ما تلاشى من حصونه وارتحل يوم الإثنين منه وخيم بفحص الريحان، ويوم الثلاثاء تاسع عشر منه[630] خيم بوادي المخازن، الذي كانت فيه قضية

---

(621) أي يوم السبت 2 صفر من سنة 1307 هـ / 28 شتنبر 1889 م.
(622) د، ك: عدهم، والتصحيح من ز، ح.
(623) كما تم إجراء استعراض للجيوش الإنجليزية بطلب من المولى الحسن. وقد وصف السفير الإنجليزي بالمغرب، السير وليام كربي (W.Kirbey) هذا الاستعراض في رسالة بعث بها إلى اللورد سولسبري بتاريخ 4 أكتوبر1889، ومما جاء فيها: "بناء على طلب السلطان الذي أبلغته إلى الكابتن سان كلير قائد فايتون نزل عصر أمس بصحبة مائة وخمسة وعشرين من بحارته وجنوده ومعهم مدفع ميدان للقيام باستعراض أمام جلالته حيث أنه كان تواقا للتعرف على طريقة القيادة العسكرية الأوربية... ومما علمته أن السلطان قد سر كثيرا لما وجد أن الكابتن ساكلين قد درب رجاله بما يتوافق تماما مع النظام العسكري الإنجليزي.." أنظر نص الرسالة في تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية، لروجرز: 280 - 281 .
(624) د، ك: فارجا، والتصحيح من ز. ح.
(625) أي يوم الأربعاء 13 صفر 1307 هـ / 9 أكتوبر 1889 م.
(626) د. ك: اللي، والتصحيح من ز، ح.
(627) د، ك: حمورها، والتصحيح من ز ح .
(628) البيت يوجد في الرحلة التي ما يزال المؤلف ينقل نصه منها.
(629) أي يوم الجمعة 15 من صفر سنة 1307 هـ / 11 أكتوبر 1889 م.
(630) أي يوم الثلاثاء 19 من صفر سنة 1307 هـ / 15 أكتوبر 1889 م .
(*) 155 ب.

(البرتقال)[631] من أعظم المغازي. ويوم الأربعاء خيم خلف مشرع النجمة بالوادي المذكور، ويوم الخميس -بعده- خيم بساحة ثغر العرائش، وخرج أهله لملاقاته فرحا بقدومه، و(أطلقوا)[632] نحو الخمسين مدفعا تعظيما لجانبه، وصلى يوم الجمعة بجامع الثغر المذكور، و(زار)[633] أولياءه الأحياء والأموات، ومشي في أبراجه ورأى ما هو محصن منها وما هو غير محصن، أمر بإصلاحه وتحصينه كما فعل بتطاوين وطنجة وأصيلا على عادة الملوك الماهرين، ورحل منه ناويا زيارة أبي سعيد المصري أو البصري المكنى بأبي سلهام[634]، فبات (باثلا)[635]، وغدوة رحل وأمر محلته بالنزول بسيدي وَادَارْ وتوجه السلطان بعياله لزيارة الولي المذكور، فزاره ومن حوله من الأولياء، وطاف على الكل، وقَبَّل الأعتاب والرحاب، وذبح ذبائح، وتصدق بمواشي غير مذبوحة على فقراء أهل تلك الضوارح، وأقام نهاره ثمة، ثم ارتحل إلى عدوة وادي سبو، وقام الحباسي* بمونة المحلة كلها مع هدية صحبها. وارتحل من هناك، ونزل بسيدي قدار[636] (فأقام)[637] بمونة المحلة -أيضا- قبيلة بني حسن، ثم (رحل)[638] غداً ونزل بوادي خمان مجاورا لابن سيد ولد عدنان مولانا ادريس الأكبر بزرهون، فجاوز محلته وبادر إلى الضريح الأشهر بعياله وأكابر مواليه، فصلى المغرب به وزحف للزيارة قبل هجوم المواكب، ومرغ خده على العتبة الشريفة، والأماكن المشرفة المنيفة، وبات يتردد بين راشد ومولاه، إلى أن كساه أثواب العز الذي (أولاه)[639]، ثم ارتحل في التغليس قاصدا روضه الهتون مكناسة الزيتون، فدخلها وأقام بها ثلاثة أيام. ثم ارتحل قاصداً مدينة فاس، وبات بوادي النجا، ومن الغد دخلها فتعرض لدخوله العلماء والأعيان ووجوه القوم، وبدخوله نشر إلى الفقراء والمساكين البيضاء والصفراء والصلات لطلبة العلم، ونال العلماء من صلاته وعوائده ما لم ينله أحد من غيره[640]، ثم أقام بفاس إلى أواسط شوال من السنة المذكورة[641].

---

(631) د. ك: البرتغال، والتصحيح من ز. ح.

(632) د. ك: وأطلعوا، والتصحيح من ز. ح .

(633) د. ك: وزاء، والتصحيح من ز.ح .

(634) هو: أبو سعيد المصري أو البصري. كان يكنى بأبي سلهام: من صلحاء المغرب، كان على قيد الحياة سنة 344 هـ / 955 م. وبعد وفاته أقيم له ضريح، أصبح مزار العديد من الناس . يبعد عن مدينة العرائش بنحو 40 كلم جنوبا. ويشتهر حاليا كمركز للاصطياف لوقوعه على شاطئ المحيط الأطلسي. أنظر: أعلام المغرب لابن منصور، ج 2: 187 - 188 . الموسوعة، ج 3 38. كتاب المغرب لابن العربي 189 - 190 .

-August Moulieras, le Maroc inconnu, T 2. PP : 550-556.

- Eugène Aubin Le Maroc d'aujourd'hui, PP: 97-98.

(635) كذا في د، ك. وصُحِّحت في طرة ز. ح ب: به ليلا.

(636) هو: محمد بن أبي زكرياء يحي بن علال العمري، الملقب بقدار: مصلح، صوفي. تنسب إليه كرامات وخوارق. جال في مدن مغربية مختلفة والتقى بعلماء وصلحاء وزهاد. توفي في أزغار سنة 1024 هـ / 1615 م. وقد تجاوز المائة سنة. أنظر: نشر المثاني، ج 1: 202 . كناش للعربي المشرفي، مخ. خ. ع. ر 471 ك: 31 . سلوة الأنفاس، ج: 3: 67 - 69 .

(637) ز: فقام

(638) ز: ارتحل.

(639) د. ك: ولاه، والتصحيح من ز. ح .

(640) إلى هنا ينتهي النقل من رحلة العربي المشرفي، مخ. خ. ح. ر 2420 بتصرف. وصفحات هذا المخطوط غير مرقمة.

(641) أي أواسط شوال من سنة 1307 هـ / أوائل ماي 1890 م .

(*) 156 • أ.

[مسير المولى الحسن إلى مراكش وتردد نواب الدول إليه بها]

ثم سار إلى مراكش، فغزا في طريقه آيت شخمان، الذين أوقعوا بابن عمه مولاي سرور ومن معه- وقد مر حديثهم[642] - فأوقع بهم وقبض على نفر منهم ولم يتمكن منهم على ما ينبغي لفرارهم لشواهق الجبال.

وبعده، حل بمراكش، وأطال المقام بها. وبها أكثر نواب الدول التردد إليه، وهو يدافعهم ويراوغهم بكل ما أمكنه، وكل منهم حارص على نفوذ ما أُمر به من جانب دولته.

[ورود سفير إنجلترا على مراكش ووفاته بها]

ومما يستغرب ويعد من مناقبه وكراماته، أنه ورد عليه سفير إنكَلترا[643] لحضرته المراكشية عام ثمانية أو في أوائل التاسع[644] مع من ذكر، فلما اجتمع به ذكر مطلوبه الذي يريد، وجعل له أجلا يوما واحدا، وكان ذلك يوم الإثنين فقال: إني مسافر لا محالة يوم الأربعاء إما بتنفيذ الغرض المطلوب أو بعدمه قولا واحدا، فاختر لنفسك واستشر في أمرك.

وكان السلطان يومه ذلك صائما، وكانت الملاقاة معه بعد العصر، فبقي السلطان متحيراً، ينظر في عاقبة ما طلب منه وتصميم السفير على نفاذه، مع ضيق الأجل، لم يبرح

---

(642) أنظر هذا المقصد الثالث عشر من الجزء الثاني ص 172 – 173 .

(643) يقصد به: السفير الإنجليزي ولهام كربي كرين (WILLIAM Kirbey Green) الذي قام بزيارة عمل إلى المغرب في رجب من سنة 1308 هـ / فبراير 1891 م. إن المولى الحسن كان قد عقد قبل أيام قليلة من مغادرته لطنجة، اجتماعا خاصا مع ولهام كربي كرين، عبر أثناءه عن رغبتهما الأكيدة في تثبيت علاقة الصداقة بين الدولتين (المغربية والإنجليزية)، وأنهما يرغبان في حل المشاكل المطروحة، خاصة منها المتعلقة بشركة شمال غرب إفريقيا (North-West Africa company) بطرفاية. من أجل هذه القضية قام السفير المذكور بزيارة سلطان المغرب بمراكش (رجب 1308 هـ / فبراير 1891 م). حيث أجريت المباحثات، وكان كرين يحاول جهد مستطاعه إرضاء مصالح بلده ولو على حساب بلد آخر. وبعد مباحثات وافق المولى الحسن على أن يدفع للشركة المذكورة 50 ألفا من الجنيهات، كتعويض لما أصاب مؤسساتها ومتاجرها من خسائر حسب التعبير الإنجليزي. لكن وفاة كرين فجأة حالت دون تحقيق تقدم ومن ثم دون حل المشكل الذي بقي عالقا بين الدولتين إلى أجل آخر. والآن نستعرض نبذة من حياة وليام كربي كرين: ولد وليام كربي كرين في مدينة نابولي بإيطاليا سنة 1252 هـ / 1836 م. وفي سنة 1270 / 1853 أصبح كاتبا للقنصل البريطاني بالقاهرة، ثم كاتبا خاصا لجون هاي (Jhon Huy) ابتداء من سنة 1276 / 1859 . وفي سنة 1278 / 1861 عين قنصلا بتطوان، ثم انتقل إلى طنجة فكان سفير بلاده بها، ودخل في مفاوضات مع السلطات المغربية خاصة ما يتعلق منها بقضية شركة شمال غرب إفريقيا، حيث كان يحاول الحصول على ترخيص لها من سلطان المغرب. وبقي كرين في منصبه إلى أن توفي فجأة بمراكش في سنة 1309 هـ / 1891 م. أنظر: تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية لروجرز: 273 - 282 . الاستيطان والحماية بالمغرب لمصطفى بوشعراء، ج 2: 522 - 526 . التاريخ الدبلوماسي للمغرب لعبد الهادي التازي، ج 10: 71 - 72.

-H. De la Martinière, Souvenir du Maroc, PP: 81-84.
- W. HARRIS, Le Maroc disparu, P: 1,3 - 4,6.
- G. Deverdun, Marrakech des origines à 1912. P: 556.
- J. L. Miège, Le Maroc et l'europeT 4, PP: 152 - 153, 259-261.

(644) أي عام 1308 أو في أوائل 1309 هـ / 1890 أو 1891 م. وقد كان قدومه إلى مراكش كما ذكرنا في تعليقنا السابق (643) في شهر رجب من سنة 1308 هـ فبراير 1891 م. أنظر: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 10: 72 .

من محله ذلك اليوم، لما أصابه من هول ذلك الطلب وعظيم أمره، ولم تفده حيلة ولا سياسة تدافعه زمنا ما، وبات ليلته يتقلب ساهرا من أجله. فحينئذ عزم* على (الالتجاء)[645] إلى مولاه، إذ هو المجيب المضطر إذا دعاه، ومن توكل عليه كفاه، فأصبح يوم الثلاثاء مناديه ينادي باجتماع أهل الفضل والديانة من العلماء، والأشراف، والأعيان، وأكابر دائرته، وكل من توسم فيه الخير من المسلمين، وأمرهم بذكر اسمه تعالى اللطيف، العدد المعروف، مع قراءة صحيح البخاري، وكتاب الشفاء للقاضي عياض، توسلا باسمه العظيم وحديث نبيه الكريم، ليكشف عنه ما دهم السلطان من أمر السفير، وعيّن أمناء بكل مرسى يقفون على ما عسى أن يكون من النفير، وظل الناس ذلك اليوم في ضيق وحرج، وشدة اضطرار وهرج، وباتوا ليلة الأربعاء على تلك الحالة، وكل منهم يدعو الله أن يفرج كربة الإسلام ويفك أو حاله، والمولى الحسن بات على نية أن يجمع القوم صبيحة يوم الأربعاء ويعرفهم بمطلوب السفير ويكون كواحد منهم فيما اتفقوا عليه ورأوه متعينا عليهم لهذا الطلب، والله "**نعم المولى ونعم النصير**"[646].

فهذا ما كان من أمر الإمام، وأما السفير فقد خرج يوم الثلاثاء لقنص الصيد من ناحية كَيليز وربوة برّمْرام، وقيل: إنه مر بمحل تعبد الولي الشهير أبي العباس السبتي بكَلِيز، وهو عند كافة المسلمين من ذلك الوطن محل زيارة واحترام، فضرب به طائرا أصاب مقتله من جنس الحمام، ولما رجع من صيده عشية النهار، عزم على النوم بقصد الاستراحة مما أصابه من التعب، بهبوب الريح وسلوك، تلك الأوعار، فحينئذ أمر متولى الطبخ عنده بأن يحضر الفطور غداً الذي هو يوم الأربعاء، وقت الساعة العاشرة منه دون تردد ولا امتراء، إذ ذاك وقت رجوعه من ملاقاة السلطان، وفيه انتهاء الخبر بما كان قائلا إن رجع بتنفيذ المطلوب، فلا بأس بتأخير الفطور إلى وقته، ولا يضره ذلك ولو تأخر إلى الغروب، لكونه على نية الإقامة، حيث ظفر بالمطلوب وجعله إمامه، وإن رجع خائبا فيجد الفطور مهيئا بالفراغ منه (على)[647] فرسه راكبا، بنية الإياب، وهي طريقة الحزم والصواب، وكذلك أمر الخدمة والأعوان بالتأهب للرحيل، وشد ما يحتاج للشد من كل خفيف وثقيل، كما أوصى زوجه بأن (توقظه)[648] وقت العشاء، وشكى لها ما أصابه من التعب لشدة الريح وتغيير* الهواء، ثم دخل محله ونام، فلما (حان)[649] وقت العشاء أتته (لتوقظه)[650] من المنام، فحركته فإذا هو ميت، فصرخت في وقتها وأذن في الوقت بموته مؤذن صيت، ووصل الخبر حينا للإمام والوزراء وكافة المسلمين، وفرح الكل بما تيقنوه

(645) د، ز، ح: التجاء، والتصحيح من ك.
(646) هذا تضمين للآية الكريمة: 78 من سورة الحج، وهي : "واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير".
(647) ز، ح: علا.
(648) د، ك: تيقظه، والتصحيح من ز، ح.
(649) د، ز، ح: جاء، والتصحيح من ك.
(650) د، ك: لتيقظه.
(*) • 156 ب.
(*) • 157 أ.

من حماية الدين، وحينئذ حضر لديه الوزراء وأكابر الدولة، وسألوا الطبيب الذي معه عن سبب موته[651]، فقال: إنما مات فجأة دون علة أصابته في حياته. فطلبوا منه خط يده بذلك، فمكنهم منه. وبه اطمأنت الممالك، وعمها السرور وبذلوا المعروف وأكثروا الصدقات حتى ضاقت بأنواع الأطعمة بمراكش المسالك، ومن العجب أنه خرج من مراكش ميتا في الساعة العاشرة من يوم الأربعاء[652] التي كان جازما على الخروج فيها حيا، وأخذت زوجته كل ما كان منفذا له من الأثاث والتحف لقيام المونة به حتى البقر الذي كان بقصد الانتفاع به من بقر أهل مراكش. ولما أخبر بذلك السلطان، أمرهم بتخليتها وشأنها، تأخذ ما أرادت، ولا يتعرض لها أحد في كل ما تريد، فاحتوت على كل ما وصل لديها من جانب السلطان ومن جانب غيره وذهبت بسلام.

[ورود سفير ثان من إنكلترا على فاس وفشله في مهمته]

ومثله أيضا بفاس، حيث ورد سفير ثاني من جانب إنكلترا[653] في أوائل العام العاشر بعد الثلاثمائة وألف[654] على المولى الحسن، فأكرم مثواه و(نزوله)[655] على العادة،

---

(651) لعل اسم الطبيب هو: شارل ورث (Charles Worth) الذي رافق البعثة الدبلوماسية الإنجليزية إلى مراكش التي ترأسها السفير وليام كربي كرين (William Kirbey Green) . والطبيب المذكور مختص في الجراحة. فبعد فحصه وتشريح جثة السفير، صرح بأن الوفاة حدثت فجأة. ومن خلال مصدر إنجليزي اعتمده كوفوريي (Coufourier) فإن الوفاة كانت بسبب انفجار في شرايين الدماغ وذلك يوم الثلاثاء 15 رجب 1308 هـ / 24 فبراير 1891 م. وكان وليام كربي يبلغ من العمر 55 سنة .
أنظر: - L. Coufourier. Chronique de la vie de Moulay El Hassan in. Archives. Maroc. 1906. Vol 8. P: 369. marge: 1
عن: Times of Morocco, 21, mars 1891
وأنظر أيضا: - J.L. Miège. Le maroc et l'europe. T 4. P: 152. marge: 2

(652) أي الساعة 10 من يوم الأربعاء 16 رجب 1308 هـ / 25 فبراير 1891 م.

(653) يقصد بالسفير الإنجليزي: شارل إيوان سميث (Charles Evan Smith) الذي تولى مهامه إثر وصوله إلى طنجة في 3 دجنبر عام 1891 م. وفي يوم 27 أبريل 1892 غادر سميث مدينة طنجة، واتجه إلى فاس التي وصل إليها في 12 ماي. وبعد يومين استقبل من طرف المولى الحسن في حفل تقليدي. وكان الهدف من هذه الزيارة التفاوض مع السلطات المغربية في عدة قضايا أهمها: 1- التفاوض في شأن طرفاية (رأس جوبي) وهي مسألة تتعلق بالأساس بشركة شمال غرب إفريقيا، التي كان مدراؤها وعلى رأسهم ماكنزي (Mockenzie) يريدون الحصول على امتيازات تجارية وتعدينية بعدما فشلوا في الحصول على الملكية العقارية بالمنطقة (أي تكوين مستعمرة إنجليزية بالجنوب الغربي للمغرب وبالتحديد في طرفاية)-2 التفاوض في مسألة الحماية القنصلية بما يخدم مصلحة إنجلترا -3 إقناع السلطان بقبول التعديلات التي اقترح جون دريموندهاي (Jhon Drumond Hay) إدخالها على الإتفاقية التجارية المبرمة سنة 1273 هـ / 1856 م. وبعد مفاوضات مطولة، ومباحثات مفصلة، استغرقت تسعة أسابيع من إقامته بفاس بعث سميث بتقرير له إلى وزير الخارجية الإنجليزي مؤرخ في 27 يوليوز عام 1892 م، يعلن فيه فشل المفاوضات وبالتالي فشل مهمته. ومما ورد في هذا التقرير حسب روجرز: "... كان السلطان ووزراءه .. قد أظهروا جهلا مطبقا بشروط المعاهدة العامة المعقودة عام 1856، والتي يبدو أن السلطان لم يقرأها على الإطلاق، ولما أبلغته أن لحكومة جلالتها بمقتضى تلك المعاهدة حق تعيين القناصل في أية مدينة بالمغرب وأكثر من ذلك أن لكل قنصل الحق في رفع العلم البريطاني على سطح داره، بل وتخصيص مكان له للعبادة، صرحوا بأنه قد تم إبرام تلك الشروط في وقت كان بالإمكان كفالة الأمن بالنسبة لهؤلاء، أما الآن فالحال ليس كذلك، ومن ثم فإن ما تضمنته هذه المعاهدة من مسؤوليات ليست ملزمة لجلالته بعد ذلك". وفي يوم 12 يوليوز 1892 غادر سميث مدينة فاس، بعد أن توقفت المفاوضات دون توصل الطرفان إلى نتيجة ترضيهما. أنظر: تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية: 282 - 284، 285 - 291. التاريخ الدبلوماسي، ج 10: 72 ، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 2: 526 - 535 .
- H. De la Martinière, Le Regne de Moulay El Hassan, in
-Revue des deux mondes, 1894. PP 424-425.
- M. Budgett. The Moorish Empire, P: 342-344.
- H. De la Martinière. Souvenir du Maroc, PP: 85-87.
- F.Charles-Roux, Mission diplomatiques Françaises à Fès. in. Hespéris, année 1948, 3-4 trim.P: 250.
-J. L.Miège. Le Maroc et l'europe, T 4, PP: 262-277.
L.Coufourier. Chronique de la vie de Moulay El Hassan, in. Archives. Maroc. Vol. 8. P371. marge: 1.

(654) أوائل عام 1310 هـ / أواخر يوليوز 1892 م. واعتمادا على المصادر الأجنبية السابقة الذكر (تعليق 653) فإن وصول السفير الإنجليزي إلى فاس كان يوم 12 ماي 1892 م. وفي يوم 14 منه استقبل من لدن المولى الحسن في موكب ومحفل خاص.

(655) ن. ح: نزله .

وهينت له (عرصة)[656] الحاج محمد بن (المدني)[657] بنيس، التي هي أبهى الأماكن وأفضلها بفاس[658]، وأقام بها على غاية الإكرام، وهو في كل ذلك يرتقب (الفرصة)[659] ليشيد راية دولته بها دون شعور به، فقوى عزمه على أن ذلك لا يتم ولا ينتج مكيدته إلا في يوم عيد النحر للمسلمين، لاشتغالهم بالصلاة خارج المدينة وافتتانهم بالذبائح أي ذبائح الأضحية عند رجوعهم من مصلاهم، وجعل فيما بين ذلك يبدي مطالبه من السلطان التي ورد في شأنها، مما يرجع للتجارة والسياسة، ومن جملتها الحرية، ليبطل بيع الرقيق، إلى غير ذلك من المطالب إلى يوم عيد النحر، شرع يهيء محل صعود الراية وآلة ارتقائها بأعلاها، فرآه بعض الأعوان ممن كان قائما بأمره من جانب قائد البلد بالأمر المولوي، فذهب مسرعا وأخبر العامة، وشاع أمره، فتسارعت إليه العامة وأرادوا قتله والهجوم عليه، لولا عامل البلد بوشت بن البغدادي الجامعي* حينئذ سبقهم إليه، وأمر الأعوان بكفهم عنه وزجرهم، وتوعدهم بالعقاب من السلطان إن فعلوا شيئا من غير إذنه، فحينئذ رجعت العامة عنه، وأخذه العامل المذكور معه، والأعوان محيطة به (يمنعون)[660] من رمي الحجارة والهجوم عليه، إلى أن أوصله للحضرة العالية بالله على أسوء حال مما أصابه من الحجارة والإهانة، فلينوا له القول حتى استعطفوه وتصالحوا معه على دفع عشرة آلاف ريال له في مقابلة إهانته وما وقع به من المحن، فدفعها العامل المذكور من ماله[661] حينا، فقبضها وتصدق بجميعها، ولم يأخذ منها شيئا. وسجن العون المخبر العامة بأمره، معاقبة له على ذلك، وبقي بالسجن مدة معتبرة. وخرج من يومه ذلك من فاس ، ونزل برأس الماء، وأمر السلطان بإخراج المونة إليه هناك، فأخرجت، وامتنع من قبولها، وارتحل من هناك منقلبا لبلده، فعوقب على ما قيل على فعله وسوء تدبيره، إذ من عادة دولة الإنجليز إذا وجهت سفيراً (لا)[662] تدبر له أمراً ولا تختار له رأيا، وإنما تفوض له وتوكله إلى رأيه وسياسته، فإن رجع بخير وجلب (نفعا)[663]، لحظوه وأحسنوا إليه لظهور نتيجة سياسته وحسن تدبيره، وصار لديهم معظما، وإن رجع بالخيبة والخسارة ازدروه من أعينهم، وعلموا أنه سيء التدبير غير ماهر في طرق السياسة قبيح السيرة، لم يلتفتوا إليه بعد في أكيد أمورهم ومهماتها، وذلك دأبهم .

(656) د، ك: عرسة. والتصحيح من ن، ح.
(657) د، ك: المداني. والتصحيح من ز، ح.
(658) ذكر كوفوريي بأن دار بنيس كانت وإلى عهده (1906) ما تزال مقر إقامة السفراء بفاس.
أنظر: - L.. Coufourier, Chronique de la vie de Moulay - El Hassan, in, Archves, Maroc, 1906, Vol; 8. P: 371. marge: 2
(659) د، ك: الفرسة. والتصحيح من ز، ح.
(660) د، ك: ليمنعون. والتصحيح من ز، ح.
(661) زاد بعد ذلك في د، ك: له. فحذفناها ليستقيم المعنى.
(662) د، ك: ألا . والتصحيح من ز، ح.
(663) ز: نفع.
(*) 157 ب.

[شجاعة المولى الحسن في وقعة مضيق غياثة]

ولا يبعد أن يكون هذا مراد الناظم بقوله:

إذا كَـانَ عَـوْنُ الـلَّـهِ لِـلْـمَـرْءِ نَـاصِـراً فَـسَـهْـمُ العِدا فِي الحَرْبِ لَيْسَ بِصَائِبِ

ويحتمل، أنه أراد به، ما اتصف به من النصر بمعونة الله، واعتنائه في أيما وطن من مواطن المعارك والقتال مع الأعداء و(الفرق)[664] الباغية.

وقصد الأبطال والفرسان من الأعداء بإصابة سهمهم إياه، فحفظه الله تعالى من ذلك بعد ظهور شجاعته وإقدامه، واعتراف الأعداء له بذلك، وعلم مكانته فيها الأبطال والأقران، وهي أحد أصول الفضائل كما قال الإمام فخر الدين: أصول الفضائل ثلاثة: الحكمة، والشجاعة، والعفة. ولاشك في اجتماعها في إمامنا المنصور بالله المولى الحسن. وهي الثلاثة المجموعة في العدالة، فالحكمة: الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي الحدة والغباوة*. والشجاعة: الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي التهور والجبن. والعفة: الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي الفجور والخمود.

فمتى أعدلت النفس الشهوانية بهذا التوسط ثبتت لها هذه الفضيلة، وإن انحرفت إلى طرف الإفراط: فهو الفجور، وإلى (طرف)[665] التفريط، فهو الخمود والفتور. وكلاهما مذموم.

وقال العلماء: الرجال في الشجاعة عند اللقاء ثلاثة أصناف:

أحدهما: إذا التقى الجمعان واكتحل الأحداق بالأحداق، برز المعترك يحمل ويكر وينادي: هل من مبارز؟

الثاني: إذا اختلط، بحيث لا يدري أحد من أين يأتيه الموت يكون رابط الجانش، ساكن القلب، لا يخامره الدهش، ولا تخالطه الحيرة.

قلت: وهذا وصف إمامنا المولى الحسن فيما حكي لنا عنه يوم مضيق غياثة من غير واحد، أنه لما وقعت الهزيمة وتساقط الناس بذلك المضيق في المهاوي وحمي الوطيس، وانتثر نظام الجيوش ودهش المرؤوس والرئيس، ولم يبق للمدافع حسيس، واسْوَدَّ النهار، بتلك الغبار، وذهلت الأبطال، وتلفت عن المسالك الرجال، وتوغلت الفرسان في الأوعار وتشبثت بالصخور والأشجار، وهو أيده الله مع ذلك كله رابط الجأش ساكن القلب واللب، لم يشعر بذلك ولا شغله عن السؤال عن (وزيره)[666] السيد موسى بن أحمد، وإلى أين توجه وهو قريب من العدوفي أخرية الناس، وكل من مر به أنّسه وثبته، وأمره بالتأني وأزال عنه

(664) د. ك: فرق. والاصح ما أثبتناه من ز. ح .
(665) د. ك: فرط . والتصحيح من ز. ح .
(666) د. ك: وزير. والتصحيح من ز. ح.
(*) = 158 أ .

الدهش والحيرة، وقد ضرب رجلا من العدو بقرب الحاكي لهذا، فأصابه في رأسه إطار دماغه بها، وكان المضروب المذكور، يحتال لقتل الإمام المذكور، فكان سبب قتله ما ذكر، وهو أيده الله مغبرُّ الوجه، لا يعرفه إلا ثابت القلب، وذلك من الأوصاف المحمودة. وكان أبو السمط مروان بن أبي الجنوب، يلقب بغبار العسكر [667] لقوله: [الكامل]

لَمَّا بَدَا لَوْنُ المَشِيبِ سَتَرْتُهُ ... وَتَرَكْتُ مِنْهُ ذَوَائِباً لَمْ تُسْتَرِ
قَالَتْ أَرَى شِيباً بِرَأْسِكَ قُلْتُ لاَ ... هَذَا غُبَارٌ مِنْ غُبَارِ العَسْكَرِ

وفي رهج [668] الخميس [669] يقول أبو تمام [670]: [الكامل]

مَنْ لَمْ (يَقِهْ) [671] فَيَطِيرَ فِي خَيْشُومِهِ [672] ... رَهْجُ الخَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيساً [673]

الثالث: إذا انهزم أصحابه، رجع ضاربا في وجوه العدو ومعربا لقلوب المنهزمين* بالكلام الجميل، يحمل من وقف ويكشف من سقط عن فرسه. وهو أحمدهم شجاعة، وهو وصفه -أيضا- المأخوذ من حكاية المشاهدين له في الوقعة المذكورة. ولهذا قالوا: المقاتل وراء الناس كالمستغفر وراء الغافلين. ولا يستغرب هذا منه.

فإن الشجاعة من أصله الكريم نشأت، فإن أشجع الناس على الإطلاق وأقواهم قلبا، جده المعصوم، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد حضر المواقف الصعبة، وفر الأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فلتة وفرّ سواه صلى الله عليه وسلم. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس [674]" الحديث. وقد عدَّ بعضهم الشجاعة من شروط الإمامة، وهي من طبائعه (الغريزية) [675] أيده الله.

---

(667) هو: مروان بن يحي أبي الجنوب بن مروان الملقب بغبار العسكر، أبو السمط: شاعر من الولاة، نادم الخليفة العباسي المتوكل، وأصبح واليا على اليمامة والبحرين وطريق مكة. توفي نحو 240 هـ / 855 م أنظر: معجم الشعراء للمرزباني. 129 - 130. 321 - 322. تاريخ بغداد، ج 13: 153 - 155. الاعلام للزركلي، ج 7. 209 ، معجم المؤلفين، ج 12: 221 .

(668) رهج: غبار.

(669) الخميس: الجيش الضخم العدد.

(670) هو: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي أبو تمام (190 - 231 هـ / 806 - 846 م): شاعر وأديب. ولد في جاسم من قرى حوران بسورية، ونشأ بمصر، ثم رحل إلى بغداد بأمر من المعتصم العباسي. أنظر: الأغاني للأصبهاني، ج 15 . 99 - 108 . الفهرست 235. نزهة الألباب: 123 ، وفيات الأعيان: ج 2: 11 - 26 ، مرآة الجنان، ج 2. 102 - 106 ، البداية والنهاية. ج 10: 299 - 301 ، خزانة الأدب، ج 3. 356 - 357 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2: 77 ، أبو تمام الطائي لمحمد البهبيتي، الاعلام للزركلي، ج 2: 165 ، معجم المؤلفين، ج 3: 183 - 184 .

(671) في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ج 2: 270 يَقِدْ.

(672) خيشومه: أعلى أنفه.

(673) البيت يوجد في ديوان أبي تمام، ج 2: 270 .

(674) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج 15: 67 ، باختلاف يسير في اللفظ.

(675) ك: الغزيرية.

(676) ز، ح: الأعاجب.

(*) • 158 ب.

[إنشاء المولى الحسن مكينة لصنع الأسلحة]

ثم قال

تَـجَـلَّـى اعْـتِـزَازاً بَـعْـدَ ذَا بِـمَـكِـيـنَـةٍ فَـزِيـدَ لَـهُ ذِكْـرٌ بِـهَـا فِـي الأَجَـانِـبِ
لَـئِنْ وُصِفَتْ بِـالضَّبْطِ فَـالوَصْفُ فَوْقَـهُ أوِ الحُسْنُ فَهِيَ مِنْ عَجِيبِ (العَجَائِبِ) (676)

التجلي هنا بمعنى العلو من قولهم: تجلى كذا، بمعنى علاه. والاعتزاز: الشدة والقوة، ومنه قوله تعالى :" فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ (677)" أي قوينا وشددنا، أي تعلى قوة وشدة بعد اتصافه بكمال الأوصاف المحمودة من شجاعة، وحلم، وعفة، وحسن سيرة، وأمور محتوية على أنواع السياسة، بإنشائه واختراعه بهذا القطر المغربي صنعة السلاح المعجب، بآلة معدة لذلك من فلاسفة الروم(678) دون صانع يباشرها، وتهيء العدد الكثير بها في أقرب مدة، الكافي للجيوش وغيرها، المزري قدرها وخفة تناولها، وإسراع نهوضها وحدتها، ووصول سهامها الرصاصية لأبعد ما يُرى من الأرض، بما تقدم من المكاحل المعدة لذلك في القرون الماضية، إذ هي بالنسبة لهذه المخترعة كلاشيء، إذ بين نهوض المكاحل القديمة وهذه المخترعة الحادثة فرق بين في مقصدها وإصابتها، وأنها تضاعف القديمة في النهوض ثلاثة أضعاف لمن هو عارف بكيفية نهوضها سريع فيه، وإلا فبأضعاف مضاعفة، وكذلك رماحها أجود من الرماح القديمة. وأشاد لمحل هذه بنيانا يشهد له بعظيم القدر وضخامة الملك وهو المقصود* بمكينة في كلام الناظم، إذ هو إسم دار السلاح وغيره من المخترعات عند المسيحيين. وفعله ذلك من الحزم والإجتهاد، وصرف الهمة لمصالح المسلمين، وإقامة الدين والإستعداد، فهو من حسناته العديدة، ومآثره الشامخة المفيدة، التي لم يدركه في فضلها أحد ممن تقدمه من الملوك، ولم يسبقه أحد بالمغرب لنظير منفعتها العامة، و(لا)(679) سلك حزمه ذلك السلوك، متعه الله والمسلمين بنتيجة (نيته)(680) الصالحة، ونفائس جواهر تجارته الرابحة، وذلك من قضاء السياسة المقررة، على القواعد المحررة، من أن القرن إنما يبارز بقرنه، والشيء إنما يوزن بما هو أرجح منه في وزنه، وأمور الحرب إنما تقابل بأمثالها، والنسج على منوالها ومثالها، ألا ترى إلى ما كان عليه الأقدمون من السلاح، كالسيف وعوالي الرماح، وكان تنافسهم إذ ذاك في إجادة

---

(677) سورة يس، الآية: 14 .

(678) أنشئ المصنع (المكينة) بإشراف وتخطيط البعثة العسكرية الإيطالية بأمر من المولى الحسن سنة 1304 هـ/1886 م. وكان يعمل المصنع تحت إدارة كامبيني (CAMPINI) الإيطالي، ومنتوجاته متنوعة: المكاحل، المدافع، الرصاص، وسك النقود الوطنية. ومع عمله المتواصل وطاقاته الكاملة فإنه لم يحقق الإكتفاء الذاتي من الأسلحة لسد حاجة الجيش المغربي.
أنظر:
-H.Terrasse, Histoire du Maroc, T 2, P: 350).
- L. Arnaud, Au Temps ds mehalla, P: 68

(679) د. ك: لما. والتصحيح من ز. ح.

(680) د. ك: بينه والتصحيح من ز. ح .

(*) * 159 أ .

أنواعها، والحرص على طلب اجتماعها، ثم لما نسختها آلات رمي البارود وبندق الرصاص، لم يكن بد من تحصيلها لجميع الدول بالبحث والافتحاص، فمن قدر عليها نجا، ووجد إلى خصمه مرتقى ودرجا، ومن بقي على المنهج القديم، أُهين وانهزم لدى الملاقاة على وصف ذميم، ثم إنه تنافست الملوك وأهل مشورتها في آلة الأفزاع والإرهاب بما لم يكن عند عدوها من الأسباب، بسرعة في قطع الرقاب، وفناء العساكر وقهر الرجال والأبطال، فدبرت صواعق لتلك الأهوال لا تبقى ولا تذر، ولا يثبت لها جبل ولا حجر، تطحن الأجسام، وتقعد من بقي ماشيا على الأقدام، ولاشك فيمن قابلها بما هو دونها مغلوب، وبتلك الصواعق مرهوب، ومن اقتدى بفعل خصمه وائتسى، واتخذ ثوبه ملبسا، أن ينال منه ما أمله، ويحمد عاقبة ما أصله، ولهذا في السنة أصل أصيل، فإن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عادة الفرس أن يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو، اتقاءً من هجومه عليهم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه، وحفر خندقا للمدينة في غزوة الأحزاب، عمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين. وقال صلى الله عليه وسلم لعاصم بن ثابت[681]: " مَنْ قَاتَلَ فَلْيُقَاتِلْ كَمَا يُقَاتَلْ"[682]: ويوضح معناه ما تضمنته وصية الصديق لخالد بن الوليد رضي الله عنهما حين بعثه لقتال المرتدين، فقال: يا خالد* عليك بتقوى الله والرفق بمن معك، إلى أن قال: والخوف عند أهل اليمامة، فإذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر، ثم إذا لقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به، السهم للسهم، والرمح للرمح، والسيف للسيف. ولهذا بذل المولى الحسن المجهود في اقتناء الآلات المعدة، لإيجاد الأسلحة المخترعة، وذلك من مفاخر مناقبه معدود.

[اهتمام المولى الحسن ببناء المآثر العمرانية]

وقد سبق ذكر مباني المولى إسماعيل، وإنها مما (يتعجب)[683] منه، ومع ذلك فإن مآثر المولى الحسن من ذلك أقوى، وفوائدها ومنافعها للرعية أقرب للتقوى، إذ مآثره كانت بمكناسة الزيتون جلها، والمولى الحسن في كل حاضرة له مثلها، ومنذ ولي لم يفتر من البناء بكل ناحية من مغربنا، ولا أحصى ذلك ولا يسعني الإحصاء، وربما تعذر على الحاذ الممارس لذلك الاستقصاء.

---

(679) د، ك: لما، والتصحيح من ز، ح.

(680) د، ك: بيته والتصحيح من ز، ح .

(681) هو: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عصمة الأنصاري الأوسي، أبو سليمان: صحابي، شارك في معركة بدر وأحد مع الرسول، واستشهد في يوم الرجيع سنة 4 هـ / 625 م. أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج 2: 41، 43، 55، 79، وج 3، 90 . الأعلام للزركلي، ج 3، 248 .

(682) الحديث رواه البخاري في التاريخ الكبير، ج 1 (القسم الأول) 62، باختلاف في اللفظ.

(683) د، ك: يتعب، والتصحيح من ز، ح .

(*) * 159 ب .

[وصف المكينة بفاس]

إلا أن بعض ما رأيناه بحاضرة فاس بالخصوص أذكر شيئا منه، وما عداه يحتاج في ذلك إلى تحقيق (النصوص)[684]، فمن ذلك هذه المكينة الفائقة الشكل، البديعة المثل، المنبئة بالنصر والنجاح المعروفة بدار السلاح، العجيبة الوضع، المنتهية الرفع، [المفيدة النفع][685]، المؤسسة ببناء مرصوص، الفائقة المآثر كلها على العموم والخصوص، الجالية ببهجتها جميع الأحزان، الجالبة ببهاء حسنها الأفراح لظمإ القلوب بوابل الأمزان، الرّامزة بجفون الهوى للأبطال بالوصال، المفصحة بالنصر والتمكين لمالكها على من عداه لدى اهتزاز الرماح والنّصال، المبهرة للعقول بتمكينها، المفزعة قلوب الأعداء بتكوينها، الشاهدة بأقلام التوثيق، من مداد التحقيق في قراطيس التدقيق، بأن مالكها لم يكن له ندَ في العدل والاهتمام بأمر الدين والتوفيق، ولا يعادلها قصر الخورنق[686] ولا الإيوان[687]، ولا يقاومها من أهل المغارب دون مالكها سلطان.

[بناء مرسى سعيدة]

ومنها، بناؤه مرسى سعيدة عند مصب وادي (ملوية)[688] في البحر الرومي، وشراؤه ما حولها من الأجنة والأراضي من أربابها، وهي الحد بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى.

[بناء دار الذهب بفاس]

ومنها دار الذهب أيضا، يقال أن بابا من أبواب قببها، بقي في صناعته نحو الأربع سنين بعد بذل الجهد من الصناع في تركيبه (بمسامير)[689] الذهب والفضة وترصيعه بالأحجار* الثمينة الملونة، حتى جزموا أن لا حصر لقيمته، وهي من عجائب الأبنية المضروب بها المثل.

---

(684) د: النهوض. والتصحيح من ز. ح. ك.

(685) مابين المعقوفتين ساقطة من ز.

(686) قصر الخورنق: قصر ضرب به المثل في السعة والبهاء. وهو من تخطيط المهندس اليوناني سنمار لملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس. أنظر:

- L.Coufourier, Chronique de la vie de Moulay El-Hassan, Vol. 8 P: 379, marge: 1

(687) الإيوان: يعرف في المصادر العربية القديمة بإيوان كسرى، كان يوجد بالمدائن اشتهر بضخامة البناء وعلوه. أنظر: معجم البلدان، ج 1 294.

(688) ح: كيس.

(689) د، ك: بمسامر. والتصحيح من ز. ح.

(*) 160 أ.

[بناء بعض الأسوار بفاس]

ومنها، السور الحائط بالمشور، الخارج عن سور المدينة فاس العليا خارج باب البوجات، المتصل بسور دار السلاح المذكورة وما احتوى عليه من الأبنية والأعمال. ومنها، السور المواجه لباب دار السلاح، والباب المشيد تجاه باب السبع فوق دار السلاح.

وكذلك، السور الممتد من باب مسجد أبي جلود إلى باب فاس العليا، الحاجز بين المار (لبستان) [690] أبي جلود والمار لفاس العليا مع ما بالبستان المذكور من الأبنية العجيبة والأبواب المرتفعة.

[بناء منشآت أخرى بفاس]

ومنها، مشور أبي الخصيصات والأبنية خارجه، وفتح الباب المتصل بباب المسامريين.

ومنها، بناء المشور القديم بقرب الدكاكن، وتشييد قببه ومبانيه الرفيعة. ومنها الأبنية المرصوصة بداخل بستان أمينة المرينية، والأسوار الحفيلة، إلى غير ذلك مما لم نطلع عليه، إلا ما رأيناه من دوام تناول البناء ، أثناء الليل وأطراف النهار على الدوام والاستمرار، واشتغال أهل الحرف من البنائين والنجارين والحدادين وأصحاب (التزليج)[691] وغيرهم، بالعمل على الدوام دون من عداهم من صناع عبيده العديدة، وهكذا في كل بلد.

ومنها، تشييد قبة الولي الصالح سيدي أحمد بن يحي، وبناء مسجده وصومعته، وذلك سنة عشر وثلاثمائة [692].

وكذلك قبة الولي الكامل سيدي أحمد البرنوصي، وإصلاح ما تلاشى من قبة مولانا إدريس، وكان إصلاحه لها قبل هذا التاريخ، مع تزليجه المسجد حولها كذلك.

وكذلك إنشاء قبة سيدي يحي بن علال (العمري)[693] الشهير بالغسال عند العامة القريبة من قبة سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح إلى غير ذلك من الأبنية.

[بناء منشات بمدن أخرى]

وأما مبانيه بمراكش، ومكناسة الزيتون، ورباط الفتح، وسجلماسة وغيرها، فلا يحصيه جاد، غير أنه على الدوام والاستمرار.

(690) ز: ببستان.
(691) ز: الزليج.
(692) أي سنة 1310 هـ / 1892 م.
(693) ح: النمري.

ومنها أيضا، إنشاء ثلاثة أبراج بثغر طنجة، لحمل مدافع كبار ضخمة الجرم تهتز الأرض من نهوضها.

ومنها، تجديد بناء قصبة العيون، وإنشاء قلعة تاجانة، التي هي بحدود أرض الحياينة مع البربر، وكذلك تجديد قلعة القصابي وغيرها أيده الله.

ولاشك في زيادة الذكر والعلو له بهذه* البناءات، ولا سيما المكينة كما ذكر الناظم عند الأقارب والأجانب، والمراد بهم ملوك العجم وأممهم، إذ هي من ذخائر الملوك العظام والدول الفخام، حتى أنه لا يقنع في وصفها الامتياز [بالضبط][694] لاتصافها بما هو أعلى وأتقن منه، وكذا لو وصفت بالحسن بما احتوت عليه، فهو من أعجب العجائب من المحاسن وأبهة الملك، زاده الله قوة وتأييداً.

[همم ومناقب المولى الحسن]

ثم قال:

لَـهُ هِـمَـمٌ لاَ مُـنْـتَـهَـى لِـكِـبَـارِهَـا وَهِـمَّـتُـهُ الصُّـغْـرَى أَتَـتْ بِـالمَنَـاقِـبِ[695]

الهمم: جمع همة بالكسر وتفتح، العزم على الفعل والاهتمام به. والمناقب: جمع منقبة بفتح الميم، وهي الفعل الكريم.

والبيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه يدمح به النبي صلى الله عليه وسلم، إلا ما قل منه، وهو قوله: أتت بالمناقب بدل قول حسان أجل من الدهر، وهو يفيد أن همة النبي صلى الله عليه وسلم، أعلى من همة الدهر بمراحل، وأن جوده صلى الله عليه وسلم أكثر من جود البحر، بحيث لا يلحق له بساحل. وقول البوصيري رحمه الله: [البسيط]

كَـالـزَّهْـرِ فِـي تَـرَفٍ والـبَـدْرِ فِـي شَرَفٍ وَالـبَـحْـرِ فِـي كَرَمٍ وَالـدَّهْـرِ فِـي هِمَمِ[696]

يفيد خلافه، لما يقال من أن المشبه لا يقوى قوة المشبه به وكيف ذلك. وأجيب بأن البوصيري شبه بأفضل ما وجد ولا يلزم من ذلك أن المشبه به أقوى من المشبه في وجه الشبه. وقد ذكر (الصولي)[697]، أنه لما مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم، بقصيدته السينية وانتهى منها إلى قوله: [الكامل]

---

(694) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ح. والتكملة من ك.

(695) هذا البيت لا يوجد في ديوان حسان بن ثابت.

(696) البيت يوجد في ديوان البوصيري: 242 .

(697) في جميع النسخ الصودي، واقتضى المقام تصحيحها. والصولي هو: محمد بن يحي بن عبد الله أبو بكر الصولي: أديب وشاعر، نادم الراضي العباسي والمكتفي والمقتدر، توفي سنة 335 هـ/ 946 م. أنظر: معجم الشعراء للمرزباني: 431 – 432، الفهرست. 121، 215، 221 ، تاريخ بغداد، ج 3: 427 – 432، نزهة الألباء: 204 – 206 ، وفيات الأعيان، ج 4: 356 – 361 ، مرآة الجنان، ج 2: 319 – 325 ، البداية والنهاية ج 11: 219 – 220، النجوم الزاهرة، ج 3. 296 ، لسان الميزان، ج 5: 427 – 428 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2: 203 ، كنوز الأجداد لكرد علي: 141 – 145 ، الأعلام للزركلي، ج 7: 136 .

(*) * 160 ب.

إِقْدَامَ عَمْرٍو[698] فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ[699] فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ[700]

قال له (الكندي) [701] الفيلسوفي وكان حاضرا: الأمير فوق ما وصفت، فأطرق قليلا، ثم رفع رأسه وأنشد: [الكامل]

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ [702]

فعجبوا من فطنته وسرعة جوابه [703] انتهى.

ولا يضر في التضمين، التغيير اليسير، وقد أخذه الناظم هنا على سبيل التضمين الجائز عند الشعراء، ولم ينبه عليه لشهرته، وهو من الجائز الفاشي *الاستعمال عند فحول الشعراء وقال بعضهم فيه: [الوافر]

*أُطَالِعُ كُلَّ دِيوَانٍ أَرَاهُ ولم أزجر عن التضمين طيري
أُضَمِّنُ كُلَّ بَيْتٍ فِيهِ مَعْنى وشعري نصفه من شعر غيري

ويسمى تضمين البيت استعانة.

والمعنى: أن همم المولى الحسن، التي لم نطلع عليها، المصروفة فيما يليق بمكانته، وجلالته، وديانته، وهي الهمم الكبرى. فلا منتهى لعدها، كما أن همته الصغرى الظاهرة لنا، المصروفة في مصالح المسلمين الدينية والدنيوية، والاعتناء بأمر الخلافة، والضبط، والحزم، والاجتهاد في الاستعداد، والذب عن هذه الأمة المحمدية مكائد العدو، وحسن السيرة والسياسة، أتت وجلبت ما يبقى ويخلد ذكره من الفعال الحميدة، والمآثر المخترعة الغريبة، التي لم يعهد مثلها عند ملوك المغرب، كاقتناء العساكر البرية بالأسلحة العجيبة، وسد الثغور، ومنها جلب الفيل، الحيوان المعروف لهذا القطر، وكان مجيئه في أواخر محرم الحرام فاتح عام تسعة بمثناة [704] أولى هدية له من ملك الإنجليز[705] بعد إتيانه من أرض

---

(698) يقصد به: عمرو بن معدي كرب.

(699) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عدي: فارس، شاعر، يضرب به المثل في الجود والكرم. عاش بالشام وتوفي في عوارض جبل في بلاد طيء في نحو سنة 46 ق. هـ / 578 م. أنظر: الأغاني للأصبهاني، ج 16: 96 - 110. تاريخ الخميس، ج 1: 255 . خزانة الأدب، ج 3: 127 - 130 . الاعلام للزركلي، ج 2. 151 . معجم المؤلفين، ج 3: 173 .

(700) يقصد به. إياس بن معاوية المزني المتوفي سنة 122 هـ / 740م. انظر ترجمته في المقصد العاشر من الجزء الثاني ص 45 هامش 55 . وأنظر البيت الشعري في أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي 231، ديوان أبي تمام: 249 .

(701) في جميع النسخ: الكنهري، وهو تصحيف، والتصحيح من أخبار أبي تمام الذي ينقل منه المؤلف: 231 . ويقصد به: الكندي يعقوب إسحاق المتوفي نحو 260 هـ / 872 م. أنظر ترجمته ومصادرها في هذا المقصد الثالث عشر 729 . الهامش 304 .

(702) البيتان يوجدان في أخبار أبي تمام: 231 . ديوان أبي تمام: 250 .

(703) أنظر النص في أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي: 231 - 232 باختلاف يسير في اللفظ.

(704) أي في أواخر محرم فاتح عام 1309 هـ / أوائل شتنبر 1891 م.

(705) يقصد: الملكة الإنجليزية فكتوريا Victoria (1235 - 1319 / 1819 - 1901). استمرت في الملك لمدة 28 سنة (1290 - 1316 / 1873 - 1901). بلغت إنجلترا أثناءها أوج رخائها وتوسعها الإستعماري. أنظر معطيات أخرى عن هذه الهدية في مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 12035: ورقة 18 - 26 . وتاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية لروجرز: 283 - 284 .
L. Coufourier, Chronique de la vie de Moulay El Hassan. in Archives Maroc: 1906, Vol. 8. p: 382-383 . marge: 1.

(*) * 161 أ.

الهند، فوصل والسلطان مخيم بسيدي علي الجراوي من أرض زمور الشلح، فزين له بالسرج المنمق، وجيء به لمواجهة السلطان وهو بالسيوان، وجعل الفيال يكلمه بما يعرفه، فيعلمه مثل الأكل على كيفية مخصوصة والشرب والعوم، وحيث قابل محل جلوس السلطان، صار يقبل الأرض بخرطومه و(يبايع)[706] بالتحية، فتعجب الناس منه.

وفي أوائل ربيع النبوي من السنة المذكورة[707]، دخل السلطان أيده الله فاسا والفيل أمامه على أحسن كيفية، وكان يوما مشهوداً، أخرج كل من بالمدينة لرؤيته، من رجال ونساء وولدان وشيوخ، وجعل له محلا بباب دار المخزن المسماة بالخصيصات، ولازال بها.

وذكر الإفراني أنه (ورد)[708] على المنصور السعدي الفيل أيضا من رعيته بالسودان[709].

وبين هدية رعية السودان، وهدية ملك الإنجلين، فرق بين وشأن عظيم، وإن شاركه المنصور في اقتناء الفيل، فقد فاقه المولى الحسن في علو القدر والجاه والتعظيم من الملوك العظام له، وقد صار ملكه له بالهدية من الملوك كما هي عادة الملوك العظام، وهو أيضا من معاني الاعتزاز من الأجانب في البيت قبله.

وكان [710]* الفيل من مراكب الملوك العظام للقتال كما هو معلوم، وقضية أبرهة الأشرم القادم بالفيل لمكة بقصد هدمها ومآله في ذلك ما قصه الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الفيل مشهورة. وبعد تقطيع أوصاله بالحجارة، وُلي ابنه يسكوم ثلاث سنين ثم مات، وَوُلي أخوه مسروف، وقضيته مع سيف ابن ذي يزن أنه لما شب ورأى بنات الملوك (يتفخذهن أعزبة)[711] الحبشة حركه عرف الأنفة وإباية الضيم، فوفد على قيصر، وبقي على بابه تسع سنين، ولما وصله قال له : إن الحبشة إخواننا في الدين، فلا خير لك عندي، ثم سعى في اجتماعه بكسرى أنو شروان، فأعطاه مالا، ولما خرج فرقه في الناس، فلما سمع كسرى بعث (إليه)[712] فلامه، فقال له: إن بلادي كلها ذهب وفضة وجوهر، ولا حاجة لي بما أعطيتني، فعظم عنده، ثم شاور مرازبته، فأشاروا عليه بأن في السجون (ثمانية)[713] آلاف ممن وجب عليهم القتل، فابعثهم معه فإن أصابوا زدت رعية وإن (قتلوا فذلك)[714] حدهم.

فجهزهم وأركبهم في ثمان مراكب، وكان فيهم رجل من أشراف الفرس ذاسن ورأي وشجاعة يقال له وهرز، فأمر عليهم، وقال له: إن ظفرت فاسأل عن هذا الرجل، فإن كان

---

(706) ز، ح: يبالغ.
(707) أي في أوائل ربيع 1309 هـ / أوائل نوفمبر 1891 م.
(708) د، ح، ك: أورد، والتصحيح من ز.
(709) أنظر: نزهة الحادي ، 162 .
(710) إلى هنا ينتهي نص نسخة 320 ك.
(711) ز، ح: يتفخذهن أعزبة.
(712) د: له، والأصح ما أثبتناه من ز، ح .
(713) د: ثمان، والتصحيح من ز، ح.
(714) د: قوتلوا ذلك، والتصحيح من ز، ح .
(*) * 161 ب.

بيت الملك فتوجه وإلا فاضرب عنقه، وساروا فغرق في البحر مركبان، ووصل ست إلى ساحل عدن، فأرسوا، وتسامع أهل اليمن، فأتاهم كل من فيه شهامة، ثم زحف لهم مسروف بن أبرهة في سبعين ألفا، ولما تراءى الجمعان قال وهرز للجند: شمروا للحرب. وأخذ عصابة رفع بها حواجبه على عينيه، وأخذ قوسه، وقال: أين ملكهم؟ قالوا: هو ذاك على فيل كالجبل ، وإن الياقوتة التي لها ضياء كالشمس إنما هي بين عينيه، ففوق السهم له وقال: إن رميته وداروا به فاحملو، فقد قتلته، وإن بقوا على حالهم فإني أخطأته، فرماه، فصك الياقوتة بين عينيه، وتعلقت النشابة فخرجت من قفاه، وإذا بهم داروا به فحمل الفُرسُ عليهم فهزموهم، وذلك آخر العهد بهم. إلى غير ذلك من الحكايات في مثل هذا. ولازالت الملوك مولعة باقتنائه إلى الآن، وجلبه له كذلك، من مناقبه الصغرى واعتزازه أيده الله.

[أسباب وصف المولى الحسن بفريدة عقد الدولة العلوية]

ثم قال الناظم رحمه الله:

(لَئِنْ) [715] كَانَ فِي عِقْدِ المُلُوكِ، فَرِيدَةٌ   فَــإِنَّــهُ مِــنْ سُــبَّــاقِ تِـلْـكَ الحَلاَئِـبِ

* العقد: بالكسر: القلادة. والفريدة: هي الدرة الثمينة التي تحفظ في ظرف على حدة، ولا تخلط باللآلئ لشرفها، وقيل: فرائد الدر كبارها، وقد جعل إن هنا، مستعملة في مقام الجزم بوقوع الشرط، منزلة الجاهل كما يقال لمن يؤذي أباه: إن كان أباك فلا تؤذيه، وإلا فالناظم والمخاطب والسامع، يعلمون أن هذا الإمام المؤيد هو فريدة عقد هذه الدولة العلوية يقينا من غير ارتياب. والحلائب: جمع حلبة كضربة خيل تجمع للسباق من كل ناحية لا من اصطبل واحد.

والمعنى: أنه هو فريدة عقد هذه الدولة العلوية، الفائزة (عن) [716] سائر الدول بمفاخر جمة، وثبوت هذا له تقرر من سبقيته للمكارم، والمحامد، واقتناء المآثر الجميلة، وإن تأخر في الوجود فمنقابه أعظم من مناقبهم وأجمل منها.

أو المراد: إن كان لابد لكل عقد من فريدة، يبتهج بها ويرتفع قدره، على ما يوجبه الاستقراء والعادة، وقد شبهوا بذلك ملوك كل دولة، بجامع التجمل، وشرف القدر، وميل النفوس إلى كل، فلابد أن يكون أحد الملوك بمنزلة الفريدة، لمزيد شرفه وفضله عن سائرها ليتم التشبيه، وكل منهم يطمع لسبقية تلك المنزلة من العقد، بأن يكون هو أشرفهم وأحقهم بها، وقد صار ذلك للمولى الحسن، لأنه من سباق الملوك إليها، لما له من مزايا دونهم لم يعرجوا عليها كما هو مشاهد.

---

(715) ز ح: فإن .
(716) ز ح: على .
(*) 162 أ .

[التعريف بالخلافة]

ثم قال الناظم:

رَفَـعْـتَ مَـقَـامـاً شَـرَّفَ الـلَّـهُ قَـدْرَهُ   فَـأَنْـتَ مَـلِـيكٌ بَـيْـنَ صَـدْرٍ وَحَـاجِـبِ

التفت من الغيبة إلى الحضور، وهو من أحسن الأمور والمراد بالمقام، مقام الخلافة العظمى التي شرفها الله على كل مقام خطة، كيف وهي رتبة الأنبياء، قال الله تعالى: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ"[717] "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً"[718]، كما أنه إنما يعطيها لمن اصطفاه وراءه لرعاية عباده أهلا. ومن الدلالة على شرفها وعظيم وجلالة خطرها، ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عَدْلُ السُّلْطَانِ يَوْماً وَاحِداً أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةٍ"[719]، وقال عليه السلام: "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ سُلْطَانٌ عَدلٌ"[720]. وقال عليه السلام: "وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ أَنَّهُ لَيُرْفَع لِلسُّلْطَانِ العَدْلِ إِلَى السَّمَاءِ مِنَ العَمَلِ مِثْل جُمْلَة الرَّعِيَّةِ، وَكُلُّ صَلاَةٍ يُصَلِّيهَا تَعْدِلُ سَبْعِينَ أَلْفَ صَلاَةٍ" [721].

* وبالجملة فلا نعمة أعظم من إعطاء درجة الخلافة، فتكون ساعة من عمره بجميع عمر غيره، وفي المعنى قال ابن الخطيب: [البسيط]

أَمَّـا مَـقَـامُـكَ، فَـهْـوَ الـغَـوْثُ إِنْ قَـصَـدَتْ   دَارُ امْـرِئٍ بِـحُـرُوبِ الضَّـيْـمِ دُنْـيَـاهُ
فَـحَـسْـبُـكَ الـنَّـصْـرُ مَـنْ وَالاَكَ أَصْـبَـحَ قَـدْ   وَالاَهُ حُـبَّـاً وَمَـنْ عَـادَاكَ عَـادَاهُ[722]

ويسمى الإمام الأعظم خليفة، وملكا، وسلطانا، وأميراً، لكونه خليفة من الله على عباده، ونائبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والخلافة هي حمل الكافة على أحكام الشريعة، وهي نعمة أنعم الله بها على العباد، وأي نعمة كنعمة رفع التهارج، وكف المظالم، وحمل الناس على اتباع الشريعة، ومن فضْلَهُ الله على خلقه يوليه عليهم، ولذلك سمي ملكا لهم لكونه مالكا لرعيته بالإحسان إليهم والقهر لهم.

---

(717) سورة ص، الآية: 26 .
(718) سورة البقرة، الآية: 30 .
(719) الحديث رواه المنذري في الترغيب والترهيب، ج 4: 220 ، عن ابن عباس بلفظ: "... ستين سنة".
(720) الحديث رواه المنذري في الترغيب والترهيب، ج 4: 220 ، عن عمر بن الخطاب، باختلاف في اللفظ.
(721) لم أقف عليه. وهذه الفقرة ابتداء من كلمة: ومن الدلالة. توجد في مشموم عرار النجد والغيطان للعربي المشرفي مخ. ع. ح. ر. 12082 : 31 - 32 . بنفس اللفظ.
(722) البيتان لا يوجدان في ديوان ابن الخطيب جمع وتحقيق محمد مفتاح .
(*) * 162 ب.

ويسمى سلطانا أيضا، وهو مشتق من السلاطة التي هي القهر كما للدسوقي [723]. ويسمى أميرا لوجوب طاعته ونفاذ أوامره كما قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" [724].

[أسباب ارتقاء المولى الحسن إلى السلطة]

وهو أيده الله رفع مقام هذه الدرجة العظيمة بنتيجة خلقه الحسان، وشمائله الزكية المعجز عن عد فضائلها اللسان، وقام بشكر نعمها باتباع الأوامر، واجتناب النواهي والعدل الحاسم لمادةالظلم عن الرعية، ودفع الانتقام والمهالك والدواهي، ومن اعتنائه بالعدل ارتقى [إلى][725] ذروة المعالي، ومن تطبعه بالحلم ركن إليه الاشراف والموالي، وبإحسانه ملك الدني والمتعالي، وبالتقوى والنية الصالحة في نصرة الدين أمده الله بالنصر المتوالي، وأعقب عدوه بعقاب الذل البالي، رفع منار الشريعة على كاهل التقوى، وجدد ما اندرس منها بقدر ما يقوى، ولم يأل جهداً في تجديد هذا الدين ويسط أردية العز للرعية وسدل ستور الأمن والأمان، واقتفاء ما أمر الله به لهم من العدل والإحسان، أبقاه الله مرجوا لهذا الأمر والشأن، بجاه من أنزل عليه القرآن محمد المبعوث من خيار ولد عدنان.

قوله: فأنت مليك إلخ: أي فأنت مليك حقيقة، حيث بدا منك ما هو المرتجى والمؤمل، من ملوك العدل وخلفاء الأرض مما كنا نجده في الكتب القديمة ونسمع به.

[شرح كلمتي الصدر والوزير وذكر وزراء المولى الحسن]

بين صدر وحاجب: والمراد بالصدر الوزير من الوزر بكسر الواو* أي الثقل، وهو الأمر الشاق، سُمي الوزير به لتحمله ثقل الملك أي ما يشق عليه، ويسمى -أيضا- صدراً لتصدره للأمور من صدره في المجلس، فتصدر، وصدر المجلس مرتفعه، وهو يومئذ الوزير الأعظم الفقيه الحاج المعطي بن الوزير الفقيه السيد العربي ابن الوزير الفقيه السيد المختار الجامعي. وكان ملحوظا لديه غاية، لأوصاف قامت به محمودة، ويقال أن أحسن الوزراء حالا من أعد لكل أمر يجوز وقوعه، ويمكن كونه عدة، فإذا وقع الأمر قابله بما كان أعدً له كما أن أسوء الوزراء حالاً من اتكل على لطف فطنته، وقوة حيلته ودربه (كذا) ممارسته، فترك الاستعداد للأمور قبل نزولها ثقة بنفسه، وإنما هو في ذلك [بمنزلة] [726] تزوير القول

---

(723) هو: محمد بن أحمد الدسوقي: عالم باللغة العربية والفقه. نشأ وسكن بالقاهرة، وتوفي بها سنة 1230 هـ/ 1815 م. أنظر: تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 4: 256، معجم المطبوعات، ج 1: 875 -876، هدية العارفين، ج 2: 357 ، الأعلام للزركلي، ج 6: 17 .

(724) سورة النساء، الآية: 59 .

(725) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح. والتكملة من ز.

(726) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز، ح.

(*) * 163 أ.

وإعداده وترويته، توكلا على فصاحة لسانه وقوة بديهته وحسن ارتجاله، فيوشك أن يستولي عليه العي في (بعض)[727] مقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح توكلا على قوة بدنه وشجاعة قلبه، فيوشك أن يظفر به عدوه في بعض المواطن، مع سعيه في مصالح المسلمين، والنصيحة لأمير المؤمنين.

ومن الوزراء أيضا، الفقيه السيد علي المسفيوي [728]، أحد مشايخ المولى الحسن، وهو على الشكايات خاصة والدعاوي والمظالم.

كما أن وزير الحرب هو السيد محمد الصغير (أخو)[729] الوزير الأعظم المذكور أولا.

ووزير الخارجية، الفقيه السيد محمد المفضل غريط، وهو أيضا من بيت الوزارة ملحوظا في المهمات والأزمة. وحاجبه إذ ذاك الفقيه السيد أحمد بن الحاجب الفقيه السيد موسى بن أحمد، فهو كذلك من بيت الحجابة والوزارة على منهج السياسة والنصيحة، والوفاء بالعهد بالأقوال الصحيحة، واعياً بمرور المسالك والسلوك، عارفاً بما يجب من الخدمة على المملوك.

[اجتماع العلماء على المولى الحسن واستجابته لمطالبهم]

ثم قال مشيرا لقضاء وطره، وهو آخر وابل مطره:

بِحَضْرَةِ مَوْلاَنَا الشَّرِيفَةِ خَيَّمَتْ   نُفُوسُ النُّهَى تَبْغِي قَضَاءَ المَآرِبِ

حضرة الرجل: قربه وفناؤه. والمولى: الناصر كما سبق بيانه [730]. والشرف: العلو. (وَخَيَّمَ) [731] بالمكان: أقام به. والنفوس: جمع نفس، قيل: أنها الروح، وقيل الدم كما في الحديث: "مَا لَيْسَ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ فَإِنَّهُ لاَ يَنْجِسُ المَاءَ إِذَا مَاتَ فِيهِ" [732] ويقال -أيضا- للجسد: نفس، يقولون: ثلاثة أنفس. فيذكرون لأنهم يريدون به الإنسان، ويقولون: جاء زيد نفسه، في التأكيد. (يعنون)[733] * ذاته وهو المناسب هنا. والنهى: العقول، لأنها تنهى عن القبيح. وتبغي: أي تطلب. والقضاء هنا بمعنى الأداء والإنتهاء، كما يقال قضى فلان دينه،

---

(727) د: نفض، والتصحيح من ز، ح.

(728) هو علي بن محمد المسفيوي المراكشي أبو الحسن: تولى وزارة الشكايات (وزارة العدل) من قبل المولى الحسن. توفي سنة 1315 هـ / 1897 م. أنظر تفاصيل ترجمته عند: ابن داني، الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية، مخ. خ. ح. ر 481: 71 -78، اللجائي، المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة العلوية الحسنية، مخ. خ. ح. ر. 12068 : 193، محمد السباعي، البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، مخ. خ. ع. ر. 1346 د: ورقة 26 أ - 26 ب. محمد غريط، فواصل الجمان: 91 -92، ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 5: 481 - 483 ، ابن ابراهيم، الإعلام، ج 9: 262 - 264، ابن سودة، الدليل، ج 1: 147 . معجم المؤلفين، ج 7: 233 .

(729) د: أخ. والتصحيح من ز، ح .

(730) أنظر: المقصد الثامن : من الجزء الثاني ص 10. والمقصد التاسع : من الجزء الثاني ص 18 .

(731) د: رخيم. والتصحيح من ز، ح.

(732) لم أقف عليه.

(733) كررت في د.

(*) * 163ب .

ومنه قوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ" [734] وقوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ" [735] أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك.

والمآرب: جمع مأربة بفتح الراء وضمها وهي الحاجة.

والمعنى، أن ذوات العقلاء أقامت بقرب مولاها الناصر لها وأفنيته العالية، تطلب منه أداء حوائجها وانتهائها إليهم لما جعله الله على يده من ذلك، ولما ألفوه منه من الأداء العام والنفع، لفرط جوده -أيده الله- فهو من سجاياه الكريمة، و(من)[736] أحسن السجايا على الإطلاق، وهو وصف ال البيت النبوي و(اختصاصهم)[737] به.

وحكاياته في العطايا شهيرة لا تحصى، لم يرد سائله ولا خاب قاصده، قصدته لذلك الوفود، واجتمعت على حبه [قلوب] الجنود، وتكاثرت لنيل خدمته الأمراء، وتزاحمت على باب مدحه الشعراء. ونال منه كل ما أمّل، وأعطى لكل ما سأل، وعمت أياديه العلماء، وازدادت به سروراً العظماء، وذلك من حسن سياسته، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما طاوعني الناس على شيء أردته من الحق، حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا. انتهى.

فقد بذل الندى، وكف نفوس الأذى، وعمل المثوبة، وأخر العقوبة، وخص نفوس العقلاء بالمقام، وتحاشى عن الركون إلى اللئام، وذوي الجور من الحكام، فاجتماع العقلاء بقربه مما يزيد في فضله.

[إشارة المؤلف إلى اختتام القصيدة وتاريخ انتهائه من شرحها]

وقد تأنق الناظم في الإفتتاح فكان أحسن وأبهى من كتاب الفتح وتدمير أهل الشرك، وأحسن في التخلص، فكان كواسطة العقد بلا شك، وأفصح في الخاتمة فكان أشبه بدرة خاتم تختم بها الملك.

وإلى هذه الغاية انتهى بالناظم الكلام، فيما قصده من عد ملوك هذه الدولة ووقائع الأيام، وكان ذلك سنة عشر وثلاثمائة[739] كما انتهى في سابع عشر ذي القعدة منها[740] ما به شرحته .

---

(734) سورة الإسراء، الآية: 4.

(735) سورة الحجر، الآية: 66.

(736) د: هو، والتصحيح من ز، ح .

(737) د: اختصاصهم، والتصحيح من ز، ح .

(738) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(739) أي سنة 1310 هـ / 1892 م.

(740) أي 17 ذي القعدة من سنة 1310 هـ / الجمعة 2 يونيو 1893 م .

تذييل شرح القصيدة
ضعف السلطة والتغلغل الأوروبي

[المقصد الرابع عشر: عودة إلى الأطماع الأوروبية]

[غزو المولى الحسن صحراء سجلماسة]

ثم رأيتُ أن نصل ما حدث بعد إلى سنة إحدى وعشرين[1]، بعدما كنت قيدته، تتميما للفائدة بذكر الحوادث المتزايدة.

وعليه فأقول: وفي منتصف ذي الحجة الحرام متم عشرة وثلاثمائة وألف،[2] غزا المولى الحسن صحراء سجلماسة وما احتوت عليه من قبائل العرب والبربر. هي آخر مغازيه، وأعظم حركاته ومقدمة مغازيه، يكلّ عن استقصاء وصفها* اللسان، ويعجز عن إدراك كنهها جنس الإنسان، وقد خصها بعض الفقهاء برحلة عظمى، تحتوي على سبعمائة بيت نظماً،[3] وكذا غيره ممن جعلها نثرا[4]، وعدَ منازلها [وما كان منها][5] سهلا ووعراً، ووصف أحوال قبائلها عدة وكثراً. واستقصاء ذلك يدعي للطول، وفي كتاب السلطان للأعيان إشارة تكفي في ذلك حيث يقول: وبعد، فإن الله تعالى لما أقام عبده بمحض الفضل والاختيار، وأورثه الأرض وعمر به الأقاليم والديار، لم تكن (له)[6] همة فيما عدا السعي في (مصالح)[7] المسلمين، وانتظام أمورهم وجمع كلمة المؤمنين، ولم نأل في ذلك جهداً حتى يسر الله سبحانه قبل في الوصول إلى سائر قبائل رعيتنا السعيدة، و(تحللنا)[8] أراضيهم كلها بجيوش الله المصحوبة بالعناية المزيدة، فلم نترك من الأقاليم إلا النزر الغير المعتبر، أو ما كان في الوصول إليه إلا مجرد المشقة والضرر، وتفقدنا من أحوالها الأمور، وأجريناها على ما يرضي الله من الاستقامة في الورود والصدور، وكان مما بقي علينا الوصول إليه هذه الأصقاع الصحراوية، والمعاقل البربرية، التي كان يفهم

---

(1) أي سنة 1321 هـ / 1903 م .
(2) منتصف ذي الحجة متم 1310 هـ / الجمعة 30 يونيو 1893 م.
(3) اسم الرحلة: رحلة تباشير الفرح. تحتوي على 605 بيت شعري وليس 700 بيت كما في المتن.
والرحلة نشرت في المطبعة الحجرية بفاس دون تاريخ، تتألف من 140 ص، من الحجم الصغير. ووقفنا على نسخة خطية في الخزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم 12035 .وناظمها هو: خليل بن صالح الخالدي التلمساني الفاسي: نحوي، أديب، وفقيه. تولى القضاء بفاس ثم بمكناس . وتوفي سنة 1326 هـ / 1908 . أنظر ترجمته عند: ابن ابراهيم في الإعلام، ج 3. 221 .
(4) أنظر:
W; HARRIS. le Tafilelt. Paris 1909
L. Arnaud. au temps des mehallas pp: 72-90.
(5) ما بين المعقوفتين ساقطة من ن ح .
(6) في الاستقصا، ج 9: 202: لنا .
(7) في الاستقصا، ج 9: 202: صلاح.
(8) في الاستقصا، ج 9: 202. تخللنا .
(*) ص 164 أ.

قبل أنها صعبة المرتقى عديمة وجوه الارتقاء، فاستخرنا الله تعالى وتوكلنا عليه، وفوضنا الأمر كله إليه، وعلمنا أنه تعالى إذا أراد أمرا هيأ له الأسباب، وفتح إلى الوصول إليه (المغلق)[9] والأبواب، وكل شيء منه وإليه كما قال ابن عطاء الله[10] في حكمه: إذا أراد أن يظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك، وما من نفس تبديه، إلا وله فيك قدر يمضيه[11]، فنهضنا من حضرتنا العلية، فاس المحمية، واستقبلنا هذه النواحي البربرية ، ونصر الله وفتحه يتواليان علينا في كل أوان، ويتجددان ما تجدد الملوان، ونعم الله (علينا)[12] متسابقة، وتدبيرات قدرته الجليلة لنا محكمة العقد متناسقة، فجاوزنا بلاد آيت يوسي[13] مروراً، وعبرنا بلاد بني مكليد عبورا، ووجدناهم جميعا منقادين للطاعة أتم انقياد، ملقين لجانبنا العالي بالله الرسن والمقاد[14]، واقفين مع النهي والأمر، لم يتخلف عنهم في ذلك زيدهم ولاعمرو، واستقبلنا بجيوش الله المنصورة، وجنوده الموفورة، قبيلة آيت إزدك[15]، الذين هم بيت القصيد، وعتبة الوصيد، (فسبقت)[16] إليهم من الله الهداية، وطويت عنهم أعلام الضلالة والغواية، وتلقونا بأوائل بلادهم* خائفين وجلين، ومن سطوة الله فزعين، فجنحنا للعفو إيثارا له وحرصا على حقن الدماء وعدولاً عن القتال، نظراً للصبيان والعجائز والشيوخ وضعفاء الحال، ومعاملة بالصفح لمن كان منهم ضل وغوى، أخذاً بقول الله تعالى: "وأن تعفوا أقرب للتَّقوى"[17]، وبعد أن تحققت منهم التوبة، وسعوا في تحصيل مرضات الله وخاطرنا الشريف بما محا عنهم الهفوة و(الحوْبة)[18]، وصير سيئاتهم حسنات، وأبعدهم عن المثلات، فقابلناهم بما أزال (دهشهم)[19] وفزعهم، وكشف جزعهم، فانشرحوا وسايروا ركابنا الشريف في زيهم وجموعهم بسرور ونشاط، مغتبطين

---

(9) في الاستقصا، ج 9: 202: المغالق.

(10) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل بن عطاء الله: متصوف شاذلي، له مشاركة في بعض العلوم خاصة الفقه، أنظر: الدرر الكامنة، ج 1: 291 - 293 البدر الطالع، ج 1: 107- 108، معجم المطبوعات، ج 1، 184-185، الفكر السامي، ج 2: 907، الموسوعة، ج 2: 62 ، الأعلام للزركلي، ج 1: 221 -222

G. MAKDISI. Ency. de l' islam, T3. P: 745

(11) أنظر هذا النص في إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن عجيبة: 465 ,462 بنفس اللفظ.

(12) في الاستقصا، ج 9: 202: لدينا

(13) آيت يوسي: قبيلة بربرية في تافيلالت، استقرت مجموعة منهم في ناحية صفرو، وإليها ينسب العالم الأديب أبو الحسن اليوسي، انظر الموسوعة معلمة الصحراء (ملحق 1): 19 .

• V. Loubignac. Le Régime des eaux, le nantissement et la prescription chez les Ait Youssi du guigou, in Hésperis, 1938. T. 25. 2e- 3e trim, pp: 251-264

(14) المقاد: الانقياد والخضوع.

(15) آيت إزدك: قبيلة صنهاجية، يمتد مجالها من واحة مدغرة على وادي زيز إلى منطقة ملوية العليا عبر فج تيزي نتالغمْتْ بالأطلس الكبير الشرقي على ما يزيد عن 150 كلم في خط الطول ومن وادي زيز إلى وادي كير على ما يزيد عن 50 كلم في خط العرض . أنظر: العربي مزين، آيت إزدك، معلمة المغرب ج 1: 330 - 331 .

(16) في الاستقصا، ج 9: 202 فسبقت

(17) سورة البقرة، الآية: 237، وكتبت في دبلفظ: "وأن تعفو هو أقرب للتقوى"

(18) في الاستقصا، ج 9، 203: الحبوة ، والحوبة تعني الإثم والذنب.

(19) في الاستقصا، ج 9، 203: دهشتهم.

(*) • 164 ب.

بمقدمنا السعيد أتم اغتباط، إلى أن خيّمنا عليهم بأوطاط، فأظهروا من حسن الامتثال والطاعة ما وصلوا به إلى الغاية، وقاموا بواجب المحلة السعيدة من الضيافة والمبرة، وشرعوا على الفور في دفع ما وظفناه عليهم من الأموال، متسارعين إلى الأداء في الحال، منقادين لكل ما أريد منهم من الأعمال، فنهضنا للتخييم بمركز بلادهم (محل)[20] وادي زيز، وحادي الميامين يحدو بالفتح المبين والنصر العزيز، فاستوفينا منهم فيه ما بقي من المفترض، وحصلنا منهم بعناية الله على غاية الغرض، ثم ارتحلنا عنهم مصحوبين بكتيبة منهم معتبرة وافرة العَدد كثيرة العُدد، مشتملة على عدد له بال من خيولهم وصناديد رجالهم، وحللنا ببلاد آيت مرغاد، فتلقوا ركابنا الشريف (بطاعة)[21] وخضوع وانقياد، مظهرين الإذعان في كل ما منهم يُراد، و(أقاموا)[22]، بأداء الفرائض والنوافل، مبتهجين بطلعتنا الشريفة في سائر المنازل، وكل ذلك بتيسير الله وتسديده، وإرشاده وتوفيقه، وإرادته وتسهيله، كما قال صاحب الحكم: ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك[23]، مع سياسة صدقت بها أنباء الكتب، وادخرت بها المرهفات في الحقب، وحقنت الدماء بإراقة مداد الأقلام، وصينت الأعراض وأغنى الكلام السياسي عن الكلام، ودوخنا بلادهم (كلها)[24] غورها ونجدها على ما هي عليه من الوعورة وتعاظم الجبال التي يخال أنها تنادم القمر، وتصافح الكوكب مهما بزغ وظهر، فسبحان الله ما أعظم شأنه، وأوضح برهانه، إلى أن حللنا بمركز أرضهم بتادْغوسَتْ وبها قرار قطب رحاهم في جاهليتهم المفسد* علي بن يحي المرغادي الذي طالما حذره الإنذار ولسان حاله يقول: لا حياة لمن تنادي، فوقع القبض عليه ووجهناه مصفداً إلى مراكش على (سنة)[25] الله فيمن زلت به القدم، وصار حليف التأسف والندم، وأراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد، وفيما قبل ذلك كنا وجهنا من يستوفي من آيت حديدو[26] ما وظف عليهم في المغارم، ويأتي من عندهم بما هو لهم لازم، فلم يظهر منهم ما يفيد، ورجع الموجهون بغير طائل ولا عتيد، فترصدنا من أعيانهم وأهل الحل والعقد منهم جماعة وافرة تقرب من المائتين، وقبضنا عليهم بأجمعهم جزاء وفاقا، حتى يؤدوا ما فُرض عليهم بحول الله، وتوجهنا والسعادة تقدمنا و(الميامن)[27] تحفنا، وصحبة ركابنا الشريف من جيش آيت

(20) في الاستقصا، ج 9: 203: علي.
(21) د. بضاعة والتصحيح من ز. ح .
(22) في الاستقصا، ج 9. 203: قاموا .
(23) أنظر: إيقاظ الهمم في شرح لأحمد بن عجيبة : 462 - 463 . بنفس اللفظ.
(24) د. ح: كلهم، والتصحيح من ز.
(25) د: سنة، والتصحيح من ز. ح .
(26) ايت حديدو. قبيلة بربرية تنتشر على الضفاف العليا لوادي زيز. تتألف من مجموعة من القصور (القرى).
أنظر: - CH. de Foucauld, reconnaissace au Maroc PP: 347, 348
(27) في الاستقصا، ج 9. 204: الميامين .
(*) 165 أ .

مرغاد قدر كثير العدد، قوي المدد، مشتمل على (ألف) [28] من الخيل والأبطال، وليوث الحرب والنزال، إلى أن وصلنا إلى قصر السوق[29] فوجدنا به جيش خدامنا آيت عطة في انتظار جانبنا الشريف، لمصاحبة ركابنا السعيد المنيف، وهم في عدد عديد، وقوة ما عليها من مزيد يقربون من الأربعة آلاف فارس، [و][30] كلهم ليوث عوابس ، ومعهم من رماة إخوانهم عدد كثير معتبر، كأنهم سيل إذا انحدر، فنهضوا مع جانبنا العالي بالله في جموعهم وكثرة عددهم وعديدهم إلى مدغرة، فتبركنا (بمواطئ)[31] الأسلاف، وتعاهدنا أمور أهلها بحسن مباشرة وإسعاف، وأنعمنا على شرفائها بعشرين ألفا من الريال، ووجهناها إليهم صحبة ولدنا مولاي عبد العزيز -أصلحه الله- وفرقت (عليهم)[31] صلة لهم وأداء لحقوق القرابة والاتصال، وتزودنا من دعائهم الصالح بمقبول مستجاب، يرجى أن لا يكون بينه وبين الله حجاب، ونهضنا عنهم إلى بلاد عرب الصباح، فتلقوا مواكبنا السعيدة في زيهم بفرح وانشراح وقاموا بالواجبات من (الميرة)[32] والضيافات، ودفعوا في الحين جميع المفروضات، ونهضنا من بلادهم إلى تافيلالت بقصد زيارة جدنا الأكبر، القطب الواضح ذي السر الأظهر، مولانا علي الشريف رضي الله عنه ونفعنا به، فخرج أهلها من جميع الشرفاء والعامة لملاقاتنا رجالا ونساء، وصبيانا وشيوخا، وكهولا أفواجا، جموعا وفرادى وأزواجا، وحصل لهم ابتهاج عظيم برؤيتنا، وامتلؤا فرحا وسرورا بمقدمنا، وانشرحت هنالك الخواطر، وسرّت الضمائر، وأدينا واجبا بصلة رحم من هنالك من ذوي القرابة والرحم، وكان ذلك عندنا* من الأمر المهم، وأنعمنا عليهم بعشرين ألف ريال أخرى كأهل مدغرة، وجهناها إليهم مع ولدينا مولاي عبد العزيز ومولاي بلغيث حفظهما الله، وقسمت فيهم صلة، وأقمنا هناك ثمانية عشر يوما بقصد الاستراحة والزيارة، ومشاهدة آثار الأسلاف قدسهم الله وما أجلها مآثر، وأعظم سناها في تلك المظاهر، وعاينا مالهم من الأملاك والأصول، وتفقدناها بما أحيا مواتها كفاحا، وازدادت به بهجة ونجاحا، فلله الحمد بداية ونهاية، وله مزيد الشكر أولا وغاية، نسأله سبحانه أن يجعل ما ارتكبناه في ذلك كله خالصا لوجهه، جاريا على سبيله المستقيم ونهجه، ويتقبله بأحسن قبول، و(يبلغ)[33] في صلاح المسلمين غاية المأمول، ويجعل في طاعته الحركة والسكون، وعلى حوله وقوته الاعتماد والركون، وقد نهضنا إلى حضرتنا الشريفة المراكشية، سائلين من

---

(28) في الاستقصا، ج 9 204 ألوف.
(29) قصر السوق: يتألف من مجموعة من القصور (القرى)، تنتشر على ضفاف وادي زيز، ويسكنها آيت إزدك والشرفاء، أنظر:
- CH. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc P 351
(30) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز. ح .
(31) في الاستقصا، ج 9 204 فيهم.
(32) ز. ح: المبرة .
(33) د: يبالغ. في الاستقصا، ج 9 205 يبلغنا. والتصحيح من ز. ح .
(*) • 165 ب.

الله سبحانه الإعانة والقوة والتيسير وبلوغ الأمنية، وأعلمناكم لتكونوا (مستبصرين)[34] بما كان، وتفرحوا بفضل الله وفتحه ونصره في الإسرار والإعلان، وهو المسؤول سبحانه[35]، البداية عنوان الاختتام، ويبلغنا من كل خير غاية المرام، والسلام. في خامس عشر جمادى الأولى عام أحد عشر وثلاثمائة وألف[36]. انتهى كتاب السلطان المولى الحسن رحمه الله، وفيه كفاية في ذكر هذه الغزوة.

[حدوث حرب بين قبائل الريف والإسبان]

وفي مدتها[37] حدث الحرب بين زناتة الريف وقلعية، على ما هم عليه من القبائل والشعب وبين سكان مليلية من جنس الإسبنيول[38]، بسبب ما (أرادوه)[39] من البناء فيما يتجاوز حدهم من الأرض المعلومة عند تلك القبائل أنها من أرض المسلمين، فرأى المسلمون ذلك تعديا منهم لعدم اطلاعهم على الشروط المتقدمة بتطاوين، ولا سيما حيث أرادوا البناء بمحل ضريح الولي الشهير سيدي وارياش، وهدم آثاره واضمحلال حرمه، وهو إذ ذاك معظم عند تلك القبائل ومحترم، محل زيارة والتجاء ودعاء، والاسبنيول قصدهم الأخذ بشرطهم الواقع عليه الصلح بحرب تطاوين، من الزيادة في الحد بقصد التوسعة بقدر ما يكفي للرعي، فثارت العامة من تلك القبائل على الإسبنيول بعد أن راودوهم على تخلية ضريح الولي المذكور، والبناء بقربه أو بمحل آخر يدانيه، فأبوا وصمموا على البناء به، وحوزه لديهم، فأعلن المسلمون بالحرب وأوقعوا * بالإسبنيول وقائع شنعاء، ونالوا منه ما كان فيه شفاء لغليلهم، وقهروه قهرا ما عليه من مزيد، إلى أن ورد عليهم المولى عرفة من قِبَل أخيه مولاي الحسن يأمرهم بالكف عن القتال مع مَنْ معه من الجيوش، وبقي هناك مخيما بها إلى أن استوفى الإسبنيول بشرطه، وتم بناء ما أراده حيث أراد، وتمكن من مطلوبه، فحينئذ نهض المولى عرفة بجيوشه على قبائل زناتة المانعين الإسبنيول من أخذ بلاد المسلمين بزيادته في الحد المعتاد.

---

(34) ز: متبصرين.
(35) زاد في الاستقصا، 9: 205 بعد ذلك: أن يجعل.
(36) 15 جمادى الأولى 1311 هـ/ الجمعة 24 نوفمبر 1893 م. هذه الرسالة توجد في الاستقصا، ج: 9 202 - 205 . باختلاف يسير في اللفظ.
(37) أي في مدة غزو صحراء سجلماسة المتقدمة ذكرها .
(38) عن هذا النزاع أنظر أيضا: E. Rouard de card, Les reltions de l'espagne et du Maroc, pp: 155-158. •
(39) د. أوردوه، والتصحيح من ن، ح .
(*) • 166 أ .

[قدوم سفير إسبانيا إلى مراكش ووقوع الصلح]

وبعده، أقبل سفير إسبانيا وهو مرتينس كانبوص على السلطان بحضرة مراكش، يطلب الإنصاف من قبائل زناتة أهل الريف، على فعلهم الشنيع وهجومهم على الإسبنيوليين وقتلهم إياهم.

ودار الكلام في تلك النازلة وآل الأمر فيها أن وقع الصلح على دفع أربعة ملايين ريالا [40] دية لمن قتل منهم، فدفعها السلطان تقاضيا، وتم الصلح ثانيا، وانقطع اللجاج.

[عزل المولى الحسن ابنه محمد وتقديم عبد العزيز لخلافته على مراكش]

كما أنه عند إيابه من سجلماسة إلى مراكش، عزل خليفته عليها ابنه المولى محمد فتحا، لما ثبت لديه من أفعال صدرت منه غير مرضية وأحوال استبدادية، ومخالفته لأحكام شرعية واشتغاله بأمور ردية، وكان أثر العزل عليه من نواحي سجلماسة عند ملاقاته معه بمن معه من الجيوش بتلك النواحي.

وكان ابنه مولاي عمر حينئذ خليفة بفاس، وبعزل مولاي محمد قدم نجله الأعز لديه المولى عبد العزيز لشغفه به وكثرة حنانته عليه وملازمته له حضراً وسفراً، فلذلك قدمه مع صغر سنه، وخصه بأشياء تؤذن بتأكيد المحبة وعدم الالتفات إلى غيره من سائر أبنائه، كما تؤذن بالخلافة وولاية العهد، كنشر المظل عليه عند ركوبه، وتقديمه له في المهمات، وفي العرف المغربي أن المظل لا ينشر ولا يحمل في المحافل أمام الجيوش إلاّ على الإمام.

[تاريخ وفاة المولى الحسن]

وفي إثره خرج المولى الحسن من مراكش في فاتح ذي القعدة من سنة إحدى عشر وثلاثمائة وألف[41]، يريد غزو آيت شخمان المتقدم ذكرهم[42]، الفاتكين غدراً بابن عمه مولاي سرور ومن معه من الرجال حسبما تقدم بغزوة بني مكّليد [43]، وكان ذلك منذ قدم

(40) وهو البند السادس من نص اتفاقية الصلح التي وقعها من الجانب المغربي وزير الخارجية محمد المفضل بن محمد غريط، ومن الجانب الإسباني الجنيرال أرسينيو مرتينس كانبوص (ARSINIO MARTINEZ DE CAMPOS)، وذلك في مراكش بتاريخ 26 شعبان 1311 هـ / 5 مارس 1894 م. أنظر نص الاتفاقية عند:

- E. Rouard de card. les relations de l'espagne et du Maroc pp: 223-226

(41) فاتح ذي القعدة 1311 هـ / الأحد 6 ماي 1894 م.

(42) أنظر: المقصد الثالث عشر من الجزء الثاني ص 172 – 174 .

(43) أنظر: المقصد الثالث عشر من الجزء الثاني ص 167 – 172 .

لمراكش من سجلماسة، وهو متشكيا متعلّلا، إلا أنه يتجلد لما كلف به من الأمور التي لا يقوم غيره بها، ولا يعتمد على أحد فيها من المهمات وسائر المحاكمات. ولازال على تلك الحالة إلى أن وصل وادي العبيد من أرض قبيلة تادلا، وهو الحد بين السوس الأقصى والأدنى، *فأدركه أجله هناك في الساعة الحادية عشر من ليلة الخميس ثالث ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة [44].

[أسباب كتم أحمد بن موسى وفاة المولى الحسن وإفشائها بعد ذلك]

ولم يطلع على موته حينئذ غير حاجبه السيد أحمد بن موسى وجاريته السيدة رقية، فكتما موته خيفة من النزاع وافتراق الجماعة، بما اشتملت عليه الجيوش من كل نوع وبتباين أغراضهم ومقاصدهم زيادة على ما هم عليه من الحلول بأرض تادلا، ولا تنال أهلها الأحكام، ولم يخشوا مدة حياتهم سطوة إمام، لما هم عليه من القوة والعصبية والاستعداد، وولوعهم بالبغي والفساد، ونهب الطرقات وأخذ الأموال، وسفك الدماء وإساءة الأحوال.

وعقبه شمر الحاجب [المذكور][45] عن ساعد السياسة، إلى أن اكتسب بها ما أورثه الرياسة، فجعل السلطان في تابوت وجعله داخل محفته، وأخرج الإذن عنه للناس فنادى منادي الرحيل بمحلته، فبادرت الجيوش لتنفيذ أوامره، ثم يأمر بما يناسب من ذلك لقواد الجيش وأكابره، وتارة يجيب بالإنعام والسيادة، كأنه يناديه لرفع الوسادة، وتارة يكلمه ثم يأمر بالماء للشراب، ويدخله عليه عاجلا على عادته من التعظيم والإرهاب، وبعض الأحيان يطلب أزواجه، يعين من يباشر أمره عند قضاء الحاجة، ويأمر بالوقوف هنينة قدر الفراغ من ذلك، ولازال مدة يومه سالكا تلك المسالك، على ماهو عليه ذلك اليوم من الحر الشديد ، والسير الحثيث الذي ما عليه من مزيد، إلى أن خرج من أرض من يخشى منهم الفتنة، وتوغل في أرض الأمان من كل محنة، فحينئذ اجتمع الحاجب المذكور مع الوزراء، والرؤساء والأمراء، وعرفهم الخبر وما دبره من الكتمان، والجد في السير إلى أن تجاوز أرض الخوف والعصيان، ففشا في القوم وقته خبر موت السلطان، واستحسنوا رأيه المصيب، وأخذ كل واحد حظه من الحزن على موته وضرب له بأوفر نصيب.

---

(44) أي ليلة الخميس 3 ذي الحجة 1311 هـ/7 يونيو 1894 م. وإلى هنا ينتهي كوفوريي (coufourier) ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية. أنظر:

- L. Coufourier, chronique de la vie de Moulay El Hassan, in. Archives. maroc. 1996 vol 8 P: 395

(45) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز. ح.

(*) • 166 ب .

[المقصد الخامس عشر: الاستبداد وتعميق سياسة الانفتاح]

[بيعة المولى عبد العزيز]

وبعده[1] اجتمع رأيهم على إبقاء كل واحد بمرتبته، واتفقوا على تقديم نجل السلطان: مولاي عبد العزيز، فأعلنوا (ببيعته)[2]، وأمروا حينا باجتماع الأعيان من كل فريق وأقارب السلطان، ومن هو بالحل والعقد حقيق، وعرفوهم بالواقع جهاراً، فوافق كل من حضر على مبايعة المولى عبد العزيز هناك، ولم يقبلوا من أحد في ذلك اعتذاراً.

وبوصولهم لرباط الفتح بما منحهم الله، من اجتماع *الكلمة، دفنوا السلطان (بإزاء ضريح)[3] جده الأعلى سيدي محمد ابن عبد الله، واستسلموا لقضاء الله، وأيقنوا بعدم وجود إحسانه وسيرته، [وحزمه][4] وضبطه، وصدق نيته الصالحة لهذه الأمة فيمن سواه، وطيروا الإعلام بموت السلطان ومبايعة [ولده] مولاي عبد العزيز للأمصار وسائر القبائل، وحضوهم على إخماد الفتنة بجمع الكلمة بكل ما لديهم من الوسائل، فاجتمعت حينئذ كلمة الإسلام، من أمم المغرب كله على موافقة بيعة هذا الإمام.

[استبداد الحاجب أحمد بن موسى بتدبير شؤون الدولة]

وكانت مساعدة الحاجب السيد أحمد للوزراء على إبقاء كل واحد بمحله وفي رتبته، لما يعلمه من اختصاصه بالمولى عبد العزيز، وعدم خروجه عن أمره لصغره، إذ هو في تلك الساعة من نحو الإثني عشر سنة، ومع ذلك كان لا يركن لأحد من الأعيان سواه، لاقتصاره على أدبه ومراقبة أحواله، ووصول ما يحتاج إليه على يده، والموصى من قِبَل والده بتربيته، حتى أنه لا يعرف أحدا غيره، وأنه كان بمنزلة والده، فهو حينئذ على يقين من الاستبداد بالرياسة دون غيره. وبخروجهم من رباط الفتح في أقرب مدة حاول الحاجب المذكور نيل ما أمله ونواه من الاستبداد بالرأي دون غيره، فتم له ما أراد.

---

(1) أي بعد أن تم إفشاء سر وفاة المولى الحسن، ووصل الخبر إلى أعيان الحكومة .
(2) ز: بيعته.
(3) ز، ح: بضريح.
(4) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز، ح .
(5) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز ، ح
(*) • 167 أ.

وجعل يدخل في أمور ليست من وظيفه وينجزها، ولا يصدر من أحد (أمرٌ)[6] أو نهي إلا ويعرض عليه حتى يسلمه أو يرده. فضاق من ذلك الوزير الحاج المعطي (ذرعا)[7] لكونه الوزير الأعظم وأخوه السيد محمد الصغير وزير الحرب، فجعل يدعو خفية لبيعة مولاي محمد بن مولاي الحسن المعزول بمراكش، ويرتقب انتهاز (الفرصة)[8] بالنهوض في شأنه. والحاجب يلاحظ -أيضا- وينتظر إمكان انتهاز (الفرصة)[9] في المكر به والقبض عليه، لما في الهجوم عليه من انتشار الفتنة لكون جيش شراقة وأولاد جامع[10] من حزبه، والعساكر كلها تحت يد أخيه، والوزير أمل وقوع ما نواه بالحاجب من إبطال دعوته إنما يكون عند حلوله بفاس، لكون عصبيته بها، والحاجب على بال، بصير بالأحوال، خبير بما أضمره الوزير وتحدث به في شأنه. فلما نهض السلطان من الرباط يريد ما سواه من الأمصار، مال الوزير إلى التوجه لفاس والحلول بها قائلا أنها قاعدة المغرب وقطب رحاه، وباحتلالها يسهل كل شيء، ولا يبعد منها شيء، والناس متشوفون لحلول السلطان بها دون ما عداها.

ومال الحاجب إلى المرور بمكناسة الزيتون، قائلا: إن العادة قاضية بالمرور بها لابد، لكونها مقر الجيوش، ودار ملك لمولانا إسماعيل، ووسيلة *لزيارة مولانا إدريس بن عبد الله الكامل لقربه منها، ولأن أهل فاس قد وصلت بيعتهم وتم أمرهم، وأن الأعيان منهم يرِدُون علينا بها، ولا يفوتنا شيء من أغراضها.

فجنح السلطان لكلام الحاجب، وأمر بالمرور بها ليقضي الواجب، فلما حل بها وأقام، والوزير والحاجب كل منهما يريد بصاحبه الانتقام، إلى أن تمكنت مكيدة الحاجب بعصبية الجيش البخاري، وظهر صيته وانتشر أمره ونهيه في الأمصار والبراري، لما بذله للوفود على الحضرة العلية من الأموال، وقابلهم به من الإحسان وطيب الأقوال، وما شاهدوه منه من المباشة والتواضع وجميع الأحوال، وقضاء مآربهم على يده دون مكابدة مشقة وأهوال، فحينئذ خرج يوما من محل جلوس السلطان، لتبليغ ما أمره به مما لا يسعه في ذلك كتمان، والوزير الأعظم جالس بمحله، كما أن وزير الحرب جالس على مهله، فقام على رأس الأول خاطبا، و (لكليهما)[11] مخاطبا، فقال: اسمعوا كلام سيدنا فإنه قال: قل للذين "طَغَوْا فِي البِلاَدِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ"[12]، قد كفرتم بنعم الله، الذي أورثكم بوجود

(6) ز: أمرا.
(7) د.ح: ضرعا. والتصحيح من ز.
(8) د: القرسة. والتصحيح من ز. ح.
(9) د: القرسة. والتصحيح من ز. ح .
(10) أولاد جامع: قبيلة عربية الأصل، تنتمي إلى عرب معقل. كانت مواطنهم -قبل وصولهم إلى المغرب- جنوب تونس، ولعلهم دخلوا إلى المغرب وسكنوا بناحية فاس في القرن 11 هـ/ 17 م. ويستقرون حاليا شمال غرب مدينة فاس، شمال لمطة وجنوب شراكة. وإلى هذه القبيلة ينتمي الوزيران في العهد الحسني: الحاج المعطي بن العربي بن المختار الجامعي. وأخوه محمد الصغير بن العربي الجامعي.
بصدد هذه القبيلة أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1: 150 الهامش: 73 ، فاس وباديتها لمحمد مزين، ج 1: 113 .
(11) د: لكيليهما. ز: لكيلهما. والتصحيح من ز.
(12) آيتين متتابعتين: 11، 12 من سورة الفجر.
(*) 167 ب .

والده المقدس، العز والجاه، ورفع قدركم بعد الانحطاط، وعظم شأنكم وميزكم بعد الاختلاط. وبسط لكم يد التصرف على كل الرعية زيادة على ما أعطاكم، فنلتم منها من الأموال والذخائر ما أطغاكم، فارتكبتم لخبث أوصافكم وسوء نيتكم (بدل)[13] المجازاة بالإحسان العقوق، وارتديتم بأردية الكبر والتعاظم على كل مخلوق، ومنعتم (من)[14] اختص بكم من أداء الحقوق، وقد بلغنا ما أردتموه من غيرنا، وتحققنا بعزمكم على نقض بيعتنا، ولولا مراعاة محبة والدنا لجانبكم، لدهمكم ما لا طاقة لكم به من جانبنا، لكن اذهبا لمحلكما ولازماه، واختلا برأيكما ونادماه.

فقاما من بين الوزراء والرؤساء على أسوء حال، وجلس الحاجب مكان الوزير الأعظم في الحال، وذهب الصدر لداره مهانا، كأنه ما أمر ولا نهى قط خدمة وأعوانا، حتى أنه لم يجد معينا وقته على ركوب بغلته، إلى أن أقبل بعض الأعوان ممن لا خبرة له بعظيم محنته، فأركبه وسار لداره، كما خرج أخوه ماشيا يعثر في أطماره.

وبعد ثلاثة أيام، أمر صاحب الشرطة بالقبض عليهما المتولي بمكناسة الأحكام، فأخرج كلا منهما من داره الأعوان، * على حالة تورثهم مدة حياتهم الأحزان، فقد خرج كل منهما عاري الرأس ممزق الثياب، بعنقه سوط يقاد به إلى السجن واليهم العذاب، وقد سخر منهم الولدان، و(أذاقهم)[15] لذة الصغار العبيد والأعوان، وأنكرتهم الأقارب والإخوان.

وبعده وجههما الحاجب لسجن تطاوين، وجرى عليهما من المحن، بأخذ كل ما ينسب إليهما من الأملاك والذخائر والدواب والأنعام ما (يملأ)[16] الدواوين.

ومن جملة أملاك الصدر الأعظم داره بدرب الحرة من طالعة فاس، وكان أمر ببنائها على كيفية اخترعها لا بإشارة أحد من الناس، وأنفق على تشييد أركانها وتنميقها على ما قيل [ما][17] يزيد على مائة ألف ريال، وأعد لها من فرش الحرير والقماش المغشاة بالقطن والصوف الجيدة ما يناسب قدرها وحالة العيال، وكان حريصا على إتمامها ليتمتع بها عند الورود، فإذا هو في ذلك شقيق النمرود، فأحرمه الله من رؤيتها، ومتع عدوه بها.

وكان الحاجب قد استفتى العلماء في شأنهما، وشرح لهم قضيتهما، بكونهما أرادا افتراق كلمة الجماعة بشق العصا، ونكثا ما التزماه من بيعة مولاي عبد العزيز، وأرادا مبايعة مولاي محمد، فأفتى بعض العلماء بقتلهما، وبعض العلماء بتخليدهما في السجن، فحينئذ وقع القبض عليهما بعد طردهما من محل حكومتهما كما قدمنا، ووضعا

---

(13) د: بذل. والتصحيح من ز. ح.
(14) تكرار في د.
(15) د: أذقهم. والتصحيح من ز. ح.
(16) د: يملؤ. والتصحيح من ز. ح.
(17) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز. ح.
(*) • 168 أ.

في سجن تطاوين، إلى أن مات الوزير الأعظم، وبقي أخوه به إلى الآن[18]. وقيل: إنه مات بدسيسة من الحاجب المذكور والله أعلم.

وبوضعهما في السجن خلص أمر الملك للحاجب واستبد برأيه.

[أوصاف الحاجب أحمد بن موسى]

وكان هذا الحاجب فقيها، دينا، عفيفا، طلق الوجه، ظاهر البشر، مباششا لمن لقيه، متواضعا، (فطنا)[19]، ذكيا، متأدبا، ذا مكائد وحيل.

وكان الوزير الأعظم على ما ينافي هذه الأوصاف من الكبر، والإعجاب، والغلظة، و(الفظاظة)[20]، وسوء الخلق، مفرطا في البخل والجفاء، معرضا عمن تعرض لكلامه، والإلتجاء إليه في مسائله وقضاء مآربه، حتى أنه لا ينظر إلا للسماء عند تخيله أحدا بطريقه، وإن فاته أمر بردَ الباب دونه وسده، فمقته الناس لذلك، وتمنوا له الأماني، حتى أنه لم يجد ناصراً لما وقع به ما وقع.

ومال الناس كلهم للحاجب - المذكور- لما اتصف به من الأخلاق الحسنة، واستحسنوا سيرته، وحمدوا وزارته، ولا سيما حيث بذل* العطاء للوفود عليه في ذلك الوقت، وعمَّ الناس معروفه، وما قصده أحد ورجع خائباً، وأسدى للضعفاء والمساكين بكل ناحية، ولا سيما مكناسة وفاس، لم يبق أحد من سكانهما من غير صلة من جانبه، لإحصاء أنواع المخلوقات بهما، وكل نوع جعل له ما يناسبه من العطاء، كالعلماء، والأشراف، والمهاجرين، وأهل الزوايا من كل طائفة، ولكل حومة ما يخصها، ويفرق على ضعفائها، بل وعلى بعض أغنيائها.

فاستقام له بذلك أمر الملك، وطأطأت له الرؤوس ولم يبق له منازع، فتمكن من الوزارة العظمى، بل وبأمر الملك كله، وقام أحسن قيام.

[تعيين الوزير الأعظم أحمد بن موسى رجال حكومته]

وجعل أخاه السعيد وزير الحرب مكان السيد محمد الصغير [ابن العربي][21] الجامعي المذكور، وولى أخاه الثاني[22] رتبة الحجابة مكانه.

---

(18) إن الوزير الأعظم الحاج المعطي بن العربي بن المختار الجامعي، بقي في السجن بتطوان إلى أن توفي به سنة 1321 هـ/1903 م. أما بالنسبة لأخيه السيد محمد الصغير والذي كان وزير الحرب، فقد أطلق سراحه سنة 1326 هـ/ 1908 م، بعد أن قضى مدة 14 سنة في السجن،
أنظر: L. Arnaud, Au temps des Mehallas , P 90 .

(19) د: فطينا، والتصحيح من ز. ح.

(20) د: الفضاضة، والتصحيح من ز. ح .

(21) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز. ح.

(22) يقصد به: السيد إدريس بن موسى. انظر: L. Arnaud, Au Temps des Mehallas, P: 90

(*) • 168 ب.

وهو المتصرف على الكل في الحقيقة لا تخرج عن أمره شاذة ولا فاذة، وإنما جعلهما صورة، كما لم يُبق معه وزيراً أجنبيا غير السيد محمد المفضل غريط على الخارجية، إلى أن نهض من مكناسة الزيتون إلى فاس،فانتهز الفرصة فيه، بسبب من الأسباب نسبه إليه عند ورود باشا دور الدولة الفرنسوية[23]. عليه بفاس، فأخره عن رتبته، وولى مكانه الفقيه السيد عبد الكريم بن سليمان، فتولى الملاقاة مع الدول الأجانب، فيما يليق بالمصالح العمومية، ولا يقطع أمراً دونه إلا بمشورته، وتسليم فعله ونهيه إليه ما لقيه منهم من المطالب، وعضده بمولاي الطاهر البلغيثي لحسن ظنه به، وشدة معرفته للأمور وحزمه فيها.

كما ولى من كان موافقا له على قبض الوزيرين وتخليدهما في السجن واستبداده وإياه بالأمر دون غيرهما، وهو قائد المشور حينئذ إدريس بن العلام البخاري على فاس زيادة على رتبته المذكورة، فكان يعمل فيهما معا، تارة بنفسه وتارة بنائبه.

وعظم أمره أيضا بفاس، وصار يستقل برأيه، وربما فعل نقيض ما يأمر به الوزير السيد أحمد، ولم يلتفت إلى أمره، لما يعلمه من عصبيته إلى أن يستعطفه الوزير المذكور بكل ما أمكنه، أو يصالحه المحكوم عليه بما يرضيه، وهو الغالب عليه، فتمتع بالولايتين حضراً وسفراً، إلى أن مات عنهما.

[حلول عبد الكريم بريشة سفيراً بإسبانيا]

وفي أثناء هذه المدة وجه الوزير الأعظم الحاج عبد الكريم ابريشة التطاوني سفيراً لدولة إسبانيا معززاً بالفقيه السيد عبد الكريم بن سليمان، فقابلتهما الدولة المذكورة بالإكرام*والترحيب والإنعام، وأقامت بواجبهما أحسن قيام، واحتفلت بهما غاية الإحتفال، إلى أن وجب وقت الملاقاة وحان إلى قصد السفارة الالتفات، وأمر السفير (بالتهيء)[24] للملاقاة

(23) لعله يقصد به: السفير بايلين دي مونبل (Bylin. de Monbel) الذي قدم إلى فاس يوم 2 ذي الحجة من سنة 1312 هـ / 27 ماي 1895، واستُقبل في حفل تقليدي من طرف رؤساء السلطات المحلية.اجتمع دي مونبل بالمولى عبد العزيز، وأجرى معه محادثات همت العلاقة المغربية الفرنسية والسبل الكفيلة بتمتينها. وتعهد السفير الفرنسي بأن يعمل ما في وسعه من أجل تمتين هذه العلاقة وجعلها في خدمة مصالح الدولتين.كما اجتمع السفير المذكور مع الوزير المغربي أحمد بن موسى. وتحدث معه في موضوع الحدود المغربية الجزائرية، وعبّر له عن استعداد فرنسا لتقديم المساعدة للمغرب من أجل تمكينه من مواجهة الأطماع الخارجية، وتطبيق الإصلاحات المقترحة . ويظهر أن الوزير المغربي أُعجِبَ بكلام واقتراحات السفير الفرنسي، فأبى إلا أن يساعده بكل ما لديه من ثقل سياسي في تحقيق المهام التي جاء من أجلها، لهذا نجده يطلب منه لائحة مطالبه. وكان المطلب الأساسي هو فتح القنصلية الفرنسية بفاس أمام ممثليها وأخذ الترخيص بذلك.وبالفعل فإن الحكومة المغربية وافقت على مطالب السفير الفرنسي. ومنذ هذا التاريخ بدأت القنصلية الفرنسية تزاول نشاطها بمدينة فاس. واستمر دي مونبل في منصبه بالمغرب إلى سنة 1318 هـ / 1900 م. أنظر: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 10: 29 .

H. de la Martinière, Souvenir du Maroc, PP: 50-51.

- J. caillé. La representation diplomatique de la France au Maroc, PP: 53,77.

F. Charle Roux, Missions diplomatiques Françaises à Fès, in Hésperis, année 1948, 3 e - 4 e trim. PP: 260-275.

F. Charle Roux, J. caillé, Missions diplomatiques Françaises à Fès, PP. 53-77.

(24) د: بالتهني، والتصحيح من ز، ح

(*) 169 أ.

الرسمية مع الرينة[25]، فتهيأ ونزل من محل نزوله بقصد ذلك، ولما فارق المحل [وسار][26] تعرض له جنيرال من جنيرالات الدولة المذكورة[27] ولطمه بوجهه لطمة قوية، وهو على حين غفلة، غير ظان بوقوعها ولا سمع قط بمثلها، لشدة ما أصاب هذا اللاطم من الغيظ والحزن على ما فعله زناتة الريف من قتل أقاربه بمليلية فيما سبق. وقال عند لطمه هذه اللطمة: أخذتُ ثأري بقتل الجنيرال مَرْكايو[28]، فاغتم السفير المذكور لذلك غما شديداً، لما أصابه من الإهانة والإحتقار، وعظم عليه ذلك ورجع من طريقه، وامتنع من الملاقاة مع رينة الدولة المذكورة.

[موقف المؤلف من سلوك الجنيرال الإسباني]

وما سلكه هذا الجنيرال من فعله الذميم، إنما هو من شأن الرعاة والأجلاف، والسفلة والأطراف، لا من شأن ذوي الهمة العالية من الرجال، ولا من شيم من خاض مغامع الحروب وبارز الأبطال، على أن أخذ الثأر إنما هو بالسيف عند موجبه بالاقتدار، إذ هو حينئذ من جنس الجناية، وأما اللطمة على حين غفلة في مقابلة الدم فمن الفشل والغواية، وسقوط الهمة و(الدناءة)[29]، فهي دليل عجزه وجبنه، عن مقاومة ومصارعة قرنه.

ولازال السفير عند جميع الأمم الماضية ومن بعدهم إلى الآن يقابل بالتعظيم والإجلال، ويعامل بالجميل والقول اللين في التفصيل والإجمال.

وبهذه الفعلة الشنيعة، ازدادت هذه الدولة مذلة واحتقاراً، وامتازت عن سائر الدول انتقاصا واستصغاراً، فانظر إلى أثر صنيع دولة الفرنسيس، التي هي أشرف دول المسيحيين هل يرضى أحد منها بمثل هذا الفعل الخسيس، وقد حاربهم الأمير [السيد][30] الحاج عبد القادر بن محيي الدين، وقتل منهم رجالا وأبطالا ورؤساء وأمراء، يجب الحزن عليهم والأخذ بالثأر من قاتلهم، لا يشك أحد في أنهم أفضل وأشجع وأعظم من مركايو قتيل هذا الذميم، ومع ذلك لما سار إليهم وحل أرضهم ونزل بين أظهرهم، وهو حينئذ في حكمهم وتصرفهم، قابلوه بالإحسان والبرور، إلى أن سرحوه مكرما على غاية الفرح

---

(25) الرينة: Reina كلمة إسبانية، تعني الملكة. ويقصد بها: الملكة ماريا كريستينا (MARIA Christina) الزوجة الثانية للملك ألفونسو الثاني عشر (Alfonso XII) ولدت سنة 1275 هـ / 1858، ولما توفي زوجها تركها حاملا فولدت في 7 مايو سنة 1886 م إبنها الملك ألفونسو الثالث عشر، وأقامت وصية عليه إلى سنة 1320 هـ / 1902 م، حيث بدأ يمارس بنفسه شؤون الحكم. وتوفيت ماريا كريستينا سنة 1348 هـ /1929 م. أما إبنها ألفونسو فإنه خلع عن الملك سنة 1350 هـ / 1931، وتوفي منفيا سنة 1360 هـ / 1941 .

(26) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز. ح. ك

(27) يقصد به: الجنيرال الإسباني ميكيل فوينطس (Miguel Fuentès) الذي كان متقاعداً.
أنظر: E. Rouard de card, les relations de l'espagne et du Maroc, P: 161

(28) كان الجنيرال مركايو (MARGALLO) قد قتل في أواسط سنة 1311 هـ / أواخر 1893 م، إثر هجوم نفذه مجاهدو قبيلة القلعية المجاورة لمدينة مليلية، رافضين ما أقبلت عليه السلطات الإسبانية ببناء حصن قرب ضريح سيدي ورياش، وعقب هذا الحدث، أرسلت السلطة المركزية الإسبانية حامية عسكرية للمنطقة تتكون من 25 ألفا من الجنود، يشرف عليها الجنيرال مارتينس دي كامبوس (MARTINES De campos) واستمرت المناوشات بين سكان المنطقة والحامية العسكرية الإسبانية إلى أن تم توقيع اتفاقية بين المغرب وإسبانيا في 5 مارس 1894 م.
أنظر: E. Rouard de card, les relations de l'espagne et du Maroc, P: 157-158

(29) ز. ح: الدناية

(30) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز. ح .

والسرور، لم ير من (أحد)[31] ما يغيره، ولاطلب منه (أخذ ثأر)[32] بمن [كان][33] يقبره، لما هم عليه من *مراعاة الوفاء بالعهد، وعدم مقابلة حالة السلم بالحرب والخطإ بالعمد، وهي سنة كل بطل قادر، لا سنة كل جبان غادر، لأن أخذ الثأر إنما يكون بالسيف وقت الحرب، لا في الأمان باللطم والضرب، وبعده ملكت وطن الجزائر، ولم يأخذ أحد بثأره من أهله ولا نطق بتلك السرائر، أخذاً بالعدل واعترافا بالحق، ومراعاة لملامة الخلق، وهذه مليلية محل الأخذ بالثأر، وزناتة بها وبسوحها أثناء الليل وأطراف النهار، لو كان يقدر على أخذ ثأره هذا الحمار.

[تعاطف أعيان إسبانيا مع السفير المغربي]

وبعد الواقع، بادر الأعيان من أكابر إسبانيا وقبضوا على الجنرال اللاطم فيما (يُروى)[34]، وأثبتوا أنه أحمق معتوه، وأودعوه سجن المعتوهين، وباشروا السفير بكل جميل، وطيبوا خاطره العليل، إلى أن ذهب ما به من غم الإهانة، وتأهب على ما هو عليه لملاقاة الرينة، ليُوفّي مطلوب أمره بالسفارة، وكان ذلك من أقوى سبب إجابته لما طلبه مع نقص شيء من الأربعة ملايين المترتبة على السلطان من دية المقتولين بمليلية جبراً لخاطر السفير بما أصابه من الإهانة[35].

[رجوع السفير عبد الكريم بريشة إلى طنجة]

وبعده، أقبل راجعا لطنجة في باخرة عظيمة لدولة إسبانيا، فوصل طنجة على أحسن حال، ورجعت الباخرة منها قاصدة محلها، فذهبت غير بعيد من مرسى طنجة وغرقت بما فيها، ولم يفلت منها أحد ولا ظهر لها خبر.

وكانت سفارة السفير المذكور في أوائل شعبان عام إثني عشر وثلاثمائة وألف[36] بإذن الوزير الأعظم [الفقيه][37] السيد أحمد بن موسى القائم بالملك وقته لصغر مولاي عبد العزيز.

---

(31) د: أحدهم. والتصحيح من ز. ح.
(32) ز. ح: أخذ ثارا
(33) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز.
(34) د: يرى. والتصحيح من ز. ح.
(35) انتهت هذه المفاوضات بعقد اتفاقية إضافية في 24 فبراير 1895م أمضاها من الجانب المغربي السيد عبد الكريم بريشة ومن الجانب الإسباني ألجندرو كروازارد (Alejandro Groizard) أنظر نص هذه الإتفاقية عند:
E. Rouard de card, les relations de l'espagne et du Maroc PP : 226 - 228.
(36) أوائل شعبان 1312 هـ / أواخر يناير 1895 م.
ذكر رواردي كار أن السفارة المغربية خرجت من طنجة على متن باخرة حربية (Frégate) تحمل اسم راينة - مرسيدس (Reina-Mercedes). وأرست بميناء كاديس (CADIX) في 27 رجب 1312 / يوم 28 يناير 1895 م. وفي يوم الغد وصلت البعثة السفارية إلى مدريد، أنظر : E.Rouard de card, les relations de l'espagne et du Maroc, PP: 160-161
(37) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز. ح.
(*) 169 ب.

[أسباب استبداد الوزير أحمد بن موسى]

وغير خاف أن هذا الوزير من قبيل حاشية هذه الدولة ووزرائها، ومن ذلك الفريق يقع التغلب غالبا، بسبب ولاية صبي صغير كهذا[38]، أو مضعف من أهل المنبت كما أفاده ابن خلدون بما صورته: إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد، من القبيل القائمين بالدولة، وانفردوا به، ودفعوا سائر القبيل عنه، وتداوله بنوهم واحدا بعد واحدٍ بحسب الترشيح، فربما حدث التغلب على المنصب من وزرائهم وحاشيتهم، وسببه في الأكثر ولاية صبي صغير أو مضعف من أهل المنبت، يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح ذويه وخوله، ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك، فيقوم به كافله من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه أو قبيله، ويوري بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه للإستبداد، ويجعل ذلك ذريعة للملك، فيحجب *الصبي عن الناس ويعوذه اللذات التي يدعوه إليها ترف أحواله، ويسميه في مراعيها متى أمكنه، وينسيه النظر في الأمور السلطانية حتى يستبد عليه، وهو بما عوده يعتقد أن حظ السلطان من الملك إنما هو جلوس السرير، وإعطاء الصفقة، وخطاب التهويل، والقعود مع النساء خلف الحجاب ، وأن الحل، والربط، والأمر، والنهي، ومباشرة الأحوال الملوكية وتفقدها من النظر في الجيش، والمال، والثغور، إنما هو للوزير ويسلم له في ذلك[39] انتهى الغرض.

وهذه كانت حالة هذا الوزير، وكان البعض يسوء به الظن، لما ادخره من الدخائر العظام مع آلة الحرب، بأنه حيث استحكمت له (صبغة)[40] الرياسة والاستبداد، لابد أن يحول الملك إليه ويؤثر به عشيرته وأبناءه من بعده، كما وقع لبني بويه والترك وكافور الإخشيدي[41] وغيرهم بالمشرق وللمنصور بن أبي عامر بالأندلس.

ولا يمكن المِلك المتصف بما ذكر الانتقام من المتغلب عليه من وزرائه غالبا، لأن الدولة إذا أخذت في تغلب الوزراء والأولياء، استمر لها ذلك وقل أن تخرج عنه ذلك، لأن ذلك إنما يوجد في الأكثر عن أحوال الترف ونشأة أبناء الملك منغمسين في نعيمه، [و][42] قد نسوا عهد (الرجولة)[43]، وألفوا أخلاق الدايات والأظآر وربوا عليها، فلا ينزعون إلى رياسة، ولا يعرفون استبداداً من تغلب، إنما هممهم في القنوع بالأبهة والتفنن في اللذات، وأنواع الترف يكون (للموالي)[44] (و)[45] المصطنعين، عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم، وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه.

---

(38) يقصد: المولى عبد العزيز .
(39) انظر: ابن خلدون، العبر، ج 1: 155 . بنفس اللفظ.
(40) د: صبغة. والتصحيح من ز، ح، والعبر، ج 1: 155 .
(41) هو: كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك (292 - 357 هـ / 905 - 968 م). كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة 312 هـ / 924 م. فنسب إليه، وأعتقه. فازدادت أهميته وذاع صيته حتى أصبح ملكا على مصر سنة 355 هـ / 965 م. أنظر: مرآة الجنان، ج 2: 366 - 368، البداية والنهاية، ج 11: 264، 266، الاعلام للزركلي، ج 5: 216 .
(42) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز، ح .
(43) ز، ح: الرجولية.
(44) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز، ح .
(45) ز، ح: من .
(*) 170 * أ.

وهذان مرضان لابرء للدولة، منهما إلاّ في الأقل النادر[46] انتهى. وهو مشاهد من هذه الدولة ولازالت على هذه الحالة إلى الآن.

وحيث استبد هذا الوزير بالأمر، وأبقى معه من الوزراء من هو عند أمره ونهيه، كالفقيه السيد علي المسفيوي على الشكايات، والحاج عبد السلام التازي الرباطي على المالية، وأخويه المذكورين، وعزل السيد محمد (المفضل) [47] غريط وأبقى له ما يكفيه من المونة كل يوم، وانفرد بالأمر والنهي والحل والعقد دون معارض ولا منازع..

شهدت له الأمم بحسن السيرة والسياسة الداخلية، فسعدت به البلاد، وأمنت به العباد، واستقام أمر المغرب وحسنت أحواله، وانقادت للطاعة غالب قبائله، وكثر خصبه، وربحت تجارته، ولم يخرج عن منهاج عوائد الملك قبله ولا سعى *فيما يدنس مروءته.

[سياسة الوزير أحمد بن موسى الخارجية]

كما أنه في سياسته الخارجية مع جميع الدول على أحسن ما يكون، مراعيا لتنفيذ الحقوق، وضبط القوانين المرعية والوقوف عند حدودها، مع اصطناع المعروف وما يجلب المودة والألفة من الأجانب.

ولما حل هذا الصدر- والمولى عبد العزيز بفاس- من مكناسة الزيتون، وفد عليه باشدور إنكلترا[48] بها وذلك سنة إثني عشر وثلاثمائة وألف[49]، وأقام عنده ستة أشهر، ومعه باشدور البروس[50]، وسافر قريبا.

---

(46) هذا النص ابتداء من كلمة: حيث استحكمت، يوجد في العبر، ج 1: 155 باختلاف يسير في اللفظ.

(47) د: فضول.

(48) يقصد به: إرنست ساتو (Sir ERNEST Satwn) الذي قدم إلى فاس في 29 أكتوبر 1894 م، واستقبل من طرف المولى عبد العزيز. وخلال إقامته بفاس، أجرى ساتو مباحثات مع الوزير أحمد بن موسى خاصة ما كان يتعلق بموضوع ادعاءات الرعايا البريطانيين بديون لهم على المغاربة، وموضوع المركز التجاري الإنجليزي في طرفاية، والذي لم يتوصل الطرفان المغربي والإنجليزي إلى حل له رغم إجراء مفاوضات سابقة. وبعد مباحثات توصل الجانبان إلى اتفاق في 13 مارس 1895 ، وقعه من الجانب المغربي الوزير أحمد بن موسى ومن الجانب الإنجليزي إرنست ساتو قبلت فيه الحكومة المغربية دفع تعويضات عن الإدعاءات السابقة، وشراء المركز التجاري في طرفاية بـ 50 ألفا من الجنيهات مع بسط السلطة المغربية سيادتها على المنطقة الواقعة بين وادي درعة ورأس بوجادور. وفي 15 أبريل 1895 ذهب ساتو إلى قصر السلطان لتوديع المولى عبد العزيز. وعبرت الأوساط السياسية الإنجليزية عن ارتياحها لهذه المفاوضات، واعتبرت أن مهام ساتو كللت بالنجاح، لذلك كافأته عليها بلقب السير (Sir) أنظر: تاريخ العلاقات المغربية الإنجليزية لروجرز: 294 - 297 التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 10: 72 - 73 .

- Walter Harris, Le Maroc disparu, PP: 22, 26, 27 .

- H. de la Martinière, Souvenir du Maroc, P: 84, 87, 88.

(49) سنة 1312 هـ / 1394 م.

(50) لعله يقصد به: السفير الألماني طاطنباخ (Von Graf Tattenbach) الذي كان قد عين سفير بلاده بالمغرب بأمر من الامبراطور كيوم الثاني في مارس 1889 م. وأقام السفير طاطنباخ بفاس ابتداء من 27 أبريل 1890 م. وفي 12 شوال 1307 هـ / أول يونيو 1890 أمضى الإتفاقية التجارية مع الحكومة المغربية، وبذلك يكون قد توج مجهوداته في الحفاظ على المصالح الألمانية بالمغرب، بل وكسب المزيد في وقت كانت فيه إسبانيا وفرنسا وانجلترا تنحو نفس النهج. وذلك تحت ستار مساعدة ألمانيا للمخزن لمواجهة أطماع الدول المذكورة. وانتهت مهمة طاطنباخ (Tattebach) بالمغرب في أواسط سنة 1314 هـ / أواخر سنة 1896 م. انظر: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 10: 83 - 86 .

H. de la Martnière, souvenir du Maroc, PP: 118-120

F. Charles Roux et J. Caillé; Missions diplomatiques Françaises à Fès, P: 89, 98

Pierre guillen; l'allemagne et le Maroc; PP: 313-322

(*) * 170 ب .

ثم ورد عليه باشدور الفرنسيس[51] وأنزله (بعرصة)[52] بنيس، وكان بها قبل باشدور الإنجليز المذكور، وبقي بها شهرين، وسافر كل منهم مستوفى الغرض.

[نهوض الوزير لمراكش وقبضه على الطاهر بن سليمان]

وفي إثره في أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة[53]، نهض من فاس لتمهيد قبائل حوز مراكش وحسم مادة الفتنة المنتشرة بها، وذلك أن بعض الأعيان من تلك النواحي اتفق رأيهم على مبايعة مولاي محمد بن مولاي الحسن، وامتنعوا من الدخول فيما دخلت فيه الجماعة، معتلين بصغر مولاي عبد العزيز، واستبداد الوزير بالأمر دونه لتغلبه عليه. وكان الوزير أمر بسجن المولى محمد هناك قبل، تخوفا منه مما عسى أن يكون منه من القيام على أخيه.

ومن جملة من حاول الخروج عليه من أعيان القواد، مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني، وكان واليا من قبَلِ مولاي الحسن على درعة وأعمالها، فقام بالدعوة، واجتمعت عليه جموع الرحامنة وغيرهم، فخذله من كان موافقا له على القيام والانتصار لمولاي محمد على أخيه من أعيان القواد، خوفا من سوء العاقبة لما سمعوه من اجتماع كلمة المغرب وسطوة الوزير، وأخذه بنواصي القبائل العظام، وركون الجنود إليه، وطيران صيته في البلدان.

ولم يمكن ابن الطاهر -المذكور- الرجوع عما عزم عليه، لاشتهاره بذلك، وتصدره إليه، وفشو خبره بكل الأقطار، وأنه إن رجع لا محالة من أخذه ومعاقبته، فجد في إتمام ما قصده وعظم أمره، وثار العامة بكل ناحية على قوادهم، فنهبوا دورهم، وأخذوا أموالهم، وهتكوا حرمة حريمهم، وأعلنوا بشق العصا، وزحف ابن الطاهر - المذكور- بتلك الجموع إلى مراكش يريد من أهلها تسريح مولاي محمد من السجن ومبايعته، (فحاصرها)[54] أياما.

وفي أثناء ذلك * (أمر)[55] الوزير عامل مراكش بقتل مولاي محمد بالسجن سراً بسم ونحوه، فامتنع على ما شاع، لما كان عليه العامل، وهو (ادْوِيْدَة)[56] الدرعي من المحبة لآل البيت، والديانة والخشية، وتلبسه بالطريقة التجانية، وإنما بذل جهده في الدفاع عن مراكش بكل قوة وآلة وبذل مال، حتى حماها من قاصدها، ومنعه المطلوب من أهلها.

---

(51) لعله يقصد به: السفير بايلين دي مونبل (Bylin de monbel) الذي زار مدينة فاس يوم 2 ذي الحجة 1312 هـ / 27 ماي 1889 . في مهمة ديبلوماسية تتعلق بالتمثيل القنصلي وفتح السفارة الفرنسية بمدينة فاس، فاجتمع بالمسؤولين المغاربة وفي مقدمتهم المولى عبد العزيز وأحمد بن موسى، وأجرى معهما محادثات أدلى خلالها بمطالبه. وكانت مهمة السفير الفرنسي قد كللت بالنجاح، إذ حقق الهدف المنشود. أنظر التفاصيل في هذا المقصد(الخامس عشر): من الجزء الثاني ص: 221 الهامش: 23 .

(52) د: بعرسة، والتصحيح من ز، ح .

(53) أي في أواخر ربيع الأول من سنة 1312 هـ / أواخر شتنبر 1894 م .

(54) د، ح: فحصرها، والتصحيح من ز.

(55) كررت في د.

(56) ز، ح: دويدة .

(*) * 171 أ .

وكان هذا الحصار على الوجه المذكور، هو سبب نهوض الوزير من فاس في أواخر ربيع النبوي من عام إثني عشر وثلاثمائة وألف[57]، فنهض منها بجيوش لا حصر لعددها، بعد أن رتب عمالتها، ومهد أوطانها، وولى قوادها وقضاتها، وترك المولى عرفة بن سيدي محمد خليفة بها، مجرداً من الجيش، غير مأذون له في اتخاذه، موكلاً به من يرعاه، ويلاحظ أحواله، ويتجسس أخباره، ويبلغ كل ما صدر منه إليه.

ولما قرب من مراكش اختل نظام ابن الطاهر الرحماني، وتفرقت جموعه بعد انهزامها، وآل أمره أن قبض عليه وجُعل في قفص من حديد، وطيف به في المحلة، ودخل مراكش على تلك الحالة، وطيف به أيضا في أسواقها وأزقتها، ولم يبق عليه نوع من العذاب، وهو في كل ذلك راكبا على جمل في قفص من حديد.

[القبض على نحو الألف من سكان قبيلة الرحامنة]

كما قبض أيضا على نحو الألف من قبيلة الرحامنة المتعصب بهم، وبعده أمر بتفريقهم على السجون. فوجه منهم لسجن فاس عددا دخلوا على أسوء حال، محمولين على البغال، كالخشب بالأخراج كل إثنين على بغل، وكل واحد منهما بعين الخرج معادلا لأخيه، وهم مصفدون في الحديد تقشعر منهم الجلود، مع ما هم عليه من الشعث والاصفرار والنحول من أثر العذاب والجوع. وكذلك وجه عدداً لرباط الفتح، بقصد السجن، وكذلك عدداً لسجن تطاوين، وسجن جزيرة الصويرة. والكل على حالة ما ذكرناه، دون ما أبقاه بسجن مراكش. وبقوا بالسجن إلى أن مات جلهم به، وسرح بعد مدة طويلة من بقي منهم به.

وكان قبضه لهم على وجه (مجيئهم)[58] إليه بأمره، دون جابر لهم على المجيء من عون أو جند، فكان يأتي الرجل منهم راكبا على فرسه وبيده مكحلته[59] متقلداً بسيفه، فيأمره بالنزول فينزل، ويأمره بوضع سلاحه فيضعه، ثم يأمره بالسجن فيذهب له دون تردد، إلى *أن شتت شملهم، وفرق جمعهم، وأباد قبيلتهم، فدخل رعبه قلوب القبائل، و(خاف)[60] بطشه وسطوته (كل)[61] داني و(قاصي)[62]، ومهد الحوز أتم تمهيد، وانقاد إليه أهل السوس انقيادا ما عليه من مزيد، وكذلك قبائل البربر ممن عداه.

وساس المغرب سياسة أمن بها من كل ما يطرأ عليه من الحوادث ويخشاه.

(57) أواخر ربيع النبوي 1312 هـ / أواخر شتنبر 1894 م .
(58) د: مجيبهم، والتصحيح من ز، ح .
(59) مكحلته: مكحلة: وهي كلمة عامية مغربية وتعني البندقية.
(60) ز، ح: حاف.
(61) ز: بكل.
(62) د، ح: قاضي، والتصحيح من ز.
(*) * 171 ب .

[استباحة قبائل تادلا والشاوية]

وبقي بمراكش يدبر الأمور باجتهاده وسديد رأيه، إلى سنة أربع عشرة نهض منها في فاتح ربيع الثاني[63]، متوجها لقبائل تادلا، ونزل بالمحل المعروف بصخرة الدجاجة، بعد أن غار على فرقة من فرقها، فأخذ أموالهم وسبى حريمهم وولدانهم، ثم أمر الجيوش بالافتراق، فافترقت إثنتي عشرة فرقة، وأحاطت تلك الفرق بالأعشاش الذي هم الثلث من بطن امزاب، الذين هم الجزء الثامن من قبيلة الشاوية، وهؤلاء الأعشاش تنتهي فرسانهم إلى ستة آلاف فارس دون الرجالة، وبلدهم وعرة المسالك، وبها كهوف كبار يسع بعضها جميع العدد المذكور مع عيالهم وأولادهم وما شيتهم ودوابهم وخيامهم. وقد غار عليهم مولاي الأمين بن مولاي عبد الرحمان قبل وصولهم لهذه الكهوف وتحصنهم بها، فأخذ أموالهم عن آخرها واحتوى على ذخائرهم كلها، لكونه أقبل بمحلة الجيوش المغربية في فاتح ربيع الأول[64] إلى رباط الفتح، ثم نزل بحدود الشاوية مع قبيلة (زعير)[65] بمحل يقال له مائة بيروبير، فكان هجومه عليهم من هناك قبل وصول الجيوش الحوزية إليهم مع الوزير الأعظم، وما بقي منهم بعد الأخذ دخل الكهوف وتحصن بها، ثم لما قدم الوزير ورأى تحصنهم الصعب، وفي طول الحصار عليهم بها مشقة، أمر عليهم، واستوثقوا منه بالعهود، فأمنوا وخرجوا من حصونهم، فأخذهم بالأمان، وحز منهم نحو ثلاثمائة رأس، وقبض على نحو خمسة عشر مائة رجل منهم، وأودعهم السجن كلهم، وبقيت طائفة منهم يقال لهم أولاد محمد [فتحا][66] بتلك الكهوف متحصنين، إلى أن ضاع أكثرهم بالجوع والبرد، فحينئذ ارتحل عنهم، ورجع جيش الحوز مع الوزير المذكور إلى مراكش، كما رجعت الجيوش المغربية مع سيدي محمد الأمراني إلى مغربها.

وكان ذلك جزاء لما صدر منهم من البغي والفساد في الأرض.

---

(63) أي فاتح ربيع الثاني من سنة 1314 هـ / الأربعاء 9 شتنبر 1896 م.

(64) أي فاتح ربيع الأول من سنة 1314 هـ / الإثنين 10 غشت 1896 م.

(65) د، ح: ازعير. والتصحيح من ز. وزعير: قبيلة تقع بين خطي 33 - 34 درجة من الخطوط العرضية. تحد في الشمال بضواحي الرباط وقبيلة السهول، ومن الجنوب بقبائل زيان التي تبعد عنها بنحو 30 كلم وبني خيران، ومن الشرق بوادي أكرو الذي يفصل بينها وبين قبيلة زمور، ومن الغرب ببلاد الزيايدة. تنتمي إلى قبيلة عرب معقل الذين دخلوا إلى المغرب في أواخر عهد بني مرين. اندمجت فرقة منها في جيش العبيد الذي أسسه المولى إسماعيل. وفي عهد المولى سليمان ثم المولى عبد الرحمان ساهمت هذه القبيلة في إذكاء الفتنة والوقوف ضد السلطة المركزية. أنظر: ابن سودة المري، قبيلة زعير، حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3: 179 - 181

CH De Foucauld, Reconnaissance au Maroc. P: 264.

J. Erckmann, le Maroc moderne, PP: 65-67.

(66) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز.

(*) * 172 أ.

[فشل سفارة محمد بن موسى بباريس]

وفي هذه السنة[67] وجه الوزير المذكور أخاه محمد فتحا سفيراً لدولة فرنسا، وفي صحبته الفقيه السيد محمد بن سليمان معززاً به لما كان عليه من كمال العقل *وحسن السيرة والأدب، ومعرفته لمباشرة الأمور مع الديانة.

ولما حلاّ عاصمة الدولة التي هي باريس، وأقاما بها أياما، اعترى السفير المذكور اختلال (بعقله)[68]، وكان من عادته ذلك، لتطبعه ومصاحبة داء الوسواس له، ولم يسعه حينئذ إلا الرجوع لمراكش من تلك السفارة بغير طائل، لتعذر قضاء الوطر بوجود الداء المذكور، حيث لم يستقم التوصل به للغرض الباعث (عليها)[69].

[موقف المؤلف من سفارة مَحمد بن موسى]

وكان من حقه (أن لا)[70] يوجه للسفارة أخاه المذكور، لما يعلمه من اعتراء هذا الداء له في بعض الأحيان، ولا سيما عند مفارقته لوطنه الذي هو مسقط رأسه، ومغايرة ما ألفه من الهواء والطبائع بأرضه، ورؤيته ما يقضي منه العجب، من بديع الصنائع بآلات المكينات، المحتوية على ما يبهر العقول و(يغيرها)[71]، ومن المخترعات العجيبة مما لا يخطر على بال وجودها في العالم، ومن الخوارق العادات، حتى أن من كان له عقل سليم يُخشى عليه من اختلاله بمشاهدة تلك العجائب، لعدم قبول العقل دخولها في الإمكان، لولا مشاهدته لها بالعيان. فكان ذلك أقوى سبب تحرك هذا الداء، المبتلى به عليه.

لكن حمله على ذلك، حرصه على عدم إطلاع الغير من الأجانب على سره، ولذلك عززه بأفضل ما لديه من الأعيان فقها، وأدبا، وديانة، ومروؤة، وأمانة، ومعرفة، وسياسة.

وكان اعتماده في الحقيقة عليه، وكان لذلك مصدّراً للوزارة عند السلطان مولاي الحسن رحمه الله، لم يقدّم عليه أحداً لذلك المنصب، لما اتصف به من الشمائل المحمودة، لكن اخترمته المنية قبل وصوله مطلبه.

---

(67) كُتب في طرة د: في 1312 . وهي توافق سنة 1894 م. والأصح: 1314 / 1896

(68) ن ح: لعقله.

(69) ز: عليه .

(70) د: ألا. والأصح ما أثبتناه من ن ح .

(71) د: يغيرها. والتصحيح من ن ح.

[القبض على بعض التجار الإنجليز بسوس الأقصى]

و في هذه السنة[72] -أيضا- خرج بعض تجار الإنجليز بسواحل السوس الأقصى، بقصد بيع السلاح لأهله، فقبض عليهم القائد الجلولي وكان متوليا على تمهيد تلك النواحي من يوم استبداد الوزير[73] وقيامه بالأمر إلى أن مات الوزير المذكور.

[موقف المؤلف من الحكم الصادر في حق التجار الإنجليز]

ومن هنا توجهوا لجبل طارق بقصد الحكم عليهم بمحكمة الجنايات به، فحكمت بتخليتهم وتسريحهم أين شاءوا، دون شيء يجب عليهم.

وهو حكم جار، على غير منهاج العدل، والقوانين المتعارفة لدى الدول، وكلها تمنع بيع السلاح من الأهالي، وتعاقب على (كل)[74] من صدر منه ذلك.

ولا يخفى على أحد حيفهم، وظلمهم، واحتقارهم* لهذه الدولة، بعدم مراعاة ما يجب لها من الحقوق، وأن تلك الجناية يستحق أهلها العقوبة الشديدة.

وقد أثر ذلك الحكم المقتضي الانتصار لأنفسهم وعدم المبالاة بغيرهم، في خواطر كافة أعيان الدولة العلوية الإسلامية، والأمر لله.

[شراء المولى عبد العزيز مرسى طرفاية]

وفي تاريخ وفود سفير الإنجليز لفاس المقدم[75]، اشترى السلطان مرسى طرفيا التي هي بساحل السوس من كبانية[76] تجارية من الإنجليز -أيضا- بخمسين ألف ليرة إنجليزية،[77] ولازالت بيد السلطان إلى الآن.

---

(72) يقصد سنة 1314 هـ / 1896 م .

(73) يقصد به: الوزير أحمد بن موسى.

(74) ر: فعل. والتصحيح من ز، ح.

(75) أي في سنة 1312 هـ / 1894 م.

(76) كبانية: كلمة تستعمل عند العامة في شمال المغرب . اقتبست من اللغة الإسبانية (compania) وتعني الشركة. ويقصد بها هنا شركة شمال غرب إفريقيا (North-west Africain Company) التي كان يشرف عليها المهندس الإنجليزي دونالد ماكنزي (Donald Macknezie)، وبمقتضى اتفاقية 13 مارس 1895م ، تم استرجاع المركز الذي أقيمت عليه الشركة. أنظر نص هذه الإتفاقية في الساقية الحمراء ووادي الذهب لمحمد الغربي، ج 1 : 336 - 337 . ويحدد المعطيات عن هذه الشركة وصاحبها ثم مصادرها أنظر: المقصد الثالث عشر من الجزء الثاني ص 164 – 165 تعليقنا رقم: 426، 429 ، ثم المقصد الرابع عشر من الجزء الثاني ص 225. تعليقنا رقم: 48 .

(77) يقصد: خمسين ألف إبرة إنجليزية. أو 50 ألف جنيه إنجليزي.

(*) * 172 ب .

[المقصد السادس عشر:
الاستيلاء الفرنسي على توات]

تاريخ استيلاء الفرنسيس على قصور اتوات 1317 هـ

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف[1]، استولى الفرنسيس على جميع قصور (اتوات)[2] وأرضها الإسلامية، ببعض قتال قريب من بعض أهلها.

[الخطاب الاستفهامي عن سبب الاستيلاء على توات]

ولما خوطب بالاستفهام عن سبب الاستيلاء عليها من جانب الوزير السيد أحمد بن موسى، مع أنها من رعية المغرب الأقصى، والحد حاجز بين الرعيتين، والمهادنة تامة منذ أزمان بين الدولتين، واحتج بأن تولية العامل عليها من قبل السلطان، وجلب خراجها، وتولية أحكامها، برهان قاطع لتسليم ملكها له ودخولها في رعيته، وكذلك خطبة علمائها على منابر جوامعها بالدعاء للسلطان كل جمعة على عادة الإسلام، وهو دليل مبايعته والدخول في حماية ولايته.

فما هذا التعدي المؤذن بنقض العهد؟

[الجواب الفرنسي على الخطاب الاستفهامي]

أجاب المتكفل بالجواب من الفرنسويين عن الحجتين المذكورتين، بأن تولية العامل من قبله، إنما أحدثتها دولة المغرب في صدر سلطنة مولاي عبد العزيز برأي الوزير، لما شعر باحتياج الفرنسويين للمرور بتلك القصور إلى ما ملكوه من السودان، وكانت قبل فوضى لا ملك لأحد عليها، وبأن الخطبة بالدعاء على المنابر لسلطان المغرب الأقصى، فمن عادة المسلمين أن يخطبوا بالدعاء لأقرب إمام منهم، فلا تنهض بالخطبة حجة في أمور السياسة.

ثم احتج -أيضا- بعد رده الحجتين بما ذكر بحجتين:

---

(1) سنة 1317 هـ / 1899 م من هنا يبدأ سالمون (G.SALMON) ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية. أنظر: G.SALMON, une opinion Marocaine sur la conquête du Touat, in Archives Marocaines, 1904 T1. P: 417

(2) ر: توات. وبصدد احتلال توات ألف أحمد العماري كتابه: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902، صدر سنة 1408 هـ / 1988 م. عن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.

الأولى: أن الشروط الواقعة بين الدولتين أيام المولى عبد الرحمان، إثر وقعة وادي سلي بساحة مدينة وجدة الشهيرة بوقعة أبي هراوة[3] وكانت في حدود الستين والمائتين والألف[4] من جملتها أن أرض الصحراء هي موات لا ملك لأحد عليها منهما، وإنما هي محل مرعى لمن أراد الرعي بها، ومن قدر على عمارتها وإحيائها فله ذلك[5].

الثانية: *من حيث علم (الجغرافية)[6] أن قصور اتوات واقعة في سمت المغرب الأوسط، ومن صحرائه خارجة عن سمت المغرب الأقصى، فهي حينئذ من ممالكه، وما كان من استيلاء ملوك المغرب الأقصى عليها في القديم، قد كان ذلك على وجه التغلب وانقطع، وبقي أهلها فوضى كما يشهد له الشروط المذكورة المجعولة مع مولاي عبد الرحمان التي من جملتها الإشهاد عليه بأن الصحراء أرض موات كما سبق.

ويوضح عدم دخول قصور اتوات في ممالك الدولة الشريفة عدم استثنائه إياها من عموم الصحراء، كما استثنى قصور فجيج وقصر إيشر، مع أنها أعظم من فجيج وأحق بالاستثناء منها، لما اشتملت عليه من المخلوقات العديدة.

[موقف المؤلف من الاستيلاء الفرنسي على توات]

وإذا نَظرتَ بعين البصيرة من طريق السياسة، وجدت حجج الفرنسويين مؤيدة بقوتهم، فهي أقوى برهانا لعدم تفريطهم مع القوة والاستعداد من حجج الدولة العلوية لضعفها عن تأييدها مع تفريطها في أمور السياسة، والمفرط دائما محجوج. والتفريط حاصل بالضرورة من دولة الشرفاء العلويين لأمور منها:

تساهلهم وعدم اكتراثهم بأرض الصحراء وأهلها، وهو الذي أوقع المولى عبد الرحمان في قبول الشرط المذكور مجملا، ولم يتفطن لاستثناء قصور اتوات من الصحراء، كما استثنى قصور فجيج منها، ولا لضبط الصحراء التي هي موات من غيرها، بتقييد حدٍّ ظاهر بيّن مع أسامي مواطنها وفجاجها، مع أن اتوات أحوج للاستثناء من فجيج لبعدها عن المغرب الأقصى وقربها من الأوسط.

وكذلك كاتبه الموثق لعقد هذا الشرط، لم ينص على ما هو من الصحراء معدٌّ للرعي لمن قصده بها من غيره ممن هو في ولاية الدولة المغربية وعمرانها وممالكها، ولو رعى ذلك، ما احتج الفرنسويون بشمول مطلق الصحراء قصور اتوات وغيرها ولا احتمل دخولها بوجه.

---

(3) أبو هراوة: لقب كان يطلق على الجنيرال لامور يسيير قائد الجيش الفرنسي في وقعة وادي إيسلي.

(4) 1260 هـ / 1844 م.

(5) هذا الكلام هو مضمون الشرط الرابع من معاهدة للامغنية، التي تم توقيعها في 9 ربيع الأول 1260 هـ / 18 مارس 1845 م. وهي المعاهدة المتعلقة برسم الحدود تطبيقا للاتفاق المبرم بطنجة في 10 شتنبر 1844 . أنظر نص المعاهدة في: مجموعة الوثائق، ج 1: 475 - 479 .

(6) د: الجغرفية، والتصحيح من ن، ح .

(*) 173 أ .

ومنها: إهمالهم الحزم والضبط فيما يرجع للقيام بأمور المسلمين وسد ثغورهم، وإلاّ فكيف يسوغ للقائم بالأمر أن يوجه عاملا لأرض اتوات التي هي محل نزاع العدو، قريبة من حدوده، مجرداً عن القوة العسكرية * مع علمه بضعف أهلها وقلة زادها واستعدادها، وقوة المنازع له فيها، وشدة احتياجه إليها، وعزمه على أخذها. فلو كانت هناك قوة جندية مقيمة بها لدفعت عنها وأعانت أهلها.

ولما تمت حجة العدو، وتمكنت من قوة شبهتها في محلها، إذ غاية ما يلزم من الشرط السبقية، وقد حصلت من دولة الأشراف، إلا أنها دون قوة ولا يُقضَى بها في السياسة.

ومنها: ظنهم بأن سياستهم مثل سياسة الدول، ولذلك ظن المولى عبد الرحمان -رحمه الله- الفرنسيس لا يجنح لعمران الصحراء وصرف الهمة إليها، لعدم نفعها وقلة مائها واشتداد حرها وبردها، فتسامح في قبول ذلك الشرط دون بحث واستثناء وتأمل في عاقبته، قياسا على سياسته.

ومنها: اعتمادهم على دعائم المهادنة ووثوقهم بعهودها، فناموا آمنين من سوء عواقب الدهر، واستيقظوا للاهتمام بما يوافق الشهوات النفسانية من اللذات والاستمتاع بالطيبات وهو سبيل الخسارة.

وكل محنة وفتنة سبكتها يد السياسة بآلة سوء التدبير، يشعر بها كل عاقل بالأحوال خبير، فوقعوا وأوقعوا في المحضور باقتصارهم على مهماتهم في أنفسهم، وإلى الله عاقبة الأمور: [الرجز]

الدَّهْرُ لاَ يَبْقَى عَلَى هَزلٍ وَجِدٌّ   واللَّيْلُ حَبْلَى لَيْسَ يَدْرِي مَا يَلِدُ

وبسوء التدبير في هذه النازلة، حصل استيلاء من ذكر على قصور اتوات دون مشقة لحقته ولا حجة صرعته ولا خسارة (أجحفته) [7] .

على أن الحجج المجردة من القوة كلاحجة .

[فشل العربي المنيعي في مهمته بطنجة]

وبعده، وجه الوزير القائم بالأمر كاتبه الفقيه السيد العربي المنيعي لطنجة، بقصد بث حججه لدى قناصل الدول بها مع لائحة لكل منهم، شاكيا بخصمه، طالبا الإعانة بالكلام معه في شأن هذه النازلة، يريد الإنصاف على وجه العدل والمساواة. فمن القناصل من أجابه بأنه لا دخل له فيما يقع بين الدول في شأن الحدود. ومنهم من تصامم عنه ولم يجبه بشيء.

(7) د: أججبته. والتصحيح من ز. ح .
(*) * 173 ب .

فحينئذ أيس أهلها *من الخلاص، وتعذر لديهم المناص، حيث حكمت قوة العدو بنفوذ حججها، وأغرقت دعاوي الإسلام بعظيم لججها، فاستسلموا للقضاء، وتم أمر الاستيلاء وانقضى، كما انقضى أجل الكاتب المذكور بطنجة، المحاول الدفاع عن وطنه وممالكه بكلام غيره، دون قوة قاهرة، وهو من سوء تدبيره ودليل حمقه ومزيد غيه، وكان ذلك بسبب دخوله الحمام بدار المخزن من القصبة، وإيقاد الفحم به مع غلق بابه، فغمه دخان الفحم ومات منه.

وانقطع الكلام في شأن اتوات وسلِّمت لآخذها.

[موقف المؤلف من ركون أولي الأمر إلى الأجانب]

وبهذه الحوادث، ركن أولو الأمر إلى بعض الأجانب طمعا في الانتصار بهم، بما (يرونه)[8] من سديد الرأي فيما نزل بهم، فوجدوا بذلك سبيلا إلى الاستحواذ عليهم ونفوذ المكيدة بإظهار النصيحة لهم وقبولها منهم.

وقد ساء عاقبة ذلك عليهم بما هو أعظم من ذلك، فكانوا كغاسل دم بدم.

[نص لائحة تتضمن النصيحة بعدم الإصغاء للأجانب]

ولما رأى بعض المطلعين على الأحوال من الجانبين في هذه السياسة ومآلها ما ينشأ من المكاره والاضطراب من موافقة الأجانب في آرائهم، جعل لائحة تتضمن النصيحة بعدم الإصغاء للأجانب[9]، شفقة على الدولة الشريفة، لضعفها عن مقاومة عدوها في

---

(8) د: بروه، والتصحيح من ز، ح .

(9) يقصد بالأجانب: كل من إنجلترا، ألمانيا وإسبانيا. وهي الدول التي كانت لها مصالح ومطامع في المغرب أكثر من غيرها، وكانت بذلك تشكل عقبة أمام مصالح ومطامع فرنسا، التي حاولت جهد مستطاعها أن لا تدخل في صراع مباشر معها. فإنجلترا وجدت في حوادث الحدود الجنوبية الشرقية للمغرب فرصة ثمينة لزيادة نفوذها داخل المغرب وفي البلاط المخزني نفسه. فعملت بعثاتها بالمغرب على جذب كبار الشخصيات السياسية بالمغرب وعلى رأسهم وزير الحرب المهدي المنبهي. ثم إن السلطان نفسه وعقب أحداث الحدود توجه بكليته إلى الساسة الإنجليز يوليهم ثقته ويطلب منهم المساعدة. وكل هذا كان يقلق راحة فرنسا التي كانت تتابع تطور العلاقات المغربية الإنجليزية باهتمام بالغ-. وبالنسبة لألمانيا، فإن حكومتها كانت ترغب في الحصول على منطقة -مهما كانت مساحتها- عند مصب نهر ملوية يمكنها من إنشاء موقع حربي بالقرب من الحدود الجزائرية ومقابل جبل طارق. وبذلك أيضا تستطيع إنشاء مخزن للبضائع قصد ترويجها داخل المغرب بأسعار زهيدة تنافس بضائع الدول الأخرى، وإن نبأ تدخل القوات الفرنسية في الجنوب الشرقي للمغرب دعا وزير الخارجية الألمانية إلى أن يرسل إلى الوزير الألماني في طنجة بمنع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى احتكاك السلطان بفرنسا على الحدود. حتى لا تنفرد فرنسا بالمغرب. كل هذا كان يثير لدى المسؤولين الفرنسيين الريبة والشك بل والخوف. مما دعاهم إلى أن يكونوا على بصيرة بما يجري داخل المغرب من نشاط ألماني-. وأما بالنسبة لإسبانيا، فإن حكومتها كانت تتابع مجريات الأحداث على الساحة المغربية وخاصة في منطقتي الشمال والجنوب باهتمام بالغ، نظرا لمصالحها ومراكزها الاستعمارية بالمنطقتين. فكانت تتابع وتراقب تحركات فرنسا على الحدود الجزائرية المغربية بحذر شديد. فأرسل الجنرال ويلر (Weyler) وزير الحرب في إسبانيا ضابط الفرسان ليطوف بالمغرب في الوقت الذي تقوم فيه فرنسا بعملياتها المسلحة على الحدود. ومع ذلك فإسبانيا لم تكن تريد وقوع صدام مسلح ومباشر مع أية دولة. وهي أيضا لم تكن تنكر حقوق فرنسا في الجهات على الحدود. فقد كان موقفها يميل إلى الليونة وذلك بالاتفاق مع فرنسا عن طريق المساومة بقضية توات حول مسألة اقتسام المغرب.
فهذه الدول كانت مصدر خوف وقلق شديدين لفرنسا التي كانت تحدوها رغبة الإنفراد بالمغرب. فعملت كل ما في وسعها من أجل عزل المغرب عن الدول الأخرى.
وهذه اللائحة التي -أوردها المؤلف في المتن- تتضمن النصيحة للمغرب بعدم إصغاء حكومته للأجانب واحدة من تلك الوسائل المسمومة من أجل احتلال المغرب. وهي نصيحة بدون شك من إنشاء جهاز المخابرات الفرنسية بالمغرب (فاس).

(*) * 174 أ .

مراكز الحروب، مظهراً لها ما يفهم منه عدم تسليم قصور اتوات دون فتنة وقتال، لما في الإصغاء إلى الأجانب من مآثر الفتنة (المتضمنة)[10] لخسارتها في تلك المواطن إن هي عزمت عليها دون شك، مطلعها:

الحمد لله الرحيم الرحمان، الحنان المنان، الآمر بالمعروف والإحسان، ومن جملة الإحسان النصيحة لله ولرسوله والإخوان، والصلاة والسلام على أفضل المخلوقات بأسرها المصطفى من ولد عدنان، وسيلة كل خير وواسطة كل سعادة أبدية يتنعم بها في رياض الجنان، سيدنا محمد الماحي بشريعته المطهرة سائر الشرائع والأديان، المبعوث رسولا ورحمة إلى الإنسان والجان، القائل: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"[11].

ولا شك أن المخالفة فضيحة حفظنا الله من الخذلان، وعلى آله ذوي الشرف الكامل والعلوم والعرفان، وأصحابه الكرام ليوث الوغى الحائزين قصب السبق في كل ميدان، و(خصوصا)[12] الخلفاء الأعيان، * ذوي المكارم والفضائل سادات الأمم (أبا)[13] بكر وعمر وعثمان، و(عليا)[14] قطب المعارف وينبوع العلوم المفرج عن كل حيران، وعلى التابعين ومن تبعهم إلى يوم القيامة بإحسان.

وبعد، أيها الإخوان من (مسلمي)[15] المغرب خصوصا ومن عموم الأوطان، إن نصيحة المسلم لأخيه نصيحة لأميره، ونصيحة الأمير هي نصيحة البشير النذير، والنصيحة لله ولرسوله هي سعادة الدارين ووقاية من الأهوال في كل مكان وزمان، إذ شأن العوام (مرتبط)[16] معنى بشؤون الحدثان، ولا ملجأ من القضاء والقدر، لكن الإنسان مأمور بالنظر في العواقب، وبالعقل يدرك الفتى رأيا صائبا مع (توفيق)[17] الحق له في الممكن من الأعيان صنوان وغير صنوان، وحيث قدّر الله بدخول العساكر الفرنسية إلى خطوط الصحراء الجزائرية وضواحي توات، واستيلائه على قصور عين صالح وعين الغار ويقلي وكثير من الجهات[18].

---

(10) د: المتظمنة. والتصحيح من ز، ح .
(11) هذا حديث شريف، يوجد في فتح الباري، ج 1: 138 ، سنن أبي داود، ج 2: 583 . وكلاهما أخرجاه عن تميم الداري.
(12) د: خصاصا. والتصحيح من ز ح .
(13) د: أبي. والتصحيح من ز، ح .
(14) د: علي. والتصحيح من ز، ح .
(15) د: مسلمين. والتصحيح من ز، ح .
(16) د: مرتبطا. والتصحيح من ز، ح .
(17) في جميع النسخ: توفيف. واقتضى السياق تصحيحها.
(18) احتلت القوات المسلحة الفرنسية قصور عين صالح في 26 شعبان عام 1317 هـ / 30 دجنبر 1899. بعد أن استشهد في الدفاع عنها ما يناهز 80 من الجنود المغاربة. وبذلك تكون عين صالح أول واحة تسقط خلال الهجوم الفرنسي على المنطقة في إطار عملياته التوسعية الكاسحة لاحتلال توات. وفي شهر ذي القعدة 1317 هـ / مارس 1900 توجه فيلقان عسكريان من الجيش الفرنسي تجاه توات، الفيلق الأول توجه إلى عين صالح لتدعيم الاستقرار الفرنسي بها نهائيا، والثاني توجه إلى يقلي، حيث تمكن من احتلاله في 4 ذي الحجة 1317 هـ / 5 أبريل 1900 م. وبذلك سيطر على المركز الاستراتيجي المهم الذي يلتقي فيه وادي الجير بوادي الساورا. كما هاجم الفرنسيون عين الغار وحاصروها مدة، إلى أن تمكنوا من ردع المقاومة المحلية الشديدة، وبالتالي احتلالها بعد معركة قاسية وذلك في 13 ذي القعدة 1317 هـ / منتصف مارس 1900م . ومنذ شهر محرم / ماي من نفس السنة توالت الحملات العسكرية الفرنسية على بقية مناطق الواحات مثل: تيميمون، تاحنطاس وكروارة ... إلخ .
أنظر: أحمد العماري، توات: 157 - 158 . تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور: 10 هامش: 1 .
ATTILIO Gaudio, SAHARA Espagnole, PP: 143-144 .

(*) * 174 ب .

وذلك لمصلحة عمومية وحكمة إلهية، لا يعلم حقيقتها إلا الله عظيم الشأن كبير السلطان، فعلى العاقل التسليم للقضاء، وكيف يتأتى معاكسة شيء مضى "والملك لله يوتيه من يشاء من عباده"[19] والأمر كله بيده، وهو الملك الديان، مع أن الدولة الفرنسوية كما هو محقق عند سائر الناس من غير التباس، مشهورة بالرحمة والشفقة والحنانة وحرز الأمانة واحترام الشرائع والأديان، ولا تتعرض للأموال ولا للأملاك ولا للعوائد ولا لعرف أهالي الأوطان، بل (تؤمن)[20] خوفهم وتحقن دماءهم ونساءهم وأولادهم، والكل في الأمان في ظل السلطان، إلا من (بغى)[21]، وتجبر، وطغى، وسعى في الفساد ومضرة العباد، وأراد أن يجلب على قومه البور، وإيقاد نار الفتنة والشرور، لانخداعه لبعض أقوال الأجانب، ممن لهم غرض في استمرار القيل والقال والمثالب، وهدم ما انصلح من الطرق والبنيان فالدولة الفرنساوية لا تسمح بذلك، وتعاقب من تمرد عليها بإلقاء نفسه في المهالك، فالحذر الحذر عباد الله من وساوس الشياطين، من كل إنس وجان، ومن المعلوم أن الضالة توخذ أينما كانت، ورب الدابة أولى بمقدمها إن ركبت مهما وجدت .

وحيث أن قرى توات وما يضاف إليها من البقاع داخلة في *قسم الصحراء الجزائرية، فالأمر مسلم في الاستيلاء من غير نزاع، والمعارضة في ذلك من قبيل العبث، بل هي ضرب من المحال والمأمول، من ذوي الأمر والنهي المتولين أمور المسلمين، في جهات الحدود والقطر المعهود، أن لا يصغوا لأقوال المفسدين وذوي الأغراض من الأجنبيين، الذي دأبهم انقطاع العلائق بين الدولتين المتجاورتين، "والله يهدي من يشاء إلى صراك مستقيم" [22] إنه بعباده خبير رؤوف رحيم [23] انتهى .

[إنشاء المؤلف قصيدة يدعو فيها للجهاد وينتقد الحكومة والعلماء]

ولما تقرر هذا وكان، وثبت بمشاهدة العيان، وأيقنت أنه لابد من سريانه فيما بقي من الأوطان، بكيت هذا الدين وحرضت على القيام بشأنه، ووجهت الملامة على أولي الأمر والعلم لاشتغالهم بالأمور الدنيوية عن نصرته، حيث حركتني الغيرة الإسلامية، وقادتني بزمام الحمية الوطنية، لمخاطبة الأموات، ووعظهم بما كان من سيرة السلف وفيه لهم نجاة، فقلت وما أسمعت، وربما وبخت على ما أنشأت: [الرجز]

---

(19) هذا تضمين للآية: 26 من سورة آل عمران. وهي: "قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء".
(20) د. تأمن. والتصحيح من ن. ح .
(21) د: بلي . والتصحيح من ن. ح .
(22) هذه آية قرآنية: 142 - 213 من سورة البقرة.
(23) نص هذه اللائحة أثبته - نقلا عن الحلل البهية - أحمد العماري ي كتابه. توات: 168 - 169 .
وإلى هنا ينتهي سالمون ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية، بشيء من التصرف.
أنظر: G.SALMON, une opinion marocaine sur la conquête du Touat, in. Archives Marocnes. 1904 T(P: 424 .
(*) 175 * أ .

دَعْ عَنْكَ دَاعِيَ السُّرُورِ وَالمِزَاحِ / وَاسْلُكْ سَبِيلَ مَنْ بَكَى الدِّينَ وَنَاحْ
وَاحْكِ نِسَاءَ الحَيِّ فِي لَطْمِ الخُدُودِ / وَضَرْبِهِنَّ الفَخِذَيْنِ وَالصِّيَاحْ
وَارْثِهِ وَأَسْمِعْنِي جَمِيلَ وَصْفِهِ / وَانْدِبْ وَغَرِّدْ فِي الغُدُوِّ وَالرَّوَاحْ
وَإِنْ حَزِنْتَ أَوْ بَكَيْتَ فَوْقَ ذَا / مِمَّا أَصَابَ مَا عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحْ
وَقُمْ عَلَى سَاقٍ مُحَرِّضًا وَقُلْ / دُونَ قِتَالٍ وَطَنُ الإِسْلاَمِ جَاحْ
وَالدِّينُ بِالكُفْرِ يُعَالِجُ الضَّيَاعْ / وَقَدْ خَلاَ الجَوُّ لِأَوْلاَدِ السِّفَاحْ
غَابَتْ بَوَاكِيهِ وَعَزَّنَا صَبْرُهُ / لَيْتَنِي مِمَّنْ مَاتَ قَبْلَ فَاسْتَرَاحْ
كَيْفَ وَقَدْ خَيَّمَ أَرْضَنَا العَدُوُّ / وَبَاضَ فِيهَا طَيْرُهُ قَهْراً وَصَاحْ
خَلاَ لَهُ الجَوُّ فَمَدَّ رِجْلَهُ / وَحَطَّ رَحْلَهُ وَنَامَ فِي البِطَاحْ
وَقَدْ بَدَا النُّقْصَانُ مِنْ أَطْرَافِهَا / وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ الفَيَافِي وَالمَرَاحْ
مَالَ عَلَيْنَا مَيْلَةً وَاحِدَةً / حَيْثُ غَفَلْنَا جُمْلَةً عَنِ السِّلاَحْ
وَاسْتَضْعَفَ الإِسْلاَمَ طُرّاً فَدَنَا / مِنْ أَرْضِهِ وَعَمَّهَا بِالاِقْتِرَاحْ
وَنَحْنُ فِي ظِلِّ الغُرُورِ نَائِمُونَ / عَلَى بِسَاطِ الذُّلِّ نَرْجُو الاِفْتِضَاحْ
* هِمَّتُنَا مَصْرُوفَةٌ إلى البِنَا / وَالشَّهَوَاتِ وَالمَلاَهِي وَالمِزَاحْ
هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةٌ فِي أَخْذِنَا / وَأَرْضِنَا وَمَا حَوَتْ مِنَ القَرَاحْ
وَلاَ يُفِيدُ (الحَدُّ)(24) دُونَ قُوَّةٍ / فَالعَهْدُ مِنْهُ كَسَرَابٍ فِي بِطَاحْ
وَكَمْ مَكِيدَةٍ لَهُ نَالَ بِهَا. / مَا لَمْ يَنَلْهُ بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاحْ
آمِ عَلَى الأُسْدِ مِنْ نَسْلِ قُرَيْش / آمِ عَلَى الأَمِيرِ مِنْ آلِ رَبَاحْ
آمِ عَلَى الأَنْصَارِ أَبْكِي فَقْدَهُمْ / مَنْ وَضَعُوا الكُفْرَ بِنَصْرِهِمْ (فَرَاحْ)(25)
لَوْ حَضَرُوا مَا كُنْتُ فِي ضَيْمٍ وَلاَ / كَانَ لِأُولِي الكُفْرِ شِبْهُ (الاِمْتِيَاحْ)(26)
وَقُلْ لِأُولِي الأَمْرِ مَا هَذَا الفَشَلُ / وَالمُسْلِمُونَ فِي نِهَايَةِ الصَّلاَحْ
(وَمَا)(27) بِهِمْ قِلَّةٌ لاَ وَلاَ جُبْنٌ / وَ (لاَ)(28) بِهِمْ ضَعْفٌ (تَسُوءُهُمْ)(29) جِرَاحْ
فَكَمْ مِنَ الأَبْطَالِ فِي الغَرْبِ وَكَمْ / مِنَ اللُّيُوثِ فِي البَرَابِرِ صِحَاحْ
وَكَمْ مِنَ الخَيْلِ السَّوَابِقِ العِتَاقِ / عَلَى العِدَا (بِهَا)(30) يَضِيقُ الاِنْفِسَاحْ
وَكَمْ رِجَالٍ صَابِرِينَ صَادِقِينَ / فِي الزَّحْفِ يُخْشَى بَأْسُهُمْ يَوْمَ الكِفَاحْ
لَوْ كَانَ مِنْهُمْ عَسْكَرٌ لَخَضَعَتْ / لَهُ الرِّقَابُ وَخَشَاهُ ذُو الوَقَاحْ
وَلَرَعَى الفِرَنْجَ يَوْماً بَأْسَهُ / وَلَتَضَعْضَعَ بِنَاؤُهُ وَطَاحْ

(24) ز: الجد.
(25) في مظاهر يقظة المغرب للمنوني: ج 2: 36 : فراح.
(26) في م. س. ن. ج. ص: الاقتياح.
(27) في م. س. ن. ج. ص: 37: فما .
(28) ن ح: ما .
(29) ب: تسوءهم. والتصحيح من ن. ح. و. م. س. ن. ج. ص
(30) في مظاهر يقظة المغرب: 37: بهم.
(*) * 175 ب .

وَجُودُهُ بِشَرْطِهِ وَضَبْطِهِ   عِزٌّ لِدِينِنَا وَغَايَةُ المَرَاحْ
تَرَكْتُمُ الجِهَادَ فِي العَدُوِّ واغْتَنَمْـ   ـتُمُوهُ فِي (الإِمَاءِ)[31] (بِالنِّكَاحِ)[32]
وَلَوْ كَانَتْ لَكُمْ قُلُوبٌ تَفْقَهُونَ   بِهَا لَحَرَّمْتُمْ عَلَيْكُمُ المُبَاحْ
لاَ خَيْرَ فِي العَيْشِ مَعَ الذُّلِّ وَلاَ   عَيْشَ لِرُوحٍ فِي (الفَتَى)[33] دُونَ ارْتِيَاحْ
والسُّنَّةُ الغَرَّاءُ صَارَتْ بِدْعَةً   وَأَحْمَقُ عِنْدَكُمُ مَنْ بِهَا بَاحْ
وَهِيَ أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ يُرْتَجَى   وَهِيَ السِّيَاسَةُ العَظِيمَةُ النَّجَاحْ
مَا خَابَ قَوْمٌ سَلَكُوا (مَنْهَجَهَا)[34]   وَلا اسْتِقَامَ دُونَهَا أَمْرُ (اصْطِلاَحْ)[35]
وَلَمْ يُفِدْ شَيْئاً مِنَ العَدُوِّ مَا   زَخْرَفْتُمُوهُ وَيَحْكُمُ عِنْدَ التَّشَاحْ
وَالأَمْرُ سَهْلٌ لَوْ نَصَرْتُمْ رَبَّكُمْ   نَصَرَكُمْ بِوَعْدٍ جَاءَ كَالصَّبَاحْ
* فَارْتَقِبُوا إِنْجَازَ وَعْدِهِ إِذَا   (نِمْتُمْ)[36] عَلَى اسْتِعْدَادٍ فِي كُلِّ رَوَاحْ
فَإِنَّهُ الحَقُّ وَذَاكَ شَرْطُهُ   وَالشَّكُّ فِيهِ بَعْدَ ذَا كُفْرٌ صُرَاحْ
فَانْتَصِحُوا وَرَاجِعُوا كِتَابَكُمْ   وَامْتَثِلُوا نَصَّ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحْ
مَنْ حَادَ عَنْ نَهْجِهِمَا ضَلَّ وَزَلَّ   (مِنْ فِعْلِهِ الخُسْرَانُ قَدْ بَدَا وَلاَحْ)[37]
فَشَمِّرُوا لِلأَخْذِ ثَأْرِكُمْ عَسَى   تَهُبُّ بِالنَّصْرِ عَلَيْكُمُ الرِّيَاحْ
أَمَالَكُمْ أُسْوَةٌ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ   أَهَكَذَا المَغْرِبُ كَانَ مُسْتَبَاحْ
وَقُلْ (لِأُولِي)[38] العِلْمِ مَا هَذَا (الشَّجَى)[39]   أَمَوْتَى أَمْ نِيَامٌ أَمْ بِهِ شُحَاحْ
أَنْتُمْ أَحَقُّ بِالبُكَا لِأَنَّكُمْ   أَنْصَارُهُ أَنْتُمْ لَهُ نِعْمَ الوِشَاحْ
وَهَذَا بَحْرُ الكُفْرِ قَدْ غَشِيَكُمْ   عَمَّ البَرِيَّةَ بِمَوْجِهِ وَسَاحْ
فَلَوْ نَهَضْتُمْ لاسْتَقَامَ الإِعْوِجَاجْ   وَنِلْتُمْ مِنْ صَاحِبِهِ كُلَّ الرِّبَاحْ
(وَكُنْتُمْ لِلَّهِ أَنْتُمْ نُصَحَا   وَلِلرَّسُولِ مَعَ أَئِمَّةِ السَّمَاحِ)[40]*
وَقَدْ رَأَيْتُمْ فِعْلَهُ بِغَيْرِكُمْ   وَنَقْضَهُ العُهُودَ مِنْ بَعْدِ الصَّلاَحْ
وَإِنْ تَمَادَيْتُمْ عَلَى غَفْلَتِكُمْ   هَلَكْتُمُ وَمَا أَرَى لَكُمْ فَلاَحْ
لاَبُدَّ مِنْ (وَثْبَةٍ)[41] دُونَ شُعُورِ   كَمَا العَقُورِ فَعْلَهُ دُونَ نُبَاحْ

---

(31) ب: الايمان. والتصحيح من ز. ح. و. م. س. ن. ج. ص.
(32) في م. س. ن. ج. ص : بالسفاح.
(33) في م. س. ن. ج. ص : الفنا.
(34) في م. س. ن. ج. ص : منهاجها.
(35) في م. س. ن. ج. ص : صلاح.
(36) في م. س. ن. ج. ص : قمتم.
(37) في م. س. ن. ج. ص : وخسران الدارين من فعله لاح.
(38) في مظاهر يقظة المغرب، ج 2 38 لأهل
(39) ب: السجى. والتصحيح من ز. ح. و. م. س. ن ج. ص. ومعنى الشجى الحزن والغضب.
(40) هذا البيت ورد في م. س. ن. ج. ص: بهذا اللفظ.
وكنتم النصحا لله ولرسـ   ـوله ولأئمة السماح
(41) في م. س. ن. ج. ص : وثبته.
(*) 175 أ.

لاَ عُـذْرَ مَـا تَـخْـشَـوْنَـهُ أَهْـوَنُ مِـنْ ... مُصَـابِـكُـمْ إِذَا (أَرَدْتُـمْ)[42] الفَلاَحْ
هَـذَا وَإِنِّـي عَـارِفٌ بِـأَنَّـنِـي ... أُخَـاطِـبُ المَوْتَـى بِـهَـذَا الاقْـتِـرَاحْ
وَإِنَّمَا (تَغْرِيدِي)[43] مِنْ شَوْقِ الـوَطَنِ ... كَـتَـغْـرِيـدِ الحَمَامِ مَقْصُوصِ الجَنَاحْ
وَأَسْـأَلُ الـلَّـهَ بِـاسْـمِـهِ الـعَـظِـيمِ ... أَنْ يُـلْـهِـمَ الـكُـلَّ لِـمَـا فِـيـهِ صَـلاَحْ
وَأَنْ يَـقِـيَـنَـا شَـرَّ ذَلِـك الـعَـدُوِّ ... وَيَـنْـصُـرَ الـدِّيـنَ بِـأَهْـلِـهِ المِلاَحْ
[وَصَـلِّ يَـارَبِّ عَـلَـى خَـيْـرِ الـوَرَى ... وَآلِـهِ وَصَـحْـبِـهِ ذَوِي الصَّـلاَحْ][44]

(42) في م. س. ن. ج. ص : طلبتم.
(43) في م. س. ن. ج. ص : بكاي.
(44) هذا البيت ساقط من م. س. ن. ج. ص . وهذه الأرجوزة نشرت بالمطبعة الحجرية بفاس تحت عنوان: إيقاظ أهل الغفلة والمنام، والنهاية عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام. وعن هذه الطبعة أثبتها المنوني في مظاهر يقظة المغرب، ج 2: 36 - 38 . كما أثبتها -أيضا- عبد القادر زمامة في مجلة المناهل، العدد 21 . السنة: 1401 / 1981 ص: 283 - 286 . أما العماري فقد أثبتها في كتابه توات: 170 - 172 نقلا عن الحلل البهية. وقد قمنا -هنا في المتن- بمقابلة النصين اعتمادا على مظاهر يقظة المغرب لأن نصه يتطابق مع نص مجلة المناهل .

[المقصد السابع عشر: التغييرات الحكومية]

[موت أولاد موسى بن أحمد]

وفي إثر هذه القضية من هذه السنة[1]، تسارعت المنايا لأخذ أولاد السيد موسى بن أحمد، الذين هم وزراء هذه الدولة، مكان أولاد السيد المختار الجامعي المذكورين قبل.

فكان أولهم موتا السعيد بن موسى، الذي هو حينئذ وزير الحرب، وذلك *في رمضان المعظم من السنة المذكورة[2]. ثم مات عقبه أخوه إدريس الحاجب وقته أيضا في منتصف ذي الحجة الحرام[3].

وبعده مات الوزير الأعظم السيد أحمد بن موسى بن أحمد وذلك في أوائل محرم الحرام فاتح عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف[4]، فكان بينه وبين موت الحاجب نحو العشرين يوما، كما أن انقراضهم جميعا في أقل أربعة أشهر.

وسبب موت الوزير، الداء المسمى بالسكت. وقد أعيا الأطباء علاجه مع ملازمة ثلاثة أطباء له: فرنساوي وإنجليزي وإسبنيولي، وبذلهم المجهود في علاجه، إلى أن تزايدت همومه وتكاثرت أحزانه بموت أخويه، فكان ذلك مع ما به سبب انقضاء أجله.

وكان موتهم جميعا بمراكش، وحضر جنازة الوزير خلق كثير من الأشراف والأعيان والرؤساء. وخرج السلطان مولاي عبد العزيز بنفسه لحضور دفنه والوقوف على قبره .

اختلال نظام ملك المغرب
بموت الوزير الصدر الفقيه السيد أحمد بن موسى

وبموته اختلّ النظام، وانفصمت عُرى الأحكام، وتغيرت سنن هذه الدولة المرضية، واضمحلت فوائد عوائدها المرعية، وتضعضع ركنها وانهدم، وذهب رونقها وانعدم، وظهرت فيها ظهوراً قوياً علامات الهرم، لما كان عليه من النصيحة وحسن التدبير، واقتفاء أثر سياسة من قبله وهو إذ ذاك بكل أحوالهم خبير.

ومن الحِكَم قولهم: أربعة أشياء لا يدوم معها ملك: غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية.

---

(1) أي سنة 1317 هـ / 1899 م.
(2) أي في رمضان من سنة 1317 هـ / يناير 1900 م.
(3) أي منتصف ذي الحجة 1317 هـ / الإثنين 16 أبريل 1900 م.
(4) أوائل محرم الحرام فاتح عام 1318 هـ / أوائل ماي 1900 م.
(*) * 176 ب .

[تركة الوزير أحمد بن موسى]

وترك من النقد، والأملاك، والحلي، والحلل، والجواهر، والأحجار الثمينة، والممالك، والعنبر، والتحف، والآثاث، والذخائر العديمة النظير، من التيجان المرصعة بالأحجار الكبار التي يعز وجودها في العالم، والأسلحة النفيسة، والكتب المعتبرة العديمة النظير، والساعات الذهبية ما يزيد على الألف، وأما الأواني المصوغة من الذهب والفضة، ومصنوعات الروم الفاخرة منها، والمنارات البلورية البديعة الصنع، فشيء لا حصر له.

وكل ذلك أخذه السلطان، وأمر بحوزه وإحصائه وبيع ما يباع منه بكل أرض، فبيع بفاس خاصة من الحلي، والثياب الفاخرة والعنبر، والأواني، والساعات الذهبية والفضية ونحو ذلك، ما أشغل الأمناء القائمين* بأمره كل يوم نحو الأربعة أشهر، وكذلك بمكناسة الزيتون أو أكثر منه، دون ما بيع بمراكش التي هي محل إقامته، وطال فيها مكثه، وبها توفي. ودون ما أخذه الأمناء لأنفسهم خفية مع العدول من كل ثمين، واختصوا به من (الإماء)[5] الحسان، وخصوا به من شاءوا من أكابر الدولة. طلبا لرضاهم عنهم، وشد عضدهم لهم عند عثراتهم، حتى قيل: إنما بيع من متروك الوزير ما فضل عن الأمناء والعدول القائمين بشأنه. واختلف في قدر محصله من مليونين ريالا إلى عشرة ملايين منه، والأخبار بأحواله ترشد إلى قبول ما يناسب ويحتمل من ذلك، وإلا فقد قيل أكثر من ذلك، فإنه منذ قام بالأمر واستبد بانتزاع ثمرة الملك من الأمر، والنهي، والحل، والعقد، والإبرام والنقض بوجه كفالته للسلطان لصغره. وقدر المدة ست سنين التي هي بين تاريخ وفاة مولاي الحسن وموته، وفي كلها كانت الرعية لا تهتف إلا باسمه، ولا تقصد أحدا سواه [في أمورها]،[6] ولا تذعن لغيره، فكان الوافد على السلطان لقضاء غرضه من القواد والأعيان، يصحب معه لملاقاته مائة ريالا مثلا ويصحب لملاقاة، الوزير خمسة آلاف ريال ونحوها، لعلمه بأن الغرض لا يقضى إلا على يده وبإذنه.

وهكذا فيكون مدخول السلطان أقل من عشر مدخول الوزير بكثير في هذه المدة، مع تزاحم الناس على بابه كل يوم لدفع ما ذكر، وعدم التفاته إليهم لتكاثر الأسئلة والأغراض. ولا يقبل إلا الذهب الخالص في ذلك أو ما يقوم مقامه من التحف مع ماهو موظف له على أمناء الجيوش ورؤسائها، وأمناء المراسي في كل شهر بحسب ما يليق بكل واحد منهم.

وقد أخبرنا بعض أمناء العسكر، المتولي قبض واجب مونة خمسمائة نفر، بأنه كان يدفع له كل شهر خمسمائة ريال، وفي غيبته يدفعها لنائبه الموكل بذلك.

---

(5) د، ح: الإيماء، والتصحيح من ز.
(6) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز، ح.
(*) * 177 أ.

وقس على ما يناسب هذ. من عدد الجيوش. وأما الهدايا من سائر أقطار المغرب، ويضائع الروم مما يليق بأبهة الملك، من عقود الجواهر، والحلي والحلل، والتيجان المرصعة بالأحجار، وجياد الخيل، والسروج المرصعة كذلك، فشيء لا غاية لثمنه، مع ما *توفر لديه من متروك والده السيد موسى بن أحمد من الذخائر أيضا. وكان قد بلغ من المكانة وعلو الرتبة مع المولى الحسن ووالده سيدي محمد قبله برتبة الحجابة، ما يضاهي هذا أو أكثر لطول مكثه بها لدى الدولتين. وهذا مع شدة حرصهما الادخار والكنز بالشحّ، وعدم بذلهما العطاء والاشتهار به.

فمن نظر إلى هذا، وعاين المتروك وبيعه، صدق بكل ما سمعه، ومن لم يعاينه على التفصيل، (استنكر)[7] واستبعد ما ذُكر فيه واستعظم المليونين في حقه. إذ هي غاية ما يمكن ادخاره لمثله. وبعضهم قطع بأزيد منها بكثير. والكل بحسب الاجتهاد والتقدير بالظن القوي.

والذي أخبر به بعض الأمناء المباشرين لحصر ذلك وبيعه وأخذ ما يؤخذ منه للسلطان، مع تقويم جميعه من الأصول، والأجنة، والأرضين، والعبيد، و(الإماء)[8] ، والخيل، والبغال، والحمير، والماشية، والحلي، والحلل، والفرش، والأسرة، وسائر الأثاث، والأمتعة، مع التحف والأواني البديعة الشكل، والكتب النفيسة وغير ذلك، من كل ما يطلق عليه اسم مال، أنه بلغت قيمة ذلك مع الذهب والفضة المسكوكين عينا، ستة وثلاثين مليونا ريالا. والله أعلم.

وهذا الغنى الذي استعاذ من شره صلى الله عليه وسلم، وقال الشاعر: [الطويل]

إِذَا كُنْتَ جَمَّاعاً لِمَالِكَ مَاسِكاً ... فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينُ
تُؤَدِّيهِ مَذْمُوماً إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ ... فَيَأْكُلُهُ عَفْواً وَأَنْتَ دَفِينُ

وقال آخر: [البسيط]

يَفْنَى البَخِيلُ بِجَمْعِ المَالِ مُدَّتَهُ ... وَلِلْحَوَادِثِ وَالوُرَّاثِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةِ القَزِّ مَا تَبْنِيهِ يُهْلِكُهَا ... وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

---

(7) ز. ح: استكثر.
(8) د: الإيماء. والتصحيح من ز. ح .
(*) * 177 ب .

[تولية المختار بن عبد الله صدارة الوزارة وأوصافه]

وتولى بعده صدارة الوزارة ابن عمه الفقيه السيد الحاج المختار بن عبد الله بن أحمد. وكان على ما ينبغي من الديانة، والأمانة، والنصيحة للسلطان والرعية، سالكا منهاج السياسة المقررة لديهم، عالما بأحوالها وطرقها وعوائدها، ذا رأي، وذكاء، وأدب، وسمت حسن. وكان قبل ذلك وزير الخليفة المولى عرفة بفاس، وانتقل لمراكش منها بأمر الوزير المتوفى، لأجل الكتابة معه بدلا من مولاي الطاهر البلغيثي، *واختاره لذلك حذراً من اطلاع الكتاب الأجانب على سره، وبقي كاتبا معه إلى أن مات. فاختير لمنصبه لما وصف به من الأوصاف الحميدة.

[تولية المهدي بن العربي المنبهي وزارة الحرب وأوصافه]

كما تولى وزارة الحرب السيد المهدي بن العربي المنبهي حينئذ، وكان قبل من أعيان أعوان الوزير المتوفى(9)، خاصا به مكلفا بصائره على العيال ولوازمه، متوسطا فيما بينه وبين القواد في شأن التكاليف المخزنية وقضاء الأغراض على يده، واختاره لذلك لما ظهر من صدقه، وأمانته، وحسن سيرته، وحذاقته، وتلطفه، وموافقته لرأيه في مباشرته للأمور الموكل بها. وكان ارتقى من الخدمة الجندية إلى التولية عاملا على (قبيلته)(10) المنابهة. وكان سبب تصدره وارتقائه إلى الوزارة الحربية، اختصاصه بالوزير المذكور وملازمته له. وقيل: كان ذلك بوصية الوزير عليه السلطان عند يأسه من الحياة.

ولما توفي الوزير كان هو المباشر لأمره بإذن من السلطان لعلمه بإطلاعه على أحواله، ومعرفته لذخائره ومحل أمواله. كما كان مدة مرضه يوجهه واسطة بينه وبين السلطان في قضاء مآربه، فتمكن بذلك من السلطان، زيادة على الوصية وما اتصف به من الحذاقة، والنباهة، والأدب، فخصه بوزارة الحرب عمن عداه من الأقران (فقام)(11) بواجبها أتم قيام، وصار (ملحوظا)(12) بعين الرضى عنده، وانتشر صيته في البلدان بما بذل من العطاء للعلماء، والأشراف، والشعراء المادحين له بذلك ولِمَا فتح الله على يده لذوي الحاجات المتوسلين به في قضاء أغراضهم من السلطان، مع تواضعه لسائر الناس، ومباشته لهم، وتنزيله منازلهم بما يناسبهم، حتى تشوفت (لرؤيته)(13) جميع الرعايا، وتمنت الوفود عليه لما اختص به من المزايا ولم يبق شاعر بالمغرب إلا ومدحه وقصده، وكل نال منه غرضه ومقصده.

---

(9) يقصد به: الوزير أحمد بن موسى الذي توفى في أوائل محرم من سنة 1318 هـ/ أوائل ماي 1900 م.
(10) ز، ح: قبيلة .
(11) في جميع النسخ: فأقام. واقتضى السياق تصحيحها.
(12) د، ح، ملحوظا، والتصحيح من ز.
(13) د: لرايته. والتصحيح من ز، ح.
(*) *178 أ .

[تمكن المنبهي من الاختصاص بالسلطان والاستبداد بالرأي]

إلا أنه كان مساعداً للسلطان في كل ما أراد، عند خلعه (ربقة)[14] الحجْر من عنقه بموت الوزير، وارتكابه هواه ورأيه، حيث لم يبلغ درجة الوزير في التحجير عليه.

وكان يعينه -على ما اشتهر من ألسنة الناس- بكل ما يدخل عليه السرور، ويقويه على ذلك بأمور المخترعات الإنجليزية، من زخارف صوره وعجائب صنعته، وكل ما أمكنه* جلبه له مما يوافق طبعه وهواه، من الملاهي الصارفة له عن منهاج سيرة والده الحميدة، وما كان عليه من الدين المتين، والجد والاستقامة.

وغرضه بذلك زيادة الرضى عنه، والاغتباط به، والانبساط معه بموافقته هواه، ليتمكن بمراده منه، من الاختصاص به وإلقاء الأمور كلها بيده، كما كان الوزير الأعظم قبله: [الكامل]

إنَّ الصَّديقَ إذا رَآكَ مُخالِفاً ... لِهَواهُ بَدَّلَ وُدَّهُ بِعُقُوقِ
فَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلصَّدِيقِ مُتابِعاً ... أَهْواءَهُ أَوْ عِشْ بِغَيْرِ صَدِيقِ

فبلغ بذلك مبلغا لم يبلغه غيره معه، وصار الحل والعقد بيده، ولا يبرم أمر دون مشورته ورضاه به.

ومتى اجتمع أعضاء الدولة على حكم نازلة، أو تدبير أمر، أو تولية ولي أو عزله، إلا ويكون رأيه في ذلك مقدما ولو خالف رأي الجميع، وكان المرجع إلى رأيه متعينا.

[سلوك الوزير المختار ونصحه للسلطان]

وكان الوزير الأعظم حينئذ الحاج المختار المذكور، سالكا منهاج سيرة من قبله من محاولة الحزم، والضبط، ومرعاة أوصاف المروءة، والديانة، والمحافظة على اتباع الشريعة، وتولية من يستحق التولية، وعزل من يستحق العزل على يده، وربما أنكر على السلطان ما اشتغل به، مما يليق بمنصبه الرفيع وقدره الشريف، وحذّره سوء عاقبة ذلك، وأرشده إلى سيرة آبائه الكرام، مما يليق بمنصب (الإمامة)[15] لما يجب عليه من النصح مشافهة، ولم يصغ لمقاله، لما تمكن منه من الولوع بالملاهي والشهوات، المناسبة لقوة الشبابية، ومظنة وقوعها في المنهيات، وعدم الزاجر له بالقوة القهرية، كما كان الوزير المتوفى يعامله، ولسان حاله يقول كل حين: نصحتُ فَلَمْ أُفلح وخانوا فأفلحوا.

(14) ح: رفقة
(15) ز: الأمانة.
(*) 178* ب

[تولية عبد الكريم بن سليمان وزارة الخارجية]

وفي أثناء هذا، تولى السيد عبد الكريم بن سليمان وزارة الخارجية، لكونه كان مصدَراً لها من قبل الوزير المتوفى، حيث أخر السيد محمد المفضل غريط عنها لأمر اتهمه به، لما جبل عليه من العفة، والديانة، ومكارم الأخلاق، والصدق، والنصيحة.

وكان على مذهب الوزير الحاج المختار، موافقا له في رأيه وسيرته، ناكراً لما أنكره من سفاسف الأمور الفاشية.

[طلب وزير المالية عبد السلام مؤرخ التازي الرباطي الإقالة وموقف المؤلف منها]

كما أن وزير المالية الحاج عبد السلام مُوخ التازي الرباطي، *لما رأى ما صار إليه الأمر بعد موت الوزير، من ارتكاب المجون، والموافق (عليه)[16] ناصح ملحوظ، والناكر غاش في زوايا الإهمال [والإهانة][17] مسجون، طلب من السلطان الإقالة من توليته، معتذراً بذهابه لبيت الله الحرام، فأقاله لذلك السبب الظاهر، وذهب بسلام.

وهو من كمال عقله وديانته، وسديد رأيه ومروءته، ونتيجة صدقه وأمانته.

[تولية محمد الشيخ التازي الفاسي وزارة المالية]

وتولى بعده في محله، السيد محمد الشيخ التازي الفاسي، وكان قبل أمين الصائر [18]، فارتقى إلى الوزارة المالية بسبب ذلك.

[إغراء المنبهي وغريط المولى عبد العزيز على عزل المختار]

هذا، والوزير الحاج المختار يجالس الفقيه غريط المذكور، ويتفاوض معه في الأمور، فضاق من ذلك وزير الحرب المذكور، لانفراده بمذهبه، واجتماعهم عليه، فجعل يحاول ميل غريط إليه بكل الوسائل وبما أمكنه، من ظهور المحبة والمودة إليه والنصيحة لجانبه، بعزل الحاج المختار وتوليته مكانه، ويذكره عزل ابن عمه الوزير المتوفى[19] إياه من الوزارة الخارجية، وما كان له من القدم الراسخ فيها والمآثر الشهيرة، إلى أن أماله إليه بذلك. ووافقه على عزله وتوليته مكانه.

---

(16) ز، ح: عليها.

(17) ما بين المعقوفتين، ساقطة من ز، ح.

(18) الصائر: النفقة. وفي الدوائر المخزنية يعني المال الذي ينفق في شؤون الدولة مثل صوائر العسكر وغيرها، ويتكلف الأمناء بتصييرها. أنظر: مسألة النقود في تاريخ المغرب لعمر أفا: 407-408.

(19) يقصد به: الوزير أحمد بن موسى.

(*) 179* أ.

فحينئذ، أغرى كل منهما السلطان على (عزل) [20] الحاج المختار، وزين له في نفيه وطرده، مع ما كان في باطن السلطان عليه، من عدم موافقته على ما كان يميل إليه ومولعا به، من الركون إلى الأجانب.

فعزله وولى مكانه الفقيه السيد محمد المفضل غريط، وأمره بالخروج من مراكش بعياله وأمتعته كلها من يومه الذي عُزل فيه. ولما فارقها بمرحلة ألحقه (كتيبة) [21] من الخيل، ومعها أمين وكتاب له، على أن يمكّن ما لديه من الدراهم للأمين الحامل له، فلم يسعه إلا الامتثال، ومكّنه من ستين ألف ريال المتحصلة لديه مدة إقامته بمراكش، منها عشرون ألفا كان (وصله) [22] بها ابن عمه الوزير المتوفى لمّا ورد عليه للكتابة بإذنه كما سبق [23]، وكذلك أخوه السعيد المتقدم [24] وزير الحرب (وصله) [25] بعشرة آلاف ريال وقتئذ، والثلاثون ألفا الباقية اكتسبها في تلك المدة على ما شاع، فأخذ الأمين الموجه العدة المذكورة كلها بعد البحث التام على غيرها، بفتح كل وعاء وظرف يظن به وجود شيء من الدراهم من أوعية الوزير المأمور بفتحها وتفتيشها، على وجه الانتقام و(التعنيف) [26]، وهو في [كل] [27] ذلك يقرأ قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك" [28] الاية.

* وبعده، لما وصل رباط الفتح، أنزله عامله على يده، ومنعه من التوجه لمكناسة الزيتون التي هي محل سكناه. وبقي مدة، ثم أمر السلطان بتغريبه (لتطاوين) [29] أيضا، فذهب إليها مكرها، وبقي هناك مدة أكثر من إقامته بالرباط، ثم سرح منها، ورجع لمكناسة الزيتون، وبقي بها مشتغلا بتدريس العلم إلى الآن.

وكان -أيضا- يوم عزله، ورد الأمر الشريف بإحصاء ما عنده بفاس من الأمتعة والكتب وغير ذلك وعقلها، فأحصيت وحيزت، هذا ولسان الحال ينشد في حقه: [الطويل]

فَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ أَكُونَ كَمَا تَرَى ... وَلَكِنَّنِي رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهْرُ
فَإِنْ كَانَتْ الأَيَّامُ خَانَتْ عُهُودَنَا ... فَإِنِّي بِهَا رَاضٍ وَلَكِنَّهَا قَهْرُ

كما أنه ينشد في حق المنبهي: [الكامل]

لاَزِلْتَ تَخْذُلُ كُلَّ مَنْ عَادَيْتَهُ ... عَنْ قُدْرَةٍ وَلَكَ المُهَيْمِنُ نَاصِرُ
وَلِسَانُ سَعْدِكَ لَيسَ يَبْرَحُ قَائِلاً ... أَبْشِرْ فَإِنَّكَ بِالأَعَادِي ظَافِرُ
سَهْمٌ يَمُدُّ إِلَى السَّمَاءِ لَهُ يَداً ... مَا بَاعُهَا دُونَ الكَوَاكِبِ قَاصِرُ
دَانَتْ لَهُ الأَقْرَانُ ثُمَّ اسْتَسْلَمَتْ ... فَغَدَا عَلَيْهَا وَهُوَ نَاهٍ آمِرُ

---

(20) ز، ح: عزله.
(21) ز، ح، بكتيبة.
(22) ح: صاله.
(23) أنظر هذا المقصد السابع عشر - من الجزء الثاني ص: 243.
(24) أنظر: المقصد الخامس عشر من الجزء الثاني ص220 ، ثم هذا المقصد السابع عشر من الجزء الثاني ص 240 .
(25) ز: صاله .
(26) د، ك : التعنت، والتصحيح من ز، ح.
(27) ما بين المعقوفتين، ساقطة من د، والتكملة من ز، ح .
(28) سورة آل عمران، الآية: 26 .
(29) د: للتطاوين، والتصحيح من ز، ح.
(*) * 179 ب.

[المقصد الثامن عشر: تعدد السفارات إلى أوربا]

[الاستيلاء على توات بصفة تامة وردود فعل إنجلترا]

وفي أثناء هذا[1]، تم استيلاء العدو[2] على قصور اتوات، وحازها حوزا تاما، فعظم الأمر، واشتد الخطب، وتداخلت الأجانب من الدول في الكلام في شأن هذا، ممن له غرض قوي في المغرب، ولا سيما الدولة الإنجليزية المحتوية على جل الممالك بدسائسها، وتمكين مكائدها بقوة ناموسها. فقد أمكنتها هذه القضية من انتهاز الفرصة بهذا السبب، حيث خابت مكائدها السالفة من سفرائها، التي منها: نصب رايتها سرًا يوم عيد النحر لاشتغال المسلمين بصلاة العيد، وغير ذلك من المكائد. فجعلت تبذل النصيحة بكيفية العمل في أخذ الثأر، وتظهر لأكابر الدولة الشريفة المحبة والمودة بالانتصار، ومرادها التوصل بذلك لمقصودها، بمزيد اختصاصها وتكرار ورودها.

[الاتفاق على توجيه عبد الكريم بن سليمان سفيرا للوندرة وبرلين]

ثم اتفق رأي الدائرة بعد تفاوضهم في شأن هذه القضية، واختلاف آرائهم في سبب الخلاص من نظيرتها على أن يوجهوا * سفيرا للوندرة التي هي عاصمة الإنجلين، ولبرلين عاصمة الألمان، فعين الوزيران: السيد المفضل غريط، والسيد المهدي بن العربي المنبهي لذلك، وزير الخارجية السيد عبد الكريم ابن سليمان، بقصد الانتقام منه بتزحزحه عن محله الذي هو وسلية لعزله، حتى يكون رجوعه من تلك السفارة (بخفي)[3] حنين لاتحادهما في الرأي والاعتقاد، كما فعلا بالحاج المختار لكونه في عين السخط عندهما، وإلا فرتبة الوزارة أعظم من رتبة السفارة لهاتين الدولتين ولغيرهما، إذ غايتهما إصلاح أمر وتنقطع، لأن معنى السفارة: الإصلاح والسفير المصلح، قال الشاعر: [الوافر]

ولا أدع السفارة بين قومي ولا أمشي بغش إن مشيت

(1) أي في أثناء الأحداث التي شهدها المغرب في سنة 1318 / 1900 وقد سردها المؤلف في المقصد السابق.
(2) يقصد به: الدولة الفرنسية.
(3) ن: فخف، ح: بخف، د: فخفي، والأصح ما أثبتناه في المتن.
(*) 180 * أ.

[توجيه وزير الحرب المنبهي سفيرا لباريز وسان بطرسبورج]

وبعده، اقتضى نظر الحضرة العالية بالله، توجيه سفير ثاني لباريز عاصمة الفرنسيس، ولسان بطرسبورج التي هي عاصمة الروسيا، فتعين لها وزير الحرب المنبهي، لعظيم سفارتها بعظمة قوة الروسيا وضخامة ملكها، وأفضلية الفرنسيس وشرفه على سائر الدول المسيحية.

[موقف المؤلف من سفارة المنبهي]

وكان المناسب لهذه السفارة، ابن سليمان، لمزيد رتبته في المخزنية، ورسوخ قدمه في الاطلاع على الأحكام الشرعية، بما لديه من الفقه، والمعرفة، والضوابط المرعية، والقوانين السياسية، بما لديه من ممارستها، وتكرار نوازلها عليه، والاحتراف بصنعتها، و(التيقظ)[4] لعواقبها ومآل أمرها. بخلاف وزير الحرب فإنه لم يسبق له في هذا الميدان مجال، ولا سام منصبه قط بحال، لكن لما حكم لنفسه جذب الجمر لقُرصه: [البسيط]

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

[نجاح الإنجليز في تغيير السفير الموجه إليه]

ولما بلغ الإنجليز تعيين السفيرين المذكورين على الوجه المذكور، كتب لمن ينوب عنه[5] في السعي في تبديل السفارتين، بأن يكون السفير إليه هو المنبهي، لما يعلمه من عدم اطلاعه على القوانين السياسية، ولكونه لم تتقدم له سفارة قط ولا خاض في أمرها، فيتمكن من غرضه، ويجني ثمار مكائده، إذ أفعاله وأقواله كلها لا تخلو من دسيسة ومكر في صورة نصيحة وميل بالكلية. فسعى نائبه في تبديل السفارتين على وفق مطلوبه، وأجيب لتغييرها. فكان ذلك مصادفا للصواب، حيث دخل الدار بانيها وأعطيت *القوس باريها.

---

(4) د: التيقض، والتصحيح من ز، ح.

(5) يقصد: رئيس البعثة الإنجليزية بالمغرب القائد ماكلين (Mac.lean) والوزير المفوض بطنجة أرثر نيكلسون (Arthur Nicolson) وكلا الرجلين كان يحظيان بثقة كبيرة لدى المخزن وكان لهما نفوذ قوي إضافة إلى تأثيرهما البالغ في توجيه سياسة السلطان. فماكلين عقد حلفا مع وزير الحرب المغربي السيد المنبهي وكان وراء إرسال بعثة إلى لندن يرأسها الوزير المذكور بعد أن اتصل بالسلطان وأوعز إليه بذلك.

(*) * 180 ب .

ويه سافر وزير الحرب للوندرة وبرلين، ووزير الخارجية لباريز وبطرسبورج عاصمة الروسيا: [الكامل]

لا تحقـــرن الـــرأي وهـــو مـــوافـــق   عين الصـــواب إذا أتـــي مـــن نـــاقص
فـــالـــدر هـــو أجـــل شـــيء يـــقـــتـــنـــى   مـــا حـــطَّ قـــيـــمـــتـــه هَـــوَانُ (الـــغـــائص) [6]

وبقي الوزير الأعظم غريط ووزير المالية الشيخ التازي، يباشران الأمور المخزنية ويدبران أمرها بمقتضى سياستهما مدة غيبة الوزيرين المذكورين للسفارة.

[توجه وزير الحرب المنبهي للندرة وحلوله بها]

[و][7] أما وزير الحرب، فقد قصد مدينة لندرة تخت إنكَلترا، وهي أكبر بلد في الدنيا يسكنها ثلاثة ملايين ونصف مليون، كما أن مساحة أرض هذه الدولة، تشتمل على ثلاثمائة ألف وخمسة عشر ألفا كيلومتر مربع، وسكانها أربعة وثلاثون مليونا، وكلهم على دين النصرانية، (جلهم)[8] برتستانت، يعظمون الإنجيل ويقرؤنه، وكذا الزبور والتوراة، يقرون بنبوءة عيسى عليه السلام، ويلعنون البابا وأتباعه، وهو كما قال ابن خلدون: خليفة المسيح في زعم الفرنج[9]، ولا يتعرضون لنبي بتكذيب، ويقولون: إن الله تعالى أراد أن تكون الخلائق بعضها (يتبع) موسى عليه السلام، وبعضها يتبع عيسى عليه السلام، وبعضها يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم.

هذا قول قسيسهم وأكثرهم، على أن المسلم إذا أراد أن يتزوج بنصرانية لا يُمنع من ذلك بمقتضى قوانينهم، وكذلك اليهودي.

ولما حل بلندرة [11]، قام بواجبه أهلها أشد قيام، وأكرموه أحسن إكرام، وقابلوه بالبشاشة والترحيب، وأنزلوه بروض منها خصيب، وأتحفوه بخواص مخترعاتها، وجال في بقاعها ورياضها، كما بذل بها من الذهب والفضة ما شاع عنه حسن الثناء والذكر الجميل، وهو بالنسبة لما ثبت من كرم العرب قليل، و(أقام) [12] بها نحو الشهر.

---

(6) د، ح: القانص. والتصحيح من ز.
(7) ما بين المعقوفتين. ساقطة من د، ح. والتكملة من ز.
(8) ح: أجلهم.
(9) أنظر: ابن خلدون. العبر، ج 1: 194. بتصرف.
(10) د: تتبع. والتصحيح من ز، ح .
(11) حل المنبهي وبعثته بلندرة (لندن) يوم السبت 27 صفر 1319 هـ / 15 يونيو 1901 م. وكان يصحب هذه البعثة القائد ماكلين (Maclean) والسير آرثر نيكلسون (Sir Arthur Nicolson). وقد وجد في استقبال المنبهي وبعثته، الملك إدوارد السابع (Edouard VII) وزوجته إضافة إلى أعيان المدينة. وكان الغرض من هذه البعثة، الحصول على دعم إنجليزي فيما يتعلق بأزمة توات، وإيجاد الحلول السياسية السلمية لها، إضافة إلى التشاور في الإصلاحات الواجب إدخالها على عدة ميادين. ويتبين أن المسؤولين الإنجليز إستقبلوا عرض المغرب فيما يخص أزمة توات ببرودة دم، ولم يعيروه أي اهتمام، عكس مسألة الإصلاحات، التي لقيت أذنا صاغية وتشجيعا متزايدا خاصة تلك التي لها ارتباط مباشر بالمصالح الإنجليزية بالمغرب. وهذا ما سيتبين -بعد قليل- من خلال الإتفاقية التي أبرمها المنبهي مع المسؤولين الإنجليز، أورد المؤلف المشرفي فصولها.
وبصدد وصول البعثة المغربية إلى لندن أنظر: حسن صبحي، التنافس الاستعماري: 161 .
Pierre Guillen, L'Allemagne et le Maroc Paris 1967 P : 600
(12) د: قام. والتصحيح من ز، ح.
(*) * 180 ب .

[فصول اتفاقية المنبهي مع إنجلترا]

وفي تلك المدة، عقد مع رؤسائها شروطا رسمية تحتوي على أربعة فصول:

الأول: بناء القناطر، وإصلاح ما تلاشى منها بسائر الإيالة المغربية.

الثاني: تشييد المنارات بالمراسي المغربية، لعموم النفع بها.

الثالث: تسريح وسق الحبوب بحرا، من مرسى إلى مرسى.

الرابع: وسق البطاطا والخضر بأسرها* من مرسى طنجة إلى مراسي الأجانب من حيث هي [13].

وهذه غاية الشروط الظاهرة المتجاهر بها، وهناك على ما قيل شروط غير رسمية، وإنما هي معاهدات بمجرد القول، وعدهم بالوفاء بها عند رجوعه للمغرب، راجعة للإصلاحات التمدنية، كإقامة السكة الحديدية، ونصب تلكراف، ووضع الترتيب [14] وغير ذلك. وزعموا أن ذلك من نصيحتهم ومحبتهم للدولة الشريفة.

[موقف المؤلف من فصول الاتفاقية]

وبتلك الإصلاحات ينكشف عنها ما دهمها، وما عسى أن يتوقع من دولة فرنسا المجاورة لها، من استيلائها على بعض ممالكها ثانيا.

فوثق بهم السفير المذكور، وانخدع لهم بما ظهر له من النصيحة، وقد ظهر حينا في الأثر سوء عاقبة رأيهم، ونحس إشارتهم، وقبح سريرة نصيحتهم، بما أوقعها فيما هو أعظم من ذلك، من القيام عليها، وإرادة نزع الملك من قبيلها، ونفور القبائل بسبب إشارتهم لما ذكروه كما سيأتي ابتداء ذلك في محله.

ولو كان عارفا بقوانين السياسة لفطن بما هو الأولى بالتقدم من قوانينها.

وما سلكه الإنجليز، من تقديم سكة الحديد على ما عداه من تراتيب السياسة، يؤذن بغشه وخديعته ومكره، ليتوصل بذلك لغرضه من الاختصاص والامتزاج، الذي هو سبب التمكن من الاستيلاء على المغرب لنفوذ أوامره ونواهيه به، وإلا فكيف يتصور في العقل، أن ما أشارت به الدولة الإنجليزية على السفير وشرعت فيه، من اتخاذ السكة الحديدية هو مبلغ علمها في السياسة؟ وأنها جاهلة بما يناسب أهل المغرب من التدريج، حتى يستأنسوا بما لم يألفوه ولا رأوه قط، وبذلك يرتقوا إلى سبل التمدن؟

---

(13) هذه الإتفاقية أمضاها من الجانب المغربي المنبهي، ومن الجانب الإنجليزي لانسدون (Lansdown)، في لندن بتاريخ يوم الجمعة 11 ربيع الأول 1319 هـ / 28 يونيو 1901 م، وقد وردت بنصها الفرنسي عند
P. Guillen. L'Allemagne et le Maroc P: 601

(14) الترتيب: إصلاح ضريبي، فُرض على جميع سكان المغرب بدون استثناء.

(*) 181 * أ.

وفي علمها أن المغرب محتوي على أوباش البربر، وأجلاف الأعراب، إلا ما قل منهم: [الطويل]

وما تعرف الأعراب مشيا بأرضها   فكيفَ ببيت من رُخام ومرمر

وهم على غاية التوحش، وشدة النفور من هذه المخترعات التي لم يألفوها ولا رأوها قط مدة حياتهم، لما جبلت عليه النفوس من النفور من غير المألوف لها، ولا سيما عند رؤيتهم إحداثها ومباشرة أمرها، على يد من ليس على دينهم ولا على شكلهم ولسانهم، فهو حينئذ مظنة النفور والإبعاد.

وقد وقع بالفعل وشهدته العيان، فلا يقبل عاقل عذرها في هذا، مع مالها من التقدم في التمدن، والقدم الراسخ في السياسة. ولها مستعمرات *عديدة في جميع الآفاق، مختلفة الطبائع والأهواء.

وقد ساست جميعها و(عالجت)[15] داءها، بما يناسب حالها. وما نالت تلك الأقطار الشاسعة إلا بعد جد واجتهاد، ومكابدة المشاق العظام.

فهي جهينة أخبار الممالك، ورئيسة أوعار المسالك، فكيف يخفى عليها حال أهل المغرب، واشتهار قبائله البربرية والعربية بعدم الانقياد للطاعة، لعصبيتهم، وتوغلهم في الجبال الوعرة وتوحشهم بها.

فتعين أن يكون ما أشارت به، فيه دسيسة خفية لها، فيها نفع قوي، وقد انتهزت الفرصة بتمكينها، بسبب تحريضها الدولة الشريفة، على الشروع في هذه المخترعات المنافية لطبائع الرعية، والله أعلم.

ولو أرادت النصيحة الحقيقية دون دسيسة، لأشارت عليها بإدخال العلوم الرياضية لوطنها، وبناء المدارس لقراءتها وتدريسها، والاجتهاد في (تحصيلها)[16]، وبثها في المدن والقرى والقبائل، حتى يتأدب الجاهل، ويتأنس المتوحش، فتكتسب الدولة حينئذ رجالا يدفعون عنها، بما علموه من العلوم الرياضية.

ولا ينكر أحد فعلهم فيما أرادوه من التمدن، بمباشرة المخترعات، للمجانسة في الشكل، والدين، وظن النصيحة، والإصلاح.

ولا يحتاجون لأجنبي يمازجهم، ويخالطهم، ويطلع على عوراتهم، بوسيلة الاضطرار إليه، لتعليم الحرب وغيره كما هو الواقع.

---

(15) د: علجت، والتصحيح من ز. ح .

(16) ز. ح : تدريسها.

(*) * 181 ب .

[موقف المؤلف من النهج السياسي للدولة المغربية]

وما دامت الدولة الشريفة على السيرة القديمة، لا يتم نجاحها، ولا يأمن استيلاء عدوها على ممالكها، لضعفها بانعدام رجالها، وتعلقها بالأجانب لنصيحتها. ومن اتكل على غيره في القيام بأمره. خاب أمله، وضل عن طريق الصواب.

[و] [17] قال بعض العارفين بأحوال السياسة: إن الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها، فيما يستحدثونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية، يوشك أن تكون غنيمة لهم ولو بعد حين.

وهو من النصيحة الحقيقية.

[توجه وزير الحرب المنبهي لبرلين ثم رجوعه إلى الجديدة]

ثم سافر وزير الحرب المذكور من لندرة إلى برلين، التي هي تخت بروسيا العمومي.

وتشتمل مملكة بروسيا في الشمال على ستة وعشرين مليونا، ومساحة بلاد ألمانيا والبروسيا تحتوي على خمسمائة وأربعين ألف كيلو متر مربع. وعدد أهالي الكل ثلاثة وأربعون مليونا. ودين مملكة بروسيا بروتستنت.

ولما حل بها [18]، أقام أعيان الدولة -أيضا- بواجبه، وبالغوافي إكرامه، و(أقام) [19] بها ما شاء الله، وخوطب بمثل ما (خاطبه) [20] الانكليز. ورجع منها إلى الجديدة .

[استبداد الوزير غريط وإغراؤه السلطان على عزل المنبهي]

* وفي مدة إقامة الوزيرين بهذه السفارة، وغيبتهما عن الحضرة الشريفة، خلا الجو للوزير الأعظم الفقيه غريط، واستبد بالرأي دونهما، لانفراده بالسلطان واختصاصه به، فصار الحل والعقد بيده، وتدبير الملك كله برأيه، ورأى أنه إن رجع وزير الحرب من

---

(17) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز. ح .

(18) لعل سفارة المنبهي حلت ببرلين في أواسط ربيع الأول من سنة 1319 / أوائل يوليوز 1901 . ففي 20 ربيع الأول / 7 يوليوز من نفس التاريخ المذكور زارت البعثة المغربية مدينة بوطسدام .(Potsdam)وخلال وجوده بألمانيا أجرى رئيس البعثة السيد المنبهي محادثات ومشاورات مع المسؤولين الألمان، وعلى رأسهم كيوم الثاني (Guillaume)، تميزت بأحاديث المجاملة وبوجوب تمتين وتطوير علاقة الصداقة التي تربط البلدين. واستغرقت مدة هذه الزيارة أربعة أسابيع، طافت خلالها البعثة المغربية أرجاء ألمانيا. وقبل مغادرته لألمانيا، كلف المنبهي أحد أعضاء البعثة -وهو الحاج عمر- بالبقاء في ألمانيا لزيارة المراكز الصناعية. أنظر: حسن صبحي، التنافس الاستعماري: 91 - 92 .

-Pierre Guillen, l'Allemagne et le Maroc, pp: 602-604

(19) د: قام. والتصحيح من ز. ح .

(20) د: خطبه. والتصحيح من ز. ح .

(*) 182 * أ .

سفارته، شاركه في الأمر والنهي، بل يصير الأمر كله إليه كما كان أولا، وربما (ازداد)[21] اختصاصا بالسلطان على ما كان عليه بهذه السفارة وارتقاء، فينحط من ذلك قدره، ويرجع لما كان عليه، من انحطاط الرتبة مع وجوده مع ملاحظة مِنَّة توليته له، فجعل يوسوس للسلطان بما يبعده منهما، ويغريه على عزلهما، ولا سيما المنبهي، ليكون البدل منهما على يده من أقاربه، فيبقى بذلك على ما هو عليه من الاستبداد، طمعا في إدراك ما كان عليه الوزير أحمد بن موسى المتوفى.

وبذل المجهود في أسباب العزل أو القبض على من ذكر إلى أن ساعده السلطان على القبض على المنبهي قبل وصوله من سفارته، فكتب لعامل مرسى الجديدة بالقبض عليه عند نزوله من البحر، بعد مكانته منه وميله إليه، لما بثه إليه غريط في شأنه من القبائح والمعائب الموجبة لطرده وإبعاده من ساحة المخزنية، ولم يكن له ذنب يستوجب به ذلك، إلا ما فعله معه من توليته الوزارة العظمى، بعد عزله من الوزارة الخارجية، وإهماله بالكلية.

فكان بتوسطه في ولايته وعزل الحاج المختار، كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه. وكان جزاء غريط له جزاء سنمار: [الكامل]

وإذَا ادَّخَـرْتَ صنـيـعـة تبـغـي بـهَـا شُـكـرا فـعـنـد ذوي المكـارم فـادَّخِـرْ

ولما ساعده السلطان على ما ذكر، وأمر بالقبض عليه، وتيقن بقضاء وطره، ونفوذ مكيدته، عين الحاج عبد السلام ابن الشقرة الزمراني وزيراً في محله، وبادر إلى القبض على أقاربه وخواصه، ومن كان ينتمي إليه . وعزم على إتلاف أثره واضمحلال معالمه، ومن جملة ما سعى به في (شأن)[22] المكر به على ما قيل أن أخبر السلطان بما لديه من النصيحة له، أن المنبهي يريد القيام عليه، والاستبداد بالملك له أو لمن أراد من خواصه، وذلك أن المنبهي لما عزم على الرجوع من سفارته، كتب لقواد المغرب يأمرهم بالقدوم لثغر طنجة، بقصد التعرض لملاقاته زيادة في الافتخار والعلو في الأرض، وأن يكون ذلك بما لديهم من الفساطيط والخيل العتاق، وكل ما فيه أبهة * وزينة وتفاخر، فعزموا على ذلك، لما يعلمونه من مكانته ومنزلته عند السلطان، وأن أغراضهم كلها على يده.

فأصلحوا شأن ما يحتاجون إليه من آلة السفر، وأمروا إيالتهم بالحركة لملاقاته، واستعدادهم للتجمل بما يناسب لذلك.

فكان ذلك من أقوى البواعث على قبول كلام الوزير الأعظم فيه، بأنه يريد القيام والاستبداد بالأمر.

---

(21) ز.ح: زاد .
(22) ز.ح: شأنه .
(*) * 182 ب .

ووصل بعض القواد بمن معه إلى ساحة طنجة، وفي إثر كتابته بذلك للقواد، وصله خبر عزله والقبض عليه وهو ببرلين، فكتب ثانيا لقواد المغرب أن يقيموا في محلهم، غير قائد بني حسن السيد محمد -فتحا- الكَداري والطيب الكَندافي، أمرهما بالركوب بحراً من طنجة، لملاقاته بالجديدة بأنفسهما خاصة.

وعند وصوله لمرسى الجديدة، عرّفه قنصل الإنجليز بها بخبر أمر السلطان بالقبض عليه فيها، وأشار عليه بالرجوع إلى لندرة، حتى يراجع السلطان في أمره، خوفا عليه.

[نجاح الشيخ التازي في تبرئة ساحة المنبهي]

وكان الشيخ التازي، لما اطلع على ما ذهب إليه الوزير الأعظم، من السعي في عزل وزير الحرب، والمكر به، وقبول قوله فيه، باشر أمره، لما اجتمع بالسلطان وبرّأ ساحته مما اتهمه به الوزير الأعظم وتقوله عليه، وأثبت له ما ينافي ذلك، مما يورث المحبة، والمودة، والنصيحة للسلطان، وضمن إن صدر منه شيء مما اتهم به يكون هو المؤاخذ به والمعاقب عليه.

فحينئذ، أمره السلطان بالكتابة إليه بالقدوم عليه عاجلا، بمجرد نزوله من البحر. فكتب إليه وعرفه الخبر، وكيفية الخلاص مما قيل فيه، فعجل السير، إلى أن طوى ما بين الجديدة ومراكش في مدة يوم وليلة. وهو في ذلك يمر برقاقيس الشيخ التازي إليه مقبلة، يأمره بتعجيل الإياب والإسراع في السير، ويؤكد عليه في ذلك، إلى أن وصل لمراكش ليلا، وفي صحبته قائد بني حسن والكَندافي المذكورين، فدخل من حينه على السلطان، ولم يخرج من عنده إلى الصباح.

وبتلك الليلة خرج الأمر من السلطان، بنقض كل ما أبرمه الوزير الأعظم، وسعى فيه، من القبض على أقارب وزير الحرب وخواصه، وعزل من جعل في مكانهم، ورد كل ما أُخذ لهم وحيز عليهم، من ذلك تسريح عيسى بن عمر العبدي وأولاده الثلاثة، ورد أمتعته المأخوذة له كلها. ولما أمر بالخروج من السجن، أبى إلا أن يخرج معه جميع من كان به من (قبيلته) [23] عبدة المسجونين على يده وعلى يد غيره، لما فعلوه معه من الخير عند سجنه، فسرحوا جميعا.

كما عزل ابن* الشقرة الزمراني المتولي بمحله، وقدور ابن الغازي قائد المشور، وأمر بمجيء إدريس بن يعيش من تطاوين بدلا منه، و(سيره) [24] لتطاوين خلفا عن إدريس بن يعيش، وتم الأمر له، وأقام بمحل الوزارة والاستبداد على ما كان عليه إلى الآن.

---

(23) ز: قبيلة.

(24) د: صيره.

(*) 1183 .

[حلول سفارة ابن سليمان بباريس]

وأما سفارة وزير الخارجية ابن سليمان، فقد ذهب مع من تركبت سفارته معه، وهو الفقيه السيد محمد -فتحا- بن محمد (ضما)[25] الجباص خليفة وزير الحرب، والأمين السيد بناصر غنام كاهية نائب السلطان بطنجة الحاج محمد الطريس لباريس[26]، التي هي التخت العمومي لحكومة فرنسا. وسكانها ثلاثة ملايين وكسور، ومساحة أرض فرنسا تشتمل على خمسمائة ألف وسبعة وعشرين ألف كيلو متر مربع، وسكانها ستة وثلاثون مليونا ونصف.ودينهم نصارى كاثوليك في الأكثر.

وأقام ومن معه بها نحو (شهر)[27] ونصف، بعد أن قابلوه بالتعظيم والبرور والاحترام، وقاموا بواجب الإحسان إليه غاية القيام، وأتحفوه بكل جميل، ودعي مرارا لضيافة رئيس جمهوريتهم[28] الجليل، وكذلك سائر أعيانها، وأكابر رؤسائها، تنويها بحقه، وأداء لواجبه، وجال في أماكنها، وشاهد مصنوعات عجائبها، وتمتع بجمال محلاتها البديعة الشكل المنمقة الوضع، وعاين ما (أبهر)[29] العقول من مخترعات الآلات الصناعية الفلسفية، والاستعدادات الحربية وغيرها، والاستنباطات الشهية الادخار، لعزة وجودها في العالم، ولمزيد فوائدها، والانفراد بها، مما تشتهيه الأنفس، وتميل إليه طبائع المخلوقات.

[اجتماع ابن سليمان بأعيان الدولة الفرنسية]

واجتمع بأعيان الدولة، وتذاكر معهم في أمور الوطن والحدود، وما يليق في ذلك من السياسة الموفية بالمهادنة الجارية على منهاج العدل والاستقامة.

وبذل ما لديه (لنيل)[30] الغرض منهم، فيما يتعلق بذلك، حذرا مما قرره الأجانب في حق هذه الدولة، من (ارتكابها)[31] أسباب الترامي والبغي على القطر المغربي.

---

(25) د: ظما.

(26) وصلت السفارة إلى باريس يوم الخميس 1 ربيع الثاني 1319 / 18 يونيو 1901 . وبعد يومين استقبلت في احتفال رسمي من طرف رئيس الجمهورية الفرنسي لوبي (Loubet) وعدد كبير من الوزراء والأعيان. وكان الهدف من هذه السفارة، تنقية الأجواء الفرنسية المغربية وتسوية الوضع بالجنوب الشرقي للمغرب حسبما تقتضيه اتفاقية ربيع الأول 1261 هـ/ 18 مارس 1845 م. أنظر: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 33:10 .

(27) ز: الشهر.

(28) يقصد به: لوبي إميل فرانسوا (Loubet Emile François) 1254 - 1348 / 1838 - 1929 : رئيس الجمهورية الثالثة بفرنسا من سنة 1317 إلى 1324 / 1899 إلى 1906 . ففي عهده تم احتلال التوات المغربية، وعقد عدة اتفاقيات مع المغرب ومع بلدان أوروبية، بشأن المسألة المغربية وتقسيم النفوذ.

(29) د: بهر، والتصحيح من ز، ح .

(30) ز، ح: من :

(31) ز: ارتكاب .

[جواب أعيان الدولة الفرنسية على مطالب ابن سليمان]

وأجيب (عن)[32] ذلك بما حقق لديه، أن ما أثبته الأجانب، و(قرروه)[33] في شأنها محض كذب، ورجم بالغيب، وظن سوء، سببه الحسد وإيراد إيقاد الفتنة والتنافر بين الدولتين المتجاورتين، لما لهم في ذلك من الغرض القوي، لجلب النفع بالاحتياج إليهم.

وقد تحقق السفير بأن قضية اتوات، لا تعلق لها بالسياسة الفرنسوية، وإنما سبب الاحتلال ما لديهم من الحجج المذكورة[34]، وما عولوا عليه من اتصال (قطر)[35] الإيالة * الجزائرية بوطن السودان بالسكة الحديدية[36].

وقد طرق سمعنا، بأنهم شرعوا في تخطيط هذه السكة بضواحي صحراء وهران. والله على ما يشاء قدير.

[توجه ابن سليمان من باريز لسان بطرسبورج]

ثم نهض من باريز مجبور الخاطر فوق ما يظن، حاملا للدولة الفرنسوية بما يحسن مآله لديه، وبما يشعر بالتباين الكلي مع ما توهمه الأجانب من المقاصد السيئة الطوية للدولة المغربية.

وأتحفه رئيس الدولة الجمهورية بتحف نفيسة، وكذلك البعض من أكبار الدولة.

ومنها توجه لعاصمة الممالك الروسية سان بطرسبورج التي هي التخت العمومي لهذه الدولة العظيمة.

---

(32) د. على . والأصح ما أثبتناه من ن. ح .

(33) ن. ح : قرره

(34) أنظر: المقصد السادس عشر: من الجزء الثاني ص231 – 232 .

(35) ز: نظر

(36) انتهت المحادثات والمناقشات التي أثيرت بين الوفد المغربي ونظيره الفرنسي إلى عقد بروتوكول في باريز بتاريخ 3 ربيع الثاني 1319 / 20 يوليوز 1901 م.وقعه من الجانب المغربي عبد الكريم بن سليمان، ومن الجانب الفرنسي ديلكاسي -M.DEL) (CASSE . ويتألف من تسعة فصول. يسمح الثاني منها للمخزن بحق إقامة مراكز الجمارك ووضع الحدود عند نهاية القبائل والواحات الخاضعة له. والفصل الرابع بقي غامضا في مضمونه فيما يتعلق بحدود قبيلتي أولاد منيع وأولاد جرير. بينما الفصل الخامس يخول لهاتين القبيلتين حق تقرير المصير. فالذين يختارون الحكومة الفرنسية يحتفظون بمراكزهم. أما الذين يختارون السلطة المغربية فيغادرون هذه المنطقة إلى المكان الذي تعينه الحكومة المغربية، ولهم الحق في الاحتفاظ بأملاكهم أو بيعها.أما الفصل السابع فيبيح حرية التنقل والتجارة لكلا الطرفين، وحتى في المنطقة المحايدة، ويقصد بها المنطقة الواقعة بين وادي زوزفانا ووادي الجير. وبعقد المغرب لهذا البروتوكول، حصلت فرنسا بذلك على اعتراف رسمي من المغرب بشرعية وجودها في الجنوب الشرقي للمغرب، وهي المنطقة التي كانت فرنسا تسعى بكل الوسائل لاحتلالها وبالتالي تنفذ مخططها الاستعماري والاقتصادي، فاستندت إلى هذا البروتوكول لمد السكة الحديدية صوب غرب إفريقية انطلاقا من الجنوب الغربي للجزائر.كما استندت إلى هذا البروتوكول للبدء في التعامل التجاري بشكل أوسع وتحت ستار شرعية القانون، بين المغرب والجزائر، وإنشاء أسواق في منطقة الحدود لترويج البضائع الفرنسية داخل المغرب.
أنظر: جلال يحي، المغرب الكبير، ج 3: 515 – 519. ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ، ج 3. 317 .
- A.C.P. MARTIN, Quatre siecles d'histoire Marocaines, Paris ; 1923. PP: 364-366.
-Henri Terrasse, Hisoire du Maroc, T 2, PP: 385-386.

وانظر نص البروتوكول في.

- Livre jaune, documents diplomatiques, affaire du Maroc, 1901, PP: 16-18.
-ATTILIO Caudio, SAHARA Espagnole, Rabat 1975, PP: 148-149 .

* 183 ب.

ومساحة أرضها إثنان ملايين ونصف كيلو متر مربع. وعدد سكانها خمسة وثمانون مليونا. ودينهم النصرانية. ورئيس الحكومة عندهم هو رئيس الديانة، ويسمى القيصر.

ودخلها التمدن من مدة (مانتي)[37] سنة، حين كانت محكومة بالقيصر بطرس الأكبر[38]. وهو المؤسس لهذه العاصمة المذكورة، المسماة باسمه.

ولما حل بها السفير المذكور، قوبل بأحسن المقابلة، ولم يقصر في جانبه قيصرها[39] يومئذ بكل ما يليق من البرور والاعتناء، ومزيد الاهتمام بشأنه، وخصه بسرايته ببطر هوف، وهي مدينة صغيرة بينها وبين العاصمة المذكورة نصف ساعة في بابور البر، واجتمع كذلك بسائر أعيان الدولة وأربابها، وجال -أيضا- في المدينة ونواحيها، وشاهد ما يُقضى منه العجب بها وبضواحيها، من ذلك ما حكاه بعض من حضر السفارة مع الوزير المذكور لبعض خواصه، مما شهده من المآثر الملوكية النفيسة بالقصر الملوكي، سرجا بلجامه وركائبه وحزامه وديره، كل ذلك مرصع بالحجر النفيس، الذي لا ثمن له، هدية من بعض ملوك آل عثمان الترك لبعض قياصرة الروسية، كما شاهد -أيضا- بعض تيجان الملوك القياصرة المتقدمين، كذلك منبتة باليواقيت العظيمة الجرم التي لم يوجد مثلها في بلاد، ولا يعثر على نظيرها بهذا الزمان.

[توجه ابن سليمان لموسكو ووصف ما شوهد بها]

وبعد مكثه بالعاصمة المذكورة خمسة عشر يوما، توجه للعاصمة القديمة وهي موسكو، الشهيرة الذكر والصيت، حتى سميت الدولة باسمها.

والمسافة بين العاصمتين نحو الستمائة كيلو متر. ومن عجيب السكة الحديدية الممتدة بين هاتين العاصمتين، أنها خط مستقيم* دون اعوجاج ولا ميل قليل يلحق شيئا منها من أولها إلى آخرها. وقد انفردت بهذه الكيفية هذه السكة عند هذه الدولة على كل ما عداها من السكك بكل أرض.

---

(37) د. مانتين. والتصحيح من ز. ح

(38) هو: بطرس الأكبر (1093 - 1138 هـ / 1682 - 1725 م): قيصر روسيا. كان له دور بارز وفعال في تمدين الشعوب المسكوبية وتنظيم جهاز الجيش والإدارة. وهو مؤسس سان بطرسبورج (Saint Pétersbourg) وأكاديمية العلوم. كما قام بحملات توسعية في البلدان المجاورة.

(39) يقصد به: نيكولا الثاني (Nicola II Alexandrovitch) قيصر روسيا من 1312 هـ / 1894 م إلى سنة 1336 / 1917 وهو الابن البكر للقيصر السابق ألكسندر الثالث (Alexandre III) تميز عهده بازدياد الاضطرابات والفتن والاضرابات العمالية، وانتشار الأفكار الماركسية. كان صديقا لكيوم الثاني رئيس المانيا، وفرانسو يوسف رئيس الجمهورية الفرنسية. فلم يكن يتخذ القرارات السياسية على المستوى الدولي إلا بالتشاور معهما. هذه الصداقة التي جمعته بهما لعلها كانت من أسباب إرسال سلطان المغرب للبعثة الديبلوماسية برئاسة ابن سليمان إلى روسيا، ليلتمس من نيكولا الثاني التدخل لدى فرنسا، التي مدت يدها (العدوانية) على التراب المغربي، والحصول على الدعم في هذه المسألة. وكان المغرب قبل ذلك قد أرسل إلى روسيا مذكرة بتاريخ 20 صفر 1318 / 19 مايو 1900 يبرهن فيها على مغربية توات. ولعل البعثة المغربية قد وصلت إلى سان بطرسبورج في أوائل ربيع الثاني 1319 / أواخر يوليوز 1901. فعبد الهادي التازي ذكر أن الوزير ابن سليمان حمل معه - عند عودته- رسالة من نيكولا الثاني إلى المولى عبد العزيز مؤرخة ب 11 ربيع الثاني 1319 هـ / 28 يوليوز 1901 م. أنظر: التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج 10 : 131 - 133 .

- Michel Mourre, Dictionnaire en cyclopédique d'histoire; Paris 1978. PP: 3160 - 3162.

(*) * 184 أ .

وفي كل دولة أن السكة عندهم على حسب الإمكان، من الاستقامة والاعوجاج، والميل والانحراف، ولا تخلو من ذلك سكة إلا هذه، والسبب في ذلك على ما يحكى أنهم لما أرادوا امتدادها، واجتمعوا على تعيين وضعها، عين كل واحد من العارفين بعلم ذلك محلا تمر به، ورأى أنه المناسب للصواب، وخالفه غيره بما رآه أيضا أنسب وأصوب. فوقع النزاع بينهم لاختلافهم في كيفية امتدادها، وخط كل واحد منهم صورة ما اختاره برأيه ومزيد معرفته، وعرضوا تلك الصور العديدة في وضعها على القيصر نيكولا الأول[40]، فأعرض عن ذلك بعد أن تأمله، وأخذ القلم والمسطرة، وخط خطا في غاية الاستقامة، جمع بين العاصمتين به، وقال: هكذا يكون امتداد السكة بينهما دون اعوجاج ولا مرور بشيء يَشينُ استقامتها، فجعلوها على الوصف المذكور.

وأقام الوفد المغربي -أيضا- بعاصمة موسكو في ضيافة الروسيا نحو الستة أيام، وجال كذلك في جميع شوارعها ومحلات مآثرها، وبديع مبانيها، كما شهدوا من عجائب أمورها -أيضا- من بعض مدخراتها، فراش نابليون الأول، الذي هو سلطان الدولة الفرنسوية (الذي)[41] كان ينام عليه، وكانوا أخذوه له عند وروده عليهم محاربا لهم في أوائل القرن التاسع عشر العجمي[42] فيكون بالعربي نحو المائة سنة من يوم أخذه، ولازال على هيئته لم يتغير منه شيء، لشدة محافظتهم عليه مما يؤثر فيه نقصا أو تغييرا، ليبقى عبرة لمن بعدهم وافتخارا لهم واحتجاجا على قوتهم من القديم.

كما شاهدوا -أيضا- بها، النعل المسمى بالجزنة لديهم، التي كان يلبسها قيصر الروسيا بطرز الأكبر المتقدم الذكر، وقد مضى نحو (المائتي)[43] سنة من يوم موته، ولازال قائم الذات صحيح الجرم، وفي طولها خمسة أشبار، وهي شاهدة على ضخامة جسمه و(عظيم)[44] جثته بطول قدمه .

[رجوع سفارة ابن سليمان إلى باريز ثم المغرب]

وبانقضاء الغرض المتعلق بهذه الدولة -أيضا- على ما ينبغي، رجع الوفد إلى باريز، وأقام بها بقصد الاستراحة *ثلاثة أيام، لما أصابه من النصب لبعد المسافة بين العاصمتين، إذ ما بين عاصمة باريز وعاصمة موسكو ثلاث آلاف كيلومتر، وقدر مسافتها

---

(40) نيكولا الأول Nicolat I Pavlovitch (1211 - 1272 هـ / 1796 - 1855 م): قيصر روسيا . عرفت الدولة الروسية في عهده بعض الإنتكاسات خاصة هزيمتها أمام تركيا وحلفائها الفرنسيين والإنجليز في حرب القرم (1854 - 1856).
أنظر: Michel Mourre, Dictionne Encyclopédique d'histoire, PP : 3159-3160.

(41) ز: التي .

(42) أوائل القرن 19 م / أوائل القرن 13 هـ .

(43) ر: المائتين. والتصحيح من ز، ح.

(44) ز، ح: عظم

(*) * 184 ب .

بمشي الدواب بالجد ثلاثة أشهر ونصف شهر، وقد قطعتها هذه السفارة في (ست)[45] وأربعين ساعة على سكة الحديد.

ومن باريز رجع مارا بأطلول (كذا) المرسى الحربية، ومنها ركب بباخرة عظيمة، قدم فيها لطنجة[46]. وبعد استراحته بيومين، توجه لمرسى الجديدة، ومنها لمراكش. وقد وجد وزير الحرب حالا بها قبله، مستقرا بمحل وزارته بعدما كاد أن يزحزحه عنه الوزير الأعظم كما سبق.

ومن ذلك نشأت بينهما مشاحنة ومباغضة، ولازال كل واحد منهما يراقب انتهاز الفرصة في صاحبه بما أمكنه على ما قيل.

[اجتماع ابن سليمان بالسلطان]

وبوصوله لمراكش، اجتمع بالسلطان، وقرر له ما كان من سفارته، وما رجع به من المقاصد المطلوبة بهما مما اطمأن به البال، وحسن به الحال، وزالت به (الوساوس)[47] والتخيلات (الباطلية)[48]، واستقرت به الراحة في (المواطن)[49] الدينية والدنيوية.

---

(45) د، ح: ستة. والأصح ما أثبتناه من ز.

(46) كان وصول البعثة المغربية إلى طنجة بتاريخ يوم الأحد 10 جمادي الأولى 1319 هـ / 25 غشت 1901 م.
أنظر : التاريخ الدبلوماسي، ج 10: 133 .

(47) ح: الوساويس.

(48) ز، ح: الباطنية.

(49) د: المواطين. والتصحيح من ز، ح .

[المقصد التاسع عشر: الموافقة على إجراء المقترحات الإصلاحية الإنجليزية]

[اتفاق الوزراء على التشاور وتوحيد الرأي في تدبير شؤون الدولة]

وفي إثر هذا[1]، وقع الاتفاق من الوزراء الأربعة[2]، لِمَا هم عليه من المشاحنة فيما بينهم، والعداوة الخفية وافتراق الكلمة، بسبب الحسد والمزاحمة على نفوذ الكلمة والرضى، على أنه لا يختص واحد منهم بإبرام شيء أو نقضه، من كل ما يتعلق بالأمور السياسية، والأحكام المخزنية، والتنفيذات السلطانية، وغير ذلك من كل شاذة وفاذة، إلا بعد اجتماعهم على ذلك، ومشاركتهم فيه، واتفاقهم على وقوعه أو عدمه، ومن ثبت عليه أنه سعى في تنفيذ شيء من عند السلطان، واختص به دون إطلاعهم عليه، أو قبض رشوة من أحد أو قَبِل هدية منه، أو ما أشبه ذلك مما يدنس مروءته، تجري عليه الأحكام المخزنية، ويعاقب على فعله ذلك، بما تقتضيه آراؤهم فيه، زيادة على طرده وإبعاده. كما وقع الحلف منهم على عدم ارتكاب ذلك.

وكل من تولى أمر شيء، يحلف يمينا مغلظة بالمصحف الكريم، وأنه لا يخون فيما تولاه، ولا يطلع على كتمان شيء من السلطان، ولا يغشه، ولا يقبل رشوة ولا هدية.

ومن كان متوليا كذلك، يحلف هذه اليمين على أنه لا يعود *لفعل ذلك، حتى حلف سائر الولاة والأمناء والقضاة (بعمالة)[3] مراكش.

[اتفاق الوزراء على إنشاء الترتيب]

كما اتفق رأيهم أيضا، على إنشاء الترتيب بإشارة الإنجليز.

---

(1) أي في أثر رجوع سفارة ابن سليمان واجتماعه بالسلطان، وتقديم تقريراته عن سفارته لكل من فرنسا وروسيا.
أنظر: تفاصيل هذه المعطيات في المقصد الثامن عشر: من الجزء الثاني ص 255- 259.
ومن هنا يبدأ سالمون ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية.
أنظر: - G.SALMON. le Tertib. in. archives. Maroc. 1905. T2 Fasc. 3. P : 154

(2) يقصد بهم: وزير الحرب:المهدي بن العربي المنبهي،
الوزير الأعظم: محمد غريط.
وزير المالية: محمد الشيخ التازي الفاسي.
وزير الخارجية: عبد الكريم بن سليمان .

(3) د: بعملة، والتصحيح من ز، ح .

(*) 185 * أ

وصورته: إحصاء ما لجميع الرعية، شريف ومشروف، غني وفقير، جندي وغيره، من أزواج الحرث وما لديهم من الأنعام، والخيل، والبغال، والحمير، والأشجار.

ويفرض على كل سكة حرث خيل أو بغال عشرة ريال في السنة، وعلى سكة الحمير ريالان ونصف .

وعلى كل رأس من الإبل ريال واحد.

وعلى الفرس نصف ريال. وكذلك على البغل.

وعلى الحمار ربع ريال

وعلى البقرة والثور [نصف ريال][4].

وعلى الضروبة منه [ربع ريال][5]

وعلى شاة الضان سبع أواق.

وعلى شاة المعز خمس أواق.

وعلى شجرة الزيتون [خمسة ريال] [6].

وعلى النخلة [ريالان ونصف] [7].

وعلى شجرة أركان وهو خاص بالسوس الأقصى، يعصر منه زيت مثل الزيتون، وزيته أحلى من زيت الزيتون (ريالان ونصف) [8].

وعلى كرمة العنب وشجرة التين [ريال وربع] [9] .

وعلى كل عود رقيق يثمر بالمصيف كالبرقوق والتفاح وغيرهما [ريال وربع] [10].

وتعين لكل قبيلة لإحصاء ما لديها من ذلك، أمين وعدلان معه، يشهدان على ما لكل شخص، ويقيدانه بدفتر.

وللأمين في كل يوم ستة ريال أجرة له من بيت مال المسلمين، ولكل عدل ثلاثة ريال كذلك منها.

---

(4) بياض في جميع النسخ، والتكملة من:
G. Salmon, le Tertib, in Archives. Maroc. 1905. T2. Fax. 1. P: 155
والملاحظ أن سالمون (Salmon) في ترجمته هذه، استعمل كلمة "الدورو" (Duro) بدل كلمة "الريال" (Réal)، ونحن أثبتنا وسنثبت في التكملة كلمة "الريال" التي استعملت من طرف المؤلف. والريال (Real) كلمة إسبانية ومعناها ملكي. استعملت في المغرب خاصة في القرن 13 هـ / 19 م. وكانت تطلق على قطعة 10 دراهم التي ضربها المولى الحسن بأوربا بعد سنة 1299 / 1881 والدورو (Duro): كلمة إسبانية أيضا، وتدل في الاستعمال الإسباني على البليون، وهو جزء من عشرين جزءا من الريال. فالريال يساوي 20 بليونا. والمغاربة كانوا يستعملون الدورو مرادفا للريال دون فرق بينهما .
أنظر: مسألة النقود: 402 - 404 .

(5) بياض في جميع النسخ، والتكملة من
G. SALMON, le Tertib. in. Archives Maroc. 1905 T2 Fasicule 1-P: 155.

(6) بياض في جميع النسخ، والتكملة من المصدر السابق في نفس الجزء والصفحة .

(7) بياض في جميع النسخ، والتكملة من المصدر السابق في نفس الجزء والصفحة .

(8) بياض في جميع النسخ، والتكملة من المصدر السابق في نفس الجزء والصفحة .

(9) بياض في جميع النسخ، والتكملة من المصدر السابق في نفس الجزء والصفحة .

(10) بياض في جميع النسخ، والتكملة من المصدر السابق في نفس الجزء والصفحة .

وانتشر الأمناء والعدول بعمالة مراكش، لإحصاء ما لقبائلها كلها، إلى أن فرغ منها، وتحصل ما اجتمع من كل عمالة عامل بدفترها، ووزع ذلك المحصل على أداء نصفه بمضي ستة أشهر ونصفه الآخر بمضي السنة من يوم فرضه. وهكذا في كل سنة.

[سبب استحسان العامة للترتيب]

وقد استحسنه العامة، لفرط ما كان يأْخُذُ منهم قوادهم، من فرض المال الكثير عليهم بكل شهر، بل بكل جمعة، بأسباب يثبتونها، وتكاليف مخزنية يوجبونها، وعقوبة مالية يخترعونها، ثم يختصون بجميعها لهم ولمن سعى في ولايتهم، وأعانهم على ظلمهم وتعديهم، وحسّن مساويهم من الوزراء وأكابر الدولة.

[موقف المؤلف من الإغفال عن الولاة والتسلط على أموال الرعية]

ويعد هذا الإغفال عن الولاة، وتسلطهم على أموال الرعية وأخذها منها ظلما، من سوء التدبير المخالف للسياسة والشريعة، إذ السياسة كما قال ابن الخطيب: [البسيط].

* لا تنكر الظلم ممن دار في عمل	فإن طول مداه فيه أطغاه
واعزل على الفور من أسخطت حالته	ومُهملا ولْ ترضيه و (ترضاه)[11]
وارفع يد العامل العادي الذي كثرت	به عليك الشكايا من رعاياه[12]

والشريعة فقد كان عمر رضي الله عنه، إذا بعث عاملا كتب ماله، فإذا عزله أخذ ما زاد في ماله، وإن كان مشهورا بالعدالة يرغب في عمله لم يكتبه، فإذا عزله قاسمه ما له احتياطا له وللمسلمين، حتى يأخذ له نعلا ويترك له أخرى.

فعل ذلك مع سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهما. وهما أعدل من بعدهما إلى يوم القيامة.

وكان يستعمل أقواما ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل. وكان يقول: أكره أن أدنس هؤلاء بالعمل. وتُعلم خيانة العامل بظهور زيادة عليه، كأخذه في البنيان والغرس وشرائه الدور والأرضين، وأخذه في التجارة.

---

(11) د: ترضاه.

(12) هذه الأبيات لا توجد في ديوان ابن الخطيب، جمع وتحقيق محمد مفتاح.

(*) * 185 ب .

فإذا كان فضلاء الصحابة وعدولهم ينهون في عملهم عن زيادة البنيان لضروراتهم فيه، فكيف المعروفون بالخيانة في فضول البنيان، لا ينهون، ولا يؤخذ ما بأيديهم، مما يفسدونه من أموال المسلمين؟

ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن بعض أمراء الأقطار بنى كنيفا، وأنفق فيه درهمين، فعزله عمر عن عمله ونفاه، وكتب له: أما بعد فإنه بلغني أنك اتخذت كنيفا أنفقت فيه درهمين، وقد كان لك فيما بنت فارس والروم غنى عن عمارة الدنيا حين أذن الله بخرابها، فإذا وصلك كتابي هذا، فغد سيرك وأهلك إلى بلد كذا.

وقوله فغد بمعنى خذ نصيبك إلخ. من قولهم غدَّدَ تغديداً، أخذ نصيبه كما في القاموس[13].

فانظر هذا مع ماهو عليه الناس اليوم، من ظهور الخيانة التي لا يشك فيها عاقل، فيكون الرجل لا شيء عنده، متوقفا على السؤال، فإذا تولى ولاية عمل أصبح بمجردها يشيد القصور ويزخرفها، ولم يكفه شراء الدور و(إبقائها)[14] على بنائها حتى يأمر بهدمها وبنائها ثانيا على مقتضى رأيه، ولم ينظر إلى ما (صير)[15] عليها لمجيئه له من غير تعب، ولتحققه بدخول غيره عليه من رعيته، أو مما هو مؤتمن عليه مع التفاخر والتنافس في ذلك فيما بينهم، ولم يعتبروا بمن سبقهم لذلك وتركه لغيره. ومنهم من لم يره بعينه، ومنهم من لم يمكث* فيه غير ساعة.

وفي المعنى ما (أنشأه)[16] سابق البربري[17]: [البسيط]

نلهوا ونأمل أياما تعد لنا ... سريعة المر تطوينا ونطويها
كَمْ مِنْ (عزيز)[18] سيلقى بعد عزته ... ذلا وضاحكة يوما ستبكيها
وللحتوف تربي كل مرضعة ... وللحساب برى الأرواح باريها
لا تبرح النفس تسعى وهي سالمة ... حتى يقوم بنادي القوم ناعيها
ولن تزال طوال الدهر ظاعنة ... حتى تقيم بواد غير واديها
أموالنا لذوي الميراث تجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

فالاهتمام بالبحث عن أحوال الولاة، هو عين السياسة الشرعية وروحها.

---

(13) أنظر: القاموس للفيروز آبادي، ج 1: 332 .
(14) ز، ح : إبقاؤها. والتصحيح من د .
(15) د: صار. والتصحيح من ز، ح .
(16) د، ح: أنشده. والتسحشح من ز.
(17) هو: سابق بن عبد الله البربري، أبو سعيد: شاعر من الزهاد. سكن الرقة، وتوفي نحو 100 هـ / 718 م.أنظر: الأعلام للزركلي، ج 3: 69
(18) د، ح: عزير. والتصحيح من ز.
(*) * 185 ب .

[موقف المؤلف من الشروع في إجراء الترتيب]

ومن سوء تدبير القائمين بأمر هذه الدولة يومئذ أيضا، شروعهم في الترتيب على الوجه المذكور قبل اتفاق نواب الدول الأجانب عليه، حيث لا يخفى عليهم أحوال الرعايا التي بالمغرب لها، وذلك مما يزيد المسلمين ميلا للأجانب بإعفاء من انتمى إليهم من الترتيب، إذ لا عبرة للعامة بالدين بتوفرهم الدنيا.

وما ذكرناه من استحسانهم الترتيب، إنما هو بحسب معرفتهم وبالنسبة (لما)[19] كانوا عليه من تكاثر (التوظيفات)[20] عليهم، وإلا فكل ما خالف الشريعة النبوية ليس بحسن، ولايستحسنه إلا جاهل.

ولو علموا ما أوجبته الشريعة عليهم، لضاقت بهم الأرض من هذا الترتيب، ولاستحسنوا رفق الشريعة بهم عليه، إذ الشريعة إنما أوجبت الزكاة فقط، على من تم له نصابها من الدراهم، والماشية، وغير ذلك من الحب، والزيت، ومن لم يتم له النصاب فلا يجب عليه شيء.

والترتيب موجب على من له شاة واحدة مثلا أن يؤدي عليها، والكثير من الناس لا يجب عليه شيء من جانب الشريعة،فيكون أكثر الناس مظلومين، بل كلهم حتى من تم له النصاب، فإذا كان للرجل مثلا أربعون شاة يجب عليها في الترتيب أربعون سبع أواق، وفي الشريعة شاة واحدة. فقد يتساوى الثمن والشاة أو يزيد القدر الواجب أو ينقص بقريب، ومن هناك وهو مظلوم فيما زاد له إلى مائة وعشرين، إذ الواجب فيها شاة واحدة، ويجب عليه في الترتيب ستة ريال *وهكذا. وكذلك صاحب الفرس، والبغل، والحمار، وصاحب البقر، فيما دون الثلاثين، وأشجار ثمار المصيف وغير ذلك، مما لازكاة فيه من الحبوب.

فهؤلاء كلهم مظلومون، ولا يخلو من هذا أحد. فتعين ظلم الرعية، وهو أحد علامات انقراض الملك، وخراب العالم. فتكون بيت مال المسلمين عامرة بالحرام، لغصبها ما لا تستحقه من المسلمين، فلا يصح أمرها، ولا يبارك في سعيها، وقالوا: الأخذ من رعيته فوق ما يجب عليهم كالأخذ التراب من أساس بيته ويجعله على سطحها.

ومن كانت هذه حالته تيقن بسقوط بيته سريعا، وهم يزعمون أن في ذلك إصلاحا لبيت المال وللمسلمين، ومن لم تصلحه السنة لا أصلحه الله!

وانظر لمن كان يقتصر على ما أوجبته السنة على الرعية من الخلفاء وملوك الإسلام بعدهم، كيف، كان حالهم، وانتصارهم على عدوهم، واتساع مملكتهم وعزهم الشامخ،

---

(19) د : بما. والتصحيح من ز. ح .
(20) ز :التوظيف.
(*) * 186 ب .

وفتوحاتهم المتعددة، وتخليد ذكرهم في الصالحات، وفوزهم في الدارين، مع حال من لم يقتصر على الواجب شرعا المبيح للمكوس، يتتبع (الرخص)[21] والتحيلات والاعتذارات الواهية.

ولا يخفى على أهل العلم، ما أوجبه الشرع على المسلمين، مما تعمر به بيت مالهم[22] من الزكاة، والفيء، والركاز، وإرث من لا عاصب له.

وفي جامع المعيار عن ابن منظور ما نصه: إن الأصل أن لا يطالب المسلمون بمغارم غير واجبة بالشرع، وإنما يطالبون بالزكاة وما أوجبه القرآن والسنة بالفئ، والركاز، وإرث من ترث بيت المال، فإذا عجز بيت المال عن أرزاق الجند وما يحتاج إليه من الآلات الحربية وعدة، فيوزع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك، وعند ذلك يقال: يخرج هذا الحكم، ويستنبط من قوله تعالى: "قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج وما جوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجا"[23] الآية. لكن لا يجوز هذا إلا بشروط. انتهى الغرض منه.

وما ذكره من الشروط يطول تتبعها، ولا وجود لواحد منها بهذا الوقت في هذه الدولة. على أن ذلك لا يلائم الترتيب بوجه، إذ الخرْج في الآية بحسب الإعانة. كان دفعة واحدة لا على الدوام والاستمرار وصرفه فيما يليق شرعا. ولا شك أن المائل لهذا يصفونه بالحمق في هذا الزمان! وقد نظم ابن جماعة الشافعي* ما يوضع في بيت المال، فقال: [البسيط]

جهات أنواع بيت المال سبعتها ... في بيت شعر حواها فيه كاتبه
خمس[24]، فيء، خراج، جزية، عشرٌ ... وإرث فرض، ومال ضل صاحبه

وقوله: وإرث فرض جرى فيه على مذهبه، و[أما][25] عندنا فلا ترث بيت المال بالفرض. والخراج أيضا إنما يكون على الأرض المأخوذة عنوة، كأرض المشارقة وهو منها، وأما أرض المغرب فقد أسلم عليها أهلها، فلا خراج فيها.

والمراد بالفئ: ما أخذ من أموال الكفار دون حرب بأن وجد ضالا، وإلا فهو شامل للغنيمة والخراج.

وقال بعض من انتصر للشريعة من أصحابنا، منكرا لهذا الترتيب، محرضا على الدفاع وحماية بيضة الإسلام ما صورته: [الطويل]

---

(21) ر: الرخس.
(22) إلى هنا ينتهي سالمون (SALMON) من ترجمة هذا النص إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية. أنظر:
G.SALMON, Le Tertib, in. Archives, Maroc; 1905. T. 2 Fasicule 1 P: 158
(23) سورة الكهف، الآية. 94 .
(24) زاد في ن. ح: و . (الواو).
(25) ما بين المعقوفتين ساقطة من ن. ح .
(*) 187* أ .

ألا أيها الإسلام أهل المحبة　　　وإخواننا في الدين شرقا وقبلة
لقد ضاع هذا الدين أين أهيله　　　وحق لنا التغريد في كل بلدة
نرى الروم جاروا ثم نحن في غفلة　　　سكوتا نحاكي وصفنا كالبهيمة
أيا علماءُ الدين قوموا بوصفكم　　　وقولوا بقول الحق واخشوا من لعنة
أيا شرفاء الحل والعقد أنتم　　　حماة لهذا الدين من غير مرية
في أي كتاب جاءنا حل ترتيب　　　وترك زكاة بينوا وجه شبهة
دعائم هذا الدين صارت إلى ورا　　　ونحن سكارى في هوى وبليَّة
قوانين دين الكفر حلت بغربنا　　　فأين ولاة الأمر من خير نسبة
أما فيكم من ينصر دين ربنا　　　فناصره يحظى بنور وسطوة
أخفتم من الموت الذي يطلب الفتى　　　كلا إنه آت بوفق المشيئة
أخفتم به نقصا لدنياكم التي　　　بخلتم بها فالعذر أقبح زلة
دعوني من الخذلان وارعوا سؤالكم　　　إذا الناس في الحشر المهول وشدة
أليس صلاح الناس بالعالم الذي　　　يقول مقال الله من غير لومة
ويعده وال للأمور بعلمه　　　مشاور فيها مرة بعد مرة
و(ألا)(26) يكونا بالصفات (فدعهما)(27)　　　(فضرُهُمَا)(28) يسري وقل بقريحة
* ألا أيها الإسلام صدقوا ربكم　　　بوعده في قتل العدو وجنة
فشمروا يا أهل الصحاري لثأركم　　　وقوموا بساق الجد المنية
وسارعوا للخيرات كيما تحوزها　　　فإن رجال العز بين الأسنة
ولا تسمعوا قول الرعاع بغربنا　　　فليس لهم في الحرب بأس وشدة
لأنهم باعوه ثم تقهقروا　　　وصاروا حيارىَ ماسكين بعمية
ووسدوا أمرهم إلى غير أهله　　　وحكموا كل قاسط في الولاية.
وشاوروا في الأمر المهم عدونا　　　ولا يخفى ما أبدى لنا من مكيدة
ألا أيها الحبر الكريم سلالة　　　وقاضي قضاة العدل من (خير)(29) نصرة
فحرض جموع المسلمين وسلهم　　　وعظهم بما في الذكر أي (وآية)(30)
وخير مقول العبد قول إلهنا　　　ولا تحسبن يا خبيرا بحكمة
وفي الخبر المروي من سنة　　　فأجر له فيها ليوم القيامة(31)
ألا أيها الشيخ المهذب نسبة　　　وحائز سبق الفضل من آل رتبة
بلغت بفضل الله للخير كله　　　وكنت بهذا الجمع كاشف كربة

---

(26) ز، ح: أن لا.
(27) د، ح: بدعهما. والتصحيح من ز.
(28) د، ح: بضرهما. والتصحيح من ز.
(29) د: خير. والتصحيح من ز، ح .
(30) د: فآية. والأصح ما أثبتناه من ز، ح .
(31) هذا الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج 16: 226 ، وسنن ابن ماجة، ج 1: 46 وكلاهما باختلاف في اللفظ.
(*) * 187 ب .

فـيـا مـعشر الـشجـعـان قومـوا بـحقـه وسـددوا فـيـمـا بـيـنـكـم بـالسـويـة
وشـاوروا ذار أي وصـالـح وقـتـنـا فـإن لـهـم سـرا مصـونـا وغيرة
فـيـا رب وفـقـهـم وسـدد عـقـولـهـم وضـاعـف لـهـم أجراً كـثيرا في جـنـة
ووفـق جـمـيـع المسـلـمين لـرشـدهـم وعـنـهـم عـلـى أعـدائـنـا بـنـي صـفـرة
بـحـرمـة خير الخلـق طـه محمـد وآلـه والأصـحـاب أولي السـمـاحـة
عـلـيـه صـلاة الـلـه ثـم سـلامـه بـعـد الـنـبـات والحصـى مـع رمـلـة
فـهـذا مـقـالي لـلأحـبـة كـلـهـم ولـولا (نيران)[32] الـقلب مـا خضت لجة
وأحـمـد (ربـي)[33] الـلـه ثـم عـلـيـكـم سـلامـي بِـعَـدِّ الـزائـريـن لـطـيـبـة

وكان ابتداء هذا الترتيب بمراكش والسلطان بها، فعمَّ قبائل عمالتها كما تقدم.

[غزو قبيلتي بني مسارة وبني عروس]

وبعده، وجه السلطان المولى عبد العزيز جيشا منها[33] للغزو على قبيلة بني* مسارة رئيسه الشريف سيدي عبد السلام الأمراني، لكثرة إذايتهم للمسلمين بالتلصص عليهم، وأخذ أموالهم وأمتعتهم، وأخذ أرض من جاورهم من القبائل، مع تكرر الشكاية بهم، ومن جملتها شكاية شرفاء وزان أولاد سيدي الحاج عبد السلام بن سيدي الحاج العربي - نفعنا الله ببركته آمين- لنهبهم لهم عزيبهم المسمى بعزيب ابن يف، وأخذهم ما كان به من الزرع والماشية وغير ذلك..

وبعد الفراغ من قضية بني مسارة، يسير الجيش المذكور إلى قبيلة بني عروس، بقصد النزول عليهم والانتقام منهم، جزاءً لسعيهم في الأرض الفساد (كغيرهم)[34] من قبائل الجبل.

ومن جملة سعيهم في الفساد -أيضا- أخذهم طفلا وطفلة من أبناء الإسبنيوليين بنواحي أصيلا على وجه التعدي والعدوان، ولا ينهض عنهم إلا بالإنصاف منهم، والعقوبة لهم، بما يناسبهم على ذلك.

ثم لما حل الرئيس المذكور بجيشه بأرض بني مسارة، ضايقهم وغار عليهم، وطلب المدد ثانيا من السلطان، فوجه له آغه الحاج علي السوسي بمن معه من العساكر، فلحقوا به، وهجموا على بني مسارة في حللهم، وخربوا ديارهم، وأخذوا أموالهم، وطلبوا من ذلك الأمان على أنفسهم، بعد أن اعترفوا بالعجز عن مقاومة العساكر المنصورة، وانقادوا للطاعة، واستلزموا بأداء الواجب عليهم للحضرة العالية بالله من قبل الزكاة، وأداء ما

(32) د :نران، والتصحيح من ن، ح .
(33) أي من مراكش
(34) ح: كغير
(*) 188* أ .

أخذوه من عزيب الشرفاء المذكورين وغيره من الحقوق المترتبة عليهم، ووظف عليهم مائة ألف ريال، فدفعوها بقرا وبغالا وغير ذلك، إلى أن استوفاها منهم رئيس المحلة الشريف المذكور، بعد المقام عليهم عشرة أشهر، وجعل لهم قوادا منهم.

وبانقيادهم دخل الرعب قلوب قبائل جبال الهبط كلها، وآذغنوا للأحكام وأداء الواجبات، لما كانوا عليه بنومسارة، من الطغيان والعتو، مع العصبية، وقهر القبائل المجاورة لهم إلا أن هذا الجيش لم يبلغ أمنيته من الانتقام من غيرهم، لما عارضه من ظهور الثائر(35) بتازا، فصد عنهم بعدما توجه إليهم لأهمية ما ذكر، وخبره يستدعي الطول.

[نهوض السلطان من مراكش]

وبعد توجيه هذا الجيش من مراكش ،* أخذ السلطان يتهيأ للنهوض منها إلى حاضرة فاس.

وكان نهوضه من مراكش في آواسط رجب الفرد من عام تسعة عشر وثلاثمائة وآلف (36).

[توجيه السلطان وفدًا للجزائر للمصادقة على شروط اتفاقية باريز]

وفي آوائل الشهر المذكور(37)، وجه وفدًا للإيالة الجزائرية ، بقصد إجراء العمل بالشروط المنبرمة بباريز بين السفير السيد عبد الكريم ووزير الخارجية للدولة الفرنسوية(38)

وكان رئيس هذا الوفد السيد محمد فتحـ بن محمد ضمًا الجباص المتقدم مصاحبًا للسفير المذكور.

وبه آنقطع أمل التشوف لما عسى أن يكون من مراجعة أرض اتوات.

(35) يقصد به الثائر الجيلالي بن إدريس الزرهوني حسب بعض معاصريه، أو إبن السلام الزرهوني حسب الوثائق المخزنية . وكان يلقب ببو حمارة .كما لقب . أيضا. بالروكي استمرت ثورته من 1320إلى 1327 / 1902.1909م

(36) أواسط رجب عام 1319هـ/أواخر أكتوبر 1901

(37) أي في أوائل شهر رجب من سنة 1319هـ/أواسط أكتوبر1901م.

(38) يقصد به : ديلكاسيه (M.delcassé)

ويقصد المؤلف بالشروط المنبرمة بباريس ، نص بروتوكول المنعقد في باريز ، بتاريخ 3 ربيع الثاني 1319هـ/ 20 يوليوز 1901م . وقد ورد نص البروتوكول عند:

ATTILIOGAUDIO. SAHARA Espagnol , pp:148-149

وأوردنا تحليلاً لهذا النص في المقصد الثامن عشر :907 الهامش رقم :36

(*) * 188ب.

[وفود أربعة سفراء الفرنج على السلطان بالرباط]

ولما وصل السلطان لرباط الفتح ، أقام به مدة ، وصام به رمضان ، ووفد عليه هناك أربعة سفراء من دول الفرنج : سفير الإنجليز[39] ، و الفرنسيس[40] ، و الألمان[41] ، والإسترياك[42].

[شيوع أمر التنظيمات و موقف المؤلف منها]

وفي هذه الإقامة بالرباط ، شاع أمر التنظيمات التي عزم المولى عبد العزيز على إجرائها . ومن جملتها :

اقتراض المال من الأجا نب ، و تمديد السكك الحديدية و التلكراف. وغير ذلك من التنظيمات الأوربية .

ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على المسلمين بها ، إذ لا بدمن دخول الأجانب معها، لمعرفتهم بصناعتها وجهل أمم المغرب بها ، وذلك أقوى تأثير في المخالطة والمشاركة في الإدارة(المالية) [43] و الحكومة الشرعية ، مع نفور أهل المغرب من مثل‌هذا ، لعدم ألفتهم له، وتطبعهم بكراهية أهله ، وتوحشهم. ولذلك لم يساعد المولى الحسن على إجراء ما ذكر رحمه الله .

---

(39) يقصد به :السفير نيكولسون (NICOLSON) ، الذي نعتقد أن وصوله إلى الرباط كان في أواخر شهر شوال 1319هـ/ أواخر شهر يناير 1902.و كان الموضوع الاساسي الذي أثير أثناء اجتماع السفير بالسلطان هو موضوع الاصلاحاتً المقترحة من لدن الدولة الانجليزية، و السبل الكفيلة بتطبيقها في اقرب الأجال.
أنظر: -Pierre Guillen , l'Allemagne et le maroc. :P: 615

(40) يقصد السفير روني طايلندي (saint-rené taillandier) الذي قدم إلي الرباط صباح يوم الأربعاء 26 شوال 1319 هـ / 5 فبراير1902م. فا ستقبله المولى عبد العزيز في قصره بالقبيبات .فا ضافة إلي تقديم أوراق إعتماده ، أجرى السفير الفرنسي محادثات مع السلطان أنصب اساسا على مسألة الاصلاحاتً و العلاقات الفرنسية المغربية في ظل الأحداث و التحولات المستجدة. ويشير كيلين (Guillen) إلى أن الطيلاندي (Taillandier) صرح‌بمجرد وصوله إلى المغرب على أنه سيعمل بالتأكيد على تكسير الدائرة الإنجليزيةالتي تحيط بالسلطان.كما يشير كيلين، أيضا ، إلي أن السفير وجه للسلطان تحذيرا شديد اللهجة ، محاولا في ذالك أن يثنيه عن اتخاذ الإجراءات‌التطبيقية للإصلا حات المقترحة من طرف الإنجليز . فمن مهامه ، إذن ، عرقلة المصالح الانجليزية خاصة و الاوروبية عامة.أنظر:التاريخ الديبلوماسي، ج 10: 34 .
-Pierre Guillend , L'Allemagne et le maroc, PP :6516 .

(41) يقصد: السفير الالماني ما نتزكين (Menzingen) الذي وصل إلى الرباط يوم السبت 7 ذي القعدة 1319 هـ / 15فبراير 1902 وفي أثناء هذه الزيارة اجتمع ما نتزنكين بالمولى عبد العزيز و المنبهي، وأجرى معهما محادثات تعلقت بمسألة الإصلاحات، وحثهما على وجوب التعجيل بها مذكرا بالوعود المغربية تجاه ألمانيا . و كان جواب المنبهي إيجابيا ، حيث أشار إلى أن إنشاء الخطوط الهاتفية و مد السكك الحديدية بين فاس - الرباط- مراكش- قد قرر في شأنهما ، و أن الإشراف عليها وكل للخبراء الألمان . كما أن السلطان أثبت و جود علاقة هذه المشاريع بالإجراءات التطبيقية للإصلاحات الضريبية و المالية.
أنظر .: Pierre Guillen, L' allemagne et le maroc P :615

(42) الأستريـاك :يقصد بها دولة النمسا -هنغاريا. أما السفير المبعوث إلى الرباط فهو :كرينيفيل (CRENNEVILLE) الذي وصل إليه في شهر ذي القعدة 1319 / فبراير1902. من أجل تقديم أوراق اعتماده . و التباحث مع السلطان في شأن العلاقة المغربية النمساوية. والجدير بالذكر أن المغرب سبق له - في بداية الحكم العزيزي- أن طلب من النمسا كشفا بالقوانين العسكرية الجاري بها العمل في النمسا - هنغاريا. و يذكر عبد الهادي التازي بأنه - بالفعل - تم تزويد الوزير أحمد ابن موسى بتلك القوانين. فلعل هذه المسألة كانت حاضرة في مباحثات كرينيفيل مع المولى عبد العزيز. انظر التاريخ الدبلوماسي ، ج 10 :34 ، 118 .

(43) ز : العالية .

[نهوض السلطان من الرباط و دخوله مدينة فاس]

ثم نهض السلطان من رباط الفتح ، مخالفاً للعادة القديمة من مرور الملوك قبله بمكناسة الزيتون ، فعدل عنها ، وقصدفاسا بعد تشوف أهل مكناسة له ، وفرحهم بقدومه عليهم كما هي العادة ، ولما رأوه عدل عنهم ، تغيروا لذلك ، وطلبوه في المرور بهم ، فاعتذر لهم بما طيب خاطرهم و سلاهم به ، وتوجه لفاس ، فدخله في أوائل ذي الحجة من السنة المذكورة[44] بعد أن خرج أعيان العلماء و النقباء و الأشراف ، لملاقاته مسيرمرحلة ، وذلك: بوادي مكس . ومن هناك كان و جه الحاج علي السوسي لنصرة الشريف الأمراني على بني مسارة . وبالوادي المذكور بات جميعهم مع الإمام المذكور ، و من الغد خرج جميع الناس من فاس رجالا و نساء ، شيوخاً و شباباً وصبياناً ، لملاقاته *وفرحا بوروده عليهم ، ونشا طا بحلوله أرضهم . وكان يوم دخوله يوما مشهودا.

[شروع السلطان في تتميم وتعميم الترتيب]

ولما استقر به المقام، شرع في تتميم عمل الترتيب على عمالته، وعم القبائل المخزنية وغيرها، ووجه لبني حسن وأهل الغرب وبعض القبائل ، من قام بذلك من الأمناء و العدول، لحفظ الواجب وإحصائه، وقد أذعن إليه كل القبائل غير قبيلة شراكة، شكوا بما يلحقهم في ذلك من الضرر ، لكونهم من جيش المخزن ، وهم مكلفون بقيام أمره، ملازمون لخدمة الأوامر السلطانية حضرا و سفرا. وفي فرض الترتيب عليهم ، مع بقائهم في الجندية ضرر، ومن عادة المخزن، أن لا يؤدي فريضة لخدمته المخزنية بنفسه، فتسويتهم مع الغير في المغرم وزيادة تكليفهم بالقيام بالأمور المخزنية شاق عليهم، فلم يلتفت إليهم. وكان ذلك أول نزاع، وقد أصغى لمقالهم بعض القبائل، ولاسيما حيث علموا أن ذلك بإشارة الإنجليز .

[ما أشيع عن السلطان بالبطحاء بفاس]

و في أثناء هذا ، انتقل المولى عبد العزيز من دار ملكه بفاس الجديد ، إلى المحل المعروف بالبطحاء من فاس البالي - بقصدالسكنى به.

وهناك أشيعت عنه الشنائع، لكثرة معاينة الناس مرور الأجانب من الإنجليز بالأزقة ودخولهم المحل المذكور واختصاصهم به، وهم ما بين العشرين إلى الثلاثين.

---

(44) أوائل ذي الحجة من سنة 1319 هـ / أواسط مارس 1902 م .
(*) * 189 أ.

وبدخولهم عنده وانفرادهم به، تسدُّ أبواب الأزقة، فلم يمر بها أحد، ويأخذون في تعاطي الملاهي والعبث من ركوب (الكدشيات)[45] الكهربية، والمسابقة على الخيل وغير ذلك مما لايناسب منصب الإمامة ولا (يسوغ)[46] شرعا، وذلك دأبهم كل يوم.

فكثر بذلك القيل والقال، وظن الناس به الظنون، وجعلوا يتحدثون بما سمعوه من الخدمة والعبيد، المطلعين على تلك الأحوال، بما يوجب النفور منه، ويزيدون أموراً من عنديتهم، ينسبونها إليه، يمكن وقوعها بسبب تلك المخالطة، وربما سمع الناس على ما زعموا وشاع عنهم بعض الأحيان، ارتفاع الأصوات والمخاطبة القاطعة بزوال عقل صاحبها، حتى شاع ذلك عند سائر الناس حضراً وبدواً، ولم يرتب فيه أحد، لمشاهدتهم مخالطة الإنجليز له، واختصاصهم به، ومحبته لهم، وانفراده معهم في الخلوات ومحل الشهوات، * والمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.

[موقف المؤلف من مخالطة السلطان للإنجليز]

وقد نهى الشارع عن مواقف الاتهام وصحبة الأنذال، وجاء في ذلك أثار وحكم، وأشعار يطول استقصاؤها، وهي شهيرة، ومن ذلك قول بعضهم : [البسيط]

تا (الله)[47] لو صحب الإنسان جبريلا ... لابد للمرء من قال ومن قيلا

فكيف بمصاحبة مطلق الناس؟

فكيف بالمتهمين بالشبهات ؟

فكيف بأهل الكفر؟

إذ لابد من مساعدة الصديق صديقه في هواه، وإلا فارقه وجفاه : [الكامل]

إن الصديق إذا رآك مخالفا ... لهواه بدل وده بعقوق

فاخفض جناحك للصديق متابعا ... أهواءه أو عش بغير صديق

(45) د: الكديشات. والتصحيح من ز. ح. والكدشيات : (coches) كلمة إسبانيا تعني السيارات. استعملت في شمال المغرب ـ بصفة خاصة ـ للدلالة على نفس المعنى. والمؤلف يقصد بها هنا نفس المعنى أيضا.

(46) د : يصوغ. والتصحيح من ز. ح.

(47) في جميع النسخ : لله. واقتضى السياق تصحيحها.

(*) * 189 ب.

إلى غير ذلك. وكان رئيس هذا الجمع و(السبب)[48] فيه ماكلين،[49] الشهير بالكرونيل المستشار الإنجليزي - قبح الله سعيه - فهو سبب كل بلية حلت بالمغرب : ومصيبة أصابت هذه الدولة العظيمة القدر والجاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلو كان لأهل الرأي منهم عقل ما عرفوه ولا استشاروه، فضلا عن أن يعتقدوا فيه النصيحة والرأي السديد، قال ا لله تعالى: "**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**" [50].

ولو كان فيه ما يعتقدونه من النصيحة والرأي السديد، ما أبعدته دولته من عملها، ولا جفته وزهدت فيه.

وقد سمعنا من غير واحد، ورأينا في بعض الجرائد الخبرية أيضا، أنه كان من أحد ضباط العسكرية لدولته بجبل طارق، فتزوج بامرأة غير مناسبة لرتبته، فألزمته دولته التسليم في وظيفه لذلك، فسلم فيه، وبقي مهملا، فانتقل لثغر الصويرة ومنها إلى مراكش، وطلب من مولاي الحسن الدخول في جملة الحرابين للعسكر، وذلك في حدود خمس و تسعين ومائتين وألف[51]، فقبله الإمام المذكور، وبقي من جملة الحرابين لا (مزية)[52] له عليهم، وجعل يتعاطى التجارة مع أكابر المخزن، ويجلب السلع وكساوي العسكر والسلاح، وما يناسب مما له فيه نفع وميل النفوس إليه، إلى أن توفي الوزير السيد أحمد بن موسى، فوجد بموته سبيلا إلى التداخل مع المولى عبد العزيز، والمخالطة معه، فصار يشير عليه بأمور سياسية، يظهر نصيحته له منها سفارة وزير الحرب للندرة، وما * نشأ عنها من الأمور المذكورة بسبب تلك السفارة[53].

---

(48) ز: المتسبب.

(49) ماكلين :Maclean : شخصية عسكرية وسياسية إنجليزية، لعبت دورا بارزا في تاريخ مغرب أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين.
كان ضابطا للجيش الإنجليزي بجبل طارق، ثم انتقل إلى المغرب حيث عمل مدربا للجيش السلطاني في السبعينات من القرن ن19 الميلادي، أثناء حكم المولى الحسن.
كان له دور في تكوين فرقة للمشاة، وصار يعرف باسم القائد ماكلين أسوة بالقواد المغاربة، لكثرة مخالطته للسلطات العسكرية والسياسية بالمغرب.
وزادت مخالطته للمخزن خاصة بعد وفاة الوزير أحمد بن موسي، حيث صار يلازم المولى عبد العزيز في جميع مهماته ويشترك مع بعض كبار الشخصيات المغربية في العمليات التجارية، مستفيدا في ذلك من ثقة السلطان في شخصه.
وكان هو الذي يقوم بتقديم الأوربيين إلى البلاط. وينظم حفلات السمر الأوربية. كما عمل على إغراء الضباط الإنجليز المتقاعدين على العمل في تدريب الجيش المغربي.
وكان ماكلين يعمل في كثير من الأحيان رسولا للسلطان ووسيطا ومستشارا له. فهو الذي دفع بالسلطان إلى أن يطلب من الحكومة الإنجليزية إرسال بعثة حربية إنجليزية، وهو الذي دفعه إلى إرسال بعثة إلى لندن في مايو 1901 م، يترأسها وزير الحرب المنبهي، ويكون هو (أي ماكلين) بصحبتها.
وقد كان ماكلين في كثير من الحالات مخلصا للسلطان بالقدر الذي كانت تسمح به ظروف العصر ومصالح بلاده إنجلترا، ومع ذلك فإن ماكلين اعترض على إنجلترا حين إقدامها على تنفيذ اتفاقها مع فرنسا، متخلية بذلك عن صداقتها التقليدية للسلطان ونفوذها بالتالي في البلاط المغربي.
انظر : حسن صبحي، التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب (1881-1904) : .156 -166

(50) سورة آل عمران، الآية : 73 .

(51) 1295 هـ/1878م.

(52) د : مرية. والتصحيح من ز، ح.

(53) انظر : المقصد الثامن عشر: من الجزء الثاني ص 249 – 250 .

وانضاف إليه هاريس[54]، مكاتب الجريدة الشهيرة بالتيمس وكان لا يفارق السلطان نحو الستة أشهر، ويتردد إليه في كل يوم أربع مرات دون حاجب لكثرة اعتنائه به.

وبذلك أصغى لكلامهما، ورسخ في ذهنه ما حسنوه له من وضع بابور[55] البر أولا، فوجه أحد الإنجليزيين لإصلاح طريق مابين فاس ومكناسة الزيتون لأجله أو لأجل مرور (الكدشيات)[56]، فجعل علامة بكل محل يقتضيه حاله، فثار البربر برؤيتها لشدة توحشهم، وما سبق في أذهانهم من خبر مخالطة السلطان للإنجليز، وموافقته معهم على سكناهم بالمغرب، ونصب رايتهم به، وغاروا على النواحي، وأفسدوا تلك العلامات، وأعلنوا بالعصيان وعدم الانقياد، إلى وضع شيء من ذلك في بلدهم، ولا سيما عند رؤيتهم المباشرين لها من الأجانب، مع ما في أخبارهم أيضا من إجراء تيلكَراف، وتولية الإنجليز لأمورها. فكان هذا أول الفتن، وأول من قام من البربر زمور، فنهبوا وغاروا على مكناسة، وعبثوا بأطرافها ومعهم كَروان.

[توجيه السلطان دعوة لمحمد الطريس وبناصر غنام]

ثم وجه السلطان لنائبه بطنجة الحاج محمد الطريس وكاهيته بناصر (غنام)[57] (ليستشير)[58] معهما على ما قيل في أمر إجراء التنظيمات واقتراض المال من الأجانب، لإصلاح القناطر والطرقات.

فزاد بذلك الرعايا تشويشا وفتنة مع قتله الشريف القاتل للإنجليزي بفاس بعد جلده، وقبل استشارة أهل العلم في قتله، فأسف الناس على قتله وتمنوا فداءه بجمع دية المقتول عن كافة المسلمين.

---

(54) هو : ولتر هاريس. WALTER WARRIS ولد بلندن سنة 1277 هـ/1860 هـ ودخل إلى المغرب سنة 1305 هـ/ 1887 م. كان من أعضاء البعثة السفارية الإنجليزية إلى مراكش والتي كان يرأسها وليام كربي كريين (W. Kirbey Green) عمله بالمغرب كان ينحصر في أول الأمر كمبعوث إخباري لجريدة التيمس (Times). إلا أن اتصالاته وعلاقاته بالمسؤولين السياسين بالمغرب وأوربا، جعلت منه رجلا سياسيا أيضاً. ففي سنة 1311 هـ / 1893 كان من المرافقين لحركة المولى الحسن إلى تافيلالت. وعن هذه الرحلة ألف كتابه المشهور. تافيلالت (le Tafilet). وفي سنة 1321 هـ /1903 م عاد إلى طنجة، وألقي القبض عليه من طرف أنصار ثورة الريسوني، فأودعوه في السجن بزنات (قبيلة بالأنجرة) انظر :

-W. WARRIS, Le Maroc disparu, PP : 1. 30 73 .

-W. WARRIS, Le Tafilet .

- J.L.M iége, le Maroc et l'europe, TL. PP : 118 - 119 .

(55) بابور : مصطلح حضاري استعمله المغاربة في القرن 13 هـ / 19 م للدلالة على القطار. اقتبس المصطلح من الكلمة الفرنسية Vapeur أي البخار. بمعنى القطار الذي يسير بالبخار.

(56) د : الكديشات. والتصحيح من ز، ح.

(57) متن د. ح : غلاب . ز : عنام. وفي طرة د : غلام. والصحيح ما أثبتناه في المتن.

(58) د : ليستشار. والتصحيح من ز، ح.

(*) * 190 أ.

[توجه الأمراني ثم السلطان لمكناسة لحمايتها]

ثم وجه الشريف سيدي محمد الأمراني لمكناسة الزيتون بعسكر جرار ليحمي أرضها من فساد البربر بني مطير وزمور وغيرهما، فلم يجد شيئا، و به جهز [الجيوش][59] وعزم على الخروج بنفسه لرباط الفتح والمرور بهم حتى يردهم للجادة.

فخرج من فاس في أواخر شعبان[60] وحل بمكناسة الزيتون، وخرج منها لأرض زمور وكَروان، وناوشهم القتال، فولوا الأدبار.

[إنذار السلطان بظهور الثائر أبي حمارة]

وإذا بعامل تازا، الحاج عبد السلام الزمراني وفد منها على السلطان، نذيراً بما جرى بتازا، وأحوازها، بظهور القائم بها الشهير بأبي حمارة، وأخبره بمن تبعه من القبائل واستيلائه على تازا وعمالتها، ولا زال أمره في الازدياد.

وكان قبل وجه له [61]...

---

(59) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(60) أي في أواخر شعبان من سنة 1320 هـ/ أواخر نوفمبر من سنة 1902 م
(61) إلى هنا ينتهي - بشكل مفاجئ - ما وجدناه من الكتاب المخطوط.

القسم الثالث

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

- آدم ج 1 : 123 - 135 - 138 - 150 - 151 - 159 - ج 2 : 38 - 66 - 154
- الآمدي : ج 1 : 127 .
- إبراهيم (النبي) : ج 1 : 122 - 124 - 168 - 169 .
- إبراهيم بن أدهم : ج 1 : 242 . .
- إبراهيم بن الأغلب : ج 1 : 222 .
- إبراهيم [بن تاشفين] : ج 1 : 234 .
- إبراهيم [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] : 663.
- إبراهيم بن عبد الله : ج 1 : 272 .
- إبراهيم [بن محمد بن عبد الله] : 546.
- إبراهيم الرياحي / أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي : ج 2 : 55 - 76 .
- إبراهيم المراكشي : ج 1 : 287 .
- إبراهيم [بن موسى بن أبي العافية] ج 1 : 226 .
- إبراهيم النظام : ج 1 : 267 .
- إبراهيم بن يزيد : ج 2 : 57 .
- أبرهة الأشرم : ج 2 : 203 .
- إبليس :ج1 : 151 .
- ابن أبي الدنيا : ج1 : 129 .
- ابن أبي زرع / علي بن أبي زرع : ج1: 225 - 249 - 273 .
- ابن الأثير : ج 1 : 131 - 166 - 233 .
- ابن الأحمر : ج 2 : 96 .
- ابن إسحاق: ج 2 : 105 .
- ابن إدريس : ج 2 : 45 .
- ابن الأفطس / أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة : ج 1 : 232 - 271 .
- ابن أميل : ج 2 : 152 .
- بناصر غنام: ج 2 : 255 .
- ابن بركة : ج 1 : 285
- ابن التلمساني : ج 1 : 175 .
- ابن تومرت : 406 .
- ابن ثابت : ج 1 : 257 .
- ابن جابر الغساني : 477.
- ابن جدعان : ج 1 : 161.
- ابن جريج : ج 1 : 173 .
- ابن الجصاص : ج 1 : 187 .
- ا بن جزي : ج 1 : 226.
- ابن جلجل : ج 2 : 155.

- ابن جماعة الشافعي :ج 2 : 26 - 265 .
- ابن جني : ج 1 : 149.
- ابن الحاج [عبد الله] بن ا لحاج : ج 2 : 96 .
-ابن الحاج العبدري ج 1 : 202 .
- ابن الحاجب : ج 1 : 175 .
- ابن الحافي : ج 1 : 257.
- ابن حجر : ج 1 : 189.
- ابن حزم : ج 1 : 138.
- ابن حيان : ج 1 : 172 .
- ابن خربوش : ج 1 : 287 .
- ابن الخطيب / لسان الدين بن الخطيب :ج 1 : 132 - 235 - 236 - 237 - 244 - 250 - 251 - 255 - 324 - ج 2 : 43 - 205 - 262 .
- ابن خلدون / أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون : ج : 1 : 131 - 132 - 236 - 241 - 249 - 269 - 273 - 274 - 275 - ج 2 : 72 - 110 - 144 - 224 - 249 .
- ابن خلكان: ج 1 : 179 - 241 - ج 2 : 140 - 156 .
- ابن خميس التلمساني : ج 1 : 257 .
- ابن دحية : . ج 1 : 230 .
- ابن دقيق العيد / تقي الدين بن دقيق العيد : ج 2 : 146 .
- ابن دينار القيرواني : ج 1 : 230 .
- ابن راحة : ج 1 : 285 .
- ابن رشد [الجد] :215 - 233 .
- ابن الرومي :ج 2 : 108 .
- ابن رشيد الفهري : ج 2 : 122 .
- ابن زاكور : ج 1 : 143 .
- ا بن السكيت : ج 1 : 266 .
- ابن سلمون : ج 2 : 38 .
- ابن السيد : ج 1 : 171 .
- ابن سيرين : ج1 : 205 .
- ابن سينا : ج 1 : 171 - ج 2 : 147 - 148 - 149 - 151 .
- ابن شهاب : ج 2 : 45 .
- ابن صالح : ج 1 : 267 .
- ابن الصغير : ج 1 : 267 .
- ابن الصلاح : ج 1 : 165 .
- ابن العامر ي الحسناوي : ج 2 : 75 .
- ابن عباد : ج 1 : 257 .
- ابن عباس : ج 1 : 136 - 137 - 151 - 154 - 165 - 204 - 205 .
- ابن عبد البر : ج 1 : 138 - 161 - 165 - ج 2 : 151 .
- ابن عبد ربه : ج 1 : 179 .
- ابن عبد السلام : ج 2 : 17
- ابن عبدون : ج 1 : 325 .
- ابن عرفة : ج 2 : 16 .
- ابن عساكر : ج 1 : 123 .

- ابن عطاء الله : ج 2 : 211 .
- ابن عطوش : ج 1 : 246 .
- ابن عودة : ج 2 : 98 .
- ابن غازي : ج 1 : 216 - 221 - 274 .
- ابن القاسم : ج 2 : 45 .
- ابن القاضي : ج 1 : 227 - 263 .
- ابن قدور الشرقاوي : ج1 : 85 .
- ابن قلاقس الإسكندري : ج 2 : 142 .
- ابن الكلبي [السائب] : ج 1 : 137 - 205 .
- ابن الكلبي [هشام] : ج 1 : 126 - 270 - 275 .
- ابن مسعود / عبد الله بن مسعود : 137 - 163 .
- ابن مزيان : [التلمساني] ج 2 : 76 .
- ابن مشعل: ج 1 : 196 .
- ابن مكي : ج 1 : 257 .
- ابن ملجم : ج 1 : 277 .
- ابن منظور : ج 2 : 265 .
- ابن ناجي : ج 1 : 270 .
- ابن النحوي: ج 1: 272 .
- ابن هشام : ج 1 : 153 - 154 .
- ابن هلال: ج 1 : 209 .
-ابن واندين : ج 1 : 229 .
- ابن الوشاء : ج 1 : 130 .
- ابن يعيش : ج 1 : 175 .
- ابنة الحارث : ج 1 : 153 .
- أبو إبراهيم : ج 1 : 211 - 213 .
- أبو إبراهيم (الشيخ) : ج 1 : 242 .
- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال : ج 1 : 209 .
- أبو إسحاق إبرهيم الغزي / الغزي : ج 2 : 151 - 155 .
- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي: ج 2 : 55 .
- أبو إسحاق البلفيقي : ج ج 2 : 89 .
- أبو إسحاق التونسي : ج 2 : 151 .
- أبو الأصبغ بن تمام العراقي : ج 2 : 146 .
- أبو الأصبغ عبد العزيز بن تمام العراقي : ج 2 : 153 .
- أبو بكر بن الصائغ بن باجة الأندلسي : ج 2 : 149 .
- أبو بكر بن عبد الحق المريني / أبو بكر : ج 1 : 209 - 251 .
- أبو بكر بن عبد الرحمان : ج 1 : 272 .
- أبو بكر الخطيب : ج 1 : 123 .
- أبو بكر الرازي / أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي : ج 2 : 146 - 148 .
- أبو بكر السعيد : ج 1 : 258 .
- أبو بكر / أبو بكر الصديق : ج 1 : 136 - 152 - 164 - 165 - 175 - 204 - 205 - 228
- ج 2: 10 - 17 58 - 60 105 - 198 .
- أبو بكر / أبو بكر بن عمر [المرابطي] : ج 1 : 228 - 229 - 234 - 235 .

- أبو تاشفين [الزياني] : ج 1 : 255 .
- أبو تمام : ج 2 : 195 - 201 .
- أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي : ج 1 : 175 .
-أبو جعفر البغدادي: ج 1 : 181 .
- أبو جعفر المنصور : ج 2 : 107 .
- أبو الحجاج بن نصر: ج 1 : 256 .
- أبو الحجاج الضرير : ج 2 : 39 .
- أبو الحسن الشاذلي : ج 2 : 54 .
- أبو الحسن علي : ج 2 : 146 - 156 .
- أبو الحسن علي بن أبي العلاء إدريس / السعيد : ج 1 : 245 .
- أبو الحسن علي بن أبي غالب : ج 2 : 65 .
- أبو الحسن علي بن تاشفين : ج 1 : 191 .
- أبو الحسن علي بن عثمان / أبو الحسن : ج 1 : 254 - 257 .
- أبو الحسن علي بن عمران : ج 1 : 319 .
- أبو الحسن علي بن حرزهم الأموي ج 2 : 29 .
- أبو الحسن علي [بن محمد بن عبد الله]: ج 2 : 33 .
- أبو حسون البادسي المريني: ج 1 : 262 .
أبو حسون علي بن محمد بن أبي زكري الوطاسي : ج 1 : 259 - 260 .
- أبو حسون علي بن محمد السملالي (بودميعة)/ أبو حسون : ج 1 : 193 - 194 - 195 .
- أبو حفص عمر الحراق :ج 1 : 317 .
- أبو حمارة : ج 2 : 274 .
- أبو حمو بن عثمان بن يغمرا سن/ أبو حمو: ج 1 : 253 .
- أبو حمو : [السلطان] ج 1 : 198 - 257 .
- أبو داود : ج 1 : 151 - 176 .
- أبو دبوس: ج 1 : 191 .
- أبو دلف : ج 2 : 141 .
- أبو دينار: ج 1: 269 . ج 2 : 71 .
- أبو رأس [المعسكري]: ج 1 : 179 - 230 - 242 - 273 - 296 - 304 - 329 - ج 2 : 55 .
- أبو الربيع سليمان : ج 1 : 201 .
- أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف : ج 1 : 254 .
- أبو زكريا يحيى بن خلدون : ج 1 : 132 .
- أبو زكرياء يحيى بن زيان : ج 1 : 319 .
- أبو زيان [بن أبي عنان] :ج 1 : 258 .
- أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن : ج 1 : 253 .
- أبو زيد عبد الرحمان الرقعي :ج 1 : 216 .
- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري :ج 1 : 127 .
- أبو زيد عبد الرحمان القاسي: ج 1 : 279 .
- أبو زيد عبد الرحمان المقزاري الفلالي :ج 1 : 283 .
- أبو زيد عمر بن شبة النميري : ج 1 : 128 .
- أبو سالم العياشي / أبو سالم عبد الله : ج 1 : 210 .
- أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق : ج 1 : 254 - ج 2 : 121 .
- أبو سعيد المصري / أبو سلهام : ج 2 : 190 .
- أبو سفيان : ج 2 : 145 .

- أبو السمط مروان بن أبي الجنوب : ج 2 : 196 .
- أبو الشفرة: ج 1 : 296 - 297 .
- أبو الصون المحجوب الحضري : ج 1 : 200 .
- أبو الطيب المتنبي / المتنبي : ج 1 : 198 .
- أبو العباس أحمد الأعرج : ج 1 : 261 - 262 - 263 .
- أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي : ج 1 : 208 .
- أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري : ج 1 : 328 .
- أبو العباس أحمد بن سعيد المزجلدي : ج 1 : 279 .
- أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي : ج 1 : 284 - 285 .
- أبو العباس أحمد بن عبد الله بن معن الأندلسي : ج 1 : 208 .
- أبو العباس أحمد بن المستضئ العباسي : ج 1 : 328 .
- أبو العباس أحمد الونان :ج 2 : 33 .
- أبو العباس بن خلكان / ابن خلكان : ج 1 : 131 .
- أبو العباس الغزال : ج 2 : 23 .
- أبو العباس السبتي / أبو العباس أحمد بن أبي جعفر الخزرجي السبتي : ج 1 : 142 - ج 2 : 89 - 121 - 192 .
- أبو العباس الماواسي : ج 1 : 216 .
- أبو العباس الهمداني : ج 1 : 127 .
- أبو عبد الرحمان خالد بن هشام الأموي : ج 1 : 131 .
- أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي : ج 1 : 131 .
- أبو عبد الله بن بطوطة : ج 1 : 241 .
- أبو عبد الله بن سراج : ج 1 : 215 .
- أبو عبد الله بن مغراو : ج 1 : 272 .
- أبو عبد الله أكنوس: ج 2 : 83 - 114 .
- أبو عبد الله بن نصر : ج 1 : 252 .
- أبو عبد الله التاودي: ج 2 : 29 .
- أبو عبد الله العربي بردلة : ج 1 : 287 .
- أبو عبد الله العكرمي : ج 1 : 215
- أبو عبد الله الفاسي : ج 1 : 207 .
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العمري : ج 1 : 216 .
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المسناوي الدلائي : ج 1 : 285 - 299 - 319 .
- أبو عبد الله محمد بن إدريس الفاسي / ابن إدريس : ج 1 : 317 - ج 2 : 62 - 80
- أبو عبد الله محمد بن الحسن بناني : ج 2 : 43 .
- أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي المكناسي : ج 1 : 279 .
- أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي : ج 1 : 208 - 209 .
- أبو عبد الله محمد بن الشاذلي الدلائي :ج 1 : 299 .
- أبو عبد الله محمد بن الشاهد الجزائري : ج 2 : 42 - 44
- أبو عبد الله محمد بن العافية : ج 1 : 299 .
- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري : ج 1 : 299 .
- أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي : ج 1 : 279 .
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي : ج 1 : 295
- أبو عبد الله محمد بن عسكر : ج 1 : 263 .

- أبو عبد الله محمد بن علي الفيلالي : ج 1 : 279 .
- أبو عبد الله محمد بن العياشي : ج 1 : 297 .
- أبو عبد الله محمد بن مبارك : ج 1 : 261 .
- أبو عبد الله محمد بن المشاط : ج 1 : 299 .
- أبو عبد الله محمد الزعري : ج 2 : 49 .
- أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكري الوطاسي : ج 1 : 259 .
- أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد الدرقاوي : ج 2 : 52 - 70 .
- أبو عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي : ج 1 : 208 .
- أبو عبد الله محمد القائم بن محمد : ج 1 : 260 - 261 - 262 .
- أبو عبد الله محمد القسنطيني : ج 1 : 139 .
- أبو عبد الله المسناوي: ج 1 : 290 .
- أبو عبيد الله القاسم بن سلام : ج 1 : 128 .
- أبو عبيدة معمر بن المثنى: ج 1 : 126 - 205 .
- أبو عثمان سعيد أحنصال : ج 2 : 5 .
- أبو عثمان سعيد التلمساني :ج 1 : 197 - 204 .
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ج 1: 128 .
- أبو عزيز : ج 2 : 47 .
- أبو العلاء المأمون / المأمون إدريس : ج 1 : 245 .
- أبو علي بن رحال/ أبو علي الحسن بن رحال المعداني : ج 1 : 288 - 328 .
- أبو علي اليوسي : ج 1 : 208 - 212 - 278 - 279 - 299 - ج 2 : 186 .
- أبو عمران الفاسي : ج 1 : 228 - 272 - ج 2 : 147 .
- أبو عنان : ج 1 : 191 - 256 - 257 .
- أبو عيسى : ج 1 : 272 .
- أبو عيسى بن لبون : ج 1 : 176 .
- أبو العيش بن عيسى : ج 2 : 122 .
- أبو الغيث عبد الواحد [بن علي الشريف] ج 1: 220 .
- أبو فارس بن الربيع الغرناطي : ج 1 : 216 .
- أبو فارس [السعدي] : ج 1 : 264 .
- أبو فراس الحمداني : ج 1 : 119 .
- أبو الفرج الأصبهاني : ج 2 : 20 .
- أبو الفرج بن الجوزي : ج 2 : 151 .
- أبو الفضل عباس بن أحمد التاودي : ج 2 : 46 .
- أبو القاسم : ج 2 : 114 .
- أبو القاسم الزياني / الزياني : ج 1 : 134 - 281 - 282 - 285 - 298 - 316 - 329 ج 2 : 32 .
- أبو لؤلؤة : ج 2 : 61 .
- أبو الليث السمرقندي : ج 1 : 159 .
- أبو المحاسن يوسف [بن علي الشريف] : ج 1 : 219 .
- أبو محمد بن أبي زيد : ج 2 : 147 .
- أبو محمد الرشيد : ج 1 : 245 .
- أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس : ج 1 : 299 - 300 - 309 .
- أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري : ج 1 : 310 .

- أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم : ج 2 : 155 - 156 .
- أبو محمد عبد القادر بن شقرون : ج 2 : 51 .
- أبو محمد عبد القادر الفاسي : ج 1 : 207 - 279 .
- أبو محمد عبد الله بن حواء الغريسي : ج 2 : 54 .
- أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني : ج 1 : 193 - 209 - 211 .
- أبو محمد عبد الله العبدوسي : ج 1 : 319 .
- أبو محمد عبد الواحد البوعناني الشريف : ج 1 : 307 .
- أبو محمد عبد الوهاب التازي : ج 2 : 65 .
- أبو محمد العربي بن علي المشرفي : ج 1 : 134 - 143 - ج 2 : 138 .
- أبو محمد الفشتالي : ج 1 : 251 .
- أبو مدين السوسي المكناسي : ج 1 : 279 - 306 .
- أبو معرف محمد : ج 1 : 251 .
- أبو موسى الأشعري : ج 1 : 124 .
- أبو النصر (المولى) : ج 1 : 286 - 287 .
- أبو نصر الفارابي : ج 2 : 149 .
- أبو هراوة: ج 2: 232 .
- أبو هريرة : ج 2 : 262 .
- أبو وائل الثقفي : ج 2 : 184 .
- أبو يعزى : ج 1 : 272 .
- أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن بن علي : ج 1 : 239 .
- أبو يوسف (القاضي) : ج 2 : 151 .
- أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق : ج 1 : 252 .
- أبي بن كعب : ج 1 : 151 .
- أحمد البرنوصي : ج 2 : 200 .
- أحمد بن أبي طاهر : ج 1 : 130 .
- أحمد بن حد [الريفي] : ج 1 : 303 - 325 - 326 .
- أحمد [بن الحسن] ج 2 : 107
- أحمد [بن حنبل] : ج 1: 158 - 189 .
- أحمد بن زاغو الصوفي : ج 1 : 274 .
- أحمد [بن زيدان السعدي] : ج 1 : 264 .
- أحمد بن سليمان الأندلسي / أبو العباس أحمد بن العربي بن سليمان الأندلسي الفاسي : ج 1 : 139 .
- أحمد بن سودة : ج 1 : 148 .
- أحمد بن العريف الصوفي : ج 1 : 272 .
- أحمد بن علي الريفي / الريفي : ج 2 : 6 - 12 .
- أحمد [بن علي الشريف]: ج 1 : 220 .
- أحمد بن محرز: ج 1 : 280 - 281 - 282 - 296 - 303 .
- أحمد بن محمد بن خالد البرقي : ج 1 : 130 .
- أحمد بن محمد بن عبد الله [المغراوي] ج 1 : 274 .
- أحمد بن محمد الخزاعي : ج 1 : 129 .
- أحمد بن محمد [الوطاسي] : ج 1 : 259 .
- أحمد بن المعتصم : ج 2 : 201 .

- أحمد بن موسى [الحاجب]: ج 2 : 152 - 207 - 216 - 217 - 221 - 223 - 231 - 240 - 253 .
- أحمد بن يحيى : ج 2 : 200 .
- أحمد بن يحيى البلاذري : ج 1 : 131 .
- أحمد بن يحيى العلمي [الشفشاوني] ج 1 : 213 .
- أحمد بونافع : ج 2 : 84 .
- أحمد التجاني : ج 2 : 110 .
- أحمد الحميدي : ج 1 : 298 .
- أحمد الذهبي [بن إسماعيل] : ج 1 : 185 - 321 - ج 2 : 5 - 6 .
- أحمد الشاوي : ج 2 : 103 .
- أحمد العبد : ج 2 : 110 .
- أحمد قدار التجيني : ج 2 : 110 .
- أحمد المنصور الذهبي / أبو العباس أحمد / المنصور السعدي : ج 1 : 262 - 263 - 297 - 298 - 300 - ج 2 : 9 - 203
- أحمد و موسى : ج 1 : 282 .
- الاحنف بن قيس / الأحنف : ج 2 : 124 - 202 .
- إدريس بن إدريس الأكبر / إدريس الثاني : ج 1 : 222 - 223 - 286 - 318 - 319 - ج 2 : 84 - 103 - 126 - 200 .
- إدريس بن عبد الله الكامل / إدريس : ج 1 : 221 - 222 - 225 - ج 2 : 174 - 190 - 218 .
- إدريس بن العلام البخاري : ج 2 : 221 .
- إدريس بن محمد بن أبي حفص بن عبد المومن/ الواثق أبو دبوس : ج 1 : 246 - 247 - 252 .
- إدريس [بن موسى] : ج 2 : 240 .
- إدريس بن يعيش : ج 2 : 254
- إدريس الجراري : ج 2 : 74 .
- أدويدة الدرعي : ج 2 : 226 .
- أرسطو : ج 2 : 149 .
- أزد شير : ج 2 : 123 .
- إسحاق [الاوربي] : ج 1 : 221 .
- إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ج 1 : 128 .
- إسحاق [المرابطي] : ج 1 : 234 .
- الإسكندر : ج 1 : 124 .
- أسماء بنت أبي بكر الصديق : ج 1 : 165 .
- إسماعيل [بن ابراهيم النبي]: ج 1 : 135 - 164 - 167 - 168 .
- إسماعيل (مولاي / أبو النصر إسماعيل بن الشريف/ السلطان: ج 1 : 170 - 208 - 276 - 279 - 280 - 281 - 286 - 287 - 288 - 292 - 295 - 296 - 297 - 303 - 305 - 306 - 309 - 310 - 311 - 313 - 316 - 317 - 323 - 328 - 329 - ج 2 : 6 - 11 - 14 - 27 - 82 - 86 - 90 - 122 - 168 - 198 - 218 .
- إسماعيل [بن الحسن] ج 2 : 107 .
- الأصمعي : ج 1 : 125 - 127 - 205 .
- أصمن : [الجنرال] ج 2 : 130 .
- الإفراني / اليفرني : ج 1 : 133 - 142 - 208 - 215 - 219 - 301 - ج 2 : 203 .
- افريقش : ج 1 : 270 - 275 .
- أكثم بن صيفي : ج 1 : 136 - 205 - ج 2 : 124 .
- الأكحل الخلوفي [المغراوي] ج 1 : 274 .

- الفنش / الأدفنش / أدفونش : ج 1 : 218- 232 - 252 .
- ألويس غرسية : ج 2 : 94 .
- أم أيمن : ج 1 : 165 .
- أمسلم العامري الوهراني : ج 2 : 69 .
- أمرؤ القيس : ج 1 : 175 .
- أم سلمة : ج 1 : 137 .
- أم الفضل : ج 1 : 165
- أمية بن أبي الصلت : ج 1 : 152 - 161
- الأمين بن عبد الرحمان : ج 2 : 228 .
- أنس بن مالك : ج 2 : 196 .
- أنو شروان : ج 2 : 123 - 176 - 179 - 203 .
- الأوزاعي : ج 1 : 174 .
- إياد بن معد : ج 1 : 166 .
- إياس : ج 2 : 45 - 202 .
- أيوب (النبي) : ج 1 : 166 - 167 .
- أيوب بن سعيد السارية : ج 1 : 272 .

ب

- الباجي / سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي : ج 2 : 147 .
- باديس : ج 1 : 271 .
- الباقلاني / أبو بكر بن الطيب الباقلاني : ج 1 : 145 - 149 .
- البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري : ج 1 : 136 - 151 - 165 - 172 - 174 .
- بختنصر : ج 1: 124 - 187 .
- البرنوسي : ج 1 : 326 .
- البرهان : ج 1 : 163 .
- بزر جمهر : ج 2 : 176 .
- البساطي : ج 1 : 274 .
- بطرس الأكبر : ج 2 : 257 - 258 .
- بكار بن إبراهيم المغراوي : ج 1 : 231 .
- بلال [الصحابي]: ج 1 : 165 .
- بلعام بن باعوراء : ج 1: 122 .
- بلغيث [مولاي] ج 2 : 213 .
- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي : ج 1 : 231 - 271 - ج 2 : 71
- بناصر غنام : ج 2 : 273 .
- بنت حاتم : ج 1 : 206 .
- بوشت بن البغدادي الجامعي : ج 2 : 194
- البوصيري : ج 2 : 10 - 201 .
- بوعزة الهبري / الهبري : ج 2 : 110 - 111 - 112 - 126 - 182 .
- البوني : ج 1 : 202 .
- البيضاوي : ج 2 : 96 .
- البيهقي : ج 1 : 275 .

ت

- تاسول : ج 2 : 122 .
- تاشفين بن علي / تاشفين : ج 1 : 226 - 234 .
- الترمذي : ج 1 : 152 .
- تقي الدين أحمد بن تيمية / ابن تيمية : ج 2 : 147 - 148 .
- توار : ج 1 : 226 .
- تورك [الصنهاجي]- ج 1 : 228 .
- تيم بن مرة : ج 1 : 205 .
- تيولوثان : ج 1 : 271 .

ث

- ثعلب : ج 1 : 175 .
- ثمود : ج 1 : 167 .
- الثوري : ج 1 : 174 .

ج

- جابر بن حرب : ج 1 : 176 .
- جابر بن حيان الصوفي / جابر : ج 2 : 145 - 146 - 148 - 152 - 153 .
- جابر بن سمرة : ج 1 : 152 - 176 .
- جالوت : ج 1 : 198 .
- جانا بن يحيي بن صولات : ج 1 : 273 - 275.
- الجامعي : ج 2 : 72 .
-جبريل: ج 1 :169 - 170
- جبير بن مطعم : ج 1 : 136 - 204 .
- جديمة الأبرش : ج 1 : 169 .
- الجرجاني : ج 1 : 138 - 275
- جعدة بنت الأشعت بن قيس الكندي : ج 2 : 106 .
- جعفر بن علي : ج 1 : 273 .
- جعفر الصادق : ج 2 : 146
- جعفر الكتاني : ج 1 : 149 .
- ا لجلالي الروكي السفياني : ج 2 : 98 .
- الجلدكي : ج 2 : 146 - 152 - 153 .
- الجلولي (القائد) : ج 2 : 230 .
- الجوشن : ج 1 : 239 .
- جوهر الرومي : ج 2 : 140 .
- الجوهري : ج 2 : 7 .

ح

- حاتم : ح 2 : 202
- حامد بن حمدان الهمداني : ح 1 : 225 .
- الحباسي : ح 2 : 190
- الحجاج / الحجاج بن يوسف : ج 1 : 155 - 288 - ج 2 : 183 .
- الحران : ج 1 : 282 .
- الحرقة بنت النعمان بن المنذر : ج 1 : 226 .

- الحريري : ج 2 : 8 .
- حسان / حسان بن ثابت : ج 1 : 154 - 165 - ج 2 - : 201
- حسان بن ربيعة : ج 1 : 205 .
- الحسن البصري : ج 1 : 288.
- الحسن بن الحسن المروزي : ج 1 : 161 .
- الحسن [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] : ج 2 : 107.
- الحسن / الحسن بن علي بن أبي طالب : ج 1 : 213 ج 2: 58 - 104 - 105 - 106 - 107
- الحسن [بن علي الشريف] : ج 1 : 220 .
- الحسن بن قاسم / الحسن الداخل / الحسن : ج 1 : 207 - 208 - 209 - 210 - 211 - 212 - 213 - 214 .
- الحسن بن كنون : ج 1 : 225 .
- الحسن بن محمد بن الحسن [العلوي] ج 1 : 214 .
- الحسن بن محمد بوستة : ج 1 : 289 .
- الحسن [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 33 .
- الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام / الحسن (مولاي) / السلطان : ج 1 : 120 - 184 - 323 - ج 2 : 79 - 104 - 107 - 109 - 111 - 112 - 114 - 123 - 125 - 129 - 130 - 132 - 142 - 159 - 165 - 166 - 167 - 169 - 177- 173 - 181 - 182 - 184 - 192 - 193 - 195 - 198 - 202 - 203 204 - 207 - 210 - 214 - 215 - 226 - 229 - 242 - 269 .
- الحسن الحجام / الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس : ج 1 : 190 - 224 - 225 .
- حسين باشا : ج 2 : 69 .
- الحسين [بن الحسن]: ج 2 : 107 .
- الحسين [بن علي الشريف] : ج 1 : 220 .
- الحسين [بن علي بن أبي طالب] : ج 1 : 189 - 213 .
- الحفيد [المولى] ج 1 : 285 .
- حليمة (زوجة علي الشريف) : ج 1 : 220
- حماد بن سلمة بن دينار : ج 1 : 174
- حماد الراوية : ج 1 : 127
- حمادي : ج 1 : 285 .
- حمودة باشا بن علي : ج 2 : 55 .
- حواء: ج 1 : 151 .
- حيدة الطويري : ج 1 : 280

خ

- خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان / خالد : ج 2 : 143 - 144 - 145 - 155 - 198 .
- خديجة : [زوجة الرسول]: ج 1 : 165 - ج 2 : 103 .
- الخرشي [الإمام] ج 1 : 307 .
- الخضر: ج 2 : 168 .
- الخضر غيلان : ج 1 : 283 .
- الخفاجي / شهاب الدين الخفاجي : ج 1 : 122 - 140 - 233 .
- خليل (الشيخ) : ج 1 : 272 .
- الخليل بن أحمد : ج 1: 149 - 150 .
- الخليل بن الهيثم : ج 1 128 .
- خير الدين حسن باشا: ج 2 : 71 .

د

- داود (النبي) : ج 1 : 138 - 166 - 167 - 169 - 270 -ج 2 : 38 .
- الدراع : ج 2 : 107 .
- الدريدي : ج 1 : 267 - 297 .
- الدسوقي : ج 2 : 206 .
- دعبل : ج 1 : 136 - 205 .
دغوغي: ج 1 : 198 .
- الديلمي : ج 1 : 159 .

ر

- راشد : ج 1 : 221 - 222 - ج 2 : 190 .
- الراشد [بن المسترشد] : ج 1 : 189 .
- راشد القرشي : ج 1 : 318 .
- الراضي [العباسي] ج 1 : 187 - 206 .
- الرياطي : ج 1 : 285 .
- الربيع [العباسي]: ج 1 : 186 .
- الربيع بن صبيح : ج 1 : 174 .
- الرخجي : ج 1 : 182 - 184 .
- الرشيد (مولاي) / الرشيد بن الشريف : ج 1 : 180 - 195 - 196 - 204 - 208 - 266 - 267 - 276 - 277 - 278 - 280 - 292 - 326 - 328 - ج 2 : 85 - 159 .
- الرشيد [العباسي] : ج 1 :222 - 327 .
- الرقاشي : ج 1 : 137 - 205 .
- رقية [زوجة السلطان الحسن] ج 2 : 216 .
- الرهاوي : ج 1 : 166 .
- ريحان [العبيدي] ج 1 : 225 .

ز

- الزبير [الصحابي] ج 2 : 61 .
- الزركشي : ج 1 : 168 .
- الزقاق : ج 1 : 262 .
- زكرياء (النبي) : ج 1 : 169
- الزمخشري : ج 1 : 164 - 171 .
- الزهري : ج 1 : 173 - 205 .
- زياد / زياد بن أبيه :ج 1 : 156 - ج 2 : 182 - 183 .
- زيدان [بن أحمد المنصور]: ج 1 : 264 .
- زيدان [بن إسماعيل] : ج 1 : 287 - 290 - 291 .
- زيدان بن عبد الملك العامري التونسي : ج 1 : 280 .
- زيدان القهرمانية : ج 1 : 187 .
- زيد بن حارثة : ج 1 : 165 .
- زيد [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] :ج 2 : 107 .
- الزيتوني : ج 1 : 287 .
- زيري بن مناد الصنهاجي : ج 1 : 273 - ج 2 : 72 .
- زين العابدين / زين العابدين بن إسماعيل : ج 2 : 5 - 7 .

س

- سابق البربري : ج 2 : 263 .
- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ج 1 : 238 .
- سبت بن يافت بن نوح : ج 2 : 121 .
- سحابة الرحمانية : ج 1 : 263 .
- سحبان بن وائل : ج 1 : 166 - 167 .
- السخاوي : ج 1 : 175 - 274 .
- السرقسطي : ج 2 : 100 .
- سرور (العلوي) : ج 2 : 172 - 191 - 215 .
- سرور (الشريف) : ج 2 : 31 .
- سعاد : ج 1 : 155 .
- سعد بن أبي وقاص / سعد : ج 1 : 123 - 226 - ج 2 : 61 - 262 .
- سعد بن زرارة : ج 1 : 170 .
- سعد [بن معاذ] :ج 1 : 123 .
- السعد التفتازاني : ج 1 : 166 .
- السعيدان: ج 1 : 205 .
- سعيد بن إبراهيم الجزائري : ج 2 : 70 .
- سعيد بن شريك : ج 2 : 181 .
- سعيد بن عروبة : ج 1 : 174 .
- السعيد بن موسى / السعيد : ج 2 : 220 - 240 - 246 .
- السعيد بن يزيد : ج 2 : 57 .
- السعيد الشغروشني / أسعيد : ج 2 : 111 - 112 .
- السفاح [العباسي]: ج 1 : 186 .
- سفيان بن عيينة : ج 1 : 161 .
- سفينة :ج 2 : 10
- سلطان العاشقين : [ابن الفارض] : ج 1 : 118 .
- سلمان الفارسي : ج 2 : 198 .
- سليم العثماني : ج 2 : 71 .
- سليمان (النبي): ج 1 : 138 - 158 - 169 - ج 2 : 108.
- سليمان بن اسماعيل: ج 2: 33 .
- سليمان / سليمان بن عبد الملك [الأموي]: 1 : 179 ج 2 : 60 - 65 .
- سليمان (مولاي)/سليمان بن محمد [السلطان]: ج 1: 323 - 329 - ج 2 : 21 - 37 - 39 - 41-43-44 - 46 - 48 - 49 - 50 - 51 - 53 - 55- 57 -61 - 66 - 67 - 68 - ج 2 : 174 - 188 .
- سليمان بن عبد القادر الزرهوني : ج 1 : 322 .
- سليمان بن وهب : ج 2 : 184 .
-سليمان [بن يزيد] ج 2 : 145 .
- سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب ابن وارث التجيبي ج 2 : 147 .
- سليمان الحوات : ج 2 : 32 .
- سليمان الشماخ : ج 1 : 222 .
- السنوسي : ج 1 : 272 .
- سهل بن هارون : ج 1 : 127 .

- السهيلي : ج 1 : 137 - 162 - 167 - 168 - 222 .
- سويد بن عما : ج 1 : 295 .
- سيبويه : ج 1 : 164 .
- سيف بن ذي يزن : ج 2 : 203
- السيوري : ج 1: 272 .
- السيوطي : ج 1 : 202

ش

- الشاذلي : ج 1 : 143 .
- الشافعي : ج 1 : 162 - 172 - 228 .
- شالخ بن سام بن نوح: ج 1 : 167 .
- الشريف (مولاي) : ج 1 : 180 - 192 - 194 - 195 - 196 - 200 - 206 - 207 - 208 .
- الشريف الغرناطي : ج 1 : 241 .
-الشريف [بن اسماعيل] ج 1: 286 .
- الشطيبي : ج 2 : 185 .
- الشعبي : ج 1 : 152 - 181 - 205 .
- شعيب (النبي) : ج 1: 167 .
- شقرون (الشيخ) : ج 1: 274 .
- شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري : ج 2 : 150 .
- شيبة الحمد عبد المطلب : ج 1 : 205 .
- شيت [بن آدم] : ج 2 : 154 .

ص

- الصادق محمد بن أمين التميمي : ج 2 : 146 .
- صالح (النبي) : ج 1 : 167 .
- الصفار / أبو عبد الله الصفار : ج 2 : 86 - 126 .
- الصفدي : ج 2: 141 - 146 - 149 - 155 .
- صفية : ج 2 : 51 .
- صهيب : ج 2 : 10 .
- الصولي : ج 2 : 201 .

ط

- طارق [بن زياد] ج 1 : 178 .
- الطاهر البلغيثي : ج 2: 221 - 243 .
- طاهرة (زوجة علي الشريف) : ج 1 : 220
-الطبراني]: ج 1: 158 .
- الطبري / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : ج 1 : 124 - 131 - 136 - 275 .
- الطرطوشي : ج 2 : 124 - 181 .
- الطغرائي / أبو إسماعيل الحسن بن علي/ مؤيد الدين : ج 2 : 146 - 155 .
- طلحة [صحابي] ج 2 : 61 .
- طماس لخليس بردجي : ج 2 : 94 .
- الطيب [بن علي الشريف] : ج 1 : 220 .
- الطيب [بن محمد بن عبد القادر الفاسي] : ج 1 : 139 .
- الطيب [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 49 .
- الطيب الكندافي / الكندافي : 254 .

ع

- عائشة : ج 1 : 154 - 156 - ج 2 : 104 .
- عاصم بن ثابت : ج 2 : 198 .
- عامر [المريني] : ج 1 : 253 .
- عامر بن الضريب : ج 1 : 170 .
- عامر بن الطفيل : ج 1 : 206 .
- عبادة بن الصامت : ج 1: 289 .
- العباس [الصحابي]: ج 1 : 165 .
- العباس / العباس بن عبد الرحمان : ج 2 : 92 - 94 .
- العباس بن بختي المغراوي : ج 1 : 231 .
- العباس بن الحسن [العباسي] ج 1 : 187 .
- العباس [بن محمد الشيخ السعدي] : ج 1 : 265 .
- عبد الباقي الزرقاني : ج 2 : 43 .
- عبد الحق [المريني] : ج 1 : 258 .
- عبد الحق / عبد الحق بن محيو : ج 1 : 249 - 250 - 251 .
- عبد الحق بن أبي سعيد المريني : ج 1 : 202 .
- عبد الخالق عديل : ج 2 : 13 .
- عبد الرحمان [بن إسماعيل] : ج 1 : 286 .
- عبد الرحمان [بن الحسن بن علي بن أبي طالب]: ج 2 : 107
- عبد الرحمان [بن علي الشريف] : ج 1 : 220 .
- عبد الرحمان بن سليمان : ج 2 : 99 .
- عبد الرحمان بن عوف : ج 2 : 61 .
- عبد الرحمان أبو بركات: ج 1 : 214 .
- عبد الرحمان بن هشام/عبد الرحمان (مولاي) : ج 1: 323 - ج 2 : 51 - 57 - 58 - 60 - 61 - 65 - 66 - 67 - 72 - 73 - 74 - 74 - 75 - 77 - 79 - 81 - 82 - 85 - 88 - 91 - 99 - 180 - 232 - 233 .
- عبد الرحمان الداخل : ج 1 : 229 - 271 .
- عبد الرحمان المجدوب : ج 1 : 314 .
- عبد الرحمان الناصر الأموي : ج 2 : 122 .
- عبد السلام الأمراني / الأمراني : ج 2 : 267 - 270 .
- عبد السلام بن سيدي العربي: ج 2 : 267 .
- عبد السلام بن الشقرة الزمراني : ج 2 : 253 - 254 - 274 .
- عبد السلام بن محمد : ج 1 : 185 .
- عبد السلام [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 31 - 33 51 .
- عبد السلام بن مشيش : ج 1 : 142 - ج 2 : 31 - 186 .
- عبد السلام موخ التازي الرباطي : ج 2 : 225 - 245 .
- عبد العزيز (مولاي) / السلطان : ج 2 : 213 - 217 - 219 - 223 - 225 - 226 - 231 - 240 - 267 - 269 - 270 .
- عبد العزيز بن سعيد : ج 1 : 264 .
- عبد العزيز [بن موسى بن نصير] :ج 1 : 179 .
- عبد القادر / عبد القادر بن محي الدين [الجزائري] ج 2: 68 - 69 76 - 77 - 79 - 82 - 96 - 222 .
- عبد القادر بن أحمد المحروقي : ج 2 : 125 .

- عبد القادر بن الشريف الفليتي : ج 2 : 52 - 53 - 54 .
- عبد الكبير السرغيني: ج 2 : 13 .
- عبد الكريم أبريشة التطاوني : ج 2 : 221 .
- عبد الكريم بن أبي بكر الشباني الحريزي : ج 1 : 193 - 265 .
- عبد الكريم بن سليمان / ابن سليمان : ج 2 : 221 - 245 - 247 - 248 - 255 - 268 .
- عبد الكريم بن عبد ا لسلام بن عودة الحارثي السفياني : ج 2 : 98 .
- عبد الله [ابن مولاي اسماعيل] ج 1 : 185 - ج 2 : 5 - 6 - 7 - 8 - 9 - 11 - 12 - 13 - 14 - 16 - 17 - 19 - 103 .
- عبد الله بن بلقين بن بادس : ج 1 : 232 .
- عبد الله بن الحاج: ج 2 : 96 .
- عبد الله [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] : ج 2 : 107 .
- عبد الله بن رواحة : ج 1 : 153 .
- عبد الله بن الشيخ : ج 1 : 262 - 264 .
- عبد الله بن صرح : ج 1 : 273 .
- عبد الله بن عائشة : ج 1 : 128 .
- عبد الله بن عباس : ج 1 : 167 .
- عبد الله بن عمر : ج 1 : 176 .
- عبد الله بن محمد بن محفوظ الأنصاري : ج 1 : 129 .
- عبد الله بن مروان : ج 1 : 179 .
- عبد الله بن المقفع : ج 1 : 127 .
- عبد الله بن المنصور / العادل : ج 1 : 245 .
- عبد الله بن ياسين : ج 1 : 228 .
- عبد ا لله بن يزيد بن معاوية/ عبد الله . ج 2 : 145 .
- عبد الله الروسي : 316 .
- عبد الله الزكي : ج 1 : 272 .
- عبد الله الغالب السعدي : ج 2 : 123 .
- عبد الله النفزي : ج 1 : 203 .
- عبد المطلب : ج 1 : 170 .
- عبد ا لملك/ أبو مروان عبد الملك : ج 1 : 262 - 263 .
- عبد الملك بن إدريس : ج 2 : 50 - 51 .
- عبد الملك [بن إسماعيل] : ج 1 : 185 - 286 - ج 2 : 5 - 6 .
- عبد الملك [بن زيدان السعدي] : ج 1 : 191 - 264 .
- عبد الملك بن مروان / عبد الملك : ج 1 : 155 - 327 - ج 2 : 61 - 145 - 183 .
- عبد الملك [بن موسى بن نصير] :ج 1 : 178 .
- عبد الملك بن هلال : ج 1 : 327 .
- عبد المومن / عبد المومن بن علي الكومي ج 1 : : 234 - 238 - 242 - 247 - 249 ج 2 : 9 .
- عبد المومن [السعدي] : ج 1 : 262 .
- عبد الهادي [الفقيه] ج 2 : 72 .
- عبد الواحد بن أحمد الونشريسي : ج 1 : 262
- عبد الواحد بن أبي يعقوب : ج 1 : 245 .
- عبد الواحد [بن علي الشريف] : ج 1 : 220 .
- عبد الواحد بن المواز : ج 1 : 148 .

- عبيد الله بن خرداذبة: ج 1 : 130
- عتبة بن ربيعة : ج 2 : 145 .
- عثمان [بن عفان] : ج 1 : 152 - 164 - 273 - ج 2 : 10 - 61 - 145 .
- عثمان باشا : ج 1 : 199 .
- عثمان بن سعيد : ج 1 : 181 - 182 .
- عثمان [بن عبد الحق المريني] : ج 1 : 250 - 251 .
- عجيسة [بن زيري] ج 1 : 231 .
- عدنان / عدنان بن أدد بن زيد بن البرا : ج 1 : 135 - 137 - ج 2 : 206
- العراقي [الحافظ]: ج 1 : 122 .
- العربي بن أحمد الفاسي : ج 1: 319 .
- العربي بن عبد العزيز الفلالي : ج 1 : 284 .
- العربي بن المختار الجامعي : ج 2 : 99 .
- العربي الدرقاوي: ج 2 : 70 - 185 .
- العربي المنيعي : ج 2 : 233 .
- عرفة / عرفة بن محمد [المولى] ج 2 : 214 - 227 - 243 .
- عقبة بن نافع / الفهري : ج 1 : 269 - 304 - ج 2 : 9 .
- عقيل بن أبي طالب : ج 1 : 136 - 204 .
- عقيل [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] : ج 2: 107 .
- عكرمة : ج 1 : 205 .
- العلمي (الشريف) : ج 1 : 289 .
- علي / علي بن أبي طالب : ج 1 : 152 - 165 - 170 - 200 - 249 - 273 - 277 - 288 - 289 - ج 2 : 10 - 47 - 61 - 104 - 105 - 123 - 165 - 177 .
- علي أبو الشفرة : ج 1 : 296 - 297 .
- علي بادي : ج 1 : 202 .
- علي بن أبي بكر : ج 1 : 262 .
- علي بن ادريس[الثاني] ج 1: 224 .
- علي [بن إسماعيل] : ج 2 : 5 - 6 .
- علي بن حرزهم الاموي : ج 1 : 276 - ج 2 : 200 .
- علي بن سليمان [المولى]: ج 2 : 57 - 74 - 75 .
- علي بن عبد الله : ج 2 : 31 .
- علي بن عبد الله الريفي : ج 1 : 298 - 317 - 325 - 326 .
- علي بن عيسى : ج 1 : 187 .
- علي بن مجاهد: ج 1 : 130.
- علي [بن محمد المولى] : ج 1 : 193 - ج 2 : 86 .
- علي بن محمد المدائني : ج 1 : 128 .
- علي بن محمد [الكاتب] ج 2: 122 .
-علي [بن موسى بن أبي العافية] ج 1 : 226 .
- علي بن يحيى المرغادي : ج 2 : 212 .
- علي بن يشي : ج 1 : 294 - 295 - 316 .
- علي بن يوسف [المرابطي] : ج 1 : 233 - 234 - 236 - 238 - ج 2 : 65
- علي السجلماسي الحسني [العلوي] : ج 1 : 207
- علي الشريف (مولاي) : ج 1 : 177 - 214 - 215 - 218 - 219 - ج 2 : 37 - 213
- علي العدوي : ج 2 : 147 .

- علي السوسي (آغة) : ج 2 : 267 - 270 .
- علي [بن علي الشريف] ج 1 : 220 .
- عليلش / عمر عليلش المراكشي / محمد بن قاسم عليلش : ج 1 : 297 - 298 - 299 - 300 .
- علي الكراوي [سيدي] ج 2 : 203 .
- علي المسفيوي : ج 2 : 207 - 225 .
- علي وبركة : ج 1 : 293 - 294 .
- عمر/ عمر بن الخطاب : ج 1 : 124 - 137 - 152 - 154 - 155 - 164 - 204 - 211 - ج 2 : 10 - 58 - 60 - 61 - 65 - 96 - 262 - 263 .
- عمر بن أبي إبراهيم بن أبي يعقوب / المرتضى : ج 1 : 246 - 251 .
- عمر بن أبي سعيد [المريني] ج 1 : 254 .
- عمر [بن الحسن العلوي] : ج 2 : 215
- عمر بن عبد العزيز : ج 1 : 173 - ج 2 : 60 - 65 - 123 - 208 .
- عمر [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 33 .
- عمرو بن إسحاق : ج 2 : 106 .
- عمرو بن حد الريفي البطيوي : ج 1 : 302 - 303 - 305 .
- عمرو بن الشريد : ج 1 : 152 .
- عمرو بن معد : ج 2 : 202 .
- عمرو بن عامر الخزاعي : ج 1 : 169 .
- عمرو بن العاص : ج 2 : 179 .
- عمر الحصيني: ج 1 : 289 .
- عمرو بن مسعدة : ج 1 : 182 .
- عمرو أبو الصلت: ج 1 : 164 .
- عوف : ج 1 : 205 .
- العياشي الزراري : ج 1: 320 .
- عيسى (النبي) : ج 1 : 169 - 230 - 240 - ج 2 : 249 .
- عيسى بن عمر العبدي : ج 2 : 254 .

غ

- الغالي بن المكي بن أحمد بن سليمان / الناظم : ج 1: 139 - 141 - 159 - 160 - 161 - 165 - 177 - 181 - 181 - 185 - 186 - 188 - 266 - 268 - 277 - 278 - 300 - 303 - 312 - 326 - 328 - ج 2: 5 - 7 - 37 - 47 - 67 .
- الغرناطي: ج 1 : 282 .
- الغزالي / أبو حامد الغزالي : ج 1 : 233 - 236 - ج 2 : 17 .

ف

- الفاسي / أبو زيد عبد الرحمان الفاسي : ج 1 : 227 - 234 - 247 - 248 - 258 .
- فاطمة بنت أسد : ج 1 : 170
- فاطمة بنت رسول الله / فاطمة الزهراء : ج 1 : 208 - 213 - 249 - ج 2 : 104 .
- فاطمة بنت سليمان بن إسماعيل : ج 2 : 33 .
- فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني : 2 :1 : 224 .
- الفتح بن خاقان : ج 1 : 130 .
- الفتوح [بن زيري] . ج 1 : 231 .

- فخر الدين الرازي / الفخر : ج 2 : 148 - 149 - 156 - 195 .
- الفراء : ج 1 : 149 .
- الفرزدق : ج 1 : 169 .
- فرعون : ج 1 : 169 .
- فرقيش بن قيس بن صيفي : ج 1 : 270 .
- فضالة بن عبيد : ج 1 : 160 .
- الفضل بن الربيع : ج 1 : 327 .
- الفضل بن سهل : ج 2 : 177 .
- فليان بن غمارة بن مصمود : ج 2 : 121 .

ق

- قابيل : ج 1 : 150 .
- القادر بالله بن المقتدر : ج 1 : 328 .
- قارون : ج 2 : 155 .
- القاسم [بن محمد من ذرية علي بن أبي طالب] ج 1: 212 - 260 .
- القاسم [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] : ج 2 : 107 .
- القاسم بن الربيع : ج 1: 327 .
- القاسم بن محمد [بن العافية] ج 1 : 226 .
- القاسم بن موسى : [بن أبي العافية] ج 1 : 226 .
- القاضي عياض : ج 1 : 272 - ج 2 : 121 - 147 .
- القاهر / القاهر بن المعتضد : ج 1 : 187 - 190 .
- قحطان / قحطان بن شالخ بن نوح : ج 1 : 167 - 168 .
- قدور بن الغازي : ج 2 : 254 .
- القرافي : ج 1 : 272 .
- القرطبي : ج 1 : 163 .
- القزويني : ج 1 : 146 .
- قس بن ساعدة : ج 1 : 170 .
- قس بن سعادة الايادي : ج 1 : 166
- قيس بن غيلان بن مضر: ج 1 : 238 - 249 .
- القسطلاني : ج 1 : 164 .
- قصي بن كلاب : ج 1 : 205 .
- قويسم : ج 1 : 187 .
- قيس بن عامر التميمي : ج 1 : 169 .
- قيصر : ج 1 : 170 .

ك

- كافور الاخشيدي : ج 2 : 224
- كاليب : ج 1 : 270 .
- الكبير بن عبد الرحمان بن سليمان : ج 2 : 110 - 112
- كروم الحاج : ج 1 : 296 .
- كسرى : ج 1 : 179 .
- كسيلة : ج 1 : 269 .
- كعب بن زهير : ج 1 : 143 - 155 .
- كعب بن لؤي / كعب : ج 1 : 166 - 167 - 170 .

- كلدرن كويانطس : ج 2 : 94 .
- الكمال الدميري : ج 2 : 155 .
- الكندي : ج 2 : 202 .
- الكنسوس / أبو عبد الله أكنسوس : ج 1 : 134 - ج 2 : 83 - 89 .

ل

- لبيد : ج 2 : 120 .
- لمتون الصنهاجي : ج 1 : 228 .
- لوط (النبي) : ج 1 : 169 .

م

- ماخوخ الزناتي : ج 1 : 249 .
- مارية القبطية : ج 2 : 155 .
- مازغ بن كنعان بن حام بن نوح / مازغ: ج 1 : 270 - 275 .
- ماكلين: ج 1 : 218 - 232
- مالك / مالك بن أنس : ج 1 : 135 - 146 - 174 - ج 2 : 45 .
- مالك بن الحارث : ج 1 : 161 .
- مالك بن المرحل : ج 2 : 122 .
- مالك بن وهيب : ج 1 : 238 .
- مالك وبوسفرة : ج 1 : 287 .
- محرز: ج 1 : 285 .
- محمد باشا : ج 2 : 51 .
- المأمون بن الشريف : ج 2 : 79 .
- المأمون [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 33 .
- المأمون [العباسي] : ج 1 : 327 - ج 2 : 177 .
- المأمون الكبير : ج 1 : 321 .
- مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني / بن الطاهر : ج 2 : 226 - 227
- مبارك الحفصي : ج 1 : 287 .
- مجنون ليلى : ج 1 : 119 .
- محرز بن خلف : ج 1 : 271 .
- محمد (مولاي) / محمد بن الشريف : ج 1 : 180 - 192 - 193 - 194 - 195 - 196 - 199 - 200 - 203 - 204 - 205 - 208 - 266 - 267 - 292 .
- محمد الأمراني : ج 2 : 228 - 278 .
- محمد البرقي بن خالد الرقي الكاتب : ج 1 : 129 .
- محمد بن أبي جمعة : [المغراوي] ج 1 : 274 .
- محمد بن أبي زيان القندوسي : ج 2 : 54 .
- محمد بن أبي بكر بن محمد بن سعيد بن عمر بن سيد الوجاري الزموري (الدلائي): ج 1: 197 .
- محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد التلمساني : ج 1 : 240 .
- محمد [بن إدريس الثاني] : ج 1 : 223 .
- محمد بن إسحاق/ ابن إسحاق : ج 1 : 126 - 136 - 153 - ج 2 : 105 .
- محمد [بن إسماعيل] : ج 1 : 285 - 286 - 287 - 288 - 289 - 290 - 295 - ج 2 : 5 .
- محمد بن الأشقر : ج 1 : 318 .

- محمد بن البشير بن مسعود : ج 2 : 126 - 129 - 139 .
- محمد بن تومرت / المهدي بن تومرت / المهدي : ج 1 : 233
- محمد بن الحارث : ج 1 : 130 .
- محمد بن الحسن [الداخل] : ج 1 : 214 .
- محمد بن الحسن [العلوي] : ج 2 : 215 - 218 - 219 - 226 - 242 .
- محمد بن الحسن الحفصي : ج 2 : 71 .
- محمد [بن الحسن بن علي بن أبي طالب] : ج 2 : 107 .
- محمد بن خرز المغراوي : ج 1 : 222 .
- محمد بن الخير المغراوي : ج 1 : 273 .
- محمد بن زكريا الغلابي البصري : ج 1 : 129 .
- محمد بن سعيد : ج 1 : 269 .
- محمد بن سليمان الحسني: ج 2 : 122 .
- محمد بن سليمان الجوهري : ج 1 : 129 .
- محمد بن سليمان : ج 2 : 229 .
- محمد بن صالح : ج 1 : 130 .
- محمد بن عباد المهلبي : ج 1 : 327 .
- محمد بن عبد الرحمان (مولاي) السلطان : ج 1 : 323 - 329 - ج 2 : 79 - 80 - 81 - 91 - 94 - 97 - 109 .
- محمد بن عبد السلام الخمسي (زيطان) : ج 2 : 50 .
- محمد بن عبد القادر الفاسي : ج 1 : 139 - ج 2 : 43 - 44 .
- محمد بن عبد الله / صلى الله عليه وسلم / رسول الله صلى الله عليه وسلم / النبي: ج 1 : 117 - 122 - 124 - 131 - 137 - 138 - 142 - 151 - 152 - 153 - 154 - 155 - 158 - 160 - 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 166 - 167 - 170 - 171 - 175 - 176 - 200 - 205 - 206 - 208 - 213 - 274 - 288 - 289 - 297 - 300 - 304 - ج 2 : 5 - 9 - 47 - 58 - 74 - 104 - 107 - 123 - 151 - 196 - 198 - 201 - 203 .
- محمد بن عبد الله (مولاي) / السلطان : ج 1 : 322 - ج 2 : 13 - 14 - 16 - 19 - 22 - 29 - 34 - 39 - 44 - 48 - 79 - 85 - 217 .
- محمد بن عبد الله الزبيدي : ج 1 : 187 .
- محمد بن عبد الله العتبي : ج 1 : 127 .
- محمد بن عبد الله [السعدي] / محمد : ج 1 : 263 .
- محمد ن عبد الله [ابن أبي العافية] ج 1 : 226 .
- محمد بن عبد الملك الجبلي : ج 2 : 94 .
- محمد بن عطية : ج 1 : 297 .
- محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوطي : ج 1 : 258 .
- محمد بن علي الحضري المزغنائي : ج 1 : 203 .
- محمد [بن علي الشريف] : ج 1 : 219 - 220 .
- محمد بن علي الوراينى الزرودي - ج 2 : 111 .
- محمد بن العياشي : ج 1 : 298 .
- محمد بن قدور الريابي البوزياني : ج 2 : 111 - 112 .
- محمد بن مبارك : ج 1 : 198 .
- محمد بن المدني بنيس : ج 2 : 103 - 125 - 194 .
- محمد بن المدني جنون / محمد جنون : ج 1 : 145

- محمد بن مرزق [الولي] ج 2 : 189 .
- محمد [بن محمد الشيخ الوطاسي] ج 1 : 259
- محمد [بن المولى محمد] ج 1 : 204 .
- محمد بن محمد الجباص : ج 2 : 255 - 268 .
- محمد بن موسى : ج 2 : 229 .
- محمد [ابن المولى اسماعيل] - ج 2 : 5
- محمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني : ج 1 : 128 .
- محمد بن يزيد المبرد الأزدي : ج 1 : 129 .
- محمد بن يعقوب الناصر الله [الموحدي]: ج 1 : 243 - 249 .
- محمد الحراق : ج 1 : 143
- محمد الخراز : ج 1 : 214 .
- محمد الخطيب التطاوني : ج 2 : 94 .
- محمد الشيخ التازي الفاسي / الشيخ التازي : ج 2 : 245 - 254 .
- محمد الشيخ [السعدي] : ج 1 : 191 - 259 - 306 - 313 .
- محمد [الشيخ السعدي] / أبو عبد الله المهدي : ج 1 : 261 - 262 - 297 .
- محمد [الشيخ المأمون السعدي] : ج 1 : 265 .
- محمد الصغير / محمد الصغير بن العربي الجامعي : ج 2 : 207 - 218 - 220 .
- محمد الطريس : ج 2 : 255 - 273 .
- محمد القندوز : ج 2 : 54 .
- محمد الكداري : ج 2 : 254 .
- محمد المرتضى المصري : ج 2 : 34 .
- محمد المفضل غريط/ غريط : ج 2 : 207 - 221 - 227 - 245 - 246 - 247 - 252 - 253 .
- محمد الناصر [الموحدي] ج 1 : 243 .
- محمد النفس الزكية : ج 1 : 213 - 221 - 260 .
- محمود [رئيس حميان] ج 1 : 199 - 201 .
- محمود [العثماني] : ج 2 : 70 .
- محي الدين الإدريسي المختاري : ج 2 : 75 .
- محي الدين بن عربي الحاتمي : ج 2 : 77 .
- المختار بن عبد الله بن أحمد / المختار الجامعي. ج 2 : 206 - 243 - 244 - 245 - 246 - 247 - 253 .
- المختار الجامعي : ج 2 : 240 .
- مخيس بن عما : ج 1 : 295 .
- مراد العثماني : ج 1 : 263
- مرتينس كانبوص : ج 2 : 215 .
- مركايو / الجنرال : ج 2 : 222 .
- مروان الجعدي: ج 2 : 124 .
- مريانس الراهب : ج 2 : 144 - 155 .
- مريم إبنة عمران: ج 1 : 138 .
- المزدلف : ج 1 : 205 .
- المساور بن هند : ج 1 : 155 .
- مساهل : [الباشا] ج 1 : 294 .
- المسترشد بن القائم بن القادر العباسي / المسترشد : ج 1 : 237 .
- المستضيء [بن إسماعيل] : ج 1 : 5 - 6 - 9 - 12

- المستنصر العبيدي: ج 1 : 328 .
- المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله : ج 2 : 58 .
- المستنصر [الأموي الأندلسي]: ج 1 : 273 .
- المستنصر يوسف بن الناصر لدين الله محمد بن يعقوب : ج 1 : 244 - 248 .
- مسروف بن أبرهة : ج 2 : 203 - 204 .
- مسلم : ج 1 : 152 - 159 .
- مسلم بن الوليد : ج 2 : 107 .
- مسلمة (المولى) : ج 2: 33 - 37 .
- مسلمة بن أحمد المجريطي / المجريطي : ج 2 : 146 - 152 .
- مسلمة [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 33 - 49 - 50 .
- المسعودي : ج 1 : 275 .
- مسوف [الصنهاجي]: ج 1 : 228 .
- مصالة بن حبوس المكناسي : ج 1 : 301 .
- مصطفى بوكبوس [الباي] ج 2: 52 .
- مصعب بن عمير : ج 1 : 170 .
- مصعب بن ناجية : ج 1 : 169 .
- معاذ بن جبل : ج 2 : 10 .
- معاوية بن أبي سفيان / معاوية : ج 1 : 123 - 155 - 156 - 167 - 176 - 327 - ج 2 : 58 - 106 - 108 - 124 - 144 - 165 - 179 - 180 - 182 .
- المعتصم بن صماح : ج 1 : 232 .
- المعتصم [العباسي] : ج 1 : 182 - 272 .
- المعتمد بن عباد : ج 1 : 232 .
- المعتمد بن المتوكل : ج 1 : 190 - 327 .
- المعطي بن العربي بن المختار الجامعي / المعطي : ج 2 : 206 - 218 .
- المعز [بن باديس] : ج 1 : 271 - ج 2 : 147 .
- المعز لدين الله : ج 2 : 140 .
- المعين [بن أبي العافية]: ج 1 : 226 .
- المغيرة : ج 2 : 61 .
- المغيلي : ج 1 : 133 .
- المقتدر [العباسي] : ج 1 : 186 - 187 - 272 - 327 .
- المقداد بن الأسود : ج 2 : 110 .
- المقري : ج 1 : 131 .
- المقنع : ج 1 : 267 .
- المكتفي بالله : ج 1 : 129 .
المنتصر [العباسي]: ج : 190 .
- المنتصر يوسف الناصر : ج 1 : 191 .
- المنصور بن أبي عامر : ج 2 : 224 .
- المنصور [بن بلكين] : ج 1 : 271 .
- منصور بن الرامي : ج 1 : 285 - 320 .
- المنصور [العباسي]: ج 1 : 186 - 327 - ج 2 : 156 .
- منهال بن موسى [بن أبي العافية] ج 1 : 225 .
- المنور [آل سيدي الشيخ] : ج 2 : 99 .
- المواق : ج 1 : 215

- موسى بن أبي العافية / ابن أبي العافية : ج 1 : 190 - 225 - 226 - ج 2 : 122 .
- موسى (النبي) : ج 2 : 249 .
- موسى بن أحمد : ج 2 : 109 - 195 - 240 .
- موسى بن زيان : ج 1 : 253 .
- موسى بن نصير: ج 1 : 178 - 179 .
- موسى بن يوسف : ج 1 : 283 .
- مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي / الطغرائي. ج 2 : 148 - 152 .
- المهدي بن تومرت: ج 1: 191 - 234 - 235 - 236 - 237 - 238 - 239 - 245 - 247 - 272 .
- المهدي بن الحاج : ج 1 : 147 .
- المهدي بن العربي المنبهي / المنبهي : ج 2 : 243 - 246 - 247 - 248 - 253
- المهدي الشيعي : ج 1 : 301 .
- المهلب : ج 1 : 169 - ج 2 : 45 .

ن

- النابغة / نابغة ذبيان : ج 2 : 17 - 45 .
- نابليون الأول : ج 2 : 258 .
- نابليون الثالث : ج 2 : 77 .
- ناصر الدين : ج 2 : 151
- نجم الدين بن البغدادي : ج 2: 148 .
- النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد المناف / النضر : ج 1 : 153 - 154 .
- النضر بن شميل : ج 1 : 128 .
- نوح (النبي) : ج 1 : 123 - 138 - 167 .
- النووي : ج 1 : 162
- نيكولا الأول : ج 2 : 258 .

هـ

- هابيل : ج 1 : 150 .
- هاجر : ج 1 : 168 .
- هاريس : ج 2 : 273 .
- هاشم : ج 1 : 205 .
- هرقل : ج 1 : 170 - 271 - - ج 2 : 17 .
- هرمس الحكيم : ج 2 : 154 .
- هشام [بن عبد الملك] : ج 1 : 327 .
- هشام [بن محمد بن عبد الله] : ج 2 : 33 - 37 - 39 .
- هود (النبي) : ج 1 : 167 .
- الهيثم بن عدي الطائي : ج 1 : 127 .

و

- واثلة بن الأسقع : ج 1 : 164 .
- وازمار بن صقلاب : ج 1 : 273 .
- واضح بن عثمان [المغراوي] ج 1 : 274 .
- الواقدي : ج 1 : 126 .

- ورقة بن نوفل : ج 1 : 165 .
- ولد رمضان الوجدي : ج 2 : 126 - 129 .
- الوليد / الوليد بن عبد الملك : ج 1 : 179 - ج 2: 58 - 61 - 145 .
- الوليد بن زيدان [السعدي] : ج 1 : 264 - 265 .
- الوليد [بن يزيد بن عبد الملك الأموي] : ج 1 : 189 .
- وهب بن منبه : ج 1 : 126 .
- وهرز : ج 2 : 203 - 204 .

ي

- يتلوثان : ج 1 : 229 .
- يحي (النبي) : ج 1 : 169 .
- يحي أعراص : ج 1 : 281 .
- يحي [بن إبراهيم الكدالي] : ج 1 : 228 .
- يحي بن تميم الصنهاجي : ج 2: 155 - 156 .
- يحي بن عاصم : ج 1 : 132 - ج 2: 95 .
- يحي بن علال العمري : ج 2: 200 .
- يحي بن عمر / يحي بن عمر بن إبراهيم أمير الحق : ج 1 : 228 - 229 - 234 .
- يحي بن الناصر : ج 1 : 245 .
- يحي الحفيد [الإدريسي] : ج 1 : 224 .
- يخلف (القائد) : ج 1 : 284 .
- يزيد بن محمد بن عبد الله / اليزيد : ج 2: 31 - 33 - 34 - 37 - 39 - 65 - 122
- اليزيد [بن معاوية] : ج 1 : 189 .
- يزيد بن المهلب : ج 1 : 179 .
- اليزيدي : ج 1: 127 .
- يسكوم : ج 2: 203 .
- يعرب بن قحطان : ج 1 : 166 - 167 - 168 .
- يعقوب (النبي) : ج 1 : 166 - 167 .
- يعقوب بن عبد الحق [المريني] ج 1: 209 - 255 .
- يعقوب الكندي : ج 2: 147 - 148 .
- يعقوب [وزير الهبري] ج 2: 112 .
- يعقوب المنصور [الموحدي] ج 1: 239 - 240 - 241 - 242 - 243 - 248
- يغمراسن بن زيان : ج 1: 246 - 252 .
- يفرن : ج 1 : 273 .
- يملين بن مسوف بن زاكين : ج 1: 273 .
- يوسف (النبي) : ج 1 : 168 .
- يوسف بن باديس : ج 1: 243 .
- يوسف بن تاشفين / يوسف : ج 1: 229 - 230 - 231 - 232 - 233 - 234 - 235 - 321
- يوسف بن عبد الرحمان : ج 1: 269 .
- يوسف [بن يعقوب المنصور المريني] : ج 1: 242 - 253 .
- يوسف بن يعمر اللمتوني : ج 1: 231 .
- يوسف المديني : ج 2: 78 .
- يوشع (النبي) : ج 1: 270 .

فهرس الجماعات

أ

- آل حماد : ج 1 : 239 .
- آل مصطفى: ج 1 : 212 .
- آل هاشم : ج 1 : 164 .
- آل سيدي الشيخ : ج 2: 99
- آل عثمان الترك: ج 2 : 256 .
- آيت إدراسن : ج 1: 294
- آيت أمالوا : ج 1: 294 .
- آيت باعمران : ج 2: 162 .
- آيت حديدو : ج 2: 212 .
- آيت داود: ج 2 : 173 .
- آيت زينب: ج 1: 303 .
- آيت شخمان : ج 2: 167 - 172 - 191 - 215 .
- آيت عطة : ج 1: 283 - ج 2: 213 .
-آيت عيسى: ج 2: 173 .
- آيت مرغاد : ج 2 : 212 - 213 .
- آيت المقداد : ج 1: 285 .
-آيت ومالو: ج 2: 167 .
- آيت يسرى : ج 1 : 285 - 294 - ج 2: 167 .
- آيت يمور : ج 1: 285 - 284 - ج 2: 50 .
- آيت يوسي : ج 2: 125 - 211 .
- الأتراك / الترك : ج 1: 199 - 200 - 243 - 245 - 262 - 272 - 285 - 292 - 295 - 316 - 320 - ج 2: 21 - 51 - 52 - 53 - 54 - 55 - 69 - 70 - 71- 72 - 75 - 123 - 224 - 257 .
- أتراك أسيوط : ج 1 : 203 .
- الأحرار: ج 1: 297 .
- الأحلاف : ج 1: 199 - 293 - ج 2: 33 .
- الأدارسة : ج 1: 208 .
- أرغيوة ج 2: 269 .
- الأسترياك : ج 2 : 269
- الأشراف / الشرفاء: ج 1: 211 - 212 - 260 - 264 - 265 - 278 - 302 - 304 - ج 2: 11 - 27 - 49 - 68 - 72 - 79 - 114 - 178 - 186
- 192 - 213 - 233 - 240 - 270
- الأشراف البلغثيون : ج 1: 220 .
- الأشراف السعديون : ج 2: 9 .
- أشراف الحجاز: ج 2: 31 .
- الإصبانيون / الإصبنيول: ج 1 : 295 - 304 - 305 - 307 - 313 - ج 2: 22 - 23 - 29 - 33-70 - 71 - 92 - 93 - 94 - 95 - 121- 160 - 214 - 215- 267 .
- الأعراب: ج 1: 201- 203 -284- 292 - 295- 327 - ج 2: 81 - 251 .

- الأعشاش: ج 2: 228 .
- الأغواط : ج 1 : 199 .
- الإفرنج / الفرنج : ج 2: 92 - 95 - 118 - 249 - 269 .
- الأكاسرة : ج 1: 124 - 186 - ج 2: 108 .
- الألمان: ج 2: 252 - 269
- الأمة المحمدية : ج 1: 117 - ج 2: 202 .
- الإنجليز: ج 1: 304 - ج 2: 202 - 203 - 226 - 230 - 247 - 248 - 252- 254 - 260 - 269 - 270 - 271 - 273 .
-أمم المغرب: ج 2: 269 .
- الأندلسيون : ج 1: 254 .
- أهل الإسلام: ج 2: 143 .
- أهل الأندلس : ج 1: 214 - ج 2: 156 .
- أهل بربوش : ج 1: 292 .
- أهل بلاد الهبط : ج 2:37 .
- أهل البيت النبوي : ج 1: 211 - 225 - 228 .
- أهل تابوعصامت : ج 1: 194 - 195 .
- أهل تادلا : ج 1: 284 .
- أهل تارودانت : ج 1: 282 .
- أهل تامسنا: ج 1 : 299 .
- أهل تطاوين : ج 2 : 6 - 57 - 96 .
- أهل تلمسان : ج 1: 201 - 230 - ج 2: 72 - 75 .
- أهل تودغة : ج 1: 294 .
- أهل الجبال : ج 1 : 325 - ج 2: 7 .
- أهل الجبل : ج 2: 186 .
- أهل جبل تاجرة : ج 1 : 238 .
- أهل جرار : ج 1 : 292 .
- أهل الجماعة: ج 1: 236 - 237 .
- أهل الجزائر : ج 1: 140 - 281 .
- أهل الحوز: ج 2: 37 .
- أهل الخمسين: ج 1: 236 - 237 .
- أهل خيبر : ج 1: 122 .
- أهل الدار: ج 1: 236 - 237 .
- أهل دكالة : ج 2: 24 .
- أهل الدلاء: ج 1: 268 .
- أهل ديلم : ج 1: 292 .
- أهل الديوان: ج 2: 68 .
- أهل الذمة : ج 1 : 196 - 321 - ج 2: 65 .
- أهل الرباط : ج 2: 28 - 33 - 49 .
- أهل الريف : ج 1: 294 - 303 - 306 - 313 - 326 - ج 2: 215 .
- أهل الزاب : ج 1 : 257 .
- أهل الزاوية الدلائية / أهل الدلائيين / أهل الدلاء / أهل زاوية الدلائيين : ج 1: 194 - 195 - 196 - 284 - 285 .
- أهل زاوية الشرادي : ج 2 : 57 .
- أهل زرهون: ج 1: 221

- أهل الساحل المغافرة : ج 1: 292 .
- أهل الساقة: ج 1: 236 - 237 .
- أهل سبتة : ج 1: 202 - 305 .
- أهل السبعين: ج 1: 236 - 237 .
- أهل سجلماسة : ج 1:192 - 195 - 206 - 211 - 212 - 213 - 229 - ج 2: 13
- أهل سلا : ج 2: 28 .
- أهل السنة : ج 2: 16 .
- أهل السودان : ج 1 : 156 .
- أهل السوس : ج 1 : 261 - 286 - ج 2: 28 - 160 - 165 - 166 - 167 - 227
- أهل السوس الأقصى : ج 2: 133 .
- أهل الشام : ج 2 : 165 .
- أهل الشاوية : ج 2: 50 .
- أهل الصحاري: ج 2: 132 .
- أهل طنجة : ج 1 : 217 - ج 2: 6 .
- أهل العراق : ج 2: 165 .
- أهل الغرب : ج 1: 217 - 298 - ج2: 27 - 270 .
- أهل غرناطة : ج 1: 215 .
- أهل غريس : ج 1: 294 .
- أهل الصباح : ج 1: 294.
- أهل فاس : ج 1 : 195 - 231 - 251 - 260 - 264 - 280 - 283 - 284 - 287 -297 - 325 - ج 2: 6 - 7 8 - 9 - 12 - 13 - 20 - 37 - 56 - 57 - 98 - 99 - 218
- أهل الفحص : ج 1: 303 - ج 2: 6
- أهل فركلة : ج 1: 294 .
- أهل القبائل: ج 1: 236 .
- أهل القبلة : ج 1: 292 .
- أهل مدغرة : ج 2: 213
- أهل مراكش : ج 1: 264 - ج 2: 37 - 193 .
- أهل المشرق : ج 2: 31 .
- أهل مطاع : ج 1: 292
-أهل المغارب: ج : 199 .
- أهل المغرب : ج 1: 140 - 192 - 197 - 213 - 215 - 280 - ج 2: 9 - 11 - 19 - 31 - 33 - 39 - 166 - 251 - 269 .
- أهل مكناسة : ج 1: 289 - ج 2: 270.
- أهل ملوية : ج 1: 296 .
- أهل نفيس : ج 1: 230 .
- أهل وجدة :ج 1: 201
- أهل وداي : ج 1: 292 .
- أهل وطن الجزائر : ج 2: 72
- أهل اليمامة : ج 2: 198
- أهل اليمن :ج 2: 204 .
-أوربة: ج 1: 221
- أولاد آدم :ج 1: 123
- أولاد البشير :ج 1: 211 .
- أولاد بن أبي العافية: ج 1: 227
- أولاد جامع : ج 2: 99 - 218 .

- أولاد جرير : ج 1: 292 .
- أولاد سيدي الحاج عبد السلام بن سيدي الحاج العربي : ج 2: 267 .
- أولاد طلحة : ج 1: 201
- أولاد علي :ج 1: 199 .
- أولاد محمد فتحا : ج 2: 228 .
- أولاد المغراوي : ج 1: 211
- أولاد نصير : ج 2: 132
- أولاد النقسيس : ج 1: 283
- أولاد يحيى : ج 2: 125 .

ب

- البربر : ج 1:125 - 156 - 198 - 203 - 213 - 221 - 222 - 225 - 229 - 270 - 273 - 275 - 284 - 285 - 293 - 294 - 295 - 304 -318 - 323 - 325 - ج 2: 6 - 7 - 8 - 12- 50 - 56 - 71 - 72 - 99 - 110- 111 - 112 - 123 - 125 - 128 -- 132 - 139 - 140 - 165 - 166- 167 - 172 - 201 - 251 - 273 - 274 .
- البرتقال / البرتغال : ج 1: 255 - 303 - 304 - ج 2: 23 - 190 .
- برصيص: ج 1: 122 .
- البروس / الألمان : ج 2: 225 .
- البلكانية / البلكانيون : ج 1: 231
- بنو آدم : ج 1 : 135 .
- بنو إبراهيم بن عبد الجليل : ج 1: 249 .
- بنو إسحاق : ج 1 : 124
- بنو إسرائيل : ج 1: 169 - 176 - 270 - 275 - 297 .
- بنو الأصفر : ج 1 : 140 .
- بنو الأغلب : ج 1: 223 .
- بنو أمية: ج 1: 154 - 186 - ج 2: 9 .
- بنو بويه : ج 2: 224 .
- بنو تاشفين : ج 1 : 249 .
- بنو تميم : ج 1: 125 - ج 2: 182 .
- بنو حسن : ج 2: 33 - 49 - 125 - 254 .
- بنو حفص / الحفصيون : ج 1: 257 .
- بنو حكم : ج 1: 294 .
- بنو حيان : ج 2: 185 .
- بنو خزر: ج 1: 230 - 231 .
- بنو الزبير : ج 1: 192 .
- بنو زروال : ج 1: 214 - ج 2: 53 - 185 .
- بنو زيان : ج 1: 246 - 251 - 255 .
- بنو سادن : ج 2:112 - 126
- بنو سفيان: ج 2: 166
- بنو سنوس : ج 1: 199 - 202 .
- بنو صالح : ج 2: 122 .
- بنو العافية المكناسيون : ج 1 : 318 .
- بنو عابد : ج 1: 238 .
- بنو عامر : ج 1: 201 - 292 .
- بنو عبد الواد : ج اك 256 - 257 .
- بنو العباس: ج 1: 221 - 222 - ج 2: 58 - 108 - 109 .

- بنو عبس : ج 1: 238 .
- بنو عبيد الفاطميون : ج 1: 273 .
- بنو عطية: ج 1: 230 .
- بنو الفرطاس : ج 1: 230
- بنو فلفل: ج 1: 230 .
- بنو كلال: ج 2: 112 .
- بنو كنانة : ج 1: 164 .
- بنو عطوش: ج 1: 246 .
- بنو مالك بن زغبة : ج 1: 199 - 231 - ج 2: 166 .
- بنو مزغنة: ج 1: 231 - ج 2: 72 .
- بنو مسارة : ج 2: 268 - 270 .
- بنو مطير : ج 2: 125 - 132 - 274 .
- بنو مكيلد : ج 2: 125 - 167 - 172 - 175 - 183 - 211 - 215
- بنو مناد : ج 1: 257 .
- بنو منديل: ج 1: 230 .
- بنو هاشم : ج 1: 164 .
- بنو وارغ : ج1: 249 .
- بنو وازمار : ج 1: 230 .
- بنو واسين : ج 1: 230 - 271 .
- بنو واندين : ج 1: 229 .
- بنو وراين : ج 2: 111 - 126 - 133 .
-بنو وطاس: ج: 249 - 258 - 260 .
- بنو وطاط : ج 1: 271 .
- بنو وليد : ج 2: 185 .
- بنو ونجل: ج 2: 185 .
- بنو يازغة : ج 1: 222 .
- بنو يزناسن : ج 1: 199 - 293 - 320 - ج 2 - 79 - 81 - 126 - 139
- بنو يطفيان : ج 1: 201 .
- بنو يعقوب : ج 1: 201 .
- بنو يفرن : ج 1: 230 - 231 - 274 - 318 .

ت

- التابعون: ج 1: 137 .
- التبابعة : ج 1: 275 .
- تكنة: ج 2: 162 .
- توركا : ج 1: 271 .

ث

- الثعالبة : ج 2: 71
- ثمود: ج 1: 122 .

ج

- جروان : ج 1: 294 .
- جرهم : ج 1: 167 - 168 .
- الجعافرة : ج 1: 199 .
- الجوطيون : ج 1: 207 .

ح

- حاجة : ج 1: 269 .

- الحراطين : ج 1: 289 - 299 - 300 .
- الحسنيون الإدريسيون : ج 1 : 207 .
- الحشم : ج 1: 292
- حصين: ج 1: 199 .
- حميان : ج 1 : 292 - 293
- حمير : ج 1 : 275
- حيان : ج 1: 201
- الحياينة : ج 2 : 111 - 112 - 201 .

خ

- خراج [اولاد] ج 1: 201 .

د

- دخيسة : ج 1: 292 : ج 2: 132
- الدلائيون : ج 1: 197 - 268 .
- دول الافرنج: ج 2 : 95 .
- دول الإسلام: ج 1: 189 - 220 .
- دولة الأدارسة : الأدارسة : ج 1: 190 - 220 - 221 - 224 - 225 - 227 - 301 - 318 - ج 2: 121 .
- دول أوربا: ج 2: 94 .
- دول الإفرنج : ج 2: 118 .
- دول العجم: ج 2: 108 - 137 .
- دولة إسبانيا / إصبانيا : ج 2: 221 .
- دولة إنكلترا / الدولة الإنجليزية / الإنجليز : ج 2: 70 - 164 - 194 - 247 .
- دولة بني أمية / الأمويون : ج 1: 188 - 189 - ج 2: 124 .
- دولة بني العباس / العباسيون : ج 1 : 223 - 328 .
- دولة بني مرين / الدولة المرينية / بنو مرين : ج 1: 191 - 209 - 211 - 245- 246 - 247 - 248 - 249 - 253 - 254 -257 - 259 - ج 2: 89 - 121 .
- دولة بني وطاس: ج 1: 259 - 304 .
- دولة السعديين / الدولة السعدية : ج 1: 191 - 260 - 265 .
- الدولة العلوية / الدولة المغربية / الدولة الشريفة : ج 1: 117 - 119-149 - 180 - 181 - 188 - 192 - 204 - 220 - ج 2: 87 - 122 - 180-204- 230- 232-247-252- 256-
- دولة فرانسا / الدولة الفرنسوية/الفرانسيس : ج 2: 70 - 77 - 79 - 130 - 221 - 222 - 229 - 250 - 256 - 258 - 268 .
-دولة المرابطين /دولة لمتونة/الملثمون : ج 1: 190 - 191 - 228 - 234 - 247-318 .
- دولة الموحدين / ا لدولة المومنية : ج 1: 191 - 233 - 235 - 247 - 248 - 250 .
- دولة موسى بن أبي العافية : ج 1: 226 - 227 .

ذ

- ذوي منيع : ج 1: 292 .

ر

- ربيعة : ج 1: 205
- الرحامنة : ج 2: 226

- الروم: ج 1: 124 - 140 - 170 - 179 - 202 - 221- 239 - 243 - 245 - 248 - 249 - 252 - 255 - 271- 272 - 279 - 302 - 304 - 316 - 326 - ج 2: 17 - 22- 31 - 95 - 118 - 143 - 179 - 188- 197 - 263 .
- رياح : ج 1 : 201 .

ز

- زرارة : ج 1:282 - 296 - 320 .
- زمور : ج 1: 294 - ج 2: 273 - 274 .
- زمور الشلح : ج 2: 203 .
- زناتة : ج 1: 211 - 222 - 273 - 275 - ج 2: 128 .
- زناتة الريف : ج 2: 214 .
- الزنادقة : ج 1: 169 .
- زواغة : ج 1: 222
- زواوة : ج 1 : 275 .

س

- السادات السلجماسيون : ج 1: 207 - 208 - 213 .
- سفيان [بنو]: ج 1: 231 - ج 2: 166 .
- سفونة : ج 1: 292 - 293 .
- السكاسك : ج 1: 275 .
- السلجوقية : ج 2: 108 - 110 .
- سويد : ج 1: 201 .

ش

- الشاوية: ج 2 : 228 .
- الشافعية : ج 1: 165 - 268
- الشبانات : ج 1: 265 - 296 - 297 - 320 .
- شراقة: ج 1: 321 - 50 - ج 2: 99 - 218 - 270 .
- شرفاء الأدارسة : ج 1: 211 .
- شرفاء بني زروال: ج 1: 214 .
- شرفاء تافلالت : ج 1: 207 - 208 .
- شرفاء الحجاز : ج 1 : 212 .
- الشرفاء الحموميون : ج 2: 185 .
- الشرفاء الشفشاونيون : ج 1: 213 .
- شرفاء غريس : ج 2: 74 .
- شرفاء المغرب : ج 1: 207 - ج 2: 27 .
- شرفاء وزان : ج 2: 267 .
- شغروشن : ج 2: 110 - 126 .
- شقيرن : ج 2: 167 .
- الشيعة : ج 1: 191 - 236 .

ص

- الصحابة: ج 1: 117 - 123 - 124 - 152 - 165 .
- صطبورة : ج 1: 271 .

- الصقالبة : ج 1: 272 .
- صنهاجة : ج 1: 231 - 271 - 272 - 273 - 275 -
ج 2: 132 - 167 - 185
- صنهاجة أزمور : ج 1: 272 .
- صنهاجة البلكانية: ج 1: 271
- الصوفية : ج 2: 16 .

ط

- طرارة : ج 1: 238 .
- طرفاية: ج 2: 165 .

ظ

ظيان : ج 2: 167 .

ع

- عاد: ج 1: 122 .
- عامر: ج 1 205 .
- العبيد : ج 1: 294 - 297 - 298 - 299 - 320 - 325 - ج 2: 5 - 6 - 7 - 9 - 12 - 27 - 28 -
50- 74 - 109 - 271 .
- عبيد دكالة : ج 1: 321 .
- عبيد الزنقة : ج 1: 297 .
- عبيد سبتة : ج 2: ج 2: 27
- عبيد سيدي البخاري : ج 1: 297 - 326 .
- عبيد الشاوية : ج 1: 321 .
- عبيد المخزن : ج 1: 299 .
-عبيد مكناسة : ج 2 : 28 .
- العبيديون : ج 2: 108 .
- العجم : ج 1: 124 - 156 - 176 - 201 - ج 2: 124 - 201
- العرب: ج 1: 124 - 125 - 136 - 141 - 149 - 151 - 154 - 156- 160 - 168 - 169 - 170 - 175
- 176 - 179 - 180 - 198- 199 - 202 - 203 - 204 - 205 - 226 - 249 - 253 - 256 - 257 -
270 - 274 - 275 - 304 . ج 2: 7 - 25 - 42 - 72- 96 - 109 - 124 - 125 - 128 - 165
- عرب الأحرار: ج 2: 52
- عرب الأحلاف : ج 2: 33 .
- عرب أنكاد : ج 1: 195 .
- عرب الحارث : ج 1 : 199 .
- عرب حصين : ج 1 : 199
- عرب زغبة : ج 1 : 199 .
- عرب الزكارة : ج 1 : 199
- عرب سويد : ج 1: 199
- عرب الصباح : ج 2: 213
- العرب العاربة: ج 1: 168 .
- عرب معقل : ج 1: 199 - ج 2: 164 .
- العرب المستعربة: ج 1: 168
- العلوج /الأعلاج : ج 1: 191 - 264 - 265 .
- العمالقة : ج 1: 168 - 275 .
- العمور : ج 1: 292 .

غ

- غمارة : ج 1: 275 - 305 .
- غياثة : ج 2: 67 - 127 .

ف

- الفراغل: ج 2: 75 .
- الفرانسيس: ج 1: 156 - ج 2: 29 - 54 - 68 - 69 - 77 - 79 - 81 - 82 - 95 - 96 - 226 - 231 - 232 - 233 - 248 - 269 .
- الفرايلية : ج 2: 93 - 94 .
- الفرنج: ج 1: 243 .
- الفرس : ج 1: 249 - ج 2: 198 - 203 - 204 .
- فهر: ج 1: 205 .
- الفلاسفة: ج 2: 16 .
- فناسة: ج 2: 185 .

ق

- قبائل الأعراب : ج 2: 74 .
- قبائل البربر : ج 2: 210 - 227 .
- قبائل بني أحمد: ج 2: 185 .
- قبائل بني حيان : ج 2 : 184 .
- قبائل بني زروال : ج 2: 53 - 185 .
- قبائل بني مسارة ج 2: 185 .
- قبائل تادلا: ج 2: 227 .
- قبائل جبال الهبط : ج 2: 268 .
- قبائل الجبل: ج 2: 267 .
- قبائل الحوز : ج 1: 296 - 298 - ج 2: 226 .
- قبائل حوز مراكش : ج 2: 226 .
- قبائل الدير : ج 1: 298 .
- قبائل الريف: ج 2: 131 .
- قبائل زناتة : ج 2: 214 - 215 .
- قبائل السوس ج 2: 160 .
- قبائل الشاوية : ج 2: 50 .
- قبائل الصحراء : ج 2: 164 .
- قبائل العرب : ج 1: 226 - ج 2: 8 - 132 - 210 .
- قبائل قيس بن غيلان بن مضر : ج 1: 238 .
- القبائل المخزنية : ج 2: 270 .
- قبائل المغرب : ج 2: 12 - 13 - 80 - 81 - 118 - 188
- قبائل المصامدة: ج 1: 233 .
- قبائل وجدة : ج 2: 166 .
- القبط : ج 1: 124 - 204 .
- قبيلة آيت إزدك : ج 2: 211 .
- قبيلة آيت باعمران : ج 2: 162 .
- قبيلة الأحلاف : ج 2: 68
- قبيلة بني حسن : ج 2: 190

- قبيلة بني سادن : ج 2: 110
- قبيلة بني عروس : ج 2: 267 .
- قبيلة بني كلال : ج 2: 112 .
- قبيلة بني مسارة : ج 2: 267
- قبيلة بني مطير : ج 2: 125 .
- قبيلة بني مكليد : ج 2: 167 .
- قبيلة بني وراين : ج 2: 110 - 133 .
- قبيلة تادلا / قبائل تادلا : ج 2: 216
- قبيلة تكنة : ج 2: 162 .
- قبيلة الرحامنة : ج 2: 227 .
- قبيلة زعير : ج 2: 228
- قبيلة شراقة : ج 2: 270
- قبيلة الشراردة : ج 2: 98 .
- قبيلة ظيان : ج 2: 174 .
- قبيلة عبدة : ج 2: 254 .
- قبيلة العبيد الغرابة : ج 1: 295 .
- قبيلة غياثة : ج 2: 67 .
- قبيلة كيومة : ج 1: 238 .
- قبيلة مخيس : ج 1: 295 .
- القبيلة المكيلدية : ج 2: 169 .
- قبيلة المنابهة : ج 2: 243 .
- قبيلة هوارة : ج 2: 68 .
- قريش : ج 1: 136 - 164 - 168 - 204 - 205 - ج 2: 144 - 143 - 166
- قلعية : ج 2: 214 .
- قوم نوح : ج 1: 122 .
- قوم هود : ج 2: 143
- القياصرة : ج 2: 108 .
- قيس : ج 1: 125 .

ك

- كتامة : ج 1: 275 .
- كروان : ج 2: 273 - 274 .
- كنانة: ج 1: 164
- كندة : ج 1: 205 - 275 .
- الكنعانيون : ج 1: 270

ل

- لخم : ج 1: 205 .
- لمتونة / اللمتونيون: ج 1: 234 - 235 - 237 - 240 - 271
- 318 - ج 2: 121 .
- اللمطيون : ج 1: 267 .
- لواتة : ج 1: 275

م

- متيجة : ج 2: 71
- مثيوة: ج 2: 185 .
- مجاط : ج 2: 125 - 132 .
- مجوس: ج 1: 271 .
- مديونة : ج 1: 249 - 271 .
-مرنيسة: ج 2: 185
- المسلمون: ج 1: 139 - 140 - 152 - 165 - 179 - 179 - 191 - 194 - 196 - 204 - 232 - 243 - 254
- 256 - 260 - 269 - 276 - 281 - 302 - 303 - 304 - 305 - 306 - 307 - 325 - 326 - ج 2: 13 - 22
- 23 - 24 - 27 - 29 - 46 - 54 - 68 - 69 - 73 - 81 - 82 - 92 - 93 - 95 - 96 - 123 - 155 - 157 - 188
- 189 - 192 - 194 - 197 - 202 - 214 - 233 - 262 - 263 - 264 - 265 - 267 - 269 - 273
- مسلمو اليهود : ج 1: 124 .
- مسوفة :ج 1: 271
- المسيحيون: ج 2: 70 .
- المصامدة : ج 1: 233
- مضر: ج 1: 144 .
- مغراوة : ج 1: 229 - 231 - 273 - 274 - 318 .
- مكلاتة : ج 1: 275 .
- مليانة: ج 2: 72 .
- المهاية : ج 1: 292 - 293 .
- الموحدون: ج 1: 233 - 234 - 245 - 252 - ج 2: 121 .

ن

- النصارى : ج 1: 122 - 239 - 261 - 263 - 281 - 294 - 295 - 302 - 303 - 305 - 306 -
307 - 325 - ج 2: 22 - 24 - 28 - 46 - 50 - 55 - 73 - 86 - 95 - 123 - 164
- نصارى كاثوليك: ج 2: 255 .
- نفزاوة : ج 1: 271 .
- نفوسة : ج 1: 271 .

هـ

- هداج [اولاد]: ج 1: 201
- هبرة : ج 2: 110 .
- هسكورة : ج 1 : 285 .
- هوارة : ج 1: 275 .
- هوارة السوس : ج 2: 33 .

و

- الوداية: ج 1: 294 - 296 - 297 - ج 2: 6 - 7 - 8 - 9 - 50 - 68 - 74 - 75

ي

- اليهود : ج 1: 122
- اليونان : ج 1: 124 - 249

فهرس الأماكن

أ

- أبي عقبة : ج 1 : 280 .
- أتينة :ج 2 : 109
- الأثيل : ج 1 : 153 ـ 154.
- أجدال [بالرباط] : ج 2 : 30.
- أجدال [بمراكش] : ج 2 : 30 ـ 89 ـ 102.
- أحواز مراكش : ج 1 : 237 .
- أحواز فاس : ج 2 : 8.
- أدخسان : ج 1 : 293 ـ ج 2 : 174.
- أربعاء تيسة : ج 2 : 185.
- أربونة : ج 1 : 178 .
- أرض أنكاد : ج 1 : 199 .
- أرض الحجاز : ج 1 : 168 .
- أرض الروم : ج 1 : 156 .
- أرض العراق : ج 1 : 167 ـ 169.
- أرض الغرب : ج 1 : 202.
- أرض غياثة : ج 2 : 127 .
- أرض كنعان : ج 1 : 270 .
- أرض المغرب : ج 1 : 167 ـ 230.
- أرض مينة : ج 2 : 110 .
- الأرك : ج 1 : 240 ـ 243.
- أرورات : ج 1 : 112 .
- أزرو : ج 1 : 321.
- أزمور :ج 1 : 246 ـ 261 ـ ج 2 : 23.
- أساكا : ج 1 : 162 .
- إسجة : ج 1 : 252 .
- أسرشو : ج 2 : 110 .
- أسفي : ج 1 : 286 ـ ج 2 : 30.
- الإسكندرية : ج 1 : 233 ـ 240.
- أشاون : ج 2 : 186 .
- الأشبونة : ج 1 : 255.
- إشبيلية : ج 1 : 239 ـ 243: 245 ـ ج 2 : 96.
- أشير : ج 2 : 72.
- إصبانيا/إسبانيا/ دولة إسبانيا : ج 2 : 93 ـ 94 ـ 109 ـ 215 ـ 223
- أصبهان : ج 1 : 272 ـ ج 2 : 109.
- أصيلا : ج 1 : 261 ـ 312 ـ 313 ـ ج 2 : 65 ـ 189 ـ 190 ـ 267 .
- أضرز :ج 1 : 294 .

- أطرارة : ج 1 : 199 .
- أعليل :ج 1 : 294 - 321.
- أغمات : ج 1 : 229 - 232.
- الأغواط : ج 1 : 201.
- إفريقية : ج 1 : 178. 179. 222. 223 - 231 - 243. 257 - 270 - 273. 275 - ج 2 : 71 - 147 - 155
- أقة : ج 1 : 292.
- أكدال : ج 2 : 201
- أكادير : ج 2 : 28 - 164.
- ألميرة : ج 1 : 232.
- ألمانيا /الألمان ج 2 : 247 - 252.
- أمصا : ج 2 : 162.
- الأنجرة ج 2: 94 .
- الأندلس : ج 1 : 139 - 140 - 178 - 179 - 214 - 217 - 218 - 229 - 232 - 233. 234 - 238 - 239 - 240 - 243 - 244 - 252 - 253 - 255 - 256 - 269. 271 - ج 2 : 9 - 96 - 224
- أنكاد : ج 1 : 199 - 292 - 293 .
- إنكلتيرا / بريتانيا : ج 2 : 102 - 191 - 193 - 225 - 249.
- الأهواز : ج 1 : 182 - 184.
- أوربا : ج 2 : 94.
- أوربة : ج 1 : 221.
- أوطاط / وطاط : ج 1 : 321.
- الإيالة الجزائرية : ج 2 : 74 - 130 - 199 - 256 - 268 .
- الإيالة العثمانية : ج 1 : 201.
- الإيالة المغربية : ج 2 : 250.
- إيسلي : ج 2 : 97 .
- إيطاليا : ج 2 : 109.
- إيغالى : ج 1 : 261 .

ب

- باب آيلان : ج 2 : 61 .
- باب البرذعيين : ج 1 : 317 .
- باب بني مسافر : ج 2 : 65.
- باب البوجات : ج 2 : 200.
- باب الجديد : ج 1 : 317 - ج 2 : 65.
- باب الجيزيين : ج 1 : 251.
- باب دار المخزن : ج 2 : 203.
- باب السبع : ج 2 : 200.
- باب الطبول : ج 2 : 102.
- باب فاس العليا : ج 2 : 200.
- باب الفتوح : ج 1 : 276 - ج 2 : 65 - 200.
- بابل :ج 1 : 167 .
- باب المسامريين : ج 2 : 200.
- باريس / باريز : ج 2 : 109 - 229 - 248 - 255 - 256 - 258 - 259 - 268 .
- باسكرة ج 2 : 300 .

- باغة : ج 1 : 269 .
- بجاية : ج 1 : 255 . 256 . 257 .
- البحر الرومي : ج 1 : 304 . ج 2 . 199 .
- البحر المحيط : ج 1 : 229 . 231 . 269 . ج 2 : 93 . 140 . 159 . 166 .
- البحيرة : ج 1 : 237 . 296 .
- البرتغال / برتقال : ج 2 : 109.
- البرج الأحمر : ج 1: 257 .
- برج الفنار : ج 2 : 103.
- برج مرتيل : ج 2 : 27 .
- برج المرسى : ج 1 : 257 . ج 2 : 71.
- برقة : ج 1 : 239 . 240 . 270
- برلين : ج 2 : 109 . 247 . 249 . 252 . 254
- برمرام : ج 2 : 192 .
- البروسية / بروسيا/ مملكة بروسيا/ ألمانيا : ج 2 : 109 . 252 .
- بروكسيل : ج 2 : 109.
- بريتانيا : ج 2 : 109.
- بريمة : ج 1 : 321.
- بستان آمنة المرينية / العرصة مينة : ج 2 : 89 . 200
- بستان أبي جلود : ج 2 : 200
- بسطام : ج 1 : 205.
- البصرة [العراقية] : ج1: 230 . ج 2 : 109.
- البطحاء : ج 2 : 270 .
- بطر سبورغ/ سان بطرسبورغ : ج 2 : 109 . 248.
- بطر هوف : ج 2 : 257 .
- بطليوس : ج 1 : 232 .
- بغداد : ج 1 : 182 . 240 . ج 2 : 108 . 109
- البقيع : ج 1 : 170.
- بقيع المغرب : ج 1 : 212.
- بلاد الإفرنج / بلاد الروم : ج 1 : 239 . ج 2 : 91.
- بلاد الجريد : ج 1 : 299 .
- بلاد أيت زينب : ج 1 : 303.
- بلاد اشلف : ج 1 : 285.
- بلاد أيت مرغاد : ج 2 : 212.
- بلاد بني مكليد : ج 2 : 125 . 172 . 211.
- البلجيك : ج 2 : 109.
- بلد شلونة : ج 1 : 178.
- بلد قسطينة : ج 1 : 201.
- بلدة جرس: ج 1 : 214 .
- بني حسن : ج 2 : 254
- بني عبس : ج 1 : 238.
- بني زروال : ج 1 : 214 . ج 2 : 185.
- بني يازغة : ج 1 : 222 . ج 2 : 65.

- بني عابد : ج 1 : 238.
- بني مطير : ج 2 : 132.
- بيت المقدس : ج 1 : 187.

ت

- تابوعصامت :ج 1: 193 ـ 196.
- تاجرا : ج 1 : 269 ـ
- تادغوست : ج 2 : 212.
- تادلا/تادلة:ج1: 221 ـ 262 ـ 280 ـ 283 ـ 284 ـ 294 ـ 321 ـ ج 2 : 13 - 65 ـ 65 ـ 228 ـ
- تارودانت : ج 1 : 261 ـ 269 ـ 281 ـ 282 ـ 285 ـ 286 ـ 287 ـ 291
- تازا / تازى : ج 1 : 196 ـ 254 ـ 267 ـ 280 ـ 320 ج 2 : 127 ـ 274 ـ
- تاستاوت : ج 2 : 102 ـ
- تامسنا :ج 1 221 ـ ج 2 : 65.
- تاميسوت : ج 1 : 321.
- تنتاغلين : ج 1 : 294.
- تاهرت : ج 1 : 301 .
- تزيمي : ج 1 : 321.
- تسنت : ج 1 : 292 .
- تطوان / تطاوين : ج 1 : 283 ـ 299 ـ ج 2 : 27 ـ 57 ـ 92 ـ 93 ـ 94 ـ96 ـ 100 ـ 160 - 188 - 190 - 214 - 219 - 246 - 254 .
- تفلالت / تافيلالت :ج 1 : 207 ـ 283 ـ ج 2 : 27 ـ 213 ـ
- تلمسان : ج 1 : 139 ـ 199 ـ200 ـ 201 ـ 203 ـ 221 ـ 223 ـ 230 ـ 231 - 245 ـ 253 ـ 255 ـ 256 ـ 257 ـ 262 ـ 268 ـ 281 ـ 292 ـ 300 ـ ج 2 : 50 ـ 74 ـ 75 ـ 76 ـ 166.
- تلمسان الجديدة : ج 1: 230
- تنملل : ج 1 : 239 ـ
- تهدارت : ج 1 : 313 ـ
- توات / اتوات : ج 2 : 231 ـ 232 - 233 ـ 234 ـ 235 ـ 236 ـ 247 ـ 256 ـ 268 ـ
- تونس : (البلاد) ج 2 : 55 ـ 109.
- توزر: ج 1 : 257 .
- تونس (مدينة) : 139 ـ 230 ـ 256 ـ 257 ـ ج 2 : 76.
- تيط : ج 2 : 30

ث

- ثغر الحلق : ج 1 : 302

ج

- جامع أبي إسحاق البلفيقي : ج 2 : 89.
- جامع أبي حسون : ج 2 : 89.
- الجامع الأخضر / جامع الخضراء: ج 1 : 314.
- جامع الأندلس : ج 1 : 224.
- جامع الأنوار : ج 1 : 317 ـ
- جامع جمعة : ج 1 : 270 ـ
- جامع ا لزيتونة : ج 1 : 317

- جامع السنة : ج 2 : 30 ـ 102 .
- جامع العتيق [بطنجة] ج 2 : 188 .
-جامع القرويين: ج 1 : 224.
- جامع القنارية : ج 2 : 89
- جامع الكتبيين : ج 2 : 89.
- جامع المنصور : ج 2 : 30 ـ 89 .
- جامع آيت يسري : ج 1 : 285 .
- جبال درواش : ج 1 : 269 .
- جبال الزبيب : ج 2 : 184 .
- جبال السوس : ج 1 : 281
- جبال طرواة : ج 1 : 202
- جبال فازاز : ج 1 : 293 ـ ج 1 : 167
- جبال غمارة : ج 2 : 184
- جبال مضغرة : ج 2 : 202
- جبل بن ورنيد : ج 1 : 246 ـ
- جبل تطري : ج 2 : 72.
- جبل درن : ج 1 : 269 ـ 281 ـ 283 ـ ج 2 : 132.
- جبل الذهب : ج 1 : 231
- جبل راشد : ج 1 : 199
- جبل زرهون : ج 1 : 221 ـ ج 2 : 89 .
- جبل صنهاجة : ج 2 : 185 .
- جبل طارق : ج 2 : 230 .
- جبل العلم : ج 2 : 186.
- جبل العياشي : ج 1 : 293 ـ 295
- جبل فازاز : ج 1 : 321 ـ ج 2 : 132 ـ 166
- جبل الفتح : ج 1 : 255
- جبل القدس : ج 1 : 270
- جبل القلاوي : ج 1 : 283
- جبل كنضيس : ج 1 : 269
- جبل الكواكب : ج 2 : 54
- جبل كورت : ج 2 : 98
- جبل مسوفة : ج 2 : 13 .
- جبل هيدور : ج 1 : 295 .
- الجديدة/البريجة/المهدومة: ج1 : 320ـ325ـ ج 2 : 23 ـ 24 ـ 103 ـ 252 ـ 253ـ254ـ 259 ـ
- الجريد : ج 1 : 201 .
-جرس: ج 1 : 214 .
- الجزائر (مدينة) : ج 1: 199 - 200 - 203 - 204 - 231 - 262 - 276 281 - 283 - 292
- ج 2: 22 - 23 - 42 - 43 - 44 - 52 - 68 - 69 - 70 - 71 - 72 - 73 - 79 - 123 .
- جزاء ابن عامر : ج 1: 139 - 214 .
- جزيرة الأندلس: ج 1: 214 .
- الجزيرة الخضراء : ج 1: 217 - 252 .
- الجلالقة : ج 1: 178
- جنان حمرية : ج 1: 322 - ج 2: 6 .

ح

الحاجب : ج 2: 125
- حاحة : ج 1: 268 - 287 .
- حارة الفدان : [بتطاوين] ج 2: 94 .
- الحبشة : ج 2: 177 - 203 .
- الحجاز : ج 1: 124 - 154 - 167 - 168 - 211 - 212 - ج 2: 27 - 106
- حجر بادس : ج 1 : 261 - 326 - ج 2: 121 - 123 .
- حجر النكور / النكور : ج 2: 121 - 122 .
- الحديبية : ج 1: 288
- الحرمين الشريفين / الحرم الشريف / الكعبة: ج 1: 187 - 189 - ج 2: 11 - 27 - 31
- حصن أكادير: ج 2: 28 .
- حصن السخرة : ج 1: 252 .
- حمام العقال : ج 1: 283 .
- حمص : ج 2: 123 - 181 .
- الحوز : ج 1: 297 - 320 - ج 2: 227 - 228 .
- حوز تلمسان : ج 2: 75 .
- حوز فاس: ج 2 : 8
- الحياينة : ج 1: 320 - ج 2: 50 .
- الحيرة : ج 1: 169 - 226 .

خ

- خراسان : ج 2: 106
- الخصيصات : ج 2: 203 .
- خولان : ج 2 : 65 .
- خيبر : ج 1: 122 - 123 .

د

- الدار البيضاء : ج 2: 50 - 103 .
- دار الدبيبغ : ج 2: 8 .
- دار الذهب : ج 2: 199 .
- دار السلاح / المكينة : ج 2: 179 - 197 - 199 - 200 - 201 .
- دار الطمع : ج 1: 321 .
- دبدو : ج 1: 280 .
- درعة : ج 1: 193 - 195 - 204 - 228 - 268 - 287 - ج 2: 226 .
- دكالة : ج 1: 268 - 299 .
- دمشق : ج 1: 272 - ج 2: 77 - 109 - 157 .
- دير العاقول : ج 1: 182 .
- دير هزقل : 182 .

ر

- رأس الماء : ج 2: 194 .
- راشد: ج 1: 201
- رباط الفتح / الرباط : ج 1: 240 - 244 - ج 2: 28 - 30 - 32 - 49 - 50 - 51 - 81 - 88 - 99 - 102 - 166 - 200 - 217 - 218 - 227 - 246 - 269 - 270 - 274 .

- رباط ماسة: ج 1: 269 .
- رباط شاكر: ج 2: 30
- الرحامنة : ج 2: 102 .
- الرصيف : ج 1: 139 - 276 - ج 2: 65 .
- الرقة : ج 1: 182 .
- رودانة : ج 1: 269 .
- روضة سيدي علي بن حرزهم الأموي: ج 1: 276 .
- الرملة : ج 1: 287 .
- الروسيا ج2: 248 - 249 - 256 - 257 - 258 .
- رومة : ج 2: 109 .
- الرياض [بمكناس] : ج 1: 296 - 297 - 316 .
- الريف : ج 2: 122 - 131 .

ز

- زا : ج 1: 320 .
- الزاب : ج 1: 269 - 273 - 329 .
- الزاوية الدلائية : ج 1: 194 - 195 - 284 - 321 .
- زاوية سيدي عبد القادر الفاسي : ج 2: 13
- زاوية الشرادي : ج 2: 30
- زاوية الشيخ أبي عثمان سيدي سعيد أحنصال : ج 2: 5
- زرهون : ج 1: 286 - 317 - 318 - ج 2: 99 .
- الزلاقة : ج 1: 232 - 233 - 240 .
- زمران : ج 2 : 102 .

س

- ساحة الحمومي : ج 2: 185 .
- ساحة دار القنصل [بتطاوين] ج 2: 94 .
- ساحل السوس : ج 2: 162 - 230 .
- الساقية الحمراء : ج 1: 268 - 281 - 329
- سلا: ج 1: 239
- سان بطرسبورج: ج 2: 248 - 256 .
- سايس : ج 1: 284.
- سبأ : ج 1: 188 .
- سبتة : ج 1: 256 - 308 - 309 - 325 - 326 - ج 2: 27 - 92 - 93 - 94 - 121 .
- سجلماسة : ج 1: 192 - 193 - 194 - 195 - 197 - 199 - 203 - 204 - 211 - 212 - 213 - 214 - 216 - 220 - 230 - 249 - 251 - 254 - 262 - 266 - 268 - 282 - 284 - 295 - 321 - 322 - 329 - 330 - ج 2: 5 - 99 - 110 - 140 - 166 - 200 - 210 - 215 - 216
- سجن تارودانت : ج 1: 287.
- سجن تطاوين : ج 2: 219 - 220 .
- سجن جزيرة الصويرة : ج 2: 227 .
- سجن فاس : ج 2: 227 .
- سجن مراكش : ج 2: 227 .
- السراغنة : ج 2: 102 .
- سرقسطة : ج 1: 232 .

- سلا / رباط سلا : ج 1: 242 - 251 - 256 - 301 - ج 2: 28 - 65 - 88 .
- سمر قند : ج 1: 272
- سنطكروس الصغرى : ج 2: 93 .
- السودان : ج 1: 229 - 231 - 264 - 279 - 297 - 300 - 329 - ج 2: 140 - 203 - 256
- السوس : ج 1: 193 - 194 - 217 - 229 - 260 - 261 - 262 - 264 - 269 - 281 - 285 - 287 - 292 - 296 - 299 - 300- 303. ج 2: 6 - 109 - 159- 160 - 164 - 166- 167- 170 .
- السوس الأدنى : ج 1: 268 - 269 - ج 2: 166 - 216 .
- السوس الأقصى : ج 1: 249 - 268 -269 ج 2: 216 - 230 - 261
- سوق المجادليين : ج 2: 85 .
- السويد : ج 1: 156 .
- سيدي قدار : ج 2 : 190
- سيدي عقبة : ج 1 : 269
- سيدي علي الكراوي: ج 2: 203
- سيرات : ج 2: 110
- سيدي مكرز : ج 1: 289 .
- السيوان : ج 2: 203

ش

- شراقة: ج 2: 99 .
- شالة : ج 1: 221 .
- الشام : ج 1: 174 - 179 - 270 - ج 2: 31 - 73 - 96 - 106 - 157 - 158 .
- الشاوية : ج 1: 299 - ج 2: 50 - 228 .
- شرشال : ج 1: 281 .
- شلونة: ج 1: 178 .
- شنترين : ج 1: 239 .
- شنقيط : ج 1: 292 .

ص

- صاغرو : ج 1: 283 .
- الصحراء : ج 1: 199 - 200 - 216 - 229 - 230 - 268 - 270 - 280 - 283 - 285 - 329 ج 2: 52 - 121 - 232 - 233 - 236 .
- صخرة الدجاجة : ج 2: 228 .
- الصعيد : ج 1: 329 .
- صفرو : ج 1: 214 - 321 .
- الصوانع: ج 1: 201 .
- الصويرة : ج 2: 28 - 89 - 141
- الصين : ج 2: 150

ض

- ضريح أبي عبد الله التاودي : ج 2: 29
- ضريح سيدي عمر الحصيني : ج 1: 289 .
- ضريح سيدي محمد بن عبد الله : ج 2: 217 .
- ضريح سيدي مكرز : ج 1: 291 .
- ضريح سيدي وارياش : ج 2: 214 .
- ضريح الشيخ أبي الحسن سيدي علي بن حرزهم الأموي : ج 2: 29 .

- ضريح الشيخ أبي العباس السبتي : ج 2: 30 - 89 .
- ضريح الشيخ أبي محمد عبد ا لوهاب التازي : ج 2: 65
- ضريح الشيخ ابن صالح : ج 2 : 30
- ضريح الشيخ ابن عاشر : ج 2: 88 .
- ضريح الشيخ التباع : ج 2: 30 .
- ضريح الشيخ الجزولي : ج 2: 30 .
- ضريح الشيخ دارس بن إسماعيل : ج 2: 29 .
- ضريح الشيخ المجذوب: ج 1: 328 .
- ضريح الشيخ ميمون الصحراوي : ج 2: 30 .
- ضريح القاضي عياض : ج 2: 101 .
- ضريح مولانا إدريس / بن إدريس : ج 2: 84 - 85 .
- ضريح مولانا إدريس الأكبر : ج 1 : 317 - ج 2: 98 - 99 .
- ضريح مولانا عبد السلام بن مشيش : ج 2: 185 - 286 .
- ضريح المولى إسماعيل : ج 2: 82 .
- ضريح المولى علي الشريف : ج 2: 29 - 61 .

ط

- طاطة : ج 1: 292
- الطالعة / طالعة فاس : ج 2 : 219 .
- طرابلس : ج 1: 230 - 257 - 270 - ج 2: 31 - 109 .
- طرارة: ج 1: 238 .
- طرفلة : ج 1: 269 .
- طرفاية: ج 2: 165 .
- طريف : ج 1: 255 - 256 .
- طنجة : ج 1: 217 - 304 - 305 - 310 - 312 - 317 - ج 2: 6 - 12 - 13 - 29 - 65 - 84 - 103 - 190 - 201 - 223 - 233 - 250 - 253 - 254 - 259 - 273 .

ظ

- الظهراء : ج 1: 329 .
- ظهر الرمكة : ج 1: 195 .
- ظهر المهراس : ج 2: 99 - 184 .
ظهر المحلة: ج 2: 185 .

ع

- عدن : ج 2: 204 .
- عدوة الأندلس / عدوة فاس الأندلس / عدوة جزيرة الأندلس : ج 1: 225 - 251 - 267 - 319 - ج 2: 75 - 99 .
- عدوة فاس القرويين : ج 1: 139 - 214 .
- العرائش : ج 1: 142 - 294 - 305 - 306 - 307 - 310 - 312 - 313 - ج 2: 29 - 190 .
- العراق : ج 1: 167 - 169 - 233 - ج 2: 106
- عرصة الحاج محمد بن المدني بنيس / عرصة بنيس : ج 2: 194 .

- العسال : ج 2: 12 .
- العقاب : ج 1: 243 - 244 .
- عمالة الترك: ج 1: 199 .
- عين أبي عكار : ج 2: 102
- عين تاوغا / عين ثوغا : ج 1: 294 .
- عين الدالية: ج 2: 189 .
- عين صالح: ج 2: 235 .
- عين عمير : ج 1: 222 .
- عبن الغار : ج 2: 235 .
- عين اللوح : ج 1: 321 .
- عين ماضي: ج 1: 199 - 201 .
- عين مديونة : ج 2: 185 .
- عين المنارة : ج 2: 102 .
- العيون : ج 1: 320 .

غ

- الغاسول: ج 1 : 199 - 201 .
- غدامس : ج 1: 249 .
- الغرب : ج 1: 147 - 198 - 216 - 217 - 218 - 231 - 250 - 263 - ج 2: 166 - 168 .
- غرناطة : ج 1: 215 - 218 - 232 - ج : 110 .
- غريس الراشدية [الجزائرية] : ج 2: 76 .
- غريس [المغربية] : ج 1: 295 .

ف

- فارس :ج 2: 123 - 263 .
- فاس : ج 1: 139 - 147 - 214 - 215 - 222 - 224 - 225 - 227 - 230 - 231 - 247 - 251 - 259 - 262 - 263 - 264 - 267 - 276 - 277 - 279 - 283 - 284 - 285 - 286 - 290 - 299 - 303 - 304 - 305- 313 - 318 - 319 - 320 -321 - 325 - ج 2: 6 - 8 - 11 - 12 - 13 - 14 - 15 - 29- 30 - 46 - 47 - 49 - 50 - 51 - 57 - 68 -72 - 73 - 75 - 89 - 91 - 93 - 99 - 103 - 109 - 111 - 112 - 125 -127 - 131 - 140 - 166 - 174 - 184- 190 - 193 - 194 - 200 - 203- 211 - 215 - 218 - 220 - 221- 225 - 226 - 227 - 230- 243 - 246 - 268 - 270 - 273 - 274 .
- فاس الجديد : ج 1: 195 - 252 - 267 - 297 - ج 2: 75 - 125 - 270 .
- فاس القديم / البالي : ج 1: 252 - 267 - 270 .
- فبينا (ڤيينا) : ج 2: 109 .
- فجيج : ج 1: 249 - ج 2: 232 .
- فحص الريحان : ج 2: 189 .
- فخ : ج 1: 221 .
- فرغانة : ج 1: 272 .
- فرنسا: ج 2: 255 .
- فزان : ج 1: 229 .
- فضالة : ج 2: 30 .
- الفلمنك : ج 2: 109

- فناسة: ج 2: 185 .
- فم الخنيق : ج 1: 125 .
- الفندق: ج 1: 302

ق

- قابس : ج 1: 257 .
- قادس : ج 1: 178 .
- قاع وردة [بمكناس] : 317
- القاهرة : ج 2: 109 .
- القبيبات : ج 1: 302
- قرطاجنة : ج 1: 230 .
- قرطبة : ج 1: 140 - 179 - 252 - 273 .
- القرويين : ج 1: 278 - ج 2 : 113 .
- قرية بن عودة ج: 2: 98 .
- قرية تدس : ج 1: 261 .
- قرية الحباسي : ج 2: 98 .
- قرية صفرو: ج 1 : 214
- قرية القائد عبد الكريم بن عبد السلام بن عودة الحارثي السفياني : ج 2: 98
- القسطنطينية : ج 1: 179 - ج 2: 109 .
- قسنطينة :/ قسطينة: ج 1: 201 - 256 - 257 - 263 .
- قشتالة : ج 1: 252 .
- القصابي : ج 1: 321 .
- قصبة أبي زنيقة : ج 2: 88 .
- قصبة أدخسان : ج 1: 321 - ج 2: 168
- قصبة أفراق : ج 1: 325 .
- قصبة ابن مشعل / دار بن مشعل : ج 1: 196 .
- قصبة تيزنيت : ج 2: 163
- قصبة الخميس : ج 1: 321 .
- قصبة الدار البيضاء : ج 2: 29 .
- قصبة سلوان : ج 1: 320 .
- قصبة الصخيرات : ج 2: 88
- قصبة [بطنجة] ج 2: 188 .
- قصبة العيون : ج 2: 201 .
- قصبة مزم : ج 2 : 13
- قصر إيشر : ج 2: 232 .
- قصر الإيوان: ج 2: 199 .
- قصر بني مطير : ج 1: 294 - 321 .
- قصر الجديد : ج 1: 214 .
- قصر خورنق : ج 2: 199 .
- قصر السوق : ج 2: 213 .
- قصر فرعون : ج 1: 318 .
- قصر كتامة : ج 1: 231 - ج 2: 46 - 166 .
- قصر النصر : ج 1: 314 .

- قفصة : ج 1: 257 .
- قلعة بني صالح: ج 2: 122 .
- قلعة بني حماد : ج 1: 239 - 272
- قلعة تاوريرت : ج 1: 320 .
- قلعة تاجانة : ج 2: 201 .
- قلعة ثغالين : ج 1: 294 .
- قلعة رباح : ج 1: 240 .
- قلعة القصابي : ج 2: 201
- قلعة مكناس: ج 1: 316 .
- قنطرة ابن يش : ج 1: 317 .
- قنطرة تانسيفت : ج 2: 65 .
- قنطرة الرصيف : ج 1: 276 ج 2: 65 .
- قنطرة وادي أم الربيع : ج 2: 65 .
- قنطرة وادي حصار: ج 2: 65 .
- قنطرة وادي سبو : ج 2: 29 - 65 - 184 .
- القويعة : ج 1: 285 - 292 .
- القيروان : ج 1: 178 - 228 - 256 - 270 - 304 - ج 2: 9

ك

- كرسيف : ج 1: 320
- كليز : ج 2: 192
- كليميم : ج 2: 163 - 164 .
- كنعان: ج 1: 270
- الكوفة : ج 1: 174 - 277 - ج 2 - 106 - 109

ل

- لاهيه : ج 2: 109 .
- لسبون : ج 2: 109.
- لوندرة / لندرة : ج 2: 109 - 248 - 252 - 254 .

م

- مانة بيروبير : ج 2: 228 .
- مازونة : ج 1: 201 - 230 - 295 - 329 .
- ماسة :ج 1: 268 .
- مثيوة : ج 2: 185 .
- مجاط: ج 2: 132 .
- مدرسة باب عجيسة : ج 2: 29 .
- مدرسة الشراطين : ج 2: 85 .
- المدرسة العنانية : ج 2: 65 .
- مدرسة الوادي : ج 2: 65 .
- مدريد : ج 2: 109 .
- مدشر بني إبراهيم : ج 1: 210 .
- مدغرة: ج 2: 213 .

- المدينة المنورة : ج 1: 124 - 170 - 174 - 189 - 277 - ج 2: 31 - 106 - 198 .
- المراسي السوسية : ج 2: 160 .
- مراكش : ج 1: 191 - 193 - 229 - 233-230 - 234 - 237 - 238 - 240 - 241 - 244 - 245 -251 - 256 - 262 - 263 - 264 - 265- 268 - 276 - 280 - 281- 284 - 287 - 296 - 298 - 323 - ج 2: 6 - 13 - 20 - 30 - 31 - 32 - 37 - 55 - 57 - 61 - 65 - 71 - 72- 89 - 91 - 99 - 101 - 102 - 103 - 108- 109 - 112 - 121 - 132 - 160- 164 - 166 - 191 - 193 - 200- 212 - 215 - 216 - 226 -227 - 228 - 229 - 240 -241 - 243 - 246 - 254 - 259- 260 –262 - 267 - 268 .
-مرتيل : ج 2: 27 - 28 .
- مرسى أرزيو : ج 2 : 110
- مرسى أبي الربيع سليمان: ج 1: 201
- مرسى أساكا : ج 2: 162 - 164 .
- مرسى أكلو : ج 2: 162 .
- مرسى الجديدة : ج 2: 23 - 253 - 259 .
- مرسى الجزائر : ج 2: 109 .
- مرسى الرباط : ج 2: 29 .
- مرسى سعيدة : ج 2: 199 .
- مرسى سلا : ج 2: 29 .
- مرسى الصويرة : ج 2: 141 .
- مرسى طرفاية : ج 2: 164 - 230 .
- مرسى طنجة : ج 2: 84 .
- مرسى وادي نول : ج 2: 162 .
- مستغانم : ج 1: 201 - ج2: 110
- مسجد أبي الحسن بن أبي غالب: ج 2: 65 .
- مسجد أبي جلود : ج 2: 200
- مسجد أحمد الشاوي : ج 2: 103 .
- مسجد آسفي: ج 2: 30 .
- مسجد الأزهر : ج 2: 29 .
- مسجد الأشراف : ج 1: 319 .
- مسجد الأشياخ ج1: 319 - 320 .
- المسجد الأعظم [بإشبيلية]: ج 1: 239 .
- المسجد الأعظم [بمكناس] : ج 1: 314 - 316
- المسجد الأعظم [بالرباط]: ج 2: 65 .
- المسجد الأعظم [بالرحبة] ج 2: 30
- المسجد الأعظم [بفاس] : ج 2: 65 .
- المسجد الأعظم [بطنجة] ج 2: 188 .
- المسجد الأعظم [بباب دكالة] : ج 2: 30 .
- مسجد الأندلس / مسجد جامع الأندلس : ج 1: 320 - ج 2: 85 .
- المسجد الأعظم [بباب هيلانة]: ج 2: 30
- مسجد أهل فاس : ج 2: 102 .
- مسجد بيت المقدس : ج 1: 254 .
- مسجد تازا : ج 2: 29 .
- مسجد تطاوين : ج 2: 65 .

- مسجد تيط ج: 30
- مسجد الجزارين : ج 2: 65 .
- مسجد الديوان : ج 2: 65 .
- مسجد الرحبة : ج 2: 65 .
- مسجد الريصاني : ج 2: 29 .
- مسجد زاوية الشرادي : ج 2: 30 .
- مسجد الشرابليين : ج 2: 65 .
- مسجد الشرفاء : ج 1: 318 - 319 - 320 .
- مسجد صفرو : ج 2: 65 .
- مسجد القرويين : ج 1: 320 .
- مسجد القصبة البالية : ج 3141 - ج 2: 65 .
- مسجد المدينة [المنورة] : ج 1: 170 - 254 .
- مسجد مكة : ج 1 : 254 .
- مسجد الملوك : ج 2: 30 .
- مسجد المنزل : ج 2: 65 .
- مسجد المولى عبد الله بن إسماعيل : ج 2: 103 .
- مسجد وجدة : ج 2: 65 .
- مسجد وزان : ج 2: 65 .
- مسكر: ج 2: 106 .
- مسون : ج 1 : 281 .
- المسيلة : ج 1: 273
- مشرع الرملة : ج 1: 298 - 299 .
- مشرع النجمة: ج 2 : 190 .
- مشور أبي الخصيصات : ج 2: 200 .
- مصر: ج 1: 187 - 221 - 233 - 256 - 273 - ج 2: 31 - 73 - 109 - 147 .
- المصلح : ج 1: 213 .
- المصامدة: ج 1: 229 - 230 .
- مضيق غياثة : ج 2: 195 .
- معسكر : ج 1: 199 - ج 2: 75.
- المغارب: ج 1: 177 - 178 - 203 - ج 2: 32 - 33 - 121 - 123 - 137 - 185 .
- المغرب : ج 1: 139 - 167 - 178 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210 - 211 - 212 - 213 - 215 - 221 - 225 - 229 - 230 - 231 - 233 - 234 - 235 - 236 - 238 - 240 - 242 - 243 - 247 - 249 - 250 - 252 - 259 - 260 264 - 268 - 269 - 270 - 273 - 279 - 302 - 306 - 314 - 315 - 316 - 322 - 329 - ج 2: 5 - 9 - 11 - 20 - 24 - 27 - 42 - 46 - 71 - 72 - 87 - 93 - 94 - 97 - 118 - 119 - 121 - 132 - 140 - 143 - 147 - 164 - 166 - 167 - 172 - 179 - 197 - 202 - 217 - 218- 225 - 226 227 - 235 - 242 - 247 - 250 - 251 - 253 - 254 - 264 -265 - 269 - 273 .
- المغرب الأدنى : ج 1: 271.
- المغرب الأقصى: ج 1: 220 - 221 - 223 - 250 - 301 - ج 2: 27 - 108 - 109 - 166 - ج 2: 199 - 231 - 232 .
- المغرب الأوسط : ج 1: 199 - 223 - 228 - 295 - 301 - ج 2: 72 - 109 - 232.
- مفس : ج 1: 270 .

- مكة/الحج الحرمين: ج 1: 163 - 187 - 205 - 215 - 221 - 322 - 323 - ج 2 : 9 - 31
- مكناسة / مكناس / مكناسة الزيتون: ج 1 : 221 - 281 - 283 - 284 - 285 - 286 - 287 - 289 - 293 - 296- 299 - 303 - 305 - 313 - 316 - 317 - 320 - 321 - 323 - 324 - 235 - 328 - ج 2: 6 - 7 - 11 - 13 - 14 - 27 - 65 - 72 - 82 - 90 - 98 -125 - 168 - 169 - 172 - 174 - 190 - 198 - 200 - 218 - 219 - 220- 221 - 225 - 241 - 270 - 273 - 274 .
- مليانة : ج 1: 230 .
- مليلية : ج 2: 24 - 93 - 121 - 122 - 214 - 223 .
- المملكة التركية : ج 2: 109 .
- مملكة تونس : ج 2: 109 .
- المملكة الروسية / الروسيا : ج 2: 109 .
- المملكة الفرنساوية / فرنسا :ج 2: 109 .
- منداس :ج 1: 329 .
- المنزه :ج 2: 13 .
- المنصورة :ج 1: 255 .
- المنصورية: ج 2: 30
- المهدية (التونسية) : ج2: 156 .
- المهدية [المغربية]/المعمورة : ج 1: 239 - 301 - 303 .
- موسكو : ج 2: 257 - 258 .

ن

- النامسا / النمسا : ج 2: 109 .
- نجيب: ج 1: 271
- ندرومة : ج 1: 199
- النكور: ج 2: 122 .
- نهر إيناول : ج 2: 184 .
- نهر تاركي : ج 2: 102 .
- نهر فيطوط :ج 2: 102 .
- نهر ملوية : ج 1: 249 - 280 - 281 - 293 - 320 .
- النيل : ج 1: 228 - 300

هـ

- هسكورة : ج 1: 285.
- الهند : ج 2: 203 .

و

- واد أم الربيع : ج 1: 256 - 268 .
- واد باجة : ج 1: 239 .
- واد شلف : ج 1: 292 .
- وادي أودون: ج 2: 185 .
- وادي إيسلي : ج 2: 81 - 95 - 232 .
- وادي إفلي: ج 1: 284
- وادي بهت :ج 1: 288 .
- وادي تافنا : ج 1: 292 .
- وادي تشوكت :ج 1: 321 .
- وادي تنقرت : ج 1: 282 .

- وادي الجواهر: ج 1: 290 .
- وادي الحشف :ج 2 : 189
- وادي خمان : ج 2: 190 .
- وادي الرتب :ج 1: 214 .
- وادي زا : ج 2: 81
- وادي زيز : ج 1: 294 - ج 2: 212 .
- وادي زواغة : ج 1: 297 .
- وادي سبو : ج 1 : 222 - 276 - 301 - ج 2: 12 - 29 - 50 - 112 - 190 .
- وادي سكورة : ج 1: 321 .
- وادي السوس : ج 1: 269 .
- وادي سيدي حرازم : ج 2: 65 .
- وادي شلف: ج 1: 223 .
- وادي العبيد :ج 1: 268 - 280 - 284 - 294 - ج 2: 259 - 216 .
- وادي عوف: ج 1: 205 .
- وادي غفر : ج : 247 .
- وادي القرى : ج 1: 179 .
- وادي قيقو : ج 1: 321 .
- وادي ماسة : ج 1: 269 .
- وادي المخازن : ج 1: 263 - ج 2: 189 .
- وادي مسون : ج 1: 320 .
- وادي مكس : ج 2: 89 - 270
- وادي ملوية / نهر ملوية / ملوية : ج 1: 222 - ج 2: 199 .
- وادي النجا :ج 2: 190 .
- وادي نول / وادي نون : ج 1: 262 - 268 - 322 - 329 - ج 2: 162 - 163 .
- وادي والغاس : ج 2: 163 .
- وادي ورغة : ج 2: 166 .
- وادي ويسلن : ج 2: 6
- وجدة :ج 1: 199 - 201 - 292 - 296 - 297 - 320 - ج 2: 51 - 75 - 79 - 81 - 108 - 126 - 130 - 133 - 166 - 232 .
- وجه عروس : ج 1 : 299 - 321 .
- وزان/وازان : ج 2: 185 - 267 .
- وطن الجزائر (الدولة) : ج 2: 79 - 96 .
- وطن السودان: ج 2: 256 .
- ولهاصة : ج 1: 199 .
- وليلي : ج 1: 221 - 222 .
- وهران: ج1: 230 - 231- 234 - 257 - 273 - 295 - 296- ج 2: 52 - 53 - 110 - 256 .

ي

- يقلي : ج 2: 235 .
- اليمن :ج 1: 124 - 167 - ج 2: 10 - 27 - 31 - 106 .
ينبع النخل : ج 1: 208 - 209 - 210 .
- اليونان :ج 2: 109 .

فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

- القرآن/ قول الله تعالي/ الكتاب : ج1: 117 - 122 - 135 - 138 - 139 - 157 - 159 - 164 - 168 - 171 - 172 - 177 - 180 -185 - 189 - 204 - 206 - 218 - 254 - - 257 - 266 - 288 - ج 2: 18 - 22 - 38 - 41 - 54 - 96 - 101 - 107 - 113 -127 - 179 - 181 - 197 - 205 - 206 - 208 - 260 - 265 .

أ

- الابتهاج : ج 1: 207 .
- الأجواد :ج 1: 129 .
- أجوبة بن رشد: ج 1: 215 .
- أخبار الأمويين :ج 1: 130 .
- أخبار بغداد : ج 1: 130 .
- أخلاق الملوك : ج 1: 130
- الأربعين (للرهاوي) : ج 1: 166 .
- أرجوزة [زهر الشماريخ في علم التاريخ] : ج 1: 209 - 210 - 211 - 227
- أرجوزة [في ذكر شيوخ الغالي بن سليمان]: ج 1: 144 .
- أرجوزة في نظم ما اشتمل عليه المعرب المبين في أخبار ملوك بني مرين: ج 1: 143.
- الإرشاد :ج 1: 174 .
- الإعجاز : ج 1: 149 .
- الأغاني (للأصبهاني) : ج 2: 20 - 143 .
- الأغاني : (للموصلي) : ج 1: 128 .
- الانتظار : ج 2: 17 .
- الإنجيل : ج 1: 122 - ج2: 41 - 249 .
- الأنوار الحسنية في نسبة من سجلماسة من الأشراف المحمدية: ج1: 211-213-219 .
- الأنيس النفيس المغني عن الجليس : ج 1: 133 .
- البارع :ج 1: 175 .

ب

- بدائع الاقتباس في مناقب سيدي أبي العباس : ج 1: 141 - 142 .
- بدائع السلك في طبائع الملك :ج 1: 133 .
- بردة البوصيري :ج 1: 146 .
- البستان الظريف/ البستان :ج 1: 133 - 303 - 318 - ج 2: 47 .
- بغية الخبير في قانون طلب الأكسير :ج 2: 154 .
- بغية الوراد في أخبار بني عبد الواد/ بغية الرواد :ج 1: 132 - 222 .
-البلدان وفتوحها :ج 1: 131 .

ت

- تاريخ [ابن الأثير] :ج 1: 233 .
- تاريخ ابن جلجل :ج 2: 156 .
- تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري :ج 1: 131
- تاريخ أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي : ج 1: 131 .
- تاريخ أبي دينار: ج 1: 269 .
- تاريخ اليافعي : ج 1: 242 .
- التاريخ وأخبار الأمويين ومناقبهم : ج 1: 131 .

- التبيان : ج 1: 129 .
- التحف العرائشية على الصلاة المشيشية : ج 1: 142 .
- التذكرة : ج 1: 271
- تقاييد: ج 1: 287 - 299 .
- تقييد في ذم فاس: ج 1: 143 .
- التلخيص : ج 1: 146 .
- التمهيد :ج 1: 161 .
- التهذيب: ج 2: 21 .
- التوراة : ج 1: 122 - 158 - ج 2: 249
- التوضيح :[للشيخ خليل] ج 1: 272 .

ج

- الجامع الصغير : ج 1: 168
- جامع المعيار : ج 2: 265 .
- الجمان في أخبار بني زيان : ج 1: 132 .
- الجمان في أخبار الزمان / الجمان : ج 1: 213 - ج 2: 185.
- الجمان النفيس : ج 1: 255 .
- جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى : ج 1: 132 - ج 2: 95 .
- الجيش العرموم / الجيش :ج 1: 134 - 185 - 278 - ج 2: 32 - 46 .
- الجيش الكمين في الرد على من كفر عوام المسلمين : ج 1: 274 - 297

ح

- حاشية أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني على شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني لمختصر خليل : ج 2: 43 .
- حاشية على الإمام الخرشي : ج 2: 147 .
- حاشية على الإمام الخرشي شرح مختصر خليل [للمولى سليمان] : ج 2: 4 .
- حاشية على المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل : ج 1: 142 .
- الحزب الكبير : ج 1: 143 .
- حكم [ابن عطاء الله] : ج 2: 211 - 212 .
- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية: ج 1: 120 .
- الحيل والمكائد في الحروب: ج 1: 129 .

خ

- الخبر المعرب : ج 1: 238 - 260 - ج 2: 147 .
- الخمسمائة : [لجابر بن حيان] ج 2: 152 .

د

- داعي الطرب : 221 .
- درء الشقاوة في حروب درقاوة : ج 2: 55 .
- درة السلوك : ج 1: 185 .
- درر الغرر :ج 1: 222 .
- الدرر المازونية : ج 1: 274 .

- الدر السني : ج 1: 196 - 207 .
- دوحة الناشر في أخبار ملوك القرن العاشر/ الدوحة : ج 1: 132 - 263 .
- الدولة [العباسية] : ج 1: 128 .
- الدولة العباسية :ج 1: 130 .
- دخائر العقبي : ج 2: 107 .

ذ

- ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول : ج 1: 134 .

ر

- الرتبة [للمجريطي] : ج 2: 152 .
- رجال الشفاء: ج 1: 187 .
- رحلة [الخفاجي] : ج 1: 140 .
- رحلة [العياشي] : ج 1: 210 .
- رحلة [لجبال غمارة] : ج 2: 184 .
- رقم الحلل : ج 1: 235 .
- رسالة [ابن تيمية] : ج 2: 147 .
- رسالة أهل سبتة: ج 1: 202 .
- رسالة القشيري : ج 1: 242 .
- رسالة القيرواني: ج 2: 21 .
- رسالة [نجم الدين بن البغدادي] : ج 2: 148 .
- رسالة [يعقوب الكندي]:ج 2 : 147 .
- رنات المثاني بمضمون واقعة المكيلدية بعد النواحي السوسية : ج 2: 169 .
- الروض الأنف : ج 1: 167 - 168 .
- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون :ج 1: 221
- الروضة (رجز) : ج 1: 216 .
- روضة التعريف/ الروضة : ج 1: 279 - 280 .
- روضة النسرين في أخبار بني مرين : ج 1 : 12 : 132.

ز

- الزبور : ج 2: 249 .

س

- سرية النصر لأهل هذا العصر (قصيدة) : ج 2: 80
- السلوانية : ج 1: 135 .
- سنن أبي داود : ج 1: 176 .
- السهم الرائش في حكم غنيمة العرائش: ج 1: 306 .
- سيرة أبي دينار: ج 2: 71 .
- السيف المشرفي لقطع لسان المشرفي : ج 1: 143 .
- السينية (قصيدة) : ج 1: 296 .

ش

- الشذور (ديوان) : ج 2: 146 - 155 .
- شرح أبي داود : ج 1: 122 .

- شرح آداب الكاتب : ج 2: 66 .
- شرح الجمان النفيس : ج 1: 277 .
- شرح درة السلوك :ج 1: 262 .
- شرح رقم الحلل : ج1: 236 .
- شرح الروضة: ج 1: 216 .
- شرح زهرة الشمارخ :ج 1: 265 .
- شرح الشفاء / نسيم الرياض :ج 1: 162 .
- شرح صغرى السنوسي : ج 1: 307 .
- شرح على قصيدة ابن الفارض : ج 1: 143 .
- شرح الأمية العجم : ج 2: 141 .
- شرح مسلم : ج 2: 73 .
- شرح المعلقات : ج 1: 175 .
- شرح مقصورة حازم : ج 1: 241
- شرح المكتسب : ج 2: 153 .
- شرح المباحث الأصلية: ج 2: 185 .
- شرح نظم الحلفاوي :ج 2: 72 .
- الشفاء [لابن سيناء]: ج 2: 147 .
- شفاء القاضي عياض / الشفاء: ج 1: 122 - 304 - ج 2: 192 .
- الشمس المنير في تحقيق الإكسير: ج 2: 154
- الشمقمقية : ج 2: 33 - 85 .
- الشيخ قويسم على الشفا/ على رجال الشفا : ج 1: 272 .

ص

- الصابح والمفاتيح : ج 2: 152 .
- الصحيح/صحيح البخاري/ البخاري: ج1: 146 - 164- 297-ج 2: 114- 141- 188-192.
- صحيح مسلم / الصحيح :ج 1: 146 - 159 - 176 .

ض

- الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع ج 1: 274 .
- ظهير المولى إسماعيل: ج 1: 289 .

ع

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن والأهم من ذوي السلطان الأكبر / العبر: ج 1: 132 .
- العقد [الفريد] : ج 1: 179 .
- العقيقية : ج 1: 197 .
- عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي بن الجد : ج 2: 45 .

ف

- فتح الباقي في شرح ألفية العراقي: ج 1: 174 .
- فتح الرحمان في شرح الجمان : ج 2: 10 .
- الفروق : ج 1: 272

- القاموس : ج 1: 266 - 279 - ج 2: 66 - 141 - 263 .
- القرطاس : ج 1: 249 .
- قصيدة [المولى محمد بن إسماعيل] ج 1: 290 .
- قصيدة أبي عبد الله المسناوي: ج 1: 286 .
- قصيدة [في تاريخ ملوك الدولة العلوية]/ المنظومة : ج 1: 117 - 134 - 138 - 139 - 149 - 150 - 157 - 185 .
- قطف الزهور في تاريخ الدهور : ج 2: 77.
- قصيدة في مدح المولى علي الشريف: ج 1: 216 .
- قصيدة الرياحي: ج 2: 55 .

ك

- كتاب الحيل : ج 2: 157 .
- كتاب الدولة: ج 1: 128 .
- كتاب [في صناعة الكيمياء] ج 2: 156 .
- كليلة ودمنة : ج 2: 154 .
- كناش أحمد الحميدي : ج 1: 297 .
- كناش [سليمان بن عبد القادر الزرهوني] : ج 1: 322 .
- كنز الحكمة : ج 2: 152 .

ل

- اللباب في مشكلات الكتاب : ج 2: 185 .
- لوامع الغرر في جمع الطرر :ج 1: 143 .

م

- المباحث المشرقية : ج 2: 148
- مختصر ابن الحاجب :ج 2: 20
- المختصر الجامع : ج 2: 107 .
- مختصر خليل : ج 2: 21 - 42 - 113 .
- مدخل [ابن الحاج] : ج 2: 96 .
- مرآة الزمان : ج 1: 240 .
- مرآة المحاسن/ المرآة : ج 1: 207 - 213 .
- مساند الأئمة الأربعة : ج 2: 20 .
- مسند الإمام أحمد : ج 2: 20 .
- مسند أبي حنيفة : ج 2: 20 .
- المصباح [لابن أميل] : ج 2: 152
- المصباح [المنير للفيومي] : ج 1: 125 - 168 .
- المطالب العالية : ج 2: 19 .
- المعادن [لأرسطو] ج 2: 149 .
- معالم الإيمان في أخبار القيروان : ج 1: 270 .
- معجم الطبراني : ج 1: 158 .
- المعرب [لابن زاكور] : ج 1: 144 .
- المعيار : ج 1: 274 .
- المغازي : ج 1: 153 .

- المقامات الحريرية : ج 2: 154
- المقنع: ج 1: 269 .
- منادمة الأقيال في معنى طيف الخيال : ج 1: 143 .
- المنتقى المقصور على مآثر خلافة السلطان أبي العباس المنصور : ج 1: 260 -
- المنفرجة: ج 1: 272 .
- الموطأ : ج 1: 146 - 174 .
- المؤنس في أخبار قرطاجنة وتونس/ سيرة الشيخ أبي دينار/ تاريخ الشيخ أبي دينار: ج 1: 230 .

ن

- النبراس : ج 1: 230
- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب : ج 1: 240 .
- نزهة الأبصار في شرح قصيدة الأنصار : ج 1: 143
- نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي/ نزهة الحادي/ النزهة : ج 1: 133 - 206 - 208 - ج 2: 110
- نشر المثاني في أخبار القرن الحادي والثاني / نشر المثاني/ النشر: ج 1: 133 - 139 - 206 - 278 - 285 - 289 - 303 - 305 - 306 - 326 .
- النصيحة: ج 2: 234 - 235 .
- نظم أبي مقرع/ المقنع : ج 1: 269 .
- نظم اللآل :ج 1: 143 .
- نهاية الطلب : ج 2: 152 .
- نوازل الشريف العلمي : ج 1: 289 - 300 .

هـ

- الهمزية [اللبوصيري] : ج 1: 146 .

و

- وفيات الأعيان / تاريخ ابن خلكان : ج 2: 144 .

الجرائد

- جريدة التيمس[Times] :ج 2 : 273 .

فهرس المصادر والمراجع

1- العربية

- ابن ابراهيم العباس التعارجي :

1- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام. تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1397 / 1977 .

- ابن أبي زرع علي :

2- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 13921 / 1973 .

- ابن الأثير الجزري علي بن أبي الكرم :

3- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.

4- الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1386 / 1966 .

- ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف :

5- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2 . 1382 / 1962 .

- ابن الأزرق، أبو عبد الله :

6- بدائع السلك في طبائع الملك : تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1397 / 1977 .

- ابن الأنباري عبد الرحمان :

7- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد. ط. 2. 1390 / 1970 .

- ابن بسام الشنتريني علي :

8- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1398/1978.

- ابن تاويت محمد وعفيفي محمد الصادق :

9- الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. 1 ، 1380 / 1960.

- ابن تغري بردي يوسف أبو المحاسن :

10- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. 1 ، 1349 / 1930.

- ابن الجزري محمد :

11- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق : برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3 ، 1402 / 1982 .

- ابن جلجل سليمان :

12- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فواد : سيد، المعهد العلمي الفرنسيي للآثار الشرقية، القاهرة، 1374 / 1955 .

- ابن الجوزي القرشي، عبد الرحمان :

13- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1359 / 1940 .

14- الموضوعات، تحقيق : عبد الرحمان محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط. 1، 1386 / 1966 .

- ابن الحاج، محمد أبو عبد الله :

15- المدخل، دار الفكر، ط. 2، 1397 / 1977.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد شهاب الدين :
16- تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط. 1، 1326/ 1908.
17- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، دون تاريخ ومكان الطبع.
18- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1390/ 1971.
19- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الرياض الحديثة البطحاء الرياض.
- ابن حزم الأندلسي، علي أبو محمد :
20- جمهرة أنساب العرب، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1382 / 1962.
- ابن حنبل أحمد :
21- المسند، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت. دون تاريخ.
- ابن حوقل محمد :
22- صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، ط 2. 1357/ 1938.
- ابن الخطيب لسان الدين السليماني :
23- ديوان، تحقيق وتقديم، محمد مفتاح، دارالثقافة، الدارالبيضاء، ط1. 1409/ 1989.
24- رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1317/ 1899.
25- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2. 1400/ 1980.
- ابن خلدون عبد الرحمان :
26- العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت، 1399 / 1979.
- ابن خلكان شمس الدين أحمد أبو العباس :
27- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- ابن الدباغ عبد الرحمان :
28- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المطبعة العربية التونسية، 1320/1902 .
- ابن رشيق القيرواني الحسن أبو علي :
29- العمدة في محاسن الشعر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط. 4. 1392/ 1972.
- ابن الرومي، علي بن جريج :
30- ديوان، تحقيق : حسين نصار، مطبعة دار الكتب، 1393/ 1973.
- ابن الزيات يوسف بن يحي التادلي :
31- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1404/1984.
- ابن زيدان عبد الرحمان :
32- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط، ط. 1. 1350 / 1932.
33- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356 / 1937 .
34- العز و الصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1382 / 1962.
- ابن سعد :
35- الطبقات الكبرى، دار صادر، دار بيروت، 1380 / 1960.
- ابن سعيد المغربي :

36- المغرب في حلى المغرب، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2. 1384 / 1964.

- ابن سلمون الكناني عبد الله أبو محمد :

37- العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام المطبعة البهية، مصر، 1302 / 1885.

- ابن سودة عبد السلام :

38- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، مرقون. يوجد في خ. ع. ر. تحت رقم 0651.

39- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط. 2. 1384 / 1965.

- ابن سودة المري محمد :

40- قبيلة زعير قديما وحديثا، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1397/1977.

- ابن سينا الحسين بن عبد الله :

41- ديوان، تحقيق : نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه، منشورات كلية الطب والصيدلة، الجزائر، 1379 / 1960.

- ابن الشجري هبة الله. ضياء الدين :

42- الأمالي الشجرية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط. 1. 1349/1930.

- ابن الطفيل عامر :

43- ديوان، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1379 / 1959 .

- ابن عبد البر يوسف :

44- الإنباه على قبائل الرواه، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350 / 1931.

45- القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350 / 1931.

- ابن عبد ربه الأندلسي أحمد أبو عمر :

46- العقد الفريد، تحقيق : أحمد أمين، و أحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361/ 1942 .

- ابن عبد الحكم عبد الرحمان:

47- فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق وتقديم : عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1407 / 1987.

-ابن عبد الله عبد العزيز :

49- الموسوعة المغربية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط. 1395 ـ 1397 / 1975 ـ 1977.

- ابن العربي الصديق :

50- كتاب المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 3. 1404 / 1984.

- ابن عساكر الشافعي. علي بن الحسن أبو القاسم :

51- التاريخ الكبير، تحقيق : عبد القادر أفندي بدران، مطبعة روضة الشام، 1331 / 1913.

52- تاريخ مدينة دمشق، الجزء 1، تحقيق : صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1371/1951.

- ابن عسكر الشفشاوني محمد :

53- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق : محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط. 2. مصورة بالأوفسيط. 1397/ 1977.

- ابن العماد الحنبلي عبد الحي أبو الفلاح :

54- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ.

- ابن عجيبة الحسني، أحمد :
55- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ.
- ابن عذاري المراكشي :
56- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق : ج. كولان، ول. بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ.
- ابن غازي العثماني، محمد أبو عبد الله :
57- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1384 / 1964.
- ابن فرحون إبراهيم بن علي :
58- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
- ابن الفارض عمر بن علي :
59- ديوان، تحقيق : كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ة 1957/1376 .
- ابن القاضي أحمد :
60- المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق : محمد رزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1406 / 1986 .
61- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1392 ـ 1393 / 1973 ـ 1974.
62- درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق : ي. س. علوش، المطبعة الجديدة، الرباط، 1353 / 1934.
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله أبو محمد :
63- الإمامة والسياسة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر.
64- عيون الأخبار، نسخة مصورة عن دار الكتب، دون تاريخ.
- ابن قنفد القسنطيني :
65- الوفيات، تحقيق : عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، دون تاريخ.
- ابن كثير. أبو الفداء :
66- البداية والنهاية، الجزء 11، 12، 13، 14، ط.1. 1386 / 1966 . الجزء 7، 8، 9، 10، 3، 4، ط. 2. 1394 ـ 1398 / 1978. مكتبة المعارف، بيروت.
- ابن ماجة القزويني، محمد أبو عبد الله :
67- السنن، المطبعة العلمية، ط 1. 1313 / 1894.
- ابن مخلوف، محمد بن محمد :
68- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.
- ابن مريم المليتي المديوي التلمساني محمد أبو عبد الله :
69- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق : محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326 / 1908 .
- ابن منصور عبد الوهاب :
70- أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979.
71- مجموعة الوثائق، تحقيق ونشر عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1976/1396.
72- قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388 / 1968.
- ابن منظور :
73- لسان العرب، دار المعارف. دون تاريخ.

- ابن النديم، محمد بن إسحاق :
74- الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1398 / 1978.
- ابن هداية الله أبو بكر الكوراني :
75- طبقات الشافعية، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 2. 1400 / 1979.
- ابن هشام عبد الملك :
76- السيرة النبوية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ.
- ابن الوردي عمر زين الدين :
77- تتمة المختصر في أخبار البشر، الجزء 2. تحقيق : أحمد رفعت ا لبدراوي، دار المعرفة، بيروت، ط. 1. 1389/ 1970.
- أبو تمام حبيب بن أوس :
78- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب البريزي، تحقيق : محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1384 / 1964.
- أبو حاقة أحمد :
79- أبو فراس الحمداني، سلسلة أعلام الفكر العربي، ع. 2. منشورات دار الشرف الجديدة، بيروت، ط 1. 1380 / 1960
- أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث :
80- السنن، تعليق : أحمد سعد علي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر، ط 1. 1371 / 1952.
- أبو زهرة محمد :
81- ابن حنبل، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.
82- أبو حنيفة، دار الفكر العربي، ط. 2. 1375/ 1955 .
83- ابن تيمية، دار الفكر العربي، ط. ا. دون تاريخ.
84- ابن حزم، دار الفكر العربي، 1398 / 1978.
- أبو ضيف أحمد مصطفى :
85- أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1402 / 1982
- أبو عبد الله محمد (ابن القاضي عياض):
86- التعريف بالقاضي عياض، تقديم وتحقيق : محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، دون تاريخ.
- أبو فراس الحمداني :
87- ديوان، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1379 / 1959
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني :
88- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، 1351 - 1356 / 1932 - 1937.
- أحمد أمين :
89- ظهر الإسلام، ط. 5. بيروت، 1388 / 1969.
90- ضحى الإسلام، ط. 6 . مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. 1961.
- الأخضر محمد :
91- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط. 1. 1398/ 1977.
- الأزهري محمد البشير ظافر :
92- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، مطبعة الملاجئ العباسية، 1324 / 1906.
- أفا عمر :

93- مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. 1، 1408 / 1988.
- الإفراني ، محمد الصغير أبو عبد الله :
94- روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1382 / 1962
95- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، بعناية : هوداس، مكتبة الطالب، الرباط، ط. 2، دون تاريخ.
- الأفغاني سعيد :
96- ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط. 2، 1389 / 1969.
- الأصبهاني ، علي بن الحسين أبو الفرج :
97- الأغاني، الناشران : طبعة بولاق الأصلية، دار الفكر للجميع، بيروت 1390 / 1970.
- الأصفهاني العماد الكاتب :
98- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق : آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية للنشر، 1392 / 1972.
- الأصمعي ، محمد عبد الجواد :
99- أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني، دار المعارف، مصر، دون تاريخ.
- أكنسوس المراكشي ، محمد بن أحمد :
100- الجيش العرموم الخماسي، طبعة حجرية، فاس، 1336 / 1918.
- الألباني محمد ناصر الدين :
101- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ط. 2، 1399 / 1979.
- الأنباري (ابن) ،
102- الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، مصر، ط. 3 .1374 / 1955
- الأنصاري ، محمد بن القاسم السبتي :
103- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، ط. 2، 1403 / 1983.
- الأهواني ، أحمد فؤاد :
104- ابن سينا، دار المعارف، مصر، 1378 / 1958.
- الباقلاني ، محمد بن الطيب ، أبو بكر :
105- إعجاز القرآن، تحقيق : أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دون تاريخ.
- البقاني محمد فؤاد :
106- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
-البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي :
107- التاريخ الكبير، دون تاريخ ومكان الطبع.
- بدوي أحمد أحمد :
108- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1392 / 1972.
- بروفنصال ليفي :
109- مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397 / 1977 .
- بروكلمان ، كارل :
110- تاريخ الأدب العربي، تعريب : عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط. 2، دون تاريخ.

- البستاني. فؤاد :
111- أبو فراس الحمداني، سلسلة الروائع.ع. 16.المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1347 / 1928.
- البغدادي بن عبد الحق :
112- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب القاهرة، 1374 / 1954.
- البغدادي إسماعيل باشا :
113- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، دون تاريخ.
114- هدية العارفين، منشورات مكتبة المثنى، بيروت، دون تاريخ. وطبع بعناية، وكالة المعارف بإستنبول سنة 1375 / 1955.
- البغدادي الخطيب أبو بكر :
115- تاريخ بغداد، طبع بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة، والمكتبة العربية ببغداد، ومطبعة السعادة بمصر، 1349 / 1931.
- البغدادي عبد القادر بن عمر :
116- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387 / 1967.
- البلاذري أحمد بن يحي :
117- أنساب الأشراف، تحقيق : محمد باقر المحمودي، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ط. 1. 1397 / 1977.
- بلاشير . ر:
118- تاريخ الأدب العربي، تعريب : إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق. 1393 / 1973.
- بلاثيوس. أسين :
119- ابن عربي، تعريب عن الإسبانية : عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1385 / 1965 .
- بلهاشمي بن بكار :
120- مجموع النسب والحسب و الفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1381 / 1961.
- البهيتي نجيب محمد :
121- أبو تمام الطائي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1365/ 1945.
- بوشعراء مصطفى :
122- الأستيطان والحماية بالمغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1407 / 1987.
- البوصيري محمد بن سعيد أبو عبد الله :
123- ديوان، تحقيق : محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، ط. 2. 1393/ 1973.
- التازي عبد الهادي :
124- جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. 1. 1392 / 1972.
125- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة، المحمدية، 1409 / 1989.
- الترمذي . محمد بن عيسى أبو عيسى :
126- السنن، تحقيق : عبد الرحمان محمد عثمان، دار الفكر، ط. 2. 1394 / 1974.
- التنبكتي أحمد بابا :
127- نيل الابتهاج بتطريز الديباج (بهامش الديباج المذهب لابن فرحون)، عباس بن عبد السلام بن شقرون، القاهرة، 1351 / 1932.

- التوزاني نعيمة هراج :
128-الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1399 / 1979.
- الجراري عباس :
129- القصيدة، دون تاريخ ومكان الطبع.
130- النضال في الشعر العربي بالمغرب (1830 ـ 1912)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 2. 1398 / 1978.
- جرجي زيدان :
-131- تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، القاهرة، 1343 / 1924.
- جرير بن عطية التميمي :
132- ديوان، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1379 / 1960.
- الجزائري محمد بن عبد القادر :
133- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط. 2. 1384 / 1964.
- جلال يحي :
134- تاريخ المغرب الكبير، الجزء 4. دار النهضة العربية، بيروت، 1401/ 1981.
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد :
135- تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر، ط. 1. 1375 / 1955.
- الجيلاني فضل الله :
136- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1378 / 1958.
- حاجي خليفة. مصطفى بن عبد الله :
137- كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، دون تاريخ.
- حتي فليب :
138- صانعو التاريخ العربي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ط. 1. 1389 / 1969.
139- العرب (تاريخ موجز)، بيروت، دار العلم للملايين، ط. 5. 1980.
- الحجوي محمد :
140- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1396 / 1976.
- حجي محمد :
141-الزاوية الدلائية، المطبعة الوطنية، الرباط، 1384/1964.
- حركات إبراهيم :
142- المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط. 2. 1398 ـ 1404 / 1978 ـ 1984.
143- التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط. 1. 1405 ـ 1985.
- حسن صبحي :
143- التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب (1884 ـ 1904)، دار المعارف، مصر، ط. 1. 1385 / 1985.
- حسين عطوان :
144- شعر الوليد بن يزيد، جمع حسين عطوان، مكتبة الأقصى، عمان، 1399 / 1979.
- الحميدي محمد أبو عبد الله :
145- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة. 1386/ 1966.

- الحميري :
146- صفة جزيرة الأندلس (منتخب من كتاب الروض المعطار) نشر بعناية ليفي بروفنصال، بيروت، دار الجيل. ط. 2. 1408 / 1988.
- الخضري بك، محمد :
147- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1390 / 1970.
- الخفاجي المصري، أحمد شهاب الدين :
148- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، المطبعة الأزهرية، مصر، ط. 1. 1325/ 1907.
- الخفاجي، شهاب الدين محمود :
149- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، المطبعة العثمانية، مصر، 1306 / 1889.
- خليل مردم بك :
150- أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، لجنة التراث العربي، بيروت 1391 / 1971.
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمان :
151- السنن، دار إحياء السنة النبوية، دون تاريخ ومكان الطبع.
- داود محمد :
152- تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، دون تاريخ.
153- مختصر تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، 1375 / 1955.
- الديار بكري، حسين بن محمد :
154- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، دون تاريخ ومكان الطبع.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد :
155- الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر، دار المسيرة، بيروت، أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.
- الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد :
156- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
157- العبر في خبر من غبر، تحقيق : صلاح الدين المنجد، الكويت، 1380 / 1960.
158- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق : علي محمد البجاري، دار إحياء الكتب العربية، ط. 1. 1382 / 1963.
159- التلخيص (بهامش المستدرك للنيسابوري)، دار الكتاب العربي، بيروت (دون تاريخ).
- الرافعي مصطفى صادق :
160- تاريخ آداب العرب، تحقيق : محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة القاهرة، ط. 2. 1359/ 1940.
- روجرز :
161- تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، ترجمة : يونان لبيب رزق، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401 / 1981.
- الزبيدي المرتضى محمد بن محمد الحسني :
162- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
- الزركلي، خير الدين :
163- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 5. 1400 / 1980.
- الزرو، خليل داود :

164- الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 1. 1391 / 1971.
- زكريا إبراهيم :
165- ابن حزم الأندلسي، سلسلة أعلام العرب. ع. 56، دار مصر للطباعة، القاهرة، دون تاريخ الطبع.
- زكي محمد مجاهد :
166- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة، دار الطباعة المصرية الحديثة، 1369 / 1950.
- زمامة عبد القادر :
167- من أدب أيام الأزمة، مقال نشر في مجلة المناهل، ع : 21، السنة 1401 / 1981.
168- مع المؤرخ المشرفي في كتابه الحلل البهية، مقال نشر في مجلة المناهل، ع : 36، السنة 1407 / 1987.
- زهير بن أبي سلمى :
169- ديوان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1363 / 1944 .
- الزياني أبو القاسم :
170- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق : عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة، المحمدية، دون تاريخ.
- السبكي، عبد الوهاب أبو النصر:
171- طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسنية المصرية، ط. 1. دون تاريخ.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمان شمس الدين :
172- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1399/ 1979.
173- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
- السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير :
174- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق وتقديم : محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر: 1390 / 1970.
- سركيس يوسف إلياس :
175- معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس، مصر 1346/ 1928 .
- السليماني محمد بن الأعرج :
176- تسهيل المطالب لبغية الطالب (ورقات مرقونة).
177- اللسان ا لمعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط، ط. 1. 1391/ 1971.
- السمر قندي، أبو الليث نصر بن محمد :
178- بستان العارفين، المطبعة الميرية، مكة، 1300 / 1882.
- السهيلي عبد الرحمان الخثعمي :
179- الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، المطبعة الجمالية، مصر، 1332 / 1914.
- السوسي المختار محمد :
180- إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، 1386 / 1966.
- السويسي عبد الله :
181- تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1399/1979.
- السيوطي عبد الرحمان جلال الدين :

182- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الطبي وشركاه، ط. 1. 1384 / 1964.
183- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتاب العلمية، ط. 4. دون تاريخ.
184- شرح شواهد المغني، تحقيق : محمد محمود الشنقيطي، لجنة التراث العربي، دون تاريخ.
185- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق : مجموعة من الأساتذة، نشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي وشركاه، دون تاريخ.

- الشاذلي عبد اللطيف :

186- الحركة العياشية، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط. 1. 1402 / 1982.

- الشافعي محمد بن إدريس :

187- ديوان، جمع وتحقيق : زهدي يكن، دار الثقافة، بيروت، 1381 / 1961.

- شاكر مصطفى :

188- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 1. 1399/ 1979.

- الشوكاني محمد بن علي :

189- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، ط. 1. 1348 / 1929.

- شيخ الأرض تيسير :

190- ابن سينا، دار الشرق الجديد، بيروت، ط. 1. 1382 / 1962.

- الصديقي محمد بن سعيد :

191- إيقاظ السريرة في تاريخ الصويرة، مطبعة دار الكتاب، الدارب البيضاء، دون تاريخ.

- الصغير عبد المجيد :

192- إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و 19 م. الرباط، منشورات دار الأفاق الجديدة 1988.

- الصفدي خليل بن إيبك صلاح الدين :

193- الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، المطبعة الأزهرية، ط. 1. 1305 / 1887.
194- الوافي بالوفيات، بعناية هلموت ريتر وديدرينغ، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن، ط. 2. 1381 ـ 1394/ 1962 ـ 1974.

- الصولي محمد بن يحي أبو بكر :

195- أدب الكتاب، تحقيق : محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1341 / 1922.
196- أخبار أبي تمام، تحقيق : خليل محمود عساكر ومحمد عبده غرام وتطير الإسلام الهندي، تقديم : أحمد أمين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ.

- الضبي. أحمد بن يحي :

197- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي 1387 / 1967.

- الضعيف الرباطي :

198- تاريخ الدولة العلوية السعيدة، دراسة وتحقيق : محمد البوزيدي، دار الثقافة، الدار البيضاء. 1408 / 1988.

- الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي :

199- المعجم الصغير، تحقيق : عبد الرحمان محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة. دون تاريخ.

- الطبري محمد بن جرير :

200- تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399 / 1979.

- الطرطوشي أبو بكر :

201- سراج الملوك، المطبعة الوطنية، الاسكندرية، 1289 / 1871.

- الطريسي أحمد، الإصلاح وصورة الأجنبي في الشعر المغربي في القرن 19، مقال في مجلة.
202- ندوة : الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19. السنة 1404 / 1983.
- العاملي. محسن الأمين الحسيني :
203- أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ط. 1. 1356 ـ 1367 / 1938 ـ 1948.
- العباسي عبد الرحيم بن أحمد :
204- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، 1367/1947.
- عبد العزيز سالم :
205- تاريخ المغرب الكبير، الجزء 2. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1402 / 1981.
- عبد الكريم خليفة :
206- ابن حزم الأندلسي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ومكتبة الأقصى، عمان، دون تاريخ.
- العجلوني إسماعيل بن محمد :
207- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. 3. 1352 / 1933.
- العروي عبد الله :
208- مؤرخو المغرب في القرن 19 م. مقال نشر في جريدة العلم الثقافي، العدد 175. السنة : 1392 / 1972.
- العلوي أحمد بن عبد العزيز :
209- الأنوار الحسنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، نشر وزارة الأنباء المغربية. دون تاريخ.
- العلوي سليمان بن محمد (السلطان).
210- عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد، المطبعة الجديدة، فاس، 1347 / 1928.
- علي بن أبي طالب :
211- ديوان، جمع وتقديم، عبد العزيز الكرم، دون تاريخ ومكان الطبع.
212- من الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب، جمع وشرح : عبد العزيز سيد الأهل، دار بيروت للطباعة والنشر، 1393 / 1973.
- علي فكري :
213- أحسن القصص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 7. 1399 / 1979.
- علوش . ي . س . وعبد الله الرجراجي :
214- فهرس المخطوطات العربية (القسم الثاني : 1921 ـ 1953)، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط، 1978 / 1958.
- عكاشة برحاب : شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، الدار البيضاء، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1989.
- العماري أحمد : توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.
- عنان محمد عبد الله :
215- فهارس الخزانة الملكية، ج 1. مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1400 / 1980.
216- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2. 1390 / 1970.
- عمر فروخ :
217- تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 1 . 1404 / 1983.
- الغربي محمد :
218- الساقية الحمراء ووادي الذهب، دار الكتاب، الدار البيضاء، دون تاريخ.
- غريط محمد :
219- فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، فاس المطبعة الجديدة. 1347 / 1928.

- الغزالي محمد أبو حامد :
220- إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ط. 3. دون تاريخ.
- الغزي نجم الدين محمد بن محمد :
221- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 2. 1399 / 1979.
- الفاخوري حنا :
222- تاريخ الأدب العربي في المغرب، المكتبة البوليسية، بيروت، ط. 1. 1402 / 1982.
- الفاسي عبد الحفيظ :
223- رياض الجنة، الجزء 1 بالمطبعة الوطنية، الرباط، والجزء 2. بمطبعة فاس، 1350 / 1932.
- الفاسي عبد الرحمان أبو زيد :
224- زهر الشماريخ في علم التاريخ، طبع على الحجر بفاس، 1307 / 1889.
- الفاسي. محمد البشير :
225- قبيلة بني زروال، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط، 1382 / 1962.
- الفاسي محمد العابد :
226- فهرس مخطوطات خزانة القرويين، الجزء الرابع، ط. 1. 1409 / 1989 (دون مكان الطبع).
- الفاسي. محمد العربي بن أبي المحاسن أبو حامد :
227- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، طبع على الحجر بفاس، 1324 / 1906.
- الفتح بن خاقان :
228- قلائد العقيان، المطبعة الخديوية ببولاق، مصر، 1283 / 1866
- الفضيلي إدريس بن أحمد :
229- الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، طبع على الحجر بفاس، دون تاريخ.
- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب :
230- القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.
- الفيومي أحمد بن محمد المقري :
231- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المطبعة الأميرية، ط. 8. ببولاق. 1357 / 1939.
- القادري. محمد بن الطيب :
232- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق : محمد حجي وأحمد توفيق، نشر وتوزيع: مكتبة الطالب، الرباط. 1397 - 1407 / 1977 - 1986.
- القاسمي هاشم العلوي :
233- مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 1. 1401 / 1981.
- القاضي عياض بن موسى اليحصبي :
234- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق : مجموعة من الأساتذة، الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، دمشق، دون تاريخ.
- القضاعي محمد بن سلامة :
235-مسند الشهاب، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط. 1. 1405 / 1985.
- القفطي علي بن يوسف :
236- إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دون تاريخ ومكان الطبع.
- القيرواني. محمد بن أبي القاسم الرعيني ابن أبي دينار :
237- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط. 1. 1286 / 1874.

- كارادوفو البارون :
238- ابن سينا، تعريب : عادل زعيتر . تقديم : محمد عبد الغني حسن، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط. 1. 1390 / 1970.
- الكتاني. عبد الحي بن عبد الكبير :
239- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المطبعة الجديدة، فاس، 1346 / 1927.
- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس :
240- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبع على الحجر بفاس، 1316 / 1898.
- الكتبي محمد بن شاكر :
241- عيون التواريخ، الجزء 12. تحقيق : فيصل السامر ونبيل عبد المنعم داود 1397 / 1977 دون مكان الطبع.
242- فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ الطبع.
- كحالة عمر رضا :
243- أعلام النساء، المطبعة الهاشمية بدمشق، ط. 2. 1378 / 1959.
244- معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت ودار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
- كربخال مارمول :
245- إفريقيا، تعريب : محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بنجلون، نشر : مكتبة المعارف، الرباط، 1404 / 1984.
- كريم عبد الكريم :
246- المغرب في عهد الدولة السعدية، شركة الطبع والنشر الدار البيضاء، ط2. 1397 / 1977.
- كعب بن زهير :
247- ديوان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة. ط. 1. 1369 / 1950.
- كنون. عبد الله :
248- أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، دار الثقافة، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء دون تاريخ.
249- ذكريات مشاهير رجال المغرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت. 1. 1381 / 1961.
250- شرح الشمقمقية، دار الطباعة المغربية، تطوان. 1374 / 1954.
251- النبوغ المغربي في الأدب العربي، د كتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت. ط. 2. 1380 / 1961
- لبيب حسين :
252- تاريخ الأتراك العثمانيين، تعريب لبيب حسين، مطبعة الواعظ بمصر 1335 / 1917 .
- لبيد بن ربيعة العامري :
253- ديوان، دار صادر، بيروت، 1386 / 1966.
- لقبال موسى:
254- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط. 1. 1391 / 1971.
- لوتورنو روجي :
255- فاس قبل الحماية، تعريب : محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1407 / 1986.
- المتنبي أبو الطيب :
256- ديوان، تحقيق : مجموعة من الأساتذة، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1398 / 1978.

- مجاهد زكي محمد :
257- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، دار الطباعة المصرية الحديثة القاهرة، 1375 / 1955.
- مجموعة من الأساتذة :
258- معلمة المغرب، إنتاج : الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر : مطابع سلا. 1410 / 1989.
- مجموعة من الأساتذة :
259- مرشد الباحثين، إشراف : عبد السلا م بن ميس، مطبعة الأمنية، ط. 1. الرباط، 1406 / 1986.
- مجنون ليلى :
260- ديوان، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، نشر دار مصر للطباعة والنشر (دون تاريخ).
- مجهول المؤلف :
261- أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، مطبعة المنار، مصر، 1343 / 1925.
- مجهول المؤلف :
262- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1405/ 1985.
- مجهول المؤلف :
263- الحلل الموشية، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط. 1. 1399 / 1979.
- مجهول المؤلف :
264- تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1381 / 1962.
- المحبي محمد أمين :
265- خلاصة الأثر، مكتبة خياط، بيروت، دون تاريخ.
- محمد فريد بك المحامي :
266- تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1397 / 1977.
- المحمدي علي :
267- السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج آيت باعمران، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 1. 1409 / 1989.
- المراكشي عبد الواحد :
268- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد عريان ومحمد العربي العلمي، البيضاء، دار الكتاب، 1398 / 1978.
- المراكشي محمد بن محمد المؤقت :
269- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مطبعة دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، ط. 2. دون تاريخ.
- المرزباني. محمد بن عمران :
270- معجم الشعراء، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، 1379 / 1960.
- مزين محمد :
271- فاس وباديتها، مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، 1549 ـ 1637، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1406 / 1986.
- المسعودي علي بن الحسين :
272- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : شارل بلا، طبعة بربيه دي مينارو باڤيه دي كرتاي، بيروت، 1385 ـ 1399 / 1965. 1979.

- مسلم بن الوليد صريع الغواني :
273- ديوان، تحقيق : سامي الدهان، دار المعارف، مصر، دون تاريخ.
- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى :
274- إظهار العقوق في الرد على من منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي والولي الصدوق، مطبعة التقدم العلمية، مصر. 1327 / 1909 .
275- السهام الصائبة لنحر الهفاف السائبة، طبع بالجزائر، دون تاريخ.
276- قصيدة في هجو القاضي محمد بن الرشيد العراقي، (مرقونة).
- المقدسي محمد أبو عبد الله :
277- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، (بدون تاريخ).
- المقري أحمد بن محمد التلمساني :
278- أزهار الرياض في أخبار عياض، دون تاريخ ومكان الطبع.
279- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388 / 1968.
280- روضة الآس العاطرة الأنفاس، الرباط، المطبعة الملكية 1383/ 1964 .
- المنجور أحمد :
281- الفهرس، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396/1976.
- المنذري. عبد العظيم أبو محمد :
282- الترغيب والترهيب، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، ط. 3. 1399 / 1979.
- منصور علي ناصف :
283- التاج الجامع للأصول في الأحاديث الرسول، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1354 / 1935.
- المنوني محمد :
284- المصادر العربية لتاريخ المغرب، الجزء الأول والثاني مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ومطبعة فضالة المحمدية، 1404 ـ 1405 / 1983 ـ 1985.
285- مظاهر يقظة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت وشركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط. 2 . 1405 / 1985.
286- المصادر المجهولة لتاريخ المغرب، مقال في مجلة البحث العلمي، العدد 10 السنة 1387 / 1967.
- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري :
287- مجمع الأمثال، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط 3 . 1393 / 1972.
- النابغة الذبياني :
288- ديوان، تحقيق : شكري فيصل، دار الفكر، دون تاريخ.
- الناصري أحمد بن خالد، أبو العباس :
289- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1373 / 1954.
290- زهر الأفنان من حديقه ابن الونان، طبع على الحجر بفاس، 1314 / 1896.
- النباهي أبو الحسن بن عبد الله المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت. ط 5 : 1403 / 1983.
- النميشي أحمد :
291- تاريخ الشعر والشعراء بفاس، فاس مطبعة أندري، 1343/ 1924.

- النووي الشافعي يحي بن شرف :
- تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
293- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الناشر : وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، دون تاريخ، تحقيق : عبد الله أحمد أبو زينة.
294- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، ط. 1. 1349 / 1930.
- نويهض عادل :
295- معجم أعلام الجزائر، منشورات : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط. 1. 1391 / 1971.
- النيسابوري الحاكم، محمد أبو عبد الله :
296- المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (دون تاريخ).
- الهادي العامري محمد :
297- تاريخ المغرب العربي، الشركة التونسية للتوزيع، 1394 / 1974.
- هراس محمد خليل :
298- ابن تيمية السلفي، المطبعة اليوسفية، طانطا، مصر، ط. 1. 1372 / 1952.
- الهندي :
299- منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد)، ا لمكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت (دون تاريخ).
- الهيثمي : نور الدين علي :
300- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب، بيروت، ط. 2. 1387 / 1967.
- الورطاسي قدور :
301- في موكب الأبطال بالمغرب الشرقي، الأخ المجاهد المصطفى المشرفي، (مرقون) بالخزانة العامة بالرباط رقم : 3812 د.
- الوزان الفاسي، الحسن بن محمد :
302- وصف إفريقيا، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1400 / 1980.
- وكاك الحسين :
303- أطوار الصراع مع الاستعمار في سيدي إفني وآيت باعمران، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، دون تاريخ.
- ونسنك . أ . ي . وآخرون :
304- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل، ليدن، 1936 م / 1969 م.
- الوليد بن يزيد (الأموي) :
305- شعر الوليد بن يزيد، جمع وتحقيق : حسين عطوان، مكتبة الأقصى، عمان والمطبعة الاقتصادية، عمان، ط. 1. 1399 / 1979.
- اليافعي اليمني عبد الله أبو محمد :
306- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن، ط. 1. 1337 / 1919.
- ياقوت الحموي أبو عبد الله :
307- معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون. ط. 2. 1341 / 1922 .
308- معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، ط. 1. 1323 / 1906.
- اليوسي الحسن :
309- زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1. 1401 / 1981.

المخطوطات

- ابن الحاج أحمد بن محمد بن حمدون :

311- الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية، مخ. خ.ح. ر. 512.

- ابن داني محمد بن أحمد :

312- الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية، مخ. خ. ح. ر. 481 د.

- ابن زيدان عبد الرحمان :

313- معجم طبقات المؤلفين، أوراق مخطوطة. خ. ح. ر. 12564.

314- النهضة العلمية، مخ. خ. ح. ر. 12652.

- ابن الصالح خليل الخالدي :

315- رحلة تباشير الفرح (أرجوزة). مخ. خ. ح. ر. 3915 ز.

- ابن صعد التلمساني. محمد بن أحمد :

316- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، مخ. خ. ح. ر. 2491.

- ابن القاضي أحمد :

317- الدر الحلوك المشرق بدرة السلوك. مخ. خ. ح. ر. 1418 د/ ثاني المجموع.

- أبو حيان أثير الدين الغرناطي :

318- رائية في مدح الإمام البخاري، مخ. م. ع. ت. 587 / أول المجموع.

- أبو راس المعسكري محمد بن أحمد :

319- الخبر المعرب عن الأمر المغرب، مخ. خ. ع. ر. 2273 ك.

320- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته. مخ. خ. ع. ر. 2263 ك.

- أبو محمد يوسف السبط :

321- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج 8. خ. ح. ر. 2529.

- الأبياري عبد الهادي نجا المصري الأزهري :

322- سعود المطالع، مخ. خ. ع. ر. 1428 د / آخر المجموع.

- الأنصاري علي بن موسى :

323- ديوان الشذور في تحقيق الأمور، مخ. خ. ع . ر. 103 د.

- بناني عبد القادر بن محمد :

324- تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول، مخ. خ.ح.ر. 10273.

- البوعزاوي أحمد بن محمد :

325- مجموعة الفتاوي والأجوبة الفقهية، مخ. خ. ع. ر. 4440.

- الجلد كي علي بن محمد :

326- نهاية الطلب في شرح ا لمكتسب، مخ. مصور على الميكر وفيلم، يوجد في خ.ع. ر. تحت رقم 1326 .

- الرياحي. إبراهيم بن عبد القادر أبو إسحاق :

327- ديوان، مخ. خ. ع. ر. 1763 ك.

- الزياني أبو القاسم محمد بن أحمد :

328- الأنيس النفيس المغني عن الجليس، مخ. م. ع. ت . 341.

329- البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، مخ. خ. ع. ر. 1577 د.
330- الروضة السليمانية في ملوك الدولة الإسماعيلية، مخ. خ. ع. ر. 1275.

- السباعي محمد بن إبراهيم :

331- البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، مخ. خ. ع. 1346 د.

- السملالي علي بن محمد السوسي :

332- مطالع الحسن و اتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، مخ. خ. ح. ر. 81.

- الشطيبي محمد بن علي :

333- الجمان في أخبار الزمان، مخ. خ. ع. 579 د.

- الفاسي عبد الرحمان أبو زيد :

334- الأقنوم في مبادئ العلوم، مخ. خ. ع. ر. 15ك.

- اللجائي عبد السلام بن محمد :

335-المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة العلوية الحسنية، مخ. خ. ح. ر. 12068.

- المشرفي العربي بن علي أبو محمد :

336- الحسام المشرفي، مخ. خ. ع. ر. 2276 ك.

- المشرفي العربي بن علي أبو محمد :

337- ديوان [وبعض التقاييد]، مخ. خ. ع. ر. 204 ك.

- المشرفي العربي بن علي أبو محمد :

338- ذخيرة الأواخر والأول، مخ. خ. ع. ر. 2659 ك.

- رحلة [إلى شمال المغرب]، مخ. خ. ع. ر. 2420.

339- كناش، مخ. خ. ع. ر. 471 ك.
340- مشموم عرار النجد والغيطان. خ. ح. ر. 1208.
341- ياقوتة النسب الوهاجة، مخ. خ. ع. ر. 1534 د.

- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى :

342- الدر المكنون في التعريف بشيخنا سيدي محمد جنون، مخ. خ. ع. ت : 412.

- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى :

343- منهاج البشرى وسعادة الدنيا والأخرى، والتحذير والإغراء، مخ. مصور على الميكرو فيلم في خ. ع. ر. تحت رقم 1638.

- مجهول المؤلف :

344- كناش عن مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن، مخ. خ. ح. ر. 12059 ن.

- يحي بوعزيز :

345- رسالة يحي بوعزيز إلى بلعربي الحسني رشيدة. 1988.

- اليوسي الحسن بن مسعود :

346- ديوان، مخ. خ. ع. ر. 32 ج / أول المجموع.

الرسائل الجامعية غير المنشورة

- **اجواهري محمد :**

347- اليوسي الشاعر، رسالة لنيل د.د. ع. في اللغة العربية وآدابها. جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، السنة : 1986 ـ 1987.

- **برادة ثريا :**

348- الجيش المغربي وتطوره في القرن 19م. رسالة جامعية لنيل د. د. ع. في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1404 / 1984

- **بنصر علوي :**

349- أبو سالم العياشي شاعرا، رسالة جامعية لنيل د.د ـ ع. في الأدب، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. فاس.

- **حيمر جمال :**

350- البعثات التعليمية في عهد السلطان مولاي الحسن، رسالة جامعية لنيل د. د. ع. في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، 1987ـ.1988

- **سميرس لطيفة بناني :**

351- الموقف المغربي من تطور الأطماع الأوروبية (1845 ـ 1880). رسالة لنيل د. د. ع. في التاريخ وآدابها. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، السنة 1982 ـ 1983

- **علمي أحمد :**

352- حركات السلطان الحسن الأول، رسالة لنيل د.د.ع. في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، السنة 1986 ـ 1987

- **عمراني محمد :**

353- جامعة القرويين فيما بين 1914 ـ ,1934 رسالة لنيل د.د.ع. في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة 1987 ـ .1988

- **المكاوي أحمد :**

354- مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19م. رسالة لنيل. د. د. ع. في التاريخ، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1408/ 1988.

2- الأعجمية :

355- ARNAUD.L Au temps des mehallas. Casablanca 1952.
356- BSSET. H. et TERRASSE. H : Sanctuaires et Fortress Almohades Paris 1932.
357- BENCHEKROUN.M : La vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides. Rabat. 1974.
358- BERQUE/J : Alyoussi. Paris. 1958.
359- BRAHIM BOUTALEB. et autres histoire du Maroc. Paris 1967.
360 - CAILLE. J : La représentation diplomatique de la France au Maroc. Paris 1951.
361- CAILLE. J : La ville de Rabat jusqu'au Protectorat Français. Paris . 1949.
362- CATTENOZ. H.G. : Tables des concordance des éres chrétienne et Hégiriennes. 2éme édition. Rabat. 1954.
363- CENIVAL.P: La legende de juif: Ibn Mechal. in. Hésperis 1925. T5. 2éme trim.
364- CHARLES ROUX et Caillé J.: Mission diplomatique Française à Fes . Paris. 1955.
365- CHARLES ROUX : Mission diplomatique à Fés. in. HESPERIS 1948 . 3éme trim.
366- COUFOURIER: Chronique de la vie de Moulay El Hassan in Archives marocaines. 1906. V.8.
367- DELPHIN : Fés, son université et l'enseignement supérieur musulman. spns édition.
368- Destaing EDMONT: Etude sur le dialecte Berbére des Aït segh rouchen. Paris. 1920.
369- DEVERDUN. G : Marrakech des origines à 1920. RABAT 1959-1966.
370 - DOUTTE (E). Les Djbala du Maroc d'aprés des travaux de M. Auguste Moulieras. oran 1899.
371- DOUTTE EDMOND : Des moyens de développer L'influence Française au Maroc. Paris. 1900.
372- DOUTTE EDMOND : Mission au Maroc . Paris. 1914.
- Encyclopédie de l'islam. nouvelle Edition. Leyden. Paris Tome 1 : 1975. Tome 2 : 1965.Tome 3 : 1971.
Tome 4 : 1978. Tome 5 : 1986.
373- ERCKAMNN. JULES : Le Maroc moderne. Paris 1885.
374- EUGENE AUBIN : Le Maroc d'aujourd'hui. Paris. 1912.
375- FOUCAULD. ch. de : Reconnaissance au Maroc. 1883 - 1884. Paris 1881.
376- GAILLARD. HW: Une ville de l'islam. Fés. Paris. 1905.
377- GAUDIO ATTILIO : Sahara Espagnol. Rabat 1975.
378- GOULVEN J : L'établissement des premiéres européens à Mazagan au cours du 19 éme siécle.Paris. 1918.
379- GOULVEN. J : La place de Mazagan, sous la domination portugaise (1502- 1769). Paris. 1917.
380- GUILLEN PIERRE :L'allemagne et le Maroc de 1870 à 1905. Paris 1967.
381- GUIN .L : Le Collier de perles précieuse, ou mention des principaux personnages d'origines noble du R ERIS. in. Revue Africaine. Alger. 1891.4 éme trim.
382- HARRIS . W: Le Maroc disparu. Traduit de l'Aglais par odinot. Paris sans Edition.
383- HARRIS.W : Le Tafilelt. traduit par le L.t Colonel Redier. Paris. 1909.
384 - Justinard. D. : Note sur l'histoire de sous. in. Héspéris. 1925. T5. 3éme trim.
385- La MARTINIERE : M. De : Souvenir du Maroc. Paris 1919.
386- La Martiniére. M. De : Le régime de Moulay El hassan. (Extrait de la revue de deux mondes). sans édition.
387- La Martinière .M. De: itinéraire de Fés à Oujda. Paris 1895.
388- LAROUI .A : Les Origines sociales et culturelle du natinalisme marocain, 1830 - 1912. Paris 1977.

389- LE TOURNEAU. R : L'activité économique de Sefrou . in Héspéris 1938. T25. 2ème trim.
390- Martin. A. G. P : Quatre siècle d'histoire marocaines. Paris 1923.
392- MEAKING BUDGETT : The morish empire, a historical épitom london 1899.
393- MEAKING BUDGETT : The land of the moors. London 1901.
394- MICHAUX BELLAIRE : Quelques tribus de Montagnes de la région du Habt. Archives marocaines. 1911. V. 17.
395- MICHAUX BELLAIRE : Les impôts marocains. Archives marocaines 1904. T. 1.
396- MICHAUX BELLAIRE : Les musulmans d'Algérie au Maroc. Archives marocaines. Paris. 1907. V. 11.
397- MIEGE. J. L. : Le Maroc et l'europe (1830 - 1894), Paris 1961.
398- MONTAGNE. R. : Les berbéres et le Makhzen dans le sud du Maroc Paris, 1930.
399- MONTAGNE . R.: Villages et Kasbas Bérbéres. Paris 1930.
400- Livre jaune, Documents diplomatique, Affaire du Maroc. 1901-1912.
401- MONTAGNE R : Note sur le Kasbah de Mehdiya. in. Hespéris. 1921. T1. 2é trim.
402- MOULIERAS AUGUST : Le Maroc inconnu. Paris 1899.
403- MOURRE MICHEL : Dictionnaire encyclopédique d'histoire. Paris 1978.
404- PASCON PAUL: Le Haut de Marrakech. Rabat 1977.
405- ROUARD DE CARD. E : les relations de l'espagne et du Maroc (Pendant le 18é et le 19é siécle). Paris 1905.
406- SALMON. G : Une opinion marocain sur la conquête du Touat. Archives marocaines. 1904. T 1.
408- SALMON. G : De l'Azref. chez les bérbéres. Archives marocaines. 1904. T.1.
409- SALMON. G : Les institutions bérbéres au Maroc. Archives Marocaines. 1904. V. 1.
410- SALMON. G : Mezrag. Archives marocains . 1904. T. 1.
411- SALMON. G : les institutions berbéres au Maroc. Archives Marocaines. 1904. V1.
412- SALMON. G : Le Tertib. Archives marocaines. 1905. T2. Fax.1.
413- SALMON. G : Essai sur l'histoire politique du Nord marocain. Archives marocaines. 1905 - T.2. Fax . 1.
414- SAYAGH / Saïd : La France et les Frantiére maroco. Algériénnes, 1873 - 1902. Paris 1986.
415- TERRASSE / .H : La mosquée Al Quaraouiyn à Fés. Paris 1986.

3- الدوريات والمجلات والمعاجم :

- البحث العلمي (دورية يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط).
- دار النيابة (فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب المغرب، تصدر بطنجة).
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
- معلمة ا لمغرب
- المناهل (دورية شهرية تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط).
- الوثائق (دورية تصدر عن مديرية الوثائق الملكية بالرباط).

- Archives marocaines .
- Encyclopédie de l'islam.
- Hespéris.
- Livre jaune, document diplomatique.

الفهرس العام

فهرس موضوعات الجزء الأول

تقديم 5
القسم الأول : الدراسة 7
مقدمة : اختيار الموضوع 9
المبحث الأول : المنهج المتبع في التحقيق والدراسة 12
منهج العمل في التحقيق 12
1- دراسة وصفية للنسخ الخطية 13
2- وضع الهوامش 20
3- وضع الرموز والاختزالات 21
4- تقسيم نص المؤلف 22
5- دراسة عصر المؤلف وبيئته وحياته 25
6- دراسة تحليلية للكتاب 26
المبحث الثاني : عصر المشرفي من خلال كتابه الحلل البهية 28
ملامح نهضوية (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894) 28
1- الجانب السياسي 28
2- الجانب الاجتماعي 29
3- الجانب الأدبي 30
4- الجانب العلمي 30
5- الجانب العسكري 31
احتلال توات (1318/ 1900) 33
1- احتلال توات 33
2- حجج الفرنسيين 33
3- موقف المشرفي 33
المقترحات الإنجليزية في الإصلاح (1319/ 1901) 35
1- المحاولات الإنجليزية لتمرير الإصلاحات 36
2- الميادين التي همتها الإصلاحات 36
3- موقف المشرفي 37
المبحث الثالث : بيئة المشرفي 38
الحياة السياسية 38
1- الخليفة 39
2- العامل 39
3- القاضي 40

4- المحتسب.. 41
5- الأمين.. 41
6- المقدم.. 41
الحياة الاجتماعية.. 43
1- العناصر السكانية.. 43
2- التصنيف الطبقي.. 45
3- الارتباط بالعادات والتقاليد.. 46
الحياة الاقتصادية 46
1- التجارة.. 46
2- الصناعة.. 47
3- الفلاحة.. 48
- الحياة الفكرية.. 49
1- تيار الفكر الصوفي.. 49
2- تيار الفكر السلفي.. 50
المبحث الرابع : حياة المشرفي.. 55
أسرة المشرفي.. 55
1- المشرفيون بغريس.. 55
2- المشرفيون بفاس.. 57
دراسة تعريفية ونقدية لمصادر حياة المشرفي.. 60
1- المصادر التي ألفها المشرفي.. 61
2- المصادر المعاصرة للمشرفي.. 62
3- المصادر اللاحقة.. 64
حياة المشرفي.. 65
1- اسمه ونسبه.. 65
2- مولده.. 65
3- هجرته إلى فاس ونشأته بها.. 66
4- دراسته.. 67
5- تكوينه العلمي.. 68
6- مؤلفاته.. 71
7- شيوخه. 76
8- علاقته الاجتماعية. 79
9- عمله.. 79
10- رحلاته.. 82
11- وفاته.. 85
المبحث الخامس : المشرفي وكتابه الحلل البهية.. 86
الغالي بن سليمان وقصيدته.. 86

1- نبذة عن حياة الغالي بن سليمان 86
2- التعريف بقصيدته 86
ظرفية ودواعي تأليف الكتاب 90
1- تاريخ التأليف 90
2- أسباب التأليف 91
المضامين الأساسية للكتاب 92
1- مؤسسة السلطان 93
2- مؤسسة الحكومة 94
3- مؤسسة الجيش 94
4- الثورات المعارضة 95
5- العادات القبلية 96
6- العناية بالعلماء 98
7- علاقات المغرب الخارجية 98
8- المنشآت المدنية والعسكرية 101
المشرفي المؤرخ 101
1- المشرفي والتاريخ 101
2- مفهوم التاريخ عند المشرفي 102
3- الحس التاريخي عند المشرفي 102
4- منهجيته في الكتاب 103
5- أهم مصادره التاريخية 104
قيمة الكتاب التاريخية 106
1- الكتب المعاصرة له ومقارنتها به 107
2- الباحثون والحلل البهية 112
القسم الثاني : نص كتاب الحلل البهية 115
خطبة الكتاب/ دواعي التأليف 117
مقدمة / التاريخ والمؤرخون 121
المقصد الأول : علم التاريخ وذكر بعض من ألف فيه 121
- شرف علم التاريخ 121
* أصل التاريخ 122
* فضيلته 122
* أول من أرخ 123
* التاريخ لغة واصطلاحا 125
* بعض من ألف في التاريخ من العلماء 125
* إنكار مالك الانتساب فوق عدنان 135
* نسابة التابعين 137
المقصد الثاني : التعريف بالناظم وقصيدته 139
- التعريف بناظم القصيدة : الغالي بن المكي بن سليمان 139

* بكاء الخفاجي الأندلس.. 140
رجوع المؤلف للتعريف بالناظم.. 141
* تأليف الناظم.. 141
- ذكر شيوخ الناظم... 144
- القصيدة وما يتعلق بها من علم العروض والقوافي................................. 149
* أول من أنشد الشعر... 150
* أعظم الوسائل عند رسول اللهﷺ الشعر... 151
* أفضل صناعة الرجل الأبيات من الشعر... 153
* اعتراف الروم بأفضلية لغة العرب... 155
شرح القصيدة / تركيز السلطة ومواجهة التهافت الأوربي.............................. 156
المقصد الثالث : أفضلية الدولة العلوية.. 157
- الحمد وأقسامه... 157
* حكمة الحمد في العطاس.. 157
* أفضل المحامد صيغة... 159
* الصلاة لغة.. 160
* تاريخ مشروعية الصلاة على النبيﷺ... 162
- صفة لواء الحمد.. 163
- الاختلاف في أول من تكلم بأما بعد... 163
* أول من نطق بالعربية.. 165
* أول من ركب الخيل.. 167
* أول من اختتن.. 168
* أول من رتب العسكر... 168
- العلم وأفضليته... 169
- علم التاريخ وأفضليته.. 170
* الفضائل النفيسة.. 174
* دأب معاوية كل ليلة... 175
- فتح موسى بن نصير الأندلس.. 176
- الدولة العلوية أحق بالمدح من غيرها... 178
- صفة الكاتب المعتبر.. 180
- تأكيد المؤلف على أحقية مدح الدولة العلوية.................................... 181
- اهتمام الملوك والخلفاء بالجوهر.. 184
* وزن للدرة اليتيمية.. 186
* حكاية في صدق المحبة.. 187
- السبب الموجب لمدح الدولة العلوية... 188
- نقائص دولة بني أمية... 188
- نقائص دولة بني العباس... 189
- نقائص دولة الأدارسة... 190
- نقائص دولة لمتونة... 190
- نقائص دولة الموحدين... 191
- نقائص دولة بني مرين... 191

ملاحظة: وضعنا علامة (*) أمام عناوين المؤلف التي اعتمدنا فيها على نسخة د ـ لتمييزها عن العناوين التي وضعناها نحن.

- نقائص دولة السعديين.......... 191
المقصد الرابع : بداية تكوين الدولة العلوية.......... 191
* أول ملوك الدولة العلوية.......... 192
- منازعة المولى محمد للثوار.......... 192
- مناقب المولى محمد.......... 193
- جواب المولى محمد على رسالة الدلائي.......... 196
- تمهيد المولى محمد للصحراء والمغرب الأوسط.......... 197
* كتاب الترك للمولى محمد.......... 199
- جواب المولى محمد على كتاب الترك.......... 200
- عقد الصلح بين المولى محمد والترك.......... 203
* نسب الدولة العلوية.......... 204
- التحقيق في تاريخ دخول المولى الحسن بن قاسم إلى المغرب.......... 204
- سبب القدوم بالمولى الحسن بن قاسم إلى المغرب.......... 208
- مناقب المولى الحسن بن قاسم.......... 211
* وفاة مولاي الحسن الداخل.......... 213
- ذرية المولى الحسن بن قاسم.......... 213
- أخبار المولى علي الشريف.......... 214
- أولاد المولى علي الشريف.......... 214
المقصد الخامس : الدول المتعاقبة على المغرب قبل الدولة العلوية.......... 219
* **1 - دولة الأدارسة**.......... 221
- أخبار المولى إدريس بن عبد الله.......... 221
* وفاة مولانا إدريس بن عبد الله الكامل.......... 221
- بيعة المولى إدريس الثاني واختطاطه مدينة فاس.......... 222
- استفتاح المغرب الأقصى والأوسط.......... 222
- مناقب المولى إدريس الثاني ووفاته.......... 223
- تولية محمد بن إدريس الثاني ووفاته.......... 223
- تولية علي بن محمد ووفاته ومناقبه.......... 223
- أخبار الحسن بن محمد.......... 224
- انقراض دولة الأدارسة.......... 224
2- دولة آل بن أبي العافية.......... 225
- تاريخ قيام موسى بن أبي العافية وذكر ملوك من ذريته.......... 226
- أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء الأدارسة.......... 226
3-دولة المرابطين.......... 227
- سبب تسميتهم بالمرابطين.......... 228
- سبب تسميتهم باللمتونيين والملثمين.......... 228
- إبطال المكوس.......... 228
- تولية أبي بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين.......... 229
* بناء مراكش.......... 229
- بناء تلمسان.......... 229
- فتح فاس.......... 230
- فتح تلمسان.......... 231
- فتح وهران.......... 231

- العبور إلى الأندلس ووقوع معركة الزلاقة........ 231
- وفاة يوسف بن تاشفين........ 232
- مناقبه........ 232
- تولية علي بن يوسف وأعماله........ 233
- تولية تاشفين بن علي وانهزامه أمام الموحدين........ 233
- بيعة إبراهيم ثم إسحاق وسقوط الدولة المرابطية........ 234
- ذكر أمراء المرابطين بالتتابع........ 234
4- دولة الموحدين 234
- أخبار المهدي بن تومرت........ 236
- ترتيب المهدي أهل دولته........ 236
* وفاة المهدي سنة 524........ 236
- تولية عبد المؤمن بن علي وأعماله........ 237
- وفاته........ 238
- تولية أبي يعقوب يوسف وأعماله........ 239
- تولية يعقوب المنصور وأعماله........ 239
* سبب قولهم أن يعقوب المنصور زهد في الملك ومات بالشام........ 239
- تولية محمد بن يعقوب الناصر........ 241
- وقعه العقاب........ 243
- تولية المستنصر يوسف بن الناصر........ 243
- استبداد الأشياخ بأمراء الموحدين........ 244
- استيلاء المأمون إدريس على مراكش........ 245
- تولية أبي محمد الرشيد ووفاته........ 245
- تولية أبي الحسن علي وانهزامه........ 245
- تولية عمر بن أبي إبراهيم و خصاله........ 245
- تغلب إدريس بن محمد على المرتضى........ 246
- انهزام إدريس بن محمد أمام المرينيين........ 246
* مدة دولة الموحدين 246
بقية أخبار عبد المؤمن بن علي........ 247
- أرجوزة الفاسي في ذكر أمراد الموحدين........ 247
5- دولة بني مرين 248
- موطن بني مرين........ 249
- تحقيق نسب عبد الحق بن محيو........ 249
- مناقب عبد الحق بن محيو........ 249
- تولية عثمان بن عبد الحق ومناقبه........ 250
- تولية أبي معرف ومناقبه........ 250
- تولية أبي بكر وأعماله........ 251
- تولية أبي يوسف يعقوب وأعماله........ 251
- تولية يوسف بن يعقوب وفتوحاته 252
- تولية عامر وعقده الصلح مع أمير تلمسان........ 253
- تولية أبي الربيع سليمان........ 253
- تولية أبي سعيد عثمان وتغلبه على ابنه عمر........ 254
- تولية أبي الحسن علي وأعماله........ 254

- تولية أبي عنان وأعماله.. 254
- نزاع خلفاء أبي عنان على الحكم وانقراض دولة بني مرين.................... 257
- أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء بني مرين.. 258
6- دولة بني وطاس 258
- بيعة أبي عبد ا لله محمد الشيخ ووفاته.. 259
- تولية محمد بن محمد الشيخ ووفاته... 259
- تولية أبي حسون علي ثم خلعه... 259
- بيعة أحمد وانقراض دولة بني وطاس... 259
7- دولة السعديين 259
- نسب أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله... 260
- سبب بيعة محمد القائم بأمر الله.. 260
- بيعة أبي العباس أحمد الأعرج.. 260
- إجلاء النصارى من بعض السواحل المغربية... 261
- تغلب محمد الشيخ على أخيه أبي العباس... 261
- تولية عبد الله وفرار إخوته إلى الجزائر... 261
- استنجاد عبد الملك بالسلطان العثماني... 262
- بيعة أبي مروان عبد الملك وذكر وقعة وادي المخازن............................ 263
- تولية أحمد المنصور الذهبي وأعماله.. 263
- تولية زيدان ومحاربته لإخوته.. 263
- تولية عبد الملك وانتصاره على أخويه.. 264
- تولية الوليد وخصاله... 264
- تولية محمد الشيخ وانحصار سلطته بمراكش....................................... 265
- تولية العباس وانقراض الدولة السعدية 265
المقصد السادس : استكمال تكوين الدولة العلوية.................................... 265
- تغلب المولى الرشيد على أخيه محمد.. 266
- فتح تازا... 266
- فتح فاس.. 267
- القضاء على الدلائيين والشبانات.. 267
- تمهيد سوس الأقصى.. 268
- التعريف بالسوس.. 268
- شرح كلمة الصحاري.. 268
- التعريف بالبربر... 270
- أول ملوك البربر في الإسلام.. 270
- ذكر بعض ملوك برير صنهاجة... 271
- ذكر بعض علماء برير صنهاجة.. 271
- التعريف بمغراوة... 272
- ذكر بعض علماء مغراوة.. 273
- التحقيق في الفرق بين البربر وزناتة.. 274
- النمو والتقدم في ظل السياسة الرشيدية.. 275
- بناء قنطرة وادي سبو وتجديد قنطرة الرصيف....................................... 275

- وفاة المولى الرشيد........ 276
- سبب وفاة المولى الرشيد........ 276
- تواضع المولى الرشيد ومحبته للعلم والعلماء........ 277
المقصد السابع : توطيد السلطة وتوحيد البلاد........ 278
- تولية المولى إسماعيل وبيعته بفاس........ 279
-دخول المولى إسماعيل إلى مراكش ثم رجوعه إلى فاس........ 279
- محاربة الثائر أحمد بن محرز........ 280
- محاربة الثائر الحران........ 280
- القضاء على الثائر الخضر غيلان........ 282
- القضاء على الثائر أبي العباس أحمد الدلائي........ 283
- الإعراض عن الثائرين : حمادي ومحرز........ 284
- محاربة الثائر المولى محمد وقتله........ 285
- نص ظهير يفيد ندم المولى إسماعيل على قتل ولده محمد........ 285
- اهتمام المولى محمد بالعلم والعلماء........ 289
- وفاة المولى زيدان........ 290
- تمهيد المولى إسماعيل لناحية أنكاد والسوس والشرق........ 291
- تمهيد بني يزناسن وبسيط أنكاد........ 292
- تمهيد جبل فازاز........ 293
- التمهيد الثاني لجبل فازاز........ 293
- استباحة جروان........ 293
- توجه المولى إسماعيل إلى المغرب الأوسط........ 294
* جنود مولاي إسماعيل........ 295
- مبلغ ملك المولى إسماعيل........ 296
- مقدمة عن فتوحات المولى إسماعيل........ 300
- فتح المهدية........ 300
- فتح طنجة........ 301
- فتح العرائش........ 303
- فتح أصيلا 305
- أعمال المولى إسماعيل........ 312
* تاريخ بناء ضريح مولانا إدريس الأ: بر رضي الله عنه........ 313
* تاريخ ظهور قبر مولانا إدريس باني فاس........ 317
- رجوع المؤلف لأعمال المولى إسماعيل........ 318
* ما غرس من البساتين........ 320
- بقية أعمال المولى إسماعيل........ 322
- حصار سبتة المحتلة........ 323
- مباغتة النصارى للمسلمين أثناء حصار سبتة........ 325
- حصار حصن بادس........ 325
- مدة خلافة المولى إسماعيل........ 326
- وفاة المولى إسماعيل........ 326
- مجمل أعمال المولى إسماعيل........ 328
* عدد أولاد مولاي إسماعيل 500 ونيف........ 329

فهرس موضوعات الجزء الثاني

المقصد الثامن : إعادة توحيد البلاد.
- وقوع الفتن واستبداد العبيد.. 5
- استئثار المولى عبد الله بالسلطة.. 5
- تأليف المولى عبد الله بين القبائل.. 7
- إرسال هدية إلى الحرمين الشريفين.. 9
- بسط النفوذ على جميع أنحاء المغرب.. 9
- النزول قرب فاس.. 9
- سبب نجاح الناس في أعمالهم بفاس.. 11
- بناء قوس من قنطرة وادي سبو.. 12
- قيام الثائر أحمد بن علي الريفي والقضاء عليه.. 12
- تثبيت السلطة في بعض المدن والنواحي.. 12
- ظهور الطاعون.. 13
- قدوم المولى محمد بن عبد الله إلى مكناس وفاس.. 13
- وقوع قحط أعقبه مطر غزير.. 14
- اختصار مناقب المولى عبد الله.. 14
- وفاة المولى عبد الله.. 14
المقصد التاسع : الانفتاح على الخارج.. 15
- تولية المولى محمد بن عبد الله.. 16
- وفود أهل فاس لمراكش لبيعة المولى محمد ابن عبد الله.. 16
- ورود المولى محمد بن عبد الله على فاس واعتناؤه بالعلم والعلماء.. 20
- مناقب المولى محمد بن عبد الله.. 20
- الاهتمام بافتكاك الأسارى المسلمين.. 21
- فتح الجديدة.. 22
- الاعتناء بالاستعدادات البرية والبحرية.. 23
- الإحسان إلى الرعية.. 24
- الأمر بجعل في كل مرسى بيت مال.. 25
- ترتيب الصلات للمستفيدين.. 26
- كثرة الإنفاق على الشؤون العسكرية وفكاك الأسارى.. 27
- الاهتمام بإصلاح الثغور.. 27
- بناء الصويرة.. 27
- بناء أبراج ثغر العرائش.. 28
- بناء وإصلاح مآثر أخرى.. 29
- الاعتناء بالمراكب الحربية.. 29
- مصاهرة سلطان مكة.. 30
- وفاة المولى محمد بن عبد الله وتحقيق تاريخها.. 31
- أولاد المولى محمد بن عبد الله.. 31
- مدح أحمد الونان السلطان.. 33
- قصيدة محمد المرتضى في رثاء السلطان وتهنئة ولده اليزيد.. 34
المقصد العاشر : استتباب الأمن والمساعي الحميدة.. 37

- بيعة المولى اليزيد وقيام أخيه المولى هشام عليه.. 37
- الانقسامات الداخلية وأزمة وحدة السلطة.. 37
- شرح مفهوم الخلافة.. 38
* شروط الإمامة.. 38
- رجوع المؤلف لأزمة وحدة السلطة.. 39
- توفر المولى سليمان على الشروط المؤهلة لتسلم السلطة.. 39
- يشتمل الإنسان على ثلاثين حالة.. 40
- رجوع المؤلف للشروط والمؤهلات المتوفرة في المولى سليمان.. 41
- اتصاف المولى سليمان بالعلم وعنايته بالعلماء.. 42
- اتصاف المولى سليمان بالعدل.. 46
- الاتصاف بالحلم والتقوى والصبر والخلق الحسن.. 46
- الاتصاف بالشجاعة.. 47
- أوصاف المولى سليمان جملة.. 47
- تولية المولى سليمان.. 48
- السيطرة على مناطق نفوذ المولى مسلمة.. 49
- إخضاع ثورة محمد بن عبد السلام الخمسي.. 50
- إخضاع ثورة المولى عبد الملك.. 50
- استرجاع مدينة وجدة.. 51
- سيادة حالة الرخاء والهناء في أواسط حكم المولى سليمان.. 52
- سعي المولى سليمان في الصلح بين ولاة الأتراك والطائفة الدرقاوية بالجزائر........ 52
- سبب ثورة عبد ا لقادر بن الشريف الفليتي على الأتراك.. 52
- نجاح المولى سليمان في سعيه في الصلح بين الأتراك والطائفة الدرقاوية..... 53
- استجابة المولى سليمان لطلب بأي تونس حمودة باشا.. 55
- نشوب الفتن والقضاء عليها.. 56
- الوصية بتولية عبد الرحمان بن هشام.. 58
* وفاة المولى سليمان.. 61
- قصيدة لأبي عبد الله محمد بن إدريس الفاسي في رثاء المولى سليمان....... 62
- آثار المولى سليمان العمرانية.. 65
المقصد الحادي عشر: السياسة المرنة وبداية مواجهة الأطماع الفرنسية.. 66
-تولية المولى عبد الرحمان بن هشام وأهليته لها.. 66
- إعانة المولى عبد الرحمان للحاج عبد القادر.. 68
- استيلاء الفرنسيين على الجزائر وأسبابه.. 69
- اتفاق أهل الجزائر على بيعة المولى عبد الرحمان.. 72
- خروج الودايا على السلطان واندحارهم.. 75
- بيعة أهل الجزائر لعبد القادر بن محي الدين وبعض أخباره.. 75
- تحديث العسكر.. 77
- إعانة السلطان للمهاجرين الجزائريين.. 79
- انتقاض الهدنة بين المغرب وفرنسا.. 79
- وقوع الحرب بوادي إيسلي وانهزام الجيش المغربي.. 79
- عقد الهدنة مع فرنسا.. 82
* وفاة مولانا عبد الرحمان.. 82
- قصيدة لأبي عبد الله أكنسوس في رثاء المولى عبد الرحمان.. 83

- مآثر المولى عبد الرحمان العمرانية 84
- رجوع المؤلف لوفاة المولى عبد الرحمان 89
المقصد الثاني عشر : الاحتلال الإسباني لتطوان وعقد الصلح 91
- تولية محمد بن عبد الرحمان 91
- اهتمام المولى محمد بن عبد الرحمان بالعلم والعلماء 92
- وقوع حرب تطاوين وأسباب انهزام الجيش المغربي 92
- جنوح السلطان لعقد الصلح وشروطه 93
- رجوع المؤلف لأسباب الانهزام في حرب تطاوين 95
- دفع تعويضات حرب تطاوين 97
- تحديث العسكر وفشله 97
- ثورة الجلالي الروكي السفياني والقضاء عليها 98
- ثورة المولى عبد الرحمان بن سليمان والقضاء عليها 99
- تحسن الوضع الاجتماعي العام بعد وقعة تطاوين 100
- وفاة المولى محمد بن عبد الرحمان 100
- أعمال المولى محمد بن عبد الرحمان 102
المقصد الثالث عشر : الإصلاح وازدياد الأطماع الأوربية 104
- تولية المولى الحسن 104
- ثورة المولى الكبير بن عبد الرحمان 110
- ثورة بوعزة الهبري والقضاء عليها 110
- اختراع المولى الحسن قوانين جبائية 113
- الاهتمام بالعلم والعناية بالعلماء 113
- الاتصاف بالجد والحزم 117
- الاعتناء بشؤون العسكر 118
- البحث في أحوال الرعية و رجال المخزن 118
- تعظيم الأولياء والعلماء واحترامهم 119
- البحث عن أحوال الثغور والحدود 119
- الاعتماد على النفس في تدبير شؤون الدولة 119
- التعريف بسبتة 121
- التعريف بمليلية والنكور وحجر باديس 122
- اتصاف المولى الحسن بأوصاف حميدة 123
- غزو المولى الحسن قبيلة بني مطير وحلفائها 125
- الإيقاع بأهل فاس 125
- الإيقاع ببني سادن وشغروشن وبني وراين 126
- القبض على محمد بن البشير وولد رمضان الوجدي 126
* عادة قبائل وجدة استعمال اللف 127
- عادة قبائل وجدة استعمال الميعاد 128
- إبطال عادتي اللف والميعاد 129
- وفود الجنرال أصمن على المولى الحسن بوجدة 130
- رجوع المولى الحسن إلى فاس ومكاتبته للأمصار 131
- الغزوة الثانية لقبيلة بني مطير وحلفائها 132
* الكلام في أزرف عند البربر 133
- الكلام في المزراف عند البربر 135

- شعر أبي محمد العربي المشرفي في مدح المولى الحسن............ 137
- دخول القبائل في الطاعة وامتثالها للواجب الجبائي............ 139
- اكتساب رعية السلطان الأموال والراحة............ 140
- شرح كلمة الإكسير............ 141
- اعتناء المولى الحسن بالشعراء ومادحيه............ 141
- الاعتناء بالكمياء وعلمائه............ 143
- ذكر بعض ما يتعلق بعلم الكمياء وعلمائه............ 143
- تمهيد سوس الأقصى............ 159
- التمهيد الثاني لسوس الأقصى............ 164
- تمهيد بني مكيلد............ 167
- خيانة آيت شخمان وتأديبهم............ 172
- رجوع المولى الحسن إلى مكناسة ثم فاس............ 174
- التعريف بالسياسة............ 175
- اتصاف المولى الحسن بالتقوى............ 177
- الاتصاف بالصدق والوفاء بالعهد............ 178
- إكرام العلماء والأشراف............ 178
- تعاهد الأسواق والأسعار............ 178
- حسن تأديب الرعية............ 178
- الاهتمام بجمع المعدات الحربية............ 179
- إكرام الأهل والأقارب والأباعد............ 179
- من خصوصيات الأسرة العلوية التواضع والخضوع للأحكام العامة............ 180
- تفقد المولى الحسن للوزراء و تعاهد السجون 180
- إقامة الحدود والحرص على الحلم بالرعية............ 180
- الحرص على معاينة الثغور............ 182
- رجوع المؤلف لتمهيد المولى الحسن لبني مكيلد............ 183
- غزو جبال غمارة والطواف على ثغورها............ 184
- مسير المولى الحسن إلى مراكش و تردد نواب الدول إليه بها 191
- ورود سفير إنجلترا على مراكش ووفاته بها............ 191
- ورود سفير ثان من إنكلترا على فاس وفشله في مهمته............ 193
- شجاعة المولى الحسن في وقعة مضيق غياثة............ 195
- إنشاء المولى الحسن مكينة لصنع الأسلحة............ 197
- اهتمام المولى الحسن ببناء المآثر العمرانية............ 198
- وصف المكينة بفاس............ 199
- بناء مرسى سعيدة............ 199
- بناء دار الذهب بفاس............ 199
- بناء بعض الأسوار بفاس............ 200
- بناء منشآت أخرى بفاس............ 200
- بناء منشآت بمدن أخرى............ 200
- همم ومناقب المولى الحسن............ 201
- أسباب وصف المولى الحسن بفريدة عقد الدولة العلوية............ 204
- التعريف بالخلافة............ 205
- أسباب ارتقاء المولى الحسن إلى السلطة............ 206

- شرح كلمتي الصدر والوزير وذكر وزراء المولى الحسن.............................. 206
- اجتماع العلماء على المولى الحسن واستجابته لمطالبهم.............................. 207
- إشارة المؤلف إلى اختتام القصيدة وتاريخ انتهائه من شرحها.............................. 208
تذييل شرح القصيدة / ضعف السلطة والتغلغل الأوربي.............................. 209
المقصد الرابع عشر : عودة إلى الأطماع الأوربية.............................. 210
- غزو المولى الحسن صحراء سجلماسة.............................. 210
-حدوث حرب بين قبائل الريف والإسبان.............................. 214
- قدوم سفير إسبانيا إلى مراكش ووقوع الصلح.............................. 215
- عزل المولى الحسن ابنه محمد وتقديم عبد العزيز لخلافته على مراكش.............................. 215
- تاريخ وفاة المولى الحسن.............................. 215
- أسباب كتم أحمد بن موسى وفاة المولى الحسن وإفشائها بعد ذلك.............................. 216
المقصد الخامس عشر : الاستبداد وتعميق سياسة الانفتاح.............................. 217
* بيعة المولى عبد العزيز.............................. 217
* استبداد الحاجب أحمد بن موسى بتدبير شؤون الدولة.............................. 217
- أوصاف الحاجب أحمد بن موسى.............................. 220
- تعيين الوزير الأعظم أحمد بن موسى رجال حكومته.............................. 220
- حلول عبد الكريم بريشة سفيرا بإسبانيا.............................. 221
- موقف المؤلف من سلوك الجنيرال الإسباني.............................. 222
- تعاطف أعيان إسبانيا مع السفير المغربي.............................. 223
- رجوع السفير عبد الكريم بريشة إلى طنجة.............................. 223
- أسباب استبداد الوزير أحمد بن موسى.............................. 224
- سياسة الوزير أحمد بن موسى الخارجية.............................. 225
- نهوض الوزير لمراكش وقبضه على الطاهر بن سليمان.............................. 226
- القبض على نحو الألف من سكان قبيلة الرحامنة.............................. 227
- استباحة قبائل تادلا والشاوية.............................. 228
- فشل سفارة محمد بن موسى بباريس.............................. 229
- موقف المؤلف من سفارة محمد بن موسى.............................. 229
- القبض على بعض التجار الإنجليز بسوس الأقصى.............................. 230
- موقف المؤلف من الحكم الصادر في حق التجار الإنجليز.............................. 230
- شراء المولى عبد العزيز مرسى طرفاية.............................. 230
المقصد السادس عشر : الاستيلاء الفرنسي على توات.............................. 231
* تاريخ استيلاء الفرنسيس على قصور اتوات.............................. 231
- الخطاب الاستفهامي عن سبب الاستيلاء على توات.............................. 231
- الجواب الفرنسي على الخطاب الاستفهامي.............................. 231
- موقف المؤلف من الاستيلاء الفرنسي على توات.............................. 232
- فشل العربي المنيعي في مهمته بطنجة.............................. 233
- موقف المؤلف من ركون أولي الأمر إلى الأجانب.............................. 234
- نص لائحة تتضمن النصيحة بعدم الإصغاء للأجانب.............................. 234
- إنشاء المؤلف قصيدة يدعو فيها الجهاد وينتقد الحكومة والعلماء.............................. 236
المقصد السابع عشر : التغييرات الحكومية.............................. 240
- موت أ ولاد موسى بن أحمد.............................. 240
* اختلال نظام ملك المغرب بموت الوزير الصدر الفقيه السيد أحمد بن موسى.............................. 240

- تركة الوزير أحمد بن موسى 241
- تولية المختار بن عبد الله صدارة الوزارة وأوصافه 243
- تولية المهدي بن العربي المنبهي وزارة الحرب وأوصافه 243
- تمكن المنبهي من الاختصاص بالسلطان والاستبداد بالرأي 244
- سلوك الوزير المختار ونصحه للسلطان 244
- تولية عبد الكريم بن سليمان وزارة الخارجية 245
- طلب وزير المالية عبد السلام موخ التازي الرباطي الإقالة وموقف المؤلف منها 245
- تولية محمد الشيخ التازي الفاسي وزارة المالية 245
- إغراء المنبهي وغريط المولى عبد العزيز على عزل المختار 245

المقصد الثامن عشر : تعدد السفارات إلى أوربا 247
- الاستيلاء على توات بصفة تامة وردود فعل إنجلترا 247
- الاتفاق على توجيه عبد الكريم بن سليمان سفيرا للوندرة وبرلين 247
- توجيه وزير الحرب المنبهي سفيرا لباريز وسان بطرسبورج 248
- موقف المؤلف من سفارة المنبهي 248
- نجاح الإنجليز في تغيير السفير الموجه إليه 248
- توجه وزير الحرب المنبهي للندرة وحلوله بها 249
- فصول اتفاقية المنبهي مع إنجلترا 250
- موقف المؤلف من فصول الاتفاقية 250
- موقف المؤلف من النهج السياسي للدولة المغربية 252
- توجه وزير الحرب المنبهي لبرلين ثم رجوعه إلى الجديدة 252
- استبداد الوزير غريط وإغراؤه السلطان على عزل المنبهي 252
- نجاح الشيخ التازي في تبرئة ساحة المنبهي 254
- حلول سفارة بن سليمان بباريس 255
- اجتماع ابن سليمان بأعيان الدولة الفرنسية 255
- جواب أعيان الدولة الفرنسية على مطالب ابن سليمان 256
- توجه ابن سليمان من باريز لسان بطرسبورج 256
- توجه ابن سليمان لموسكو ووصف ما شوهد بها 257
- رجوع سفارة ابن سليمان إلى باريز ثم المغرب 258
- اجتماع ابن سليمان بالسلطان 259

المقصد التاسع عشر : الموافقة على إجراء المقترحات الإصلاحية الانجليزية 260
- اتفاق الوزراء على التشاور وتوحيد الرأي في تدبير شؤون الدولة 260
- اتفاق الوزراء على إنشاء الترتيب 260
- سبب استحسان العامة للترتيب 262
- موقف المؤلف من الإغفال عن الولاة والتسلط على أموال الرعية 262
- موقف المؤلف من الشروع في إجراء الترتيب 264
- غزوة قبيلتي بني مسارة وبني عروس 267
- نهوض السلطان من مراكش 268
- توجيه السلطان وفدا للجزائر للمصادقة على شروط اتفاقية باريز 268
- وفود أربعة سفراء الفرنج على السلطان بالرباط 269
- شيوع أمر التنظيمات وموقف المؤلف منها 269
- نهوض السلطان من الرباط ودخوله مدينة فاس 270
- شروع السلطان في تتميم وتعميم الترتيب 270

- ما أشيع عن السلطان بالبطحاء بفاس... 270
- موقف المؤلف من مخالطة السلطان للإنجليز.. 270
- توجيه السلطان دعوة لمحمد الطريس وبناصر غنام.. 271
- توجه الأمراني ثم السلطان لمكناسة لحمايتها... 273
- إنذار السلطان بظهور الثائر أبي حمارة.. 274

فهرس الفهارس 275
فهرس الأعلام 277
فهرس الجماعات.. 302
فهرس الأماكن.. 313
فهرس الكتب الواردة في المتن.. 329
فهرس المصادر والمراجع 335
فهرس موضوعات الكتاب... 357